

# تَوْفِيقُ الْحَسَنِ الْمَلِكِيِّ فِي دُرُوسِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

الشيخ فيصل بن عبد العزيز بن فيصل آل مبارك

(١٣١٣ - ١٣٦٦ هـ)  
رَحِمَهُ اللَّهُ

حَقَّقَهُ، وَضَرَعَ أُهَارِيْشَهُ، وَعَلَى عَلَيْهِ

عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزبير آل حمد

الجزء الثالث

من سورة الكهف إلى سورة فصلت





تَوْفِيقًا لِّلرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٦هـ - ١٩٩٦م

دار العليا

للنشر والنسخ والتصوير والتجليد  
وطلبع الرسائل والبحوث العلمية  
القصيم - بريدة - ص ب : ١٨٣  
هاتف : ٣٢٣٠٢٤٧ - فاكس ٣٢٤٣٦٤٤

وزارة العامة

المملكة العربية السعودية  
الرياض - ص ب ٤٢٥٠٧ - السخ البريد ١١٥٥١  
هاتف ٤٩١٥١٥٤ - ٤٩٣٣٣١٨ - فاكس ٤٩١٥١٥٤

## الدرس السادس والخمسون بعد المائة

### ﴿سورة الكهف﴾

مكية ، وهي مائة وإحدى عشرة آية

روى مسلم وغيره عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال»<sup>(١)</sup>. وعن أبي سعيد عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة الكهف في يوم الجمعة أضاء له من النور ما بينه وبين الجمعتين»<sup>(٢)</sup>. رواه الحاكم وصححه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عَوَاجًا ۖ قِيمًا يُنذِرُ  
بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِنَ لُدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا  
حَسَنًا ۖ مَّا كَثُفَتْ فِيهِ أَبَدًا ۖ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۚ مَا  
لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِإِبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا

(١) أخرجه مسلم (ح/٨٠٩).

(٢) أخرجه الحاكم (٢/٣٦٨)، ومن طريقه البيهقي (٣/٣٤٩)، قال الحاكم: «صحيح الإسناد»، وتعقبه الذهبي بقوله: «نعيم ذو مناكير». قلت: ونعيم هو ابن حماد الخزاعي، إمام في السنة — رحمه الله — وثقه غير واحد كأحمد، وابن معين، والعجلي، وقال أبو حاتم: محله الصدق، وضعفه النسائي، فأقل أحواله أنه حسن الحديث. ومع ذلك هو لم يتفرد بهذه الرواية، بل تابعه غير واحد، فالحديث صحيح كما قال الحاكم.

كَذِبًا ﴿٦﴾ فَلَمَّا لَكَ بِخُفِّ نَفْسِكَ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٨﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٩﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِن آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿١٠﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١١﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴿١٣﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٤﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُو مِن دُونِهِ ؕ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٥﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتِيهِمْ عَلَيْهِمُ بَٰسُطِينَ بَيْنَ يَدَيْهِمْ قَلْبٌ مِّمَّنْ أَفَرَأَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٦﴾ وَإِذْ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوَّاىَ إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ ۚ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴿١٧﴾ وَتَرَى السَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَورُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِن آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يَضِلْ فَلَن يُجِدْ لَهُمْ وَلِيًّا مِّرْشِدًا ﴿١٨﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أُنْقَاطًا وَهُمْ رُفُودٌ وَنُقِلَبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَاهُ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمْلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٩﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢١﴾ وَكَذَٰلِكَ

أَعَزَّنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ  
 بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى  
 أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ  
 خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي  
 أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَحَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ وَلَا تَسْتَفِثْ فِيهِمْ  
 مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَايٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ عَدَاً ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ  
 وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ وَلِئِشْوَا  
 فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيُشْوَا لَمْ يَغِيبُ  
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي  
 حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۖ ﴿٢﴾ مَتَكَبِّينَ فِيهِ أَبَدًا ۖ ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۖ ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۖ ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بِخُفْيِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِنَّ لَكَ يَوْمَئِذٍ بِهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۖ ﴿٦﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۖ ﴿٨﴾

عن ابن عباس قوله: ﴿ولم يجعل له عوجاً قِيماً﴾ يقول: أنزل الكتاب عدلاً قِيماً ﴿ولم يجعل له عوجاً﴾. وقال قتادة: معناه ﴿أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً﴾ ولكن جعله ﴿قيماً لينذر بأساً شديداً﴾ قال ابن إسحاق: عاجل عقوبة في الدنيا، وعذاباً في الآخرة ﴿من لدنه﴾، أي: من عند ربك الذي بعثك رسولاً.

﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً ماكثين فيه أبداً﴾، أي: في دار خلد لا يموتون فيه، الذين صدقوك بما جئت به عن الله وعملوا بما أمرتهم ﴿ولينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً﴾ يعني قريشاً في قولهم: إنما نعبد الملائكة وهن بنات الله ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم﴾ قولهم: إن الملائكة بنات الله ﴿إن يقولون إلا كذباً﴾.

وعن قتادة ﴿فلعلك باخع نفسك﴾ قاتل نفسك ﴿على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ قال: حزناً عليهم. قال ابن إسحاق: يعاتبه على حزنه عليهم، حين فاته ما كان يرجو منهم، أي: لا تفعل.

﴿إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوههم أيهم أحسن عملاً﴾ اختباراً لهم، أيهم أتبع لأمرى وأعمل بطاعتي. وقال قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «إن الدنيا خُضْرَة حلوة، وإن الله مستخلفكم فيها، فناظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن إسحاق ﴿وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرّزاً﴾ يعني الأرض إن ما عليها لفان وبائد، وإن المرجع إليّ، فلا تأس ولا يحزنك ما ستسمع وترى فيها.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقد ذكر محمد بن إسحاق سبب نزول هذه السورة الكريمة فقال: حدثني شيخ من أهل مصر قدم علينا منذ بضع وأربعين سنة عن عكرمة عن ابن عباس قال: بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى أحبار يهود بالمدينة فقالوا لهم: سلوهم عن محمد ووصفوا لهم صفته وأخبروهم بقوله، فإنهم أهل الكتاب الأول وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء، فخرجوا حتى أتيا المدينة، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله ﷺ، ووصفوا لهم أمره وبعض قوله وقالوا: إنكم أهل التوراة وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا، قال فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإلا فهو رجل متقول قروا فيه رأيكم؟ سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم؟ فإنهم قد كان لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف بلغ في مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم بذلك فهو نبي فاتبعوه، وإن لم يخبركم، فإنه رجل متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم. فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور فأخبروهم بها، فجاءوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد أخبرنا، فسأله عما أمروهم به فقال لهم رسول الله ﷺ: «أخبركم غداً عما سألتهم عنه» ولم يستثن، فانصرفوا عنه، ومكث

(١) أخرجه مسلم مرفوعاً (ح/٢٧٤٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٧١/٣).

رسول الله ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله في ذلك وحياً، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه، وحتى أحزن رسول الله ﷺ مكثُ الوحي عنه، وشقَّ عليه ما يتكلَّم به أهل مكة، ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف، فيها معابته إياه على حزنه عليهم، وخبر ما سألوه عنهم من أمر الفتية والرجل الطَّوَّاف، وقول الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾<sup>(٢)</sup> إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١١﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَبْلُغَ أَئْيُ الْحُزْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمْدًا ﴿١٣﴾

عن مجاهد: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجباً﴾ يقول: قد كان من آياتنا ما هو أعجب من ذلك. وقال ابن عباس: الرقيم وإد دون فلسطين وهو قريب من أيلة. وعن سعيد بن جبیر قال: الرقيم لوح من حجارة كتبوا فيه قصص أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف.

وعن قتادة قوله: ﴿ثم بعثناهم لنعلم أي الحزبين أحصى لما لبثوا أمدًا﴾ يقول: ما كان لواحد من الفريقين علم، لا لكفارهم ولا لمؤمنيهم. وعن مجاهد ﴿أمدًا﴾ قال: عدداً.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار، ثم بسطها بعد ذلك.

(١) سورة الإسراء: الآية ٨٥، والحديث أخرجه ابن جرير (١٥/١٩١)، وفي سنده ضعف.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٧٢).



قوله عز وجل: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۖ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۖ هَتُولَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۖ﴾.

قال ابن إسحاق: مرج أهل الإنجيل، وعظمت فيهم الخطايا، وطفت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام، وذبحوا للطواغيت، وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده، فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس<sup>(١)</sup>، كان قد عبد الأصنام، وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه في ذلك.

وقال مجاهد: كان أصحاب الكهف أبناء عظماء مدينتهم وأهل سوقهم، فخرجوا فاجتمعوا وراء المدينة على غير ميعة، فقال رجل منهم هو أسنهم: إني لأجد في نفسي شيئاً ما أظن أن أحداً يجده، قالوا: ماذا تجد؟ قال: أجد في نفسي أن ربي رب السماوات والأرض، وقالوا: نحن نجد، فقاموا جميعاً: ﴿فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ فاجتمعوا أن يدخلوا الكهف وعلى مدينتهم إذ ذاك جبار يقال له دقيانوس، فلبثوا في الكهف ﴿ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ رقداً.

وعن قتادة قوله: ﴿وربطنا على قلوبهم﴾ يقول: بالإيمان ﴿إذ قاموا فقالوا ربنا رب السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذا شططاً﴾ يقول: كذباً. وقال ابن زيد: الشطط الخطأ من القول. وقال ابن كثير ﴿شططاً﴾، أي: باطلاً وكذباً وبهتاناً.

(١) في (الأصل): وتفسير البغوي: «دقيانوس»، والمثبت من تفسير ابن جرير، وفي (الدر):

«دقيوس».

وقوله تعالى: ﴿وَيَهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ويهيئ لكم﴾ يسهل لكم ﴿مِّنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾، أي: ما يعود إليه يُسرُّكم ورفقكم.

قوله عز وجل: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَّوَّرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرَضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلْتُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِثْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ ﴿١٨﴾.

عن ابن عباس ﴿وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾ يقول: تميل عن كهفهم يمينا وشمالا، وقال: لو أن الشمس تطلع عليهم لأحرقتهم، ولو أنهم لا ينقلبون لأكلتهم الأرض. وعن سعيد بن جبير قال: ﴿وإذا غربت تقرضهم﴾ تركهم ﴿ذات الشمال﴾.

وعن قتادة ﴿وهم في فجوة منه﴾ يقول: في فضاء من الكهف ﴿ذلك من آيات الله﴾ قال ابن قتيبة: كان كهفهم مستقبل بنات نعش. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ﴿وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال﴾، أي: تدخل إلى غارهم من شمال بابه.

وقوله تعالى: ﴿وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود﴾ قيل: إن أعينهم كانت مفتحة ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد﴾ قال ابن عباس يقول: بالفناء. وقال ابن جريج: يحرس عليهم الباب، ﴿لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملثت منهم رعباً﴾، أي: أنه تعالى ألقى عليهم المهابة فلا يقدر أحد أن يدنو منهم.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ١٢٧).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٧٥).

كَمْ لَيْسَتْ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسَتْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ مِنْهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَئِبُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ .

عن عكرمة قال: كان أصحاب الكهف أبناء ملوك الروم رزقهم الله الإسلام، فتعوذوا بدينهم، واعتزلوا قومهم، حتى انتهوا إلى الكهف، فضرب الله على سمعهم فلبثوا دهرًا طويلاً، حتى هلكت أمتهم وجاءت أمة مسلمة وكان ملكهم مسلماً، فاختلّفوا في الروح والجسد فقال قائل: يبعث الروح والجسد جميعاً، وقال قائل: يبعث الروح فأما الجسد فتأكله الأرض فلا يكون شيئاً، فشقّ على ملكهم اختلافهم، فانطلق فلبس المسوح وجلس على الرماد، ثم دعا الله تعالى: أي رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبيّن لهم، فبعث الله أصحاب الكهف، فبعثوا أحدهم يشتري لهم طعاماً، فدخل السوق فجعل ينكر الوجوه ويعرف الطرق، ويرى الإيمان بالمدينة ظاهراً، فانطلق وهو مستخف حتى أتى رجلاً يشتري منه طعاماً، فلما نظر الرجل إلى الورق أنكرها فقال له الفتى: أليس ملككم فلان؟ قال: بل ملكنا فلان، فلم يزل ذلك بينهما حتى رفعه إلى الملك، فسأله فأخبره الفتى خبر أصحابه، فبعث الملك في الناس فجمعهم فقال: إنكم قد اختلفتم في الروح والجسد، وإن الله قد بعث لكم آية، فهذا رجل من قوم فلان — يعني ملكهم الذي مضى — فقال الفتى: انطلقوا بي إلى أصحابي، فركب الملك وركب معه الناس حتى انتهوا إلى كهف، فقال الفتى: دعوني أدخل إلى

أصحابي، فلما أبصرهم ضرب على أذنه وعلى آذانهم، فلما استبطؤوه دخل الملك ودخل الناس معه، فإذا أجساد لا ينكرون منها شيئاً غير أنها لا أرواح فيها، فقال الملك: هذه آية بعثها الله لكم.

وقوله تعالى: ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجداً﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: حكى ابن جرير في الفائلين ذلك قولين: أحدهما أنهم المسلمون منهم، والثاني أهل الشرك منهم، فالله أعلم، والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر، لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحهم مساجد»<sup>(٢)</sup>. يحذر ما فعلوه انتهى.

قوله عز وجل: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۚ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْشَاءَ إِيَّيْ فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ۚ ﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِي رَّبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۚ ﴿٢٤﴾ وَلَيْسُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۚ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَيْسُوا لَهُمْ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۚ ﴿٢٦﴾

عن قتادة ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ يقول: قليل من الناس. وعن ابن عباس ﴿ما يعلمهم إلا قليل﴾ قال: أنا من القليل، كانوا سبعة. ﴿فلا تمار فيهم إلا مرأ﴾

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٧٨/٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٣٥ و ٤٣٦)، ومسلم (ح/٥٣١) من حديث عائشة وابن عباس رضي الله عنهما — وفيه قصة.

ظاهراً ﴿يقول: إلا بما قد أظهرنا لك من أمرهم. وقال قتادة، أي: حسبك ما قصصنا عليك من شأنهم وعن ابن عباس ﴿ولا تستفت فيهم منهم أحدا﴾ قال: هم أهل الكتاب. وعن أبي العالية في قوله: ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت﴾ ثم ذكرت فاستثنى.

وقوله تعالى: ﴿وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: إذا سئلت عن شيء لا تعلمه فاسأل الله تعالى فيه، وتوجه إليه في أن يوفقك للصواب والرشد في ذلك. وعن مجاهد ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً﴾ قال: عدد ما لبثوا. وعن قتادة ﴿أبصر به وأسمع﴾ فلا أحد أبصر من الله ولا أسمع تبارك وتعالى.



(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٧٩/٣).

## الدرس السابع والخمسون بعد المائة

﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَوَةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ٢٨ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ٢٩ ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ ٣٠ ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُخَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِعِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ٣١ ﴿وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا﴾ ٣٢ ﴿كُلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَانْتَا أَكْلَاهَا وَلَمْ تَظْلِمَا مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَاقَهُمَا نَهْرًا﴾ ٣٣ ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ ٣٤ ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ ٣٥ ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ ٣٦ ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ ٣٧ ﴿لَنَكُنَّ هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ ٣٨ ﴿وَإِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلُّ

مِنْكَ مَا لَا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا  
مِّنَ السَّمَاءِ فَيُصْبِحَ صَبِيعًا زَلْقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَاءً وَهًا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَمْ طَلَبًا ﴿٤١﴾  
وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبِرْ يَقْلَبْ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي  
لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصِرًا ﴿٤٣﴾  
هَٰذَا لِكِ الْوَلَايَةِ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلِ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا  
كَمَا أُنزِلَتْهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْلَطَ بِهِ نَبَاتِ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ  
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَتُ الصَّالِحَتُ  
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ  
تُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعَرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ  
زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ  
وَيَقُولُونَ يَا لَيْتَنَّا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا  
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ٢٧ ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ ٢٨ ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ ٢٩ ﴿

عن مجاهد ﴿ملتحدًا﴾ قال: ملجأ.

وقوله تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ قال ابن عباس: لا تجاورهم إلى غيرهم. وعن سعد بن أبي وقاص قال: «كنا مع النبي ﷺ ستة، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع فحدث نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾<sup>(١)</sup>. رواه مسلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ قال مجاهد: ضياعاً.

وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ﴾. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله ﴿اعملوا ما شئتم﴾.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٨٧٨)،

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٣٢).



وعن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سَرَادِقُهَا﴾ قال: حائط من نار ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل﴾ قال: هو ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقال الضحاك: ماء جهنم أسود وهي سوداء وشجرها أسود وأهلها سود. وقال سعيد بن جبیر: المهمل هو الذي قد انتهى حرّه. وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿ويسقى من ماء صديد يتجرّعه﴾ قال: «يقرّب إليه فينكرهه، فإذا قرّب منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شرب قطع أمعاءه، يقول الله: ﴿وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب﴾»<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير.

وعن مجاهد ﴿وساء مرتفقاً﴾ قال: مجتمعاً.

وقال ابن كثير: ﴿وساء مرتفقاً﴾، أي: وساء النار نُزُلًا ومَقِيلًا ومجتمعاً وموضعاً للارتفاق، كما في الآية الأخرى ﴿إنها ساءت مستقرّاً ومقاماً﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٤١﴾﴾.

لما ذكر تعالى حال الأشقياء، ثنى بذكر السعداء الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا بما أمرهم به.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: والأرائك جمع أريكة وهي السرر تحت الحجلة والحجلة كما يعرفه الناس في زماننا هذا بالبشخانة والله أعلم.

(١) أخرجه أحمد (٢٦٥/٥)، والترمذي (ح/٢٥٨٣)، وقال: «حديث غريب»، والنسائي في الكبرى (٣٧١/٦)، وابن جرير (٢٤١/١٥)، والحاكم (٣٥١/٢) و ٣٦٨ - ٣٦٩، وصححه، ووافقه الذهبي!! وأبو نعيم في الحلية (١٨٢/٨)، وفي سنده عبيد الله بن بسر، ويقال عبد الله، وهو مجهول.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٨٢/٣).

قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا﴾ (٣٢) ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا﴾ (٣٣) ﴿وَكَانَ لَمْ تَمُرْ فَقَالَ لِمَصْحَبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ (٣٤) ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ (٣٥) ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ (٣٦) ﴿قَالَ لَمْ صَاحِبُهُهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا﴾ (٣٧) ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٣٨) ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ (٣٩) ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فُتُصِيحَ صَوْعٌ عَقِيدًا زُلْفًا﴾ (٤٠) ﴿أَوْ يُصِيحَ مَاؤُهَا غُورًا فَلَنْ لَا تَسْتَطِيعَ لَهُمُ طَلَبًا﴾ (٤١) ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفْتِهِ عَلَىٰ مَا أَفْتَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا﴾ (٤٢) ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَمْ فِتْنَةً يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًّا﴾ (٤٣) ﴿هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾ (٤٤).

لما ذكر سبحانه وتعالى الكافرين المستكبرين والمؤمنين المستضعفين، ضرب لهم مثلاً بهذين الرجلين؛ قال قتادة في قوله: ﴿فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً﴾ تلك والله أمنيّة الفاجر كثرة المال وعزة النفر ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبید هذه أبداً وما أظن الساعة قائمة﴾ كفور لنعم ربه مكذب بلفائه متمن على الله.

وقوله تعالى: ﴿قال له صاحبه وهو يحاوره﴾، أي: يجادله ﴿أكفرت بالذي خلقتك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً لكننا هو الله ربّي ولا أشرك بربّي أحداً﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup> وأصله: «لكن إنا» فحذفت الهمزة طلباً للتخفيف، لكثرة استعمالها، ثم أدغمت إحدى النونين في الأخرى.

وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: «لكننا هو الله ربّي»، أي: لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية «ولا أشرك بربي أحداً»، أي: بل هو الله المعبود وحده لا شريك له.

وقوله تعالى: «ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مალًا وولداً»، أي: فتكبرت وتعظمت عليّ: قال بعض السلف: من أعجبه شيء من حاله أو ماله أو ولده فليقل: ما شاء الله لا قوة إلا بالله. «فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك»، أي: في الآخرة «ويرسل عليها حساباً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً» قال قتادة: «حساباً» عذاباً «فتصبح صعيداً زلقاً» قال ابن عباس: مثل الجرز «أو يصبح ماؤها غوراً» قال قتادة: ذاهباً قد غار في الأرض «فلن تستطيع له طلباً». «وأحيط بشمره فأصبح يقلب كفيه على ما أنفق فيها» متلهفاً على ما فاته وهو «يقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً». وعن مجاهد في قول الله عز وجل: «ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله» قال: عشيرته «وما كان منتصراً» قال قتادة: ممتنعاً.

وقوله تعالى: «هنالك الولاية لله الحق».

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي هنالك كل أحد مؤمن أو كافر، يرجع إلى الله وإلى موالاته والخضوع له إذا وقع العذاب، كقوله: «فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين»<sup>(٤)</sup>. «وهو خير ثواباً»، أي: جزاء «وخير عقاباً»، أي: الأعمال التي تكون لله عز وجل ثوابها خير وعاقبتها حميدة رشيدة.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٣٥).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٨٣).

(٣) المصدر السابق (٣/٨٤).

(٤) سورة غافر: الآية ٨٤.

قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَوةَ الدُّنْيَا كَمَا أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ٤٥﴾ أَلَمَّا وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ٤٦ وَيَوْمَ نُسِرُّ الْجِبَالَ تُرَى الْأَرْضُ بَارِزَةً وَحَشَرْتَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ٤٧ وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ حِشْتُمُونَا كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ٤٨ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَلِّتُنَا مَا لِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا ٤٩﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿والباقيات الصالحات﴾ قال: هي ذكر الله قول: لا إله إلا الله والله أكبر، وسبحان الله والحمد لله، وتبارك الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله وصلى الله على رسول الله، والصيام والصلاة والحج، والصدقة والعق والجهاد والصلة، وجميع أعمال الحسنات، وهن الباقيات الصالحات التي تبقى لأهلها في الجنة ما دامت السموات والأرض.

وعن مجاهد ﴿وترى الأرض بارزة﴾ قال: لا حجر فيها ولا غيبة، ولا شجر ولا بناء ولا جبال فيها. وعن قتادة قوله: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتك أحد ظلماً، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يضرب لها مثلاً يقول: «كمثل قوم انطلقوا يسرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض، وحضر صنيع القوم، فانطلق كل رجل يحتطب، فجعل الرجل يجيء بالعود ويجيء الآخر بالعود، حتى جمعوا سواداً كثيراً وأججوا ناراً، فإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٥٨/١٥)، وبنحوه مرفوعاً من حديث سعد بن جنادة رضي الله عنه: أخرجه الطبراني (٥٢/٦) بسند ضعيف.

## الدرس الثامن والخمسون بعد المائة

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۖ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ۝٥٠﴾ مَا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا ۝٥١ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ۝٥٢ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَافِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عِنَّا مَصْرِفًا ۝٥٣ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ۝٥٤ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ۝٥٥ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ۝٥٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِلَّا إِذَا أَبَدًا ۝٥٧ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلَهُمْ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجْدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ۝٥٨ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ۝٥٩﴾

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذًا لِمُضِلِّينَ عَصْدًا ﴿٥١﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى منبهاً بني آدم على عداوة إبليس لهم ولأبيهم من قبلهم، ومقرعاً لمن اتبعه منهم وخالف خالقه ومولاه، وهو الذي أنشأه وابتدأه بالطافه ورزقه غذاه، ثم بعد هذا كله والى إبليس وعادى الله فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾، أي: خانه أصله، فإنه خلق من مارج من نار، وأصل خلق الملائكة من نور كما ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارجٍ مِنْ نارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وَصَفَ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>. فعند الحاجة نضح كل وعاء بما فيه وخانه الطبع عند الحاجة، وذلك أنه قد توسم بأفعال الملائكة وتشبه بهم وتعبد وتنسك فلهذا دخل في خطابهم وعصى بالمخالفة. انتهى.

وعن مجاهد في قول الله تعالى: ﴿فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ قال: عصى في السجود لآدم ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي﴾ قال: ذريته هم الشياطين. قال قتادة: وهم يتوالدون كما يتوالد بنو آدم ﴿وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ بشما استبدلوا بعبادة ربهم إذ أطاعوا إبليس. ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ مُتَخِذًا لِمُضِلِّينَ عَصْدًا﴾ قال: أعواناً.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٨٨).

(٢) سبق تخريجه.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى: أنا المستقلّ بخلق الأشياء كلها ومدبرها ومقدرها وحدي، ليس معي في ذلك شريك ولا وزير ولا مشير.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿وجعلنا بينهم موبقًا﴾ قال: مهلكاً. وقال الحسن: جعل بينهم عداوة يوم القيامة. وقوله تعالى: ﴿ورأى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها﴾ قال قتادة: علموا.

وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي أنهم لما عاينوا جهنم حين جيء بها تقاد سبعين ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك، فإذا رأى المجرمون النار تحققوا لا محالة أنهم مواقعوها، ليكون ذلك من باب تعجيل الهمة والحزن لهم، فإن توقع العذاب والخوف منه قبل وقوعه عذاب ناجز. وقوله: ﴿فلم يجدوا عنها مصرفاً﴾، أي: ليس لهم طريق يعدل بهم عنها، ولا بد لهم منها.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَجُودِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾﴾.

قال ابن زيد في قوله: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ قال: الجدال

(١) المصدر السابق (٨٩/٣).

(٢) المصدر السابق (٩٠/٣).

الخصومة، خصومة القوم لأنبيائهم وردّهم عليهم ما جاءوا به. وفي الصحيحين عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ طرده وفاطمة بنت رسول الله ﷺ ليلة فقال: ألا تصلّيان؟ فقلت: يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا، فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إليّ شيئاً، ثم سمعته وهو مولّ يضرب فخذه ويقول: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم إلا أن تأتيهم سنة الأولين﴾، أي: في إهلاكهم إن لم يؤمنوا ﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾ قال ابن عباس: عياناً وقال مجاهد: فجأة، أي: ما منعهم من الإيمان إلا طلبهم أن يشاهدوا العذاب الذي وعدوا به عياناً.

وقوله تعالى: ﴿وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين﴾، أي: قبل العذاب ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ۗ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَّنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ۝٥٨ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۝٥٩﴾.

عن قتادة في قوله: ﴿ونسي ما قدمت يدها﴾، أي: نسي ما سلف من الذنوب. وعن ابن عباس قوله: ﴿لن يجدوا من دونه موئلاً﴾ يقول: ملجأ. وعن مجاهد قوله: ﴿لمهلكهم موعدا﴾ قال: أجلاً.



(١) أخرجه البخاري (ح/ ١١٢٧ و ٤٧٢٤)، ومسلم (ح/ ٧٧٥).



## الدرس التاسع والخمسون بعد المائة

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أُبْرَحُ حَتَّىٰ أَتَّبُلَّ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (١٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿١١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ إِنَّا غَدَاةٌ نَّالِقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿١٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿١٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿١٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿١٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُسَدًا ﴿١٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿١٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿١٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿١٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٢٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٢١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٢٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي بِمَا نَسِيتُ وَلا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٢٤﴾ ﴿٢٥﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٢٦﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٢٧﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمُوا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٢٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٢٩﴾ أَمَّا

السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ  
كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا الْفُلُفُفُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا  
وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ  
فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ  
رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي  
ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَا أْبْرَحُ حَتَّى أَتِلْغَ  
مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقْبًا﴾ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نِسِيَا حُوتَهُمَا  
فَاتَّخَذَ سَبِيلُهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ ءَإِنَّا غَدَاءُ نَأْ لَقَدْ لَقِينَا مِنْ  
سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا  
أَنْسَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ  
فَارْتَدَّا عَلَى ءِثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَإِيْتَنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا  
وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿حتى أبلغ مجمع البحرين﴾ والبحران: بحر فارس والروم،  
وبحر الروم مما يلي الغرب، وبحر فارس مما يلي الشرق. وعن ابن عباس قوله  
﴿أو أمضي حقبًا﴾ قال: دهرًا. وقال عبد الله بن عمر: والحُقْبُ ثمانون سنة.

وقال ابن عباس: ﴿فاتخذ سبيله في البحر سرَبًا﴾ وحلَّق بيده. وعن مجاهد

قوله ﴿فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾ قال: موسى يعجب من أثر الحوت في البحر ودوراته التي غاب فيها، فوجدا عندها خطراً.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا﴾ ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾.

عن ابن عباس قال: ﴿فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ يعني عن شيء أصنعه حتى أبين لك شأنه.

قوله عز وجل: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾.

عن قتادة قوله: ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾، أي: عجباً، إن قوماً لججوا سفينتهم فخرقتها كأحوج ما تكون إليها؟! ولكن عليم من ذلك ما لم يعلم نبي الله موسى، ذلك من علم الله الذي آتاه، وقد قال لنبي الله موسى عليه السلام ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾.

قال سعيد بن جبیر: وجد خضر غلماناً يلعبون، فأخذ غلاماً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين. وعن قتادة ﴿لقد جئت شيئاً نكراً﴾ والنكر أشد من الأمر. وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ قال: «رحمة الله علينا، وعلى موسى، ولو لبث مع

صاحبه لأبصر العجب، ولكنه قال: ﴿إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تَصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير.

قوله عز وجل: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلُهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوا لَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَ لَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝٧٨ أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ۝٨٢﴾.

عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: أن نوافاً البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر عليه السلام ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، قال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فُسِّل: أي الناس أعلم؟ قال: أنا، فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه، فأوحى الله إليه أن لي عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب وكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتاً فتجعله بمكتل،

(١) أخرجه ابن جرير (٢٨٨/١٥)، وبنحوه مسلم (١٨٥١/٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأى العجب، ولكنه أخذته من صاحبه ذمامة — أي حياء وشفقة — قال: «إن سألتك...»، وبنحوه — أيضاً — البخاري (ح/٤٧٢٥ و ٤٧٢٧)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه مرفوعاً: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما».

فحيثما فقدت الحوت فهو ثم، فأخذ حوتاً فجعله بمكتل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون عليه السلام، حتى إذا أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فاناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه فسقط في البحر ﴿فاتخذ سبيله في البحر سرباً﴾ وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا يومهما وليلتهما حتى إذا كان من الغداة ﴿قال﴾ موسى ﴿لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾ ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به ﴿قال﴾ له فتاه ﴿أرأيت إذا أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره فاتخذ سبيله في البحر عجباً﴾ قال: فكان للحوت سرباً ولموسى وفتاه عجباً، فقال: ﴿ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً﴾ قال: فرجعا يقصّان أثرهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجى بثوب، فسلم عليه موسى فقال الخضر: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: أتيتك لتعلمني ﴿مما علّمت رشداً قال إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ يا موسى، إني على علم من علم الله علّمني لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علّمك الله لا أعلمه، فقال موسى ﴿ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ قال له الخضر: ﴿فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً فانطلقا﴾ يمشيان على ساحل البحر، فمرّت سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفيتهم فخرقتها ﴿لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً﴾؟! ﴿قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً﴾ قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً.

قال: وقال رسول الله ﷺ: فكانت الأولى من موسى نسياناً. قال: وجاء عصفور فوق على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة أو نقرتين، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا

من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً﴾؟! ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً﴾؟ قال: وهذه أشد من الأولى ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض﴾، أي: مائلاً، فقال الخضر بيده ﴿فأقامه﴾ فقال موسى: قوم أتيانهم فلم يطعمونا ولم يضيّقونا؟! ﴿لو شئت لاتخذت عليه أجراً﴾ قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً؛ فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما». قال سعيد بن جبیر: كان ابن عباس يقرأ: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً، وكان يقرأ: وأما الغلام فكان كافراً وكان أبواه مؤمنين<sup>(١)</sup> رواه البخاري. وفي رواية: وفي أصل الصخرة عين يقال لها الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حَيِيَ، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكمل فدخل البحر. وفي رواية: فرجعا فوجدا خضراً على طنفسة خضراء على كبد البحر؛ وفيها قال سعيد: وجد غلاماناً يلعبون فأخذ غلاماً كافراً ظريفاً فأضجعه ثم ذبحه بالسكين، فقال: ﴿أقتلت نفساً زكية﴾ لم تعمل الخبث؟! وفيها كانت الأولى نسياناً والثانية شرطاً والثالثة عمداً. وعن ابن عباس في قوله: ﴿وكان أبوهما صالحاً﴾ قال: حُفِظَا بِصَلَاةِ أَبِيهِمَا.



(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٢٥)، ومسلم (ح/٢٣٨٠).

## الدرس الستون بعد المائة

﴿وَسْتَلُونَا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَبْذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ نَعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيلًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَبْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلُوا نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لَهُمْ نَفْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَمَجَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ

أَعْمَلًا ﴿١١٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١١٧﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١١٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُهمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿١١٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٢٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٢١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنفَذَ كَلِمَتِ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١٢٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٢٣﴾

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ۞ إِنَّا مَكِّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا ۞ فَأَتْبَعَ سَبِيلًا ۞ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيلًا﴾ يقول: علماً ﴿فَأَتْبَعَ سَبِيلًا﴾ يعني بالسبب المنزل. وقال مجاهد: منزلاً وطريقاً ما بين المشرق والمغرب.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يستر الله له الأسباب، أي الطرق والوسائل إلى فتح الأقاليم، وكسر الأعداء. وقال وهب بن منبه: سخر الله له النور والظلمة فجعلهما جنداً من جنوده. وروي عن علي رضي الله عنه: سخر له السحاب، ومدت له الأسباب، وبسط له النور، وأحب الله وأحبه.

قال بعض المفسرين: والسبب في اللغة: الحيل، والمراد ههنا: كل ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة.

وقال البخاري<sup>(٢)</sup>: باب قول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْنَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿سَبِيلًا﴾ قال الحافظ: في إيراد المصنف ترجمة ذي القرنين قبل إبراهيم، إشارة إلى توهين قول من زعم أنه الإسكندر اليوناني.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (١٠١/٣).

(٢) انظر الصحيح (٤٥٨/٢).

إلى أن قال: والذي يظهر أن الإسكندر لقب بذي القرنين تشبهاً به لسعة ملكه، والذي يقوِّي أن ذا القرنين من العرب كثرة ما ذكروه في أشعارهم. وقال الربيع بن ضبيع والصعب: ذو القرنين عمّر ملكه ألفين، أمسى بعد ذلك رميمًا.

وعن ابن عباس: ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾ قال: في طين أسود. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله ﴿وجدها تغرب في عين حمئة﴾، أي: رأوا الشمس في منظره تغرب في البحر المحيط، وهذا شأن كل من انتهى إلى ساحله يراها كأنها تغرب فيه، وهي لا تفارق الفلك الرابع الذي هي مثبتة فيه لا تفارقه؛ والحمئة: مشتقة على إحدى القراءتين من الحمأة، وهو الطين أي طين أملس. وعن ابن عباس: وجدها تغرب في عين حامية، أي: حارة، ولا منافاة بين معنيها، إذ قد تكون حارة لمجاورتها وضح الشمس عند غروبها، وملاقاتها الشعاع بلا حائل، وحمئة في ماء وطين أسود.

وعن قتادة في قوله: ﴿أما من ظلم فسوف نعذبه﴾ قال: هو القتل. وقوله: ﴿ثم يردّ إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً﴾، يقول: ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله فيعذبه عذاباً عظيماً. وعن مجاهد قوله: ﴿من أمرنا يسراً﴾ قال: معروفاً. وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي تلين له القول وتعامله باليسر.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجْدها تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ يَجْعَلْ لَهُم مِّنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾﴾.

عن قتادة ﴿ثم أتبع سبباً﴾ منازل الأرض ومعالمها ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً﴾.

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: وذلك أرضهم لا جبل فيها ولا شجر ولا تحتمل بناء فيسكنوا<sup>(٤)</sup> البيوت، وإنما يغورون في المياه أو يسربون في الأسراب.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٠٢).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٤٩).

(٣) انظر جامع البيان (١٦/١٤).

(٤) في (الأصل): «فيسكن»، والمثبت من تفسير ابن جرير، وهو الصواب.

وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ﴾، أي: كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس حكم في هؤلاء ﴿وقد أحطنا بما لديه خبراً﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني بما عنده ومعه من الجند والعدة والآلات ﴿خبراً﴾، أي: علماً.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا﴾ ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَنْذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ يُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْتَطَعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لِمِ نَقَبًا ﴿٩٧﴾

عن قتادة في قوله: ﴿بين السدين﴾ قال: هما جبلان. قال أبو عبيدة: السد إذا كان بخلق الله فهو بضم السين، وإذا كان من عمل العباد فهو بالفتح. قال بعض المفسرين والردم أكبر من السد.

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية»<sup>(٢)</sup>: أما السد فقد تقدم أن ذا القرنين بناه من الحديد والنحاس، وساوى به الجبال الصم الشامخات الطوال، فلا يعرف على وجه الأرض بناء أجل منه ولا أنفع للخلق منه في أمر دنياهم. قال البخاري: «وقال رجل للنبي ﷺ: رأيت السد قال: وكيف رأيته؟ قال: مثل البرد المحبّر، فقال: رأيته»<sup>(٣)</sup>. وعن قتادة قال: ذكر لنا «أن رجلاً قال: يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج، قال أنعته، قال: كأنه البرد المحبّر، طريقة سوداء وطريقة

(١) انظر «معالم التنزيل» (١٤٩/٣).

(٢) انظر (١١١/٢).

(٣) أخرجه البخاري معلقاً بصيغة الجزم (٤٥٨/٢).

حمراء، قال: قد رأيته<sup>(١)</sup>. وعن الضحاك في قوله: ﴿بين الصدفين﴾ يعني الجبلين، وهما من قِبَل أرمينية وأذربيجان.

قال ابن كثير: وقد بعث الخليفة الواصل في دولته بعض أمرائه، وجهز معه جيشاً سرية، لينظروا إلى السد ويعاينوه وينعتوه له إذا رجعوا، فتوصلوا من بلاد إلى بلاد ومن مُلك إلى مُلك حتى وصلوا إليه، ورأوا بناء من الحديد ومن النحاس، وذكروا أنهم رأوا فيه باباً عظيماً، وعليه أقفال عظيمة، ورأوا بقية اللبن والعمل في برج هناك، وأن عنده حرساً من الملوك المتاخمة له، وأنه عال منيف شاق لا يُستطاع ولا ما حوله من الجبال، ثم رجعوا إلى بلادهم، وكانت غيبتهم أكثر من سنتين، وشاهدوا أهوالاً وعجائب. انتهى.

قلت: ولا يشكل على ذلك أن الدول المتأخرة لم تكتشفه، فإنها وإن أعطيت ما أعطيت من القوة والآلة، فلم يبلغوا معشار ما أوتي ذو القرنين، فإن الله يسر له الأسباب والوسائل لفتح المدائن والأقاليم، وأطال عمره ووسّع ملكه وكسر أعداءه، وسخر له النور والظلمة، فجعلهما جنداً من جنوده، وكان إذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفناً من ألواح صغار أمثال النعال، فنظمها ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم والجنود، فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها ثم دفع إلى كل إنسان لوحاً فلا يكرثه حملة، وكان إذا البحر الجامد ألقى عليه ما يذيبه فخاضه، وإذا أراد أن يجمد الماء ألقى عليه ما يجتده فمشى فوقه، وبعث النور والظلمة على ما يريد بحسب حاجته، وذلك مدد من الله تعالى، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿وآتيناها من كل شيء سبباً﴾.

قال وهب بن منبه: ما بين الصدفين مائة فرسخ، فلما أنشأ في عمله حفر له أساساً حتى بلغ الماء، ثم جعل عرضه خمسين فرسخاً، وجعل حشوه الصخور، وطينه النحاس يذاب ثم يصبّ عليه، فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض، ثم علاه وشرقه بِزُبُر الحديد والنحاس المذاب.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/١٦) عن قتادة مرسلاً.

وعن ابن جريج ﴿فما استطاعوا أن يظهروه﴾ قال: يعلوه ﴿وما استطاعوا له نقباً﴾، أي: ينقبوه من أسفله. قال وهب بن منبه: وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مَشرق الشمس، بُعْدُ ما بينهما مائة فرسخ، وجعل خلاله عرقاً من نحاس أصفر، فصار كأنه بُرْدٌ مُحَبَّرٌ من صفرة النحاس وحمرة وسواد الحديد.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾، أي: لاستعجاب كلامهم وبعدهم عن الناس.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي لا يفقهون كلام غيرهم. قال ابن عباس: لا يفقهون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم. وقال في جامع البيان ﴿وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ يعني لعجمهم وقلة فطانتهم، لا يفهمون كلام أحد، ومن قرأ بضم الياء وكسر القاف، أي: لا يفهمون السامع لغرابة ألسنتهم.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ۝٩٩ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١﴾.

روى ابن جرير وغيره عن أبي هريرة عن نبي الله ﷺ قال: «إن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فتحفرونه غداً، فيعيده الله وهو كهيئته، حتى إذا جاء الوقت قال: إن شاء الله، فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشقون المياه، ويتحصن الناس في حصونهم فيرمون، بسهامهم إلى السماء، فيرجع فيها كهيئة الدماء، فيقولون: قهرنا أهل الأرض، وعلونا أهل السماء، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم فتقتلهم، فقال

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٠٤).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٥٠).

رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم»<sup>(١)</sup>.

وعن زينب بنت جحش رضي الله عنها قالت: «استيقظ النبي ﷺ من نومه وهو محمّر وجهه وهو يقول: لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فتُح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه، وحلّق بأصبعه الإبهام والتي تليها، فقلت: يا رسول الله أفنهلك وفيما الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث»<sup>(٢)</sup>. متفق عليه.

وفي رواية: وعقد وهب تسعين. قال الحافظ العسقلاني: وعقد التسعين أن يجعل طرف السبابة اليمنى في أصلها ويضمها ضمّاً محكماً، بحيث تنطوي عقدتها حتى تصير مثل الحية المطوّقة. وقال: المراد بالردم السد الذي بناه ذو القرنين.

وقوله تعالى: ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض﴾ قال السدي: ذاك حين يخرجون على الناس، أي: في زمان عيسى قبل يوم القيامة وبعد الدجال، كما قال تعالى: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون واقترب الوعد الحق﴾.

وقوله تعالى: ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾، أي: يوم القيامة ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾، أي: تعاموا وتصامموا وتغافلوا عن قبول الحق واستماع القرآن، كما قال تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾ وفي الصحيحين: «إن الله تعالى يقول: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: ابعث بعث النار؛ فيقول: ما بعث النار؟ فيقول: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة، فحينئذ يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها،

(١) أخرجه أحمد (٢/٥١٠ و ٥١١)، والترمذي (ح/٣١٥٣)، وقال: «حسن غريب»، وابن ماجه (ح/٤٠٨٠)، وابن جرير (٢١/١٦) د والحاكم (٤/٤٨٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٣٣٤٦ و ٣٥٩٨ و ٧٠٥٩)، ومسلم (ح/٢٨٨٠).

فقالوا: يا رسول الله وأيّنا ذلك الواحد؟ فقال: إن فيكم أمتين ما كانتا في شيء إلا كثرته: يأجوج ومأجوج<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٨﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٩﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِمْ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١١٠﴾ ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُولًا ﴿١١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١١٣﴾.

عن ابن جريج في قوله: ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء﴾ قال: يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة، وهم عباد الله ولم يكونوا للكفار أولياء. عن مصعب بن سعد قال: قلت لسعد: يا أبت ﴿هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ أهم الحرورية؟ فقال: لا ولكنهم أصحاب الصوامع، ولكن الحرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم. وفي رواية: ولكن الحرورية الذين ﴿ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾، فكان سعد يسميهم الفاسقين<sup>(٢)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب أن ابن الكواء سأله عن قول الله عز وجل: ﴿هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ فقال: أنت وأصحابك. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرأوا إن شئتم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾<sup>(٣)</sup>. متفق

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٧٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (ح/٤٧٢٩)، ومسلم (ح/٢٧٨٥).

عليه. وفي الصحيحين أيضاً: «إذا سألتكم الله الجنة فاسألوه الفردوس، فإنها أعلى الجنة وأوسط الجنة، ومنه تفتجر أنهار الجنة»<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿نَزَلًا﴾، أي: ضيافة ﴿خالدين فيها لا ييغون عنها حولاً﴾ قال ابن عباس: لا يريدون أن يتحولوا عنها، كما ينتقل الرجل من دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾<sup>(٣)</sup> قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾<sup>(٤)</sup>.

عن قتادة قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾ إذا ﴿لنفد﴾ ماء البحر ﴿قبل أن تنفذ كلمات﴾ الله وحكمه.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾.

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي بمثل البحر آخر ثم آخر وهلمّ جرّاً، بحور تمدّه ويكتب بها لما نفدت كلمات الله، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامَ وَالْبَحْرِ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، أي: فأني لا أعلم الغيب إلا ما أطلعني الله عليه من خبر أصحاب الكهف وذوي القرنين وغير ذلك ﴿يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٢٩)، ومسلم (ح/٢٧٨٥). أخرجه البخاري (ح/٢٧٩٠) و(٧٤٢٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ووهم المؤلف - رحمه الله - فظن الحديث عند مسلم أيضاً.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٠٨).

(٣) المصدر السابق (٣/١٠٨).

(٤) سورة لقمان: الآية ٢٧.



إلهكم إله واحد ﴿١﴾ قال ابن عباس: علّم الله رسوله التواضع لثلاً يزهو على خلقه، فأمره الله أن يقرّ فيقول: أنا آدمي مثلكم إلا أنني خُصّصْتُ بالوحي، وأكرمني الله به ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: ﴿فمن يخاف ربه يوم لقائه ويراقبه على معاصيه ويرجو ثوابه على طاعته﴾ فليعمل عملاً صالحاً ﴿يقول: فليخلص له العبادة وليفرد له الربوبية. وعن سعيد بن جبير﴾ ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه﴾ قال: ثواب ربه. قال البغوي: فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعاً.

وقوله تعالى: ﴿ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ قال سفيان: لا يرائي. وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ يرويه عن الله عز وجل أنه قال: «أنا خير الشركاء، فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه هو والذي أشرك»<sup>(٢)</sup>. رواه أحمد.



(١) انظر «جامع البيان» (٣٩/١٦).

(٢) أخرجه أحمد (٣٠١/٢)، وبنحوه ومسلم (ح/٢٩٨٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## الدرس الحادي والستون بعد المائة

### ﴿سورة مريم عليها السلام﴾

مكية، وهي ثمان وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كَهَيَّعَ ١﴾ ذَكَرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُ زَكِرِيَّا ٢﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً  
خَفِيًّا ٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ  
بِدُعَايِكَ رَبِّ شَقِيًّا ٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا  
فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ أَمَلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ  
رَضِيًّا ٦﴾ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ  
سَمِيًّا ٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ  
الْكِبَرِ عِتِيًّا ٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ  
وَلَمْ تَكْ شَيْئًا ٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ  
ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا  
بُكْرَةً وَعَشِيًّا ١١﴾ يَبِيعُونَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ١٢﴾ وَحَنَانًا  
مِن لَدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ١٤﴾ وَسَلَامٌ  
عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ١٥﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿كَهَيْعَصَ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُكُمْ زَكِرْتًا ۝٢ إِذْ نَادَىٰ رَبُّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ۝٦﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾، أي: سرًا، وإن الله يعلم القلب النقي ويسمع الصوت الخفي ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾، أي: ضعف ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ قال ابن جريج يقول: قد كنت تعرفني الإجابة فيما مضى ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي﴾ قال ابن عباس: يعني بالموالي الكلالة الأولياء أن يرثوه، فوهب الله له يحيى. قال قتادة: هم العصبة.

وقوله تعالى: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ﴾ قال مجاهد: كان وراثته علماً، وكان زكريا من ذرية يعقوب. وقال الحسن: يرث نبوته وعلمه.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: وقال الزجاج: والأولى أن يحمل على ميراث غير المال، والمعنى أنه خاف تضييع بني عمه دين الله وتغيير أحكامه، على ما كان شاهد من بني إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء، فسأل ربه ولدًا صالحًا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعمله، لئلا يضيع الدين، وهذا معنى قول عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله: ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ .

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٥٨).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي مَرْضِيًّا عندك وعند خلقك، تحبه وتحبيه إلى خلقك في دينه وخلقه.

قوله عز وجل: ﴿يَنْزَكِرْنَا إِنَّا نَبْشِرُكَ بِغُلَامٍ اَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ يَجْعَلْ لَمْ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ اَنِّي يَكُوْنُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ اَمْرًا قِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ اَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى اِلَيْهِمْ اَنْ سَبِّحُوْا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾.

عن قتادة قوله: ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى﴾ عبد أحياء الله للإيمان ﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾ قال: لم يسم قبله أحد بهذا الاسم. وقال ابن عباس: لم تلد العواقر مثله ولداً قط. وقال مجاهد ﴿عتياً﴾ يعني تحول<sup>(٢)</sup> العظم. وعن ابن عباس ﴿ثلاث ليال سويّاً﴾ قال: اعتقل لسانه من غير مرض. قال قتادة: وإنما عوقب بذلك لأنه سأل آية بعدما شافهته الملائكة مشافهة، أخذ بلسانه حتى ما كان يفض الكلام إلا أوماً إيماء.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سوياً﴾ وأنت صحيح، قال: فحبس لسانه فكان لا يستطيع أن يكلم أحداً، وهو في ذلك يستبح ويقرأ التوراة، ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾ قال: المحراب مصلاه ﴿فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا﴾ وهو لا يكلمهم.

قوله عز وجل: ﴿يَنبَحِثُ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَاَتَيْنَهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١١١).

(٢) في (الأصل): «تحول»، وهو خطأ.

وَسَلَّمَ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ .

عن مجاهد ﴿خذ الكتاب بقوة﴾ قال: بجَدِّ. وقال ابن زيد: القوة أن يحمل ما أمره الله به، ويجانب فيه ما نهاه الله. قال ابن جبير وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم بكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال.

وقوله: ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾ يقول تعالى ذكره: ورحمة منا به ومحبة له ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾. وعن ابن عباس قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾ يقول: ورحمة من عندنا. وقال الضحاك: رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا. وعن مجاهد قوله: ﴿وَحَنَانًا مِّنَ لَّدُنَّا﴾ قال: تعطفاً من ربه عليه. وعن قتادة قوله: ﴿وَزَكَاةً﴾ قال: الزكاة العمل الصالح. وعن ابن عباس: ﴿وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ قال: طُهر فلم يعمل بذنب. وقال ابن عطية: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجاً مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قوماً لم يكن عاينهم، ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم؛ قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا فخصه بالسلام عليه فقال: ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾. وقال الحسن: إن عيسى ويحيى التقياء، فقال له عيسى: استغفر لي أنت خير مني، فقال له الآخر: استغفر لي أنت خير مني، فقال له عيسى: أنت خير مني، سلمت على نفسي وسلم الله عليك، فعرف والله فضلهما.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ لما ذكر تعالى طاعته لربه وأنه خلقه ذا رحمة وزكاة وتقى، عطف بذكر طاعته لوالديه، وبره بهما، ومجانبته عقوقهما، قولاً وفعلاً، أمراً ونهياً، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ ثم قال بعد هذه الأوصاف الجميلة جزاء له على ذلك ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١١٣).

## الدرس الثاني والستون بعد المائة

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلَنَّ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَنْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنادَیْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكِ الْجَنْعَ النَّخْلَةَ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَمْرُؤٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَتِ هُنُورَ مَا كَانَ أَبُوكِ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ

أَمَرَ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَلَنَّا اللَّهُ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾ (١٦) ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ (١٧) ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (١٨) ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ (١٩) ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ (٢٠) ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٌ وَلَنَجْعَلُكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا﴾ (٢١).

عن قتادة في قوله: ﴿واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت﴾، أي: انفردت ﴿من أهلها﴾ قال السدي: خرجت مريم إلى جانب المحراب لحيض أصابها، وهو قوله: ﴿فانتبذت من أهلها مكاناً شرقياً﴾ في شرقي المحراب ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً﴾ قال وهب بن منبه: أرسل الله جبريل إلى مريم، وقال السدي: فلما طهرت من حيضها إذا هي برجل معها قالت: ﴿إني أعوذ﴾ بالله ﴿منك إن كنت تقياً﴾ قال ابن زيد: قد علمت أن الثَّقَى ذو نهية ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً﴾ قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسنني بشر ولم أك بغياً﴾ قال جبريل: ﴿كذلك قال ربك هو علي هين﴾ وإن لم يكن لك بعل ولا يوجد منك فاحشة، فإنه على ما يشاء قادر، ولهذا قال ﴿ولنجعله آية للناس﴾، أي: علامة على قدرة الله ﴿ورحمة منا﴾ للمؤمنين ﴿وكان أمراً مقضياً﴾ لا يرد ولا يبدل. وقد قال تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ (١). قال وهب بن منبه: لما أرسل الله جبريل إلى مريم نفخ في جيب درعها، حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت.



قوله عز وجل: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ، مَكَانًا قَصِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّنْسِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٣﴾ فَنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٤﴾ وَهُزِيَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسْقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٦﴾ .

عن ابن عباس ﴿فانتبذت به مكاناً قصياً﴾ قال: مكاناً نائياً. وعن قتادة ﴿فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة﴾ قال: اضطرها إلى جذع النخلة. وقال السدي: ﴿قالت﴾ وهي تطلق استحياء من الناس ﴿يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً﴾ قال قتادة تقول: لا أعرف ولا يدرى من أنا. وقال ابن زيد ﴿فنادها من تحتها﴾ قال: عيسى نادها ﴿ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ قال البراء بن عازب: هو الجدول. وقال ابن عباس: وهو نهر عيسى. وقال سعيد بن جبیر: هو الجدول، النهر الصغير، وهو بالنبطية سري. وعن ابن عباس ﴿وهزي إليك بجذع النخلة﴾ قال: كان جذعاً يابساً، فقال: هُزِيه ﴿تساقط عليك رطباً جنياً﴾ قال عمرو ابن ميمون: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب.

وقوله تعالى: ﴿فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾ قال الضحاك: كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام، إلا من ذكر الله.

قوله عز وجل: ﴿فَأَتَتْ بِهِ، قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَبْرِمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا فَرِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٧﴾ يَتَأَخَذَ هُزُونَ مَا كَانَ آبَاؤُكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَمٌ بِعِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْأَمْهِدِ صَبِيًّا ۖ﴾ ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ۖ﴾ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ۖ﴾ ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ۖ﴾ ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ

يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ  
الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ  
لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَلِئِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٣٦﴾

عن قتادة ﴿لقد جئت شيئاً فريباً﴾ قال: عظيماً ﴿يا أخت هارون ما كان أبوك  
امراً سوء وما كانت أمك بغياً﴾ قال: كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح ولا  
يُعرفون بالفساد، قال: وكان من بني إسرائيل رجل صالح يسمى هارون، فشبّهوها  
به يعني في الصلاح. وعن المغيرة بن شعبة قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى أهل  
نجران فقالوا لي: أأستم تقرأون ﴿يا أخت هارون﴾؟ قلت: بلى، وقد علمتم ما  
كان بين عيسى وموسى، فرجعت إلى رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ألا أخبرتهم  
أنهم كانوا يستمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم»<sup>(١)</sup>. رواه مسلم وغيره.

وعن وهب بن منبه ﴿فأشارت إليه﴾ يقول: أشارت إليه أن كلموه ﴿قالوا  
كيف نكلم من كان في المهد صبياً﴾ فأجابهم عيسى عنها فقال لهم ﴿إني عبد الله  
أتاني الكتاب وجعلني نبياً﴾ الآية. وقال عكرمة ﴿أتاني الكتاب﴾ قضى أن يؤتيني  
الكتاب. وعن مجاهد ﴿وجعلني مباركاً أينما كنت﴾ قال: مقاماً. وقال سفيان:  
معلماً للغير. وقال قتادة: ذكر لنا أنه كان يقول: سلوني فإن قلبي لتين، وإني  
صغير في نفسي، مما أعطاه الله من التواضع. وقال بعض السلف: لا تجد عاقاً إلا  
وجدته جباراً شقياً، ولا تجد سيئاً المَلَكَةَ إلا وجدته مختالاً فخوراً.

وعن قتادة قوله ﴿ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذي فيه يمترون﴾ امترت  
اليهود والنصارى، فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذاب، وأما النصارى فزعموا أنه  
ابن الله، وثالث ثلاثة، وإله، وكذبوا كلهم، ولكنه عبد الله ورسوله، وكلمته  
وروحه.

(١) أخرجه مسلم (ح/٢١٣٥).

قوله عز وجل: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

قال قتادة: ذكر لنا أنه لما رفع ابن مريم انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهاءهم فقالوا للأول: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض فخلق ما خلق وأحيا ما أحيا، ثم صعد إلى السماء، فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت اليعقوبية من النصارى، وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب؛ فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله، فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت النسطورية من النصارى، وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب؛ فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله وأمه إله والله إله، فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت الإسرائيلية من النصارى، فقال الرابع: أشهد أنك كاذب، ولكنه عبد الله ورسوله، هو كلمة الله وروحه، فاختم القوم فقال المرء المسلم: أنشدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يَطْعَمُ الطعام، وأن الله تبارك وتعالى يُطْعَمُ الطعام؟ قالوا: اللهم نعم، قال: ما تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهم نعم، قال: فخصمهم<sup>(١)</sup> المسلم.

وقوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾، أي: ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة. قال قتادة: سمعوا حين لا ينفعهم السمع، وأبصروا حين لم ينفعهم البصر. وقال ابن زيد: هذا في القيامة، فأما في الدنيا فلا، كانت على أبصارهم غشاوة وفي آذانهم وقراً.

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، يجاء بالموت كأنه كبش أملح، فيوقف بين الجنة والنار فيقال: يا أهل

(١) في (الأصل): «فخصمهم»، وهو خطأ.

الجنة هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيقال: يا أهل النار هل تعرفون هذا؟ قال: فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: فيؤتى به فيُذبح، قال ويقال: يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ وأشار بيده ثم قال: أهل الدنيا في غفلة الدنيا<sup>(١)</sup>. رواه أحمد وغيره.

وكتب عمر بن عبد العزيز لبعض عماله: «أما بعد فإن الله كتب على خلقه حين خلقهم الموت فجعل مصيرهم إليه، وقال فيما أنزل في كتابه الصادق الذي حفظه بعلمه وأشهد ملائكته على حفظه، أنه يرث الأرض ومن عليها وإليه ترجعون».



(١) أخرجه أحمد (٩/٣ و ٥٦)، والبخاري (ح/٤٧٣٠)، ومسلم (ح/٢٨٤٩).

## الدرس الثالث والستون بعد المائة

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ ٤١ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابَت لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ ٤٢ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ قَدْ جَاءَ فِي مَرَكِ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ ٤٣ ﴿يَتَابَت لِيَ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ ٤٤ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ ٤٥ ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ نَزَّاهُ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ أَتَذْكُرُ﴾ ٤٦ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٧ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٨ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٤٩ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٠ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥١ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٢ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٣ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٤ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٥ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٦ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٧ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٨ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٥٩ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٠ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦١ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٢ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٣ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٤ ﴿يَتَابَت إِلَيَّ فَأَنْذَرْتُكَ نَارَ الْكَافِرِينَ﴾ ٦٥

عِيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ  
 شَيْئًا ﴿٦٠﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا يُبْأَىٰ ﴿٦١﴾ لَا  
 يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ  
 مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَا يُشَاءُونَ وَمَا خَلْفَنَا وَمَا  
 بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ  
 لِعِندِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَابِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ٤٢ يَتَابِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ٤٣ يَتَابِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ٤٤ يَتَابِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ٤٥ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ إِلَهِي يَتَّبِعُهُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ٤٦ قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ٤٧ وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ٤٨﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: الصديق الكثير الصدق القائم عليه وعن الحسن ﴿واهجرني ملياً﴾ قال طويلاً. قال ابن إسحاق يقول: دهرًا والدهر الملي وعن ابن عباس [قوله] «إنه كان بي حفيّا» يقول لطيفاً.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: وقوله: ﴿وأعزلكم وما تدعون من دون الله﴾ يقول وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام ﴿وأدعو ربي﴾، يقول: وأدعو ربي بإخلاص العبادة له وإفراده بالربوبية ﴿عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيّا﴾، يقول: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي، ولكن يجيب دعاء ربي، ويعطيني ما أسأله.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَعْتَزَلْتُمْ وَمَا يُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُمْ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدِّيقٍ عَلِيًّا ٥٠﴾ .

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٦٥).

(٢) انظر «جامع البيان» (١٦/٩٢).

عن ابن عباس قوله: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ يقول الشاء الحسن.

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۖ وَنَدَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ﴾.

قال البغوي: ﴿مخلصاً﴾، أي: مختاراً اختاره الله عز وجل.

وقوله تعالى: ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾، أي: جانبه الأيمن من موسى حين ذهب يبتغي من تلك النار جذوة.

وعن ابن عباس ﴿وقربناه نجياً﴾ قال: أذني حتى سمع صريف القلم ﴿ووهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبياً﴾ قال: كان هارون أكبر من موسى، ولكن أراد وهب له نبوته.

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ﴾.

عن مجاهد في قوله: ﴿إنه كان صادق الوعد﴾ قال: لم يعد شيئاً إلا وفى به. قال بعض السلف: إنما قيل له: صادق الوعد لأنه قال لأبيه: ستجدي إن شاء الله من الصابرين، فصدق في ذلك. وقد قال النبي ﷺ: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ ۖ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ۖ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجِبِينَ ۖ إِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ ءَايَتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسُبُّونَ ۖ﴾.

(١) سبق تخريجه.



عن مجاهد ﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾ قال: السماء الرابعة. وفي حديث المعراج في الصحيحين أنه ﷺ لما عرج به إلى السماء قال: «أتيت على إدريس في السماء الرابعة»<sup>(١)</sup>. وعن الأعمش عن إبراهيم قال: قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد، فقال: «هذا السجود فأين البكي؟»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ۝٥٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا ۝٦٠ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدُ مَا نَبَأَ ۝٦١ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ فِيهَا زُرْقَةٌ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَاءٌ ۝٦٢ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۝٦٣ وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُمْ مَأْكِنٌ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝٦٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾.

عن ابن مسعود أنه قيل له: إن الله يكثر ذكر الصلاة في القرآن ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ و﴿على صلاتهم دائمون﴾ و﴿على صلاتهم يحافظون﴾ فقال ابن مسعود رضي الله عنه: على مواقيتها، قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا على الترك، قال: «ذاك الكفر»<sup>(٣)</sup>.

وعن مجاهد قوله: ﴿فخلق من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾ قال: عند قيام الساعة وذهاب صالح أمة محمد ﷺ، ينزرو بعضهم على بعض في الأزقة. وعن أبي عبيدة عن أبيه عبد الله أنه قال في

(١) سبق تخريجه في أول سورة الإسراء.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء (ص ٣٠٣ و ٣٠٤)، وابن جرير (٩٨/١٦)، وابن أبي حاتم (كما عز له ابن كثير في تفسيره) (١٢٧/٣)، وسنده صحيح، وصح ابن كثير في مسند الفاروق (٥٩٥/٢) إسناده.

(٣) أخرجه ابن جرير (٩٩/١٦).

هذه الآية ﴿فسوف يلقون غياً﴾ قال: نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر يعذب فيه الذين يتبعون الشهوات<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾ جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب ﴿، يعني: أنهم لم يروها﴾ إنه كان وعده مأثياً، أي: العباد صائرون إلى ما وعدهم الله، ووعدته آت لا محالة. وعن قتادة قوله: ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيّاً﴾ فيها ساعتان: بكرة وعشي، فإن ذلك لهم لبس ثم ليل، إنما هو ضوء ونور، وقال: كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء والعشاء يحجب له، فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيّاً قدر ذلك الغداء والعشاء. وقوله تعالى: ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا ممن كان تقياً﴾ قال ابن جرير يقول: من كان بكرة وعشيّاً قدر ذلك الغداء والعشاء ذا اتقاء عذاب الله، بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، وعن ابن عباس: «أن محمداً قال لجبرائيل: ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟ فنزلت هذه الآية ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسياً﴾. قال: هذا الجواب لمحمد ﷺ. رواه ابن جرير وغيره. وقال سعيد بن جبير ﴿له ما بين أيدينا﴾ من أمر الآخرة ﴿وما خلفنا﴾ ما مضى من الدنيا. وعن مجاهد ﴿وما كان ربك نسياً﴾ قال: ما نسيتك ربك. وعن قتادة قوله: ﴿هل تعلم له سميّاً﴾ لا سمي لله ولا عدل له، كل خلقه يقوله، ويعترف: الله خالقه، ويعرف ذلك ثم يقرأ هذه الآية ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾. وعن مجاهد في هذه الآية ﴿هل تعلم له سميّاً﴾ قال: هل تعلم له شبيهاً؟ هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى؟.



(١) أخرجه ابن جرير (١٠٠/١٦)، والطبراني (٢٥٩/٩) والحاكم (٣٧٤/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي!! قلت: بل سنده ضعيف، فأبو عبيدة لم يسمع من أبيه شيئاً، كما ذكر ذلك ورجحه العديد من الحفاظ، وأبو إسحاق السبيعي مدلس، وقد عنعنه.

## الدرس الرابع والستون بعد المائة

﴿ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَذَا مَا مِثْ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ۚ ٦٦ ﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا  
خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ۚ ٦٧ ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ  
حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۚ ٦٨ ﴿ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۚ ٦٩ ﴿ ثُمَّ  
لَنَعْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۚ ٧٠ ﴿ وَلَئِنْ مَنَعْتُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا  
مَقْضِيًّا ۚ ٧١ ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۚ ٧٢ ﴿ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمُ  
آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۚ ٧٣ ﴿ وَكَذَ  
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِعًا ۚ ٧٤ ﴿ قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ  
الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرُّ  
مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا ۚ ٧٥ ﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَاقِيَتِ الصَّلَاحُ  
خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا ۚ ٧٦ ﴿ أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا  
وَوَلَدًا ۚ ٧٧ ﴿ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۚ ٧٨ ﴿ كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ  
وَنُعَذِّبُهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ۚ ٧٩ ﴿ وَنُرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ۚ ٨٠ ﴿ وَأَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
ءَالِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۚ ٨١ ﴿ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۚ ٨٢ ﴿ أَلَمْ تَرَ  
أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تُوْزُهُمْ أَرْأَا ۚ ٨٣ ﴿ فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ  
عَذَابًا ۚ ٨٤ ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۚ ٨٥ ﴿ وَسَوْفَ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ  
وَرْدًا ۚ ٨٦ ﴿ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۚ ٨٧ ﴿ وَقَالُوا اخْتُذْ

الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا ۝٨٨ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ  
الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٨٩ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٠ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ  
وَلَدًا ۝٩١ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٢ لَقَدْ أَخَصَّنَّمْ  
وَعَدَهُمْ عَذَابًا ۝٩٣ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٤ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا  
الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝٩٥ فَإِنَّمَا يَسْرُنْهُ لِبَاسُنَا لِنُبَشِّرَ بِهِ  
الْمُتَّقِينَ وَنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا ۝٩٦ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هَلْ تُحِشُّ مِنْهُمْ مِنْ  
أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝٩٧ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِثْلُ لَسَوَفَ أُخْرِجَ حَيًّا ۖ أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا ۖ فَوَرَّيْكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ۖ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عَيْنًا ۖ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۖ وَلَئِنْ مَنَّكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ۖ ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۖ﴾.

في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وأذاني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته، وأما آذاه إياي فقوله: إن بها ولداً وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس قوله: ﴿ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً﴾، يعني: القعود، وهو مثل قوله: ﴿تري كل أمة جاثية﴾<sup>(٢)</sup>. ﴿ثم لنتزعن من كل شيعه أيهم أشد على الرحمن عتياً﴾ يقول: أيهم أشد للرحمن معصية، وهي معصيته في الشرك. وقال أبو الأحوص: نبداً بالأكبر فالأكبر جرماً.

وقوله تعالى: ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى بها صلياً﴾. قال البغوي<sup>(٣)</sup>: أي أحق بدخول النار، يقال: صلى يصلي<sup>(٤)</sup> صلياً إذا دخل النار وقاسى حرّها.

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٩٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٧٠).

(٤) في (الأصل): «صلى يعني صلياً»، والمثبت من تفسير البغوي، وهو الصواب.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ثم ههنا لعطف الخبر على الخبر، والمراد أنه تعالى أعلم بمن يستحق من العباد أن يصلى بنار جهنم ويخلد فيها، وبمن يستحق تضعيف العذاب.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وإن منكم إلاّ واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾، يعني: البر والفاجر. وعن ابن مسعود ﴿وإن منكم إلاّ واردها﴾ قال: داخلها. وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يردها الناس كلهم ثم يصدّرون عنها بأعمالهم»<sup>(٢)</sup>. رواه أحمد وغيره. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد تمسه النار إلاّ تحلّ القسَم»<sup>(٣)</sup>.

وعن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يوضع الصراط بين ظهري جهنم، عليه حسك كحسك السعدان ثم يستجيز الناس فناج مسلم ومجروح به، ثم ناج ومحتبس ومكدس فيها، حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد، تفقّد المؤمنون رجالاً كانوا معهم في الدنيا، يصلّون صلاتهم ويزكّون زكاتهم، ويصومون صيامهم ويحجّون حجهم ويغزون غزوهم فيقولون: أي ربنا، من عبادك كانوا معنا في الدنيا يصلّون صلاتنا ويزكّون زكاتنا، ويصومون صومنا ويحجّون حجنا ويغزون غزونا، لا نراهم! فيقول: اذهبوا إلى النار فمن وجدتم فيها منهم فأخرجوه، فيجدونهم قد أخذتهم النار على قدر أعمالهم، فمنهم من أخذته النار إلى قدميه، ومنهم من أخذته إلى نصف ساقه، ومنهم من أخذته إلى ركبتيه، ومنهم من أخذته إلى ثدييه، ومنهم من أخذته إلى عنقه، ولم تَغشَ الوجوه، فيستخرجونهم منها فيطرحونهم في ماء الحياة، قيل: وما ماء الحياة يا

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٣١).

(٢) أخرجه أحمد (١/٤٣٥)، والترمذي (ح/٣١٥٩)، وحسنه، والدارمي (٢/٣٣٦)، والحاكم (٢/٣٧٥ و ٤/٥٨٦)، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٣) أخرجه البخاري (ح/١٢٥١)، ومسلم (٢/٢٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسول الله؟ قال: غسل أهل الجنة فينبتون كما تنبت الزرعة في غشاء السيل، ثم تُشَقَّعُ الأنبياء في كل من كان يشهد أن لا إله إلا الله مخلصاً، فيستخرجونهم منها، ثم يتحنن الله برحمته على من فيها، فما يترك فيها عبداً في قلبه مثقال ذرة من الإيمان إلا أخرجه منها<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير.

وعن حفصة قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء الله أحد شهد بداراً والحديبية، قالت فقلت: أليس الله يقول: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾. قالت: فسمعتة يقول: ﴿ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثياً﴾<sup>(٢)</sup>. رواه أحمد وغيره.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا يَنْتَوِي السُّجَّةُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ (٧٣) ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرِيًّا﴾ (٧٤) ﴿قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾ (٧٥) ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالْبَيْتِ الصَّلَاحِ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا﴾ (٧٦).

عن ابن عباس: ﴿وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للذين آمنوا، أي الفريقين خير مقاماً وأحسن ندياً﴾، قال: المقام المسكن، والندي المجلس والنعمة والبهجة. قال قتادة: رأوا أصحاب رسول الله ﷺ في عيشهم خشونة، وفيهم قشافة فعرض أهل الشرك بما تسمعون ﴿وكم أهلكنا قبلهم من

(١) أخرجه أحمد (١١/٣)، وابن ماجه (ح/٤٢٨٠) مختصراً، وابن جرير (١٦/١١٣) وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه أحمد (٦/٢٨٥) وبنحوه من حديث جابر رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٣/٣٩٦)، وهو حديث صحيح وبنحوه - أيضاً - من حديث أم بشر - رضي الله عنها - : أخرجه مسلم (ح/٢٤٩٦)، وأحمد (٦/٣٩٢) (ح/٢٤٩٦) إلا أن فيه: «أصحاب الشجرة».

قرن هم أحسن أثاثاً ورثياً ﴿٧٧﴾ قال: أكثر متاعاً وأحسن منزلة ومستقراً، فأهلك أموالهم وأفسد صورهم عليهم، تبارك وتعالى. وقال ابن عباس: الرثي المنظر الحسن.

وعن مجاهد قوله: ﴿في الضلالة فليمدد له الرحمن مداً﴾ فليدعه الله في طغيانه.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما﴾، أي: في الدنيا ﴿وإما الساعة﴾ فيدخلون النار ﴿فسيعلمون﴾ عند ذلك ﴿من هو شر مكاناً وأضعف جنداً﴾ أهم أم المؤمنون؟ ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾، أي: إيماناً و يقيناً على يقينهم ﴿والباقيات الصالحات﴾، أي: الأذكار وجميع الأعمال الصالحة التي تبقى لصاحبها ﴿خير عند ربك ثواباً وخير مرداً﴾، أي: عاقبة و مرجعاً.

قوله عز وجل: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالاً وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّا سَنَكُنُّبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُمُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُمْ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾﴾.

في الصحيحين عن خباب بن الأرت قال: «كنت رجلاً قيناً وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه منه فقال: لا والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد فقلت: لا والله لا أكفر بمحمد ﷺ حتى تموت ثم تبعث قال: فإني إذا مت ثم بعثت جئتني ولي ثم مال وولد فأعطيتك، فأنزل الله ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ إلى قوله: ﴿ويأتينا فرداً﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلاً﴾.

قال البغوي: ردّ عليه، يعني لم يفعل ذلك.

(١) أخرجه البخاري (ح/٢٠٩١ و ٢٢٧٥ و ٤٧٣٢)، ومسلم (ح/٢٧٩٥)، والمراد بالقين أي: الحداد والصانع.



وقال ابن كثير: وقوله: ﴿كَلَّا﴾ هي حرف ردع لما قبلها، وتأکید لما بعدها. وعن مجاهد قوله: ﴿ونرثه ما يقول﴾ ماله وولده ﴿ويأتينا فرداً﴾ قال قتادة: لا مال له ولا ولد.

قوله عز وجل: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ إِلَهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۖ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ۚ﴾ ﴿٨١﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزَهُمْ أَرْأَ ۚ فَلَا تَعَجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعِدُّ لَهُمْ عَذَابًا ۚ﴾ ﴿٨٢﴾ يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ۚ﴾ ﴿٨٣﴾ وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا ۚ﴾ ﴿٨٤﴾ لَا يَمْلِكُونَ الشَّفْعَةَ إِلَّا مَنِ اخْتَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ۚ﴾ ﴿٨٥﴾

قال الضحاك في قوله: ﴿ويكونون عليهم ضداً﴾ قال: أعداء. وقال مجاهد: عدنا عليهم نخاصمهم ونكذبهم.

وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزَهُمْ أَرْأَ﴾ قال ابن عباس إغراء في الشرك. وقال ابن زيد: تشليهم أشلاء على معاصي الله.

وعن ابن عباس قوله: ﴿إنما نعد لهم عداً﴾ يقول: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا، فهي معدودة وآجالهم. وعن علي في قوله: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ قال: «أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم ولا يساق سوقاً، لكنهم يؤتون بنوقٍ لم ير الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب وأزمته الزبرجد، فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة» (١).

وعن ابن عباس قوله: ﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾ يقول: عطاشاً ﴿لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً﴾ قال: العهد شهادة أن لا إله إلا الله، ويتبرأ إلى الله من الحول ولا يرجو إلا الله. قال ابن جريج: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء.

(١) أخرجه ابن جرير (١٦/١٢٦) بسند ضعيف، وعزاه السيوطي في «الدر» إلى ابن مردويه.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۖ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۝٨٨﴾ ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا ۝٩٠﴾ ﴿٩١﴾ لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۝٩٢﴾ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝٩٣﴾ إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا ۝٩٤﴾ لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝٩٥﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَرْدًا ۝٩٦﴾ ۚ

عن ابن عباس قوله: ﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾ يقول: لقد جئتم شيئاً عظيماً، وهو المنكر من القول ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ أن دعوا للرحمن ولداً قال: إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين، وكادت أن تزول منه لعظمة الله، وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحدين؛ وقال رسول الله ﷺ: «لَقِنَا مَوْتَائِمَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَهَا عِنْدَ مَوْتِهِ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ قَالَهَا فِي صَحْتِهِ؟ قَالَ: تِلْكَ أَوْجِبَ وَأَوْجِبَ، ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ جِئَ بِالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَمَا بَيْنَهُنَّ وَمَا تَحْتَهُنَّ، فَوَضَعْنَ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوَضَعْتَ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي الْكِفَّةِ الْآخَرِ لَرَجَحْتَ بِهِنَّ»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾، أي: ما يليق به اتخاذ الولد ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾، أي: الخلق كلهم عبيده ﴿لَقَدْ أَحْصَيْنَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾. قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يقول: وجميع خلقه سوف يرد عليه يوم تقوم الساعة وحيداً لا ناصر له من الله ولا دافع عنه.

(١) أخرجه ابن جرير (١٦/١٣٠)، والطبراني (١٢/٢٥٤) عن علي رضي الله عنه. بسند ضعيف، ويشهد لآخره حديث البطاقة، وسيأتي تخريجه.

(٢) انظر «جامع البيان» (١٦/١٣٢).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ۝١٦ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ يَلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لَّدَا ۝١٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ يُحْسِنُ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ۝١٨﴾ .

عن مجاهد في قوله: ﴿سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ قال: محبة في المسلمين في الدنيا. وقال ابن عباس: يحبهم ويحببهم يعني إلى المؤمنين.  
وقوله تعالى: ﴿فإنما يسرناه﴾، أي: سهلنا القرآن ﴿بلسانك﴾ يا محمد ﴿لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لدا﴾ قال قتادة: أي جدالاً بالباطل، ذوي لد وخصومة.

وقوله تعالى: ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا﴾ قال قتادة: هل ترى عيناً أو تسمع صوتاً؟ .

• • •

## الدرس الخامس والستون بعد المائة

### ﴿سورة طه﴾

مكية، وهي مائة وخمس وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ۖ ﴿١﴾ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِّمَن يَخْشَى ۖ ﴿٢﴾ تَزِيلًا  
مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ۖ ﴿٣﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ۖ ﴿٤﴾ لَّهُ مَا فِي  
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ۖ ﴿٥﴾ وَإِن يُجْهَرُوا بِالْقَوْلِ فَإِنَّمَا يَعْلَمُ  
السِّرَّ وَأَخْفَى ۖ ﴿٦﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ۖ ﴿٧﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ  
مُوسَى ۖ ﴿٨﴾ إِذْ رَأَىٰ نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ  
أَجْدَ عَلَى النَّارِ هُدًى ۖ ﴿٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمُوسَى ۖ ﴿١٠﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ  
إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۖ ﴿١١﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ۖ ﴿١٢﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ  
إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ۖ ﴿١٣﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ  
كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ۖ ﴿١٤﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ۖ ﴿١٥﴾  
وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَىٰ ۖ ﴿١٦﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ  
غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مِثَارِبُ أُخْرَىٰ ۖ ﴿١٧﴾ قَالَ أَفَلَهَا بِمُوسَىٰ ۖ ﴿١٨﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ  
تَسْعَىٰ ۖ ﴿١٩﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۖ ﴿٢٠﴾ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ  
جَنَاحِكَ وَخُزِّجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَىٰ ۖ ﴿٢١﴾ لِزَيْدِكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ۖ ﴿٢٢﴾ أَذْهَبَ

إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَحْلِلْ عُقْدَةً  
مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰزُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ  
أُزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا  
بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا  
إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ  
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ  
فَقَوْلُهَا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَىٰ مَنْ يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ  
نَفْسًا فَجَعَيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَنَّاكَ فُتُونًا فَلَمَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ  
يَمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتَكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَابِعِي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾  
أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا  
إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُقْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ  
وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ قَدْ  
جِئْنَاكَ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِمَّنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ  
عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ  
خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلِمْتُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا  
يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ  
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّأُولِي النَّهْيِ ﴿٥٤﴾ ﴿٥٥﴾ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً  
أُخْرَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴿٥٧﴾

قوله عز وجل: ﴿طه﴾ مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَىٰ ﴿٤﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَىٰ ﴿٧﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ .

عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿طه﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴿٢﴾ فإن قومه قالوا: لقد شقي هذا الرجل بربه، فأنزل الله تعالى ذكره ﴿طه﴾ يعني يا رجل ﴿٣﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴿٤﴾ وقال قتادة ﴿٥﴾ ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ﴿٦﴾ لا والله ما جعله شقاء، ولكن جعله رحمة ونوراً ودليلاً إلى الجنة ﴿٧﴾ إلا تذكرة لمن يخشى ﴿٨﴾ وأن الله أنزل كتابه وبعث رسله رحمة رحم الله بها العباد، ليتذكر ذاكر وينتفع رجل بما سمع من كتاب الله وهو ذاكر له، أنزل الله فيه حلاله وحرامه فقال: ﴿تنزيلًا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمن على العرش استوى﴾ .

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا<sup>(٢)</sup>.

﴿له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى﴾ قال

(١) انظر «جامع البيان» (١٦/١٣٨).

(٢) قلت: وفي هذه الآية إثبات استواء الله — عز وجل — على عرشه استواء حقيقياً يليق بجلاله تعالى وعظمته، وهذا هو مذهب أهل السنة، بخلاف مذهب غيرهم من الجهمية وأذئابهم من المعتزلة والأشاعرة الذين أنكروه وأولوه فراراً من التشبيه، فوقعوا في شر مما فروا منه إذ غاية مذهبهم التعطيل نعوذ بالله من أهل البدع والأهواء، ونسأل الله الثبات على الإسلام والسنة إلى أن نلقاه.

محمد بن كعب: أي ما تحت الأرض السابعة. ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ قال ابن عباس: السر ما علمته أنت، وأخفى ما قذف الله في قلبك مما لم تعلم. وفي رواية: السر ما أسر الإنسان في نفسه، وأخفى ما لم يعلمه الإنسان مما هو كائن.

﴿الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي الذي أنزل عليك القرآن هو الله الذي لا إله إلا هو ذو الأسماء الحسنى والصفات العلى.

قوله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿١﴾ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ﴿٢﴾ فَلَمَّا أَنهَا ثُوْدَى يَمْوَسَّى ﴿٣﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٤﴾ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى ﴿٥﴾ إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿٦﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا سَعَىٰ ﴿٧﴾ فَلَا يَصُدُّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىٰ ﴿٨﴾﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿هل أتاك حديث موسى﴾، أي: وقد أتاك، استفهام بمعنى التقرير، وقال في جامع البيان: فيه تعظيم لشأن الحديث، وتبيين على أنه إنما عرفه بالوحي.

قال ابن عباس: لما قضى موسى الأجل سار بأهله فضل الطريق، وكان في الشتاء ورفعت لهم نار، فلما رآها ظن أنها نار وكانت من نور الله ﴿قال لأهله امكثوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ يقول: من يدل على الطريق. وقال وهب بن منبه: خرج موسى نحوها، فإذا هي شجر من

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٤٣).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٧٨).

العليق؛ وبعض أهل الكتاب يقول: في عوسجة، فلما دنا، استأخرت عنه، فلما رأى استخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه ثم كلمه من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى له: يا موسى<sup>(١)</sup> ﴿اخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى﴾. قال قتادة: كانتا من جلد حمار، فقليل له: اخلعهما. وقال الحسن: كانتا من بقر، لكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرتين. وقال مجاهد: طوى اسم الوادي.

وقوله تعالى: ﴿وأنا اخترتك﴾، أي: اصطفيتك ﴿فاستمع لما يوحي إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري﴾ قال مجاهد: إذا صلى ذكر ربه. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها، فيصلها إذا ذكرها فإن الله تعالى قال: ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾»<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس قوله: ﴿إن الساعة آتية أكاد أخفيها﴾ يقول: لا أظهر عليها أحداً غيري. وفي مصحف عبد الله بن مسعود أكاد أخفيها من نفسي، فكيف يعلمها مخلوق؟ وقيل: أخفيها فلا أقول هي آتية.

﴿لتجزى كل نفس بما تسعى﴾، أي: بما تعمل من خير وشر ﴿فلا يصدنك عنها﴾، أي: عن التصديق بالساعة ﴿من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى﴾ فتهلك.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ يَمِينُكَ يَمْسُكُ ۖ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَاهْتَمُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَىٰ ۚ قَالَ أَلْقَاهَا يَمْسُكُ ۖ فَالْقَنَاهَا فإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ۚ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۚ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ۚ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِن غَيْرِ سُوءٍ ؕ آيَةً أُخْرَىٰ ۚ لِّئَلَّا تُكَلِّمَ الْكُفْرَىٰ ۚ﴾.

(١) قلت: وفي هذه الآية إثبات صفة الكلام لله — عز وجل — على ما يليق بجلاله تعالى، وهذا هو مذهب أهل السنة بخلاف مذهب الجهمية وأذناهم من المعتزلة والأشاعرة.

(٢) أخرجه مسلم (ح/٣١٦) من حديث أنس رضي الله عنه.



قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله عز وجل: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾؟ سؤال تقرير، والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا، حتى إذا قلبها حية علم أنها معجزة عظيمة.

وقوله تعالى: ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ قال السدي يقول: أضرب بها الشجر للغنم فيقع الورق.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وَلِي فِيهَا مَأْرَبٌ أُخْرَى﴾ قال: حوائج أخرى قد علمتها ﴿قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى فَلَقَاهَا فإِذَا هِيَ حِيَّةٌ تَسْعَى قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾، أي: عصا كما كانت.

وعن مجاهد قوله: ﴿وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ﴾ قال كفّه تحت عضده ﴿تَخْرُجُ بَيْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سَوَاءٍ﴾ قال: من غير برص ﴿لَنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾ قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: كي نريك من أدلّتنا الكبرى على عظيم سلطاننا وقدرتنا.

قوله عز وجل: ﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَازِنُونَ آخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَيْ تَسْحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾.

قال مجاهد في قوله: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ قال: لجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون، تردّ به فرعون حين أخذ بلحيته.

وعن ابن عباس قوله: ﴿أَشَدُّ بِهِ أَزْرِي﴾ يقول: أشدد به ظهري.  
وقوله: ﴿وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ١٨١).

(٢) انظر «جامع البيان» (١٦/ ١٥٨).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني في النبوة وتبليغ الرسالة ﴿كي نستبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً﴾ قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> يقول: ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ لا يخفى عليك من أفعالنا شيء.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ﴾ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُمْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُمْ فَرَجَعْتُكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ فَنَسَاءً فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكْنَا فُتُونًا فَلَمَّتَ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ﴾ وحي إلهام ﴿ما يوحى﴾ ما يلهم؛ ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمته عليه فقال: ﴿أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ يعني نهر النيل، قال ابن إسحاق: لما ولدت موسى أمه أرضعته، حتى إذا أمر فرعون بقتل الغلمان من سنته تلك، عمدت إليه فصنعت به ما أمرها الله تعالى، جعلته في تابوت صغير ومهدت له فيه، ثم عمدت إلى النيل، فقذفته فيه، وأصبح فرعون في مجلس له، كان يجلس على شفير النيل كل غداة، فبينما هو جالس إذ مرّ النيل بالتابوت، فقذف به، وأسيسة ابنة مزاحم امرأته جالسة إلى جنبه، فقال: إن هذا الشيء في البحر فأتتوني به، فخرج إليه أعوانه حتى جاؤوا به، ففتح التابوت فإذا فيه صبي في مهده، فألقى الله عليه محبته وعطف عليه نفسه.

وعن قتادة قوله: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾ قال: هو غذاؤه. قال ابن إسحاق ﴿قالت﴾ يعني أم موسى ﴿لأختي قُصِّيه﴾ فانظري ما يفعلون به، فخرجت في ذلك

(١) انظر «معالم التنزيل» (١٨٢/٣).

(٢) انظر «جامع البيان» (١٦٠/١٦).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (١٨٢/٣).

﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقد احتاج إلى الرضاع والتمس الثدي، وجمعوا له المراضع حين ألقي الله محبتهم عليه، فلا يؤتى بأمرأة فيقبل ثديها، فيرمضهم ذلك، فيؤتى بمرضع بعد مرضع فلا يقبل شيئاً منهم، فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم به وحرصهم عليه ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾؟ أي لمنزلته عندكم وحرصكم على مسرة الملك؟ قالوا: هاتي، فأتت أمه فأخبرتها فانطلقت معها حتى أتتهم، فناولوها إياه فلما وضعت في حجرها أخذ ثديها، وسروا بذلك منه وردّه الله إلى أمه ﴿كي تقرّ عينها ولا تحزن﴾ فبلغ لطف الله لها وله أن ردّ عليها ولدها، وعطف عليها نفع فرعون وأهل بيته، مع الأمانة من القتل الذي يتخوف على غيره.

وعن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما قُتل موسى الذي قُتل من آل فرعون خطأ، فقال الله له ﴿وقتل نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً﴾»<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: «فنجيناك من الغم» وهو ما حصل له بسبب عزم آل فرعون على قتله، ففرّ منهم هارباً حتى ورد ماء مدين.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وفتناك فتوناً﴾ يقول: اختبرناك اختباراً ﴿فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدر يا موسى﴾ قال ابن عباس يقول: لقد جئت ليمقات يا موسى. وقال قتادة: قدر الرسالة والنبوة.

قوله عز وجل: ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾<sup>(١)</sup> أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِتَأَيُّتِي وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي﴾<sup>(٢)</sup> أَذْهَبَا إِلَيَّ فِرْعَوْنُ إِنَّهُ طَعَنِي﴾<sup>(٣)</sup> فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾<sup>(٤)</sup> قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَى﴾<sup>(٥)</sup> قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾<sup>(٦)</sup> فَأَنبَأَهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ

(١) أخرجه ابن جرير (١٦/١٦٤) بسند حسن.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٤٨).

وَلَا تُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِشَآئِرٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلٰى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدٰى ﴿٤٧﴾ اِنَّا قَدْ اُوْحٰى اِلَيْنَا اَنَّ الْعَذَابَ عَلٰى مَن كَذَّبَ وَقَوْلٰى ﴿٤٨﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿واصطنعتك لنفسى﴾، أي: اصطفتيك واجتبيتك رسولا ﴿لنفسى﴾، أي: كما أريد، وأشاء. وعن ابن عباس قوله: ﴿ولا تنيا في ذكرى﴾ لا تبطن. وقال مجاهد: لا تضعفا. وقال ابن زيد: الواني هو الغافل المفرط. وعن السدي ﴿فقولا له قولاً لينا﴾ قال: كنياه.

وعن ابن عباس قوله: ﴿لعله يتذكر أو يخشى﴾ يقول: هل يتذكر أو يخشى. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي لعله يرجع عما هو فيه من الضلال والهلكة ﴿أو يخشى﴾ أي يوجد طاعة من خشية ربه.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: فإن قيل: كيف قال: ﴿لعله يتذكر﴾ وقد سبق في علمه أنه لا يتذكر ولا يُسلم؟ قيل: معناه اذهبا على رجاء منكما وطمع، وقضاء الله وراء أمركما.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ قال: نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك وأمرك ﴿يفرط﴾ ويعجل، وقرأ ﴿لا تخافا﴾ إنني معكما أسمع وأرى. وقال ابن جرير ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله، وهو بيانه. وعن قتادة قوله: ﴿إن العذاب على من كذب وتولى﴾ عن طاعة الله.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمَا يَمُوسٰى ﴿٥١﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِى اَعْطٰى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدٰى ﴿٥٢﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْاُولٰى ﴿٥٣﴾ قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّى فِي

(١) المصدر السابق (٣/ ١٥٣).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٥٣).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ١٨٤).

كِتَابٌ لَا يُضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٧﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا  
سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٨﴾ كُلُّوا وَارْعَوْا  
أَنعَمَكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ﴿٥٩﴾ ﴿٦٠﴾ مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا  
نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى ﴿٦١﴾ .

عن ابن عباس قوله ﴿أعطى كل شيء خلقه ثم هدى﴾ يقول: خلق لكل شيء  
زوجه ثم هداه لمنحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده.

وقوله تعالى: ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾، أي: ما بالهم عبدوا غير الله  
﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ قال ابن عباس:  
لا يخطئ ربي ولا ينسى.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: لما أخبره موسى أن ربه الذي أرسله، هو الذي خلق  
ورزق وقدّر فهدى، شرع يحتجّ بالقرون الأولى، أي الذين لم يعبدوا الله، أي  
فما بالهم إذا كان الأمر كذلك لم يعبدوا ربك بل عبدوا غيره؟ فقال له موسى في  
جواب ذلك: هم وإن لم يعبدوه فإن عملهم عند الله مضبوط عليهم سيجزيهم  
بعملهم.

وقوله تعالى: ﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أصنافاً ﴿من نبات شتى﴾ مختلف الألوان والطعوم والمنافع  
﴿كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى﴾ لذوي العقول ﴿منها﴾ أي  
الأرض ﴿خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ يوم البعث.

• • •

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٥٥).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٨٦).

## الدرس السادس والستون بعد المائة

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسُ ضُجًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَزَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَاجْمَعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ أَتَوُوا صَفًّا ۖ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يٰمُوسَىٰ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِجَابُهُمْ وَعَصِيَّتُهُمْ يَخِزُّهُمُ إِلَٰهٌ مِّنْ سِحْرِهِمْ إِنَّهَا تَسْمَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوَجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةٌ مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفُ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَالْقَىٰ مَا فِي بَيْمِينِكَ تَلْقَفُ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سُجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُ لَكَبِيرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعْ بِأَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُمْ مِّنْ يَّأْتِ رَبَّهُمْ مَّحْمُورًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا

يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ﴿٧٤﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ  
الْعُلَى ﴿٧٥﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٦﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ ۚ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا تُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سَوَىٰ ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ ﴿٥٩﴾﴾ .

عن مجاهد في قوله: ﴿مَكَانًا سَوَىٰ﴾ قال: منصفاً بينهم . وعن ابن عباس قوله: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحَىٰ﴾ فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له .

قوله عز وجل: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُمُ مُوسَىٰ وَيَلَكُمْ لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَّا زُورًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوا إِن هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثُلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمَعُوا كَيْدَهُمْ ثُمَّ أَتَتْهُمُ أَصْفًا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ يقول: فيهلككم . وقال قتادة: يستأصلكم .

وقوله تعالى: ﴿فَتَنَّا زُورًا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَىٰ﴾ قال قتادة: قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحراً فإننا سنغلبه، وإن كان من السماء فله أمر . وقال وهب بن منبه: جمع كل ساحر حباله وعصيته، وخرج موسى معه أخوه يتكئ على عصاه، حتى أتى المجمع، وفرعون في مجلسه معه أشراف أهل مملكته قد استكف له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم ﴿وَيَلَكُمْ



لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افتري ﴿ فتراود السحرة بينهم، وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿ويذهب بطريقتكم المثلى﴾، أي: ويستبدأ بهذه الطريقة وهي السحر. وقال ابن عباس: يعني ملكهم الذي هم فيه والعيش. وقال علي بن أبي طالب: يصرفان وجوه الناس إليهما.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله: ﴿فاجمعوا كيدكم ثم اثثوا صفاً﴾، أي: اجتمعوا كلكم صفّاً واحداً، وألقوا ما في أيديكم مرة واحدة لتبهروا الأبصار وتغلبوا هذا وأخاه ﴿وقد أفلح اليوم من استعلى﴾ منا ومنه.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا يَمْوَسِيَّ إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ﴾ ﴿١٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ ﴿١٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ ﴿١٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾ ﴿١٨﴾ وَأَلْقَىٰ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سَحِيرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَىٰ﴾ ﴿١٩﴾.

عن السدي قال: ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى ألقوا فألقوا حبالهم وعصيهم﴾ وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلاّ ومعه حبل وعصا. وعن وهب بن منبه قال: ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى قال بل ألقوا﴾ فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصر موسى وبصر فرعون، ثم أبصار الناس بعد، ثم ألقى كل رجل منهم ما في يده من العصي والحبال، فإذا هي حيات كأمثال الحبال، قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضاً.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/١٥٧).

(٢) المصدر السابق (٣/١٥٧).

﴿فأوجس في نفسه خيفة موسى﴾ لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصي خيلاً إليه أنها تسعى، فأوحى الله أن ﴿ألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ وفرح موسى فالتقى عصاه من يده، فاستعرضت لما ألقوا من حبالهم وعصيتهم، وهي حبات في عين فرعون وأعين الناس تسعى، فجعلت تلقفها حبة حبة حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا، ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت، ووقع السحرة سجداً قالوا: آمنا برب هارون وموسى، لو كان هذا سحراً ما غلبنا.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ لا يسعد حيث كان.

قوله عز وجل: ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ۖ قَالَ ءَامَنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّكُمْ لَكَايِرُكُمْ ۚ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَ بِأَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ۖ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۖ إِنَّمَا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ ۚ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۖ ۝٧٦ إِنَّكُمْ مِنْ يَأْتِ رَبُّهُ مُخْرِجًا فَإِنْ لَمْ يَهْتُمْ لَكُمْ يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ۖ ۝٧٧ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ۖ ۝٧٨ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ۖ ۝٧٩﴾

قال وهب بن منبه: لما قالت السحرة ﴿آمنا برب هارون وموسى﴾ قال لهم فرعون وأسف ورأى الغلبة البيّنة: ﴿آمتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم الذي علّمكم السحر﴾، أي: لعظيم السحار الذي علّمكم. وعن السدي: قال فرعون: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾

فقتلهم وقطعهم، كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه حين قالوا: ﴿ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾ وقال: كانوا أول النهار سحرة وفي آخر النهار شهداء.

وعن وهب بن منبه ﴿لن نؤثرك على ما جاءنا من البيئات والذي فطرنا﴾، أي: على الله ﴿فاقض ما أنت قاض﴾ اصنع ما بدا لك ﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾، أي: ليس لك سلطان إلا فيها ثم لا سلطان لك بعد. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ قال: أمرهم بتعلم السحر، قال: تركوا كتاب الله وأمروا قومهم بتعليم السحر. وعن ابن إسحاق: ﴿والله خير وأبقى﴾ خير منك ثواباً وأبقى عذاباً.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ خطب فأتى على هذه الآية ﴿إنه من يأت ربه مجرمًا فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى﴾ قال النبي ﷺ: «أما أهلها الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، وأما الذين ليسوا من أهلها فإن النار تمسهم ثم يقوم الشفعاء فيشفعون، فتجعل الضبائر فيؤتى بهم نهراً يقال له الحياة أو الحيوان، فينبتون كما ينبت العشب في حميل السيل»<sup>(١)</sup>. رواه ابن أبي حاتم. وعن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ قال: «الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، والفردوس أعلاها درجة ومنها تخرج الأنهار الأربعة، والعرش فوقها فإذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس»<sup>(٢)</sup>. رواه

(١) أخرجه ابن أبي حاتم — كما عناه له ابن كثير في تفسيره (٣/١٥٩)، وبنحوه أخرجه مسلم (ح/١٨٥)، وأحمد (٣/٢٥ — ٢٦)، والغبائر، أي: الجماعة المتفرقة. وحميل السيل، أي: ما يحمله السيل حيث انجرافه من الطين ونحوه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٣١٦ و ٣٢١)، والترمذي (ح/٢٥٣١)، وابن أبي شيبة (١٣/١٣٨)، والحاكم (١/٠) وصححه وأقره الذهبي من حديث عبادة بن الصامت، وأخرجه أحمد (٥/٢٤٠)، والترمذي (٢٥٣٠)، وابن ماجه (ح/٤٣٣١) من حديث معاذ رضي الله عنه، وهو حديث صحيح.

أحمد وغيره. وفي الصحيحين: «إن أهل عليّين ليرون من فوقهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء لتفاضل ما بينهم، قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء؟ قال: بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»<sup>(١)</sup>.



---

(١) أخرجه البخاري (ح/٣٢٥٦)، ومسلم (ح/٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

## الدرس السابع والستون بعد المائة

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَفَشَّيْتُمْ مِنْ آلَيْهِ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أَفْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلَوى ﴿٨٠﴾ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَك عَنْ قَوْمِكَ يَمْوَسَّى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَنِّي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَنَ أَسْفًا قَالَ يَنْقُومُ آلَتُمُ يَعِدْكُمْ رَبِّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَنْقُومُ إِنَّمَا قُتِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿٩١﴾ قَالَ يَهْدُونِي مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَا تَتَّبِعُنِي أَفَعَصَيْتُ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحَتِي وَلَا يَرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ

تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩١﴾ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يُسْمِرُ ﴿٩٢﴾  
 قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا  
 وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٣﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ  
 لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا  
 لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٤﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا  
 هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٥﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ  
طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا تَخْشَى ۚ فَاَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ  
مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ۚ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى ۚ﴾.

عن مجاهد قوله: ﴿يَبَسًا﴾ قال: يابساً. وعن ابن عباس في قوله:  
﴿لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ يقول: لا تخاف من آل فرعون دركاً، ولا تخشى من  
البحر غرقاً.

﴿فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَى﴾  
هدى.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: وهذا تكذيب لفرعون في قوله: ﴿وما أهديكم إلا سبيل  
الرشاد﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَبْنَئِي إِسْرَءِيلَ قَدْ أُنْجِيتُكَ مِنَ الْعَذَابِ ۖ وَعَدْتُكَ جَانِبَ  
الْطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْمَنَ وَالسَّلْوَى ۚ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا  
تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ۚ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ  
لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ۚ﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿ولا تطغوا فيه﴾ يقول: ولا تظلموا ﴿ومن يحلل عليه  
غضبي فقد هوى﴾، يقول: فقد شقي ﴿وإني لغفار لمن تاب﴾ من الشرك  
﴿وآمن﴾ يقول: وعد الله ﴿وعمل صالحاً﴾ يقول: أدى فرائضي ﴿ثم اهتدى﴾ قال  
قتادة: ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٩٠).

قوله عز وجل : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُمُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ ۞ .

قال ابن إسحاق: وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه، ونجّاه وقومه ﴿ثلاثين ليلة ثم أتمناها بعشر فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة﴾ تلقّاه فيها بما شاء، فاستخلف موسى هارون في بني إسرائيل ومعه السامريّ يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به، فلما كلّم الله موسى قال له: ﴿ما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفًا﴾. قال ابن عباس يقول: حزينا.

﴿قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: صدقاً، أن يعطيكم التوراة ﴿أطال عليكم العهد﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم فأخلفتكم موعدي قالوا ما أخلفنا موعدك بمَلِكِنَا﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي عن قدرتنا واختيارنا.

(١) المصدر السابق (٣/١٩١).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٦٢).



﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾. وعن ابن عباس: ﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾، فهو ما كان مع بني إسرائيل من حلّي آل فرعون، يقول: خطؤنا مما أصبنا من حلّي عدونا، وقال قتادة: كان الله وقت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر، فلما مضت الثلاثون قال عدو الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحلّي الذي كان معكم، فهلموا، وكانت حلّيًا استعاروها من آل فرعون، فساروا وهي معهم فقذفوها إليه فصورها صورة بقرة، وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرائيل، فقذفها مع الحلّي والصورة.

﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾ فجعل يخور خوار البقرة فقال: ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾. وفي رواية: ﴿قَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى﴾ ولكن موسى نسي ربه عندهم، قال الله: ﴿أَفَلَا يَرُونَ إِلَّا يَرْجِعَ إِلَيْهِمْ﴾ ذلك العجل الذي اتخذه ﴿قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا؟﴾

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وحاصل ما اعتذر به هؤلاء الجهلة أنهم تورّعوا عن زينة القوم، فألقوها وعبدوا العجل، فتورّعوا عن الحقير وفعلوا الأمر الكبير، كما قال ابن عمر: انظروا إلى أهل العراق، قتلوا ابن بنت رسول الله ﷺ وهم يسألون عن دم البعوضة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِيَ﴾ ﴿١٠﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴿١١﴾ قَالَ يَهْرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿١٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِيَ ﴿١٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمْ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي ﴿١٤﴾ إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿١٥﴾

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (١٦٢/٣).

قال ابن عباس: لما قال القوم: ﴿لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى﴾ أقام هارون فيمن تبعه من المسلمين ممن لم يفتن، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى: ﴿فرقت بين بني إسرائيل ولم ترقب قولي﴾ وكان له هائباً مطيعاً.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِئُ ۖ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ۖ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ يُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۖ﴾ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا إِلٰهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ﴾ ﴿١٨﴾.

قال ابن زيد في قوله: ﴿فما خطبك يا سامري﴾ قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه؟ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾. قال قتادة: يعني فرس جبريل ﷺ ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبتها وكذلك سولت لي نفسي﴾. قال ابن زيد: كذلك حدثني نفسي. وقال قتادة: كان والله السامري عظيمًا من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة، ولكن عدو الله نافق بعدما قطع البحر مع بني إسرائيل.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿وكذلك سولت لي نفسي﴾ أي حسنته وأعجبها إذ ذاك ﴿قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لا مساس﴾ أي كما أخذت ومسست ما لم يكن لك أخذه ومسّه من أثر الرسول، فعقوبتك في الدنيا ﴿أن تقول لا مساس﴾، أي: لا تماس الناس ولا يمسونك ﴿وإن لك موعدًا﴾ أي: يوم القيامة ﴿لن تخلفه﴾ أي: لا يحيد لك عنه.

(١) المصدر السابق (٣/١٦٤).

وقوله: ﴿وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفاً لنحرقنه ثم لنسفنه في اليم نسفاً﴾. قال ابن عباس: فحرقه ثم ذراه في اليم.

وقال ابن جرير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً﴾، يقول: ما لكم أيها القوم معبود إلا الذي له عبادة جميع الخلق، لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي أن تكون إلا له ﴿وسع كل شيء علماً﴾ يقول: احتاط بكل شيء علماً وعلمه، فلا يخفى عليه شيء ولا يضيق عليه علم جميع ذلك.



---

(١) انظر «جامع البيان» (٢٠٤/١٦).

## الدرس الثامن والستون بعد المائة

﴿ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۖ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۖ ﴿٩٩﴾ خَلِيدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۖ ﴿١٠٠﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ ﴿١٠١﴾ يَخْحَفْتُوكَ يَنْتَهُمُ إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ ﴿١٠٢﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ۖ ﴿١٠٣﴾ وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ۖ ﴿١٠٤﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ۖ ﴿١٠٥﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ۖ ﴿١٠٦﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا سَمْعُ إِلَّا هَمْسًا ۖ ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ۖ ﴿١٠٨﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ۖ ﴿١٠٩﴾ عِلْمًا ۖ ﴿١١٠﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ۖ ﴿١١١﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ۖ ﴿١١٢﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَنْقُوتُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ ﴿١١٤﴾ ۝

\* \* \*

قوله عز وجل : ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ۚ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ۚ خَلِيدٍ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ۚ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقًا ۚ يَخَفَتُونَ يَتَنَفَّسُونَ يَتَأَوُّونَ لِإِثْمِهِمْ وَإِلَىٰ أَعْيُنِهِمْ ۚ إِنَّ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ عِشْرًا ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۚ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَيْسَ لَهُم مَّا يَوْمًا ۚ﴾ .

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: كما قصصنا عليك خبر موسى كذلك نقص عليك من الأخبار الماضية كما وقعت ﴿وقد آتيناك من لدنا﴾ من عندنا ﴿ذكرًا﴾ وهو القرآن ﴿من أعرض عنه فإنه يحمل يوم القيامة وزرًا﴾ قال مجاهد: إنما ﴿خالدين فيه﴾، أي: مقيمين في عذاب الوزر ﴿وساء لهم يوم القيامة حملًا﴾، أي: بشما حملوا على أنفسهم من الإثم.

﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زُرْقًا﴾ يتخافتون بينهم إن لبثتم إلاَّ عشرا ﴿قال ابن عباس: ﴿يتخافتون﴾ يتساررون ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾ إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلاَّ يومًا﴾، أي: في الدنيا قاله ابن جرير.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قصر ذلك في أعينهم في جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة؛ وقيل: نسوا مقدار لبثهم لشدة ما أهمهم.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٩٤).

وعن شعبة في قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ امْلِثْهُمْ طَرِيقَةً﴾ يقول: أعلمهم في أنفسهم  
﴿إِنْ لَبِثُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾، وقيل: المراد مدة مكثهم في القبور.

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٦﴾ فَيَذَرُهَا  
قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٧﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ  
لَهُمْ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا  
مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ  
بِشَيْءٍ عِلْمًا ﴿١١١﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١٢﴾ وَمَنْ  
يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿قَاعًا صَفْصَفًا﴾ يقول: مستويًا لا نبات فيه ﴿لا ترى  
فيها عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ يقول: واديًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ يقول: رابية.

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ﴾ يقول:  
سكنت ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ قال: وطء الأقدام.

﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ﴾ أن يشفع ﴿وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾  
يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علمًا ﴿قَالَ قَتَادَةُ﴾: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ  
أَيْدِيهِمْ﴾ من أمر الساعة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمر الدنيا.

﴿وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ قال ابن عباس: ذلت ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ  
ظُلْمًا﴾ قال: خسر من أشرك بالله. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: «الظلم  
ظلمات يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (ح/٢٤٤٧)، ومسلم (ح/٢٥٧٩) من حديث ابن عمر رضي الله  
عنهم.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ قال قتادة: ﴿ظُلْمًا﴾ أن يزداد في سيئاته ولا يهضم من حسناته. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ سَيَخْلَصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ عَلَيْهِ تِسْعَةٌ وَتَسْعِينَ سَجَلًا كُلُّ سَجَلٍ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ ثُمَّ يَقُولُ: أَتَنْكَرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظْلَمَكَ كَتَبْتَنِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَاكَ عَذْرٌ؟ قَالَ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ، فَتُخْرَجُ بَطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزَنِّكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَمَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السَّجَلَاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتَوْضَعُ السَّجَلَاتُ فِي كِفَّةٍ وَالبَطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتِ السَّجَلَاتُ وَثَقُلَتِ الْبَطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ»<sup>(١)</sup>. رواه الترمذي وابن ماجه.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ مَاجَ النَّاسِ بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: اشْفَعْ إِلَى رَبِّكَ — وَفِي رِوَايَةٍ — قَالَ: يَجْلِسُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَهْمُوا بِذَلِكَ فَيَقُولُونَ: لَوْ اسْتَشْفَعْنَا إِلَى رَبِّنَا فَيَرْيَحُنَا مِنْ مَكَانِنَا، فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولُونَ: أَنْتَ آدَمُ أَبُو النَّاسِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ وَأَسْكَنَكَ جَنَّتَهُ وَأَسْجَدَ لَكَ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَكَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، اشْفَعْ لَنَا عِنْدَ رَبِّكَ حَتَّى يَرْيَحُنَا مِنْ مَكَانِنَا هَذَا فَيَقُولُ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: أَكَلَهُ مِنَ الشَّجَرَةِ وَقَدْ نُهِيَ عَنْهَا، وَلَكِنْ اتَّوَا نُوحًا أَوَّلَ نَبِيِّ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَقُولُونَ: لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ خَطِيئَتَهُ الَّتِي أَصَابَ: سَوَّاهُ رَبِّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَلَكِنْ اتَّوَا إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ، قَالَ: فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: إِنِّي لَسْتُ هُنَاكُمْ، وَيَذْكُرُ

(١) أخرجه أحمد (٢/٢١٣ و ٢٢١)، والترمذي (ح/٢٦٣٩) وحسنه، وابن ماجه (ح/٤٣٠٠)، والحاكم (١/٦ و ٢٥٩)، وصححه على شرط مسلم، وأقره الذهبي، وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٥/١٣٣ و ١٣٤)، وهو حديث صحيح.

ثلاث كذبات كذبهن، ولكن اتتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقرّبه نجياً، قال: فيأتون موسى فيقول: إني لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب: قتله النفس، ولكن اتتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول: لست هناكم، ولكن اتتوا محمداً عبداً غفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، قال: فيأتوني فأستأذن على ربّي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد، وقل تُسمع واشفع تُشفّع وسل تعطه. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربّي بثناء وتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيحدّ لي حدّاً، فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثانية فأستأذن على ربّي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقول: ارفع محمد وقل تُسمع، واشفع تُشفّع وسل تعطه. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربّي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدّ لي حدّاً، فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، حتى ما يبقى في النار إلّا من قد حبسه القرآن، أي: وجب عليه الخلود، ثم تلا هذه الآية: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم<sup>(١)</sup>. متفق عليه. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يخرج من النار قوم بالشفاعة كأنهم الشعارير قلنا: ما الشعارير؟ قال: إنه الضغابيس»<sup>(٢)</sup>. متفق عليه. وعن عثمان بن عفان رضي الله

(١) وهم المؤلف - رحمه الله - فجعل هذا الحديث مما اتفق عليه البخاري ومسلم بهذا اللفظ ١١ مع أنه ليس في البخاري ومسلم بهذا اللفظ، فضلاً عن القول بأنهم قد اتفقا عليه، والذي عندهما بنحوه البخاري (ح/٧٥١٠ و ٦٥٦٥)، ومسلم (١/١٨٢ - ١٨٣)، والحديث بهذا السياق أخرجه أحمد (٣/٢٤٤)، وابن أبي عاصم في «السنّة» (ح/٨٠٤ و ٨٠٥)، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري بلفظه (ح/٦٥٥٨)، ومسلم (١/١٧٨) مختصراً جداً، الشعارير: القثاء الصغار، شبهوا بها لأن القثاء ينمي سريعاً (النهاية ١/٢١٢)، الضغابيس: صغار القثاء (النهاية ٣/٨٩).



عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء»<sup>(١)</sup>. رواه ابن ماجه.

قوله عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ۖ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿وكذلك﴾، أي: كما بيّنا في هذه السورة ﴿أنزلناه﴾، يعني: أنزلنا هذا الكتاب ﴿قرآنًا عربيًّا﴾، أي: بلسان العرب ﴿وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً﴾ عبرة وعظة. قال قتادة: ﴿لعلهم يتقون﴾ ما حذروا به من أمر الله وعقابه ووقائعه بالأمر قبلهم ﴿أو يحدث لهم﴾ القرآن ﴿ذكرًا﴾، أي: حذراً وورعاً.

وقوله تعالى: ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾، أي: عما يصفه به المشركون. ﴿ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه﴾ قال مجاهد: لا تتلّه على أحد حتى نبيّته لك ﴿وقل رب زدني علماً﴾.

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: يقول تعالى ذكره: ﴿وقل﴾ يا محمد ﴿رب زدني علماً﴾ صحيحاً إلى ما علّمتني أمره بمسأله من فوائد العلم ما لا يعلم. قال ابن عيينة: ولم يزل ﷺ في زيادة حتى توفاه الله عز وجل. وفي الحديث الذي رواه الترمذي وغيره أنه ﷺ كان يقول: «اللهم انفعني بما علّمتني، وعلمني ما ينفعني، وارزقني

(١) أخرجه ابن ماجه (ح/٤٣١٣)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٣/٣٦٧) وابن عبد البر في

«جامع البيان» (١/٣٠) بسند موضوع، فيه عبد الرحمن بن عنبسة القرشي، رُمي بالوضع.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/١٩٥).

(٣) انظر «جامع البيان» (١٦/٢١٩).

علماً ينفعني، وزدني علماً الحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار<sup>(١)</sup>.



---

(١) أخرجه الترمذي (ح/٣٥٩٩)، وابن ماجه (ح/٢٥١)، والطبراني في «الدعاء» (ح/١٤٠٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي سنده موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، وللحديث شاهد بنحوه من حديث أنس - رضي الله عنه - أخرجه الحاكم (١٨١/١٠) وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه - أيضاً - الطبراني في المصدر السابق (ح/١٤٠٥).

## الدرس التاسع والستون بعد المائة

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ۝١١٥ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۝١١٦ فَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِرِزْقِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ۝١١٧ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۝١١٨ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۝١١٩ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبُلَى ۝١٢٠ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتَ لَهُمَا سَوَاءُ تَهُمَا وَطِفَقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۝١٢١ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۝١٢٢ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۝١٢٣ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ۝١٢٤ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۝١٢٥ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيْنَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ۝١٢٦ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ۝١٢٧ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِكِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى ۝١٢٨ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِرَامَا وَاجِلٌ مُّسَمًّى ۝١٢٩ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ۝١٣٠ وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ۝١٣١ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ

وَأَصْطَرِ عَلَيْهِمْ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنَقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا  
بِحَايَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةٌ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ  
بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ  
نُنْزِلَ وَنَخْزِي ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلُّ مُتَرَبِّصٍ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ  
السَّوِيِّ وَمَنْ أَهْتَدَى ﴿١٣٥﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسَىٰ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عِزْمًا ۖ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ ۖ فَقُلْنَا يَتَّعَدُمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰ ۖ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ۖ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَىٰ ۖ فَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّعَدُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَىٰ ۖ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ۖ ثُمَّ اجْنَبْنَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ۖ﴾.

عن ابن عباس في قوله: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي﴾ يقول: فترك ﴿ولم نجد له عزمًا﴾ يقول: حفظاً. قال ابن زيد: العزم المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه والتمسك به، قال له: ﴿يا آدم إن هذا عدو لك ولزورك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ وقرأ حتى بلغ ﴿وملك لا يبلى﴾ قال: فنسي ما عهد إليه في ذلك قال: وهذا عهد الله إليه، قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوه الذي حسده وأبى أن يسجد له، وعصى الله الذي كرمه وشرفه وأمر ملائكته فسجدوا له. وعن ابن عباس قال: إنما سمي الإنسان لأنه عهد إليه فنسي. وعن سعيد بن جبير قال: أهبط إلى آدم نور أحمر، فكان يحرق عليه ويمسح العرق من جبينه، فهو الذي قال الله ﴿فلا يخرجكما من الجنة فتشقى﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحى﴾ قال ابن عباس يقول: لا يصيبك فيها عطش ولا حر.

﴿فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني على شجرة إن أكلت منها بقيت مخلداً؟ ﴿وملك لا يبلى﴾ لا يبيد ولا يفنى؟ ﴿فأكلا منها فبدت لهما سواتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ قال السدي: أقبلا يغطيان عليهما بورق التين ﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى﴾ وفقه للتوبة.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَهَاطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى ﴿١٢٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ﴿١٢٧﴾﴾.

عن ابن عباس قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم تلا هذه الآية ﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً﴾ يقول: الشقاء. وعن الضحاك ﴿فإن له معيشة ضنكاً﴾ قال: الكسب الخيث. وقال سعيد بن جبیر: يسلبه القناعة حتى لا يشبع. وعن ابن عباس قال: كل مال أعطي العبد قل أو كثر، فلم يتق فيه، فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة، وإن أقواماً أعرضوا عن الحق وكانوا أولي سعة من الدنيا أكثرين، فكانت معيشتهم ضنكاً، وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف لهم معاشهم، من سوء ظنهم بالله.

وقوله تعالى: ﴿ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ قال ابن عباس: أعمى البصر ﴿قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً﴾ قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴿قال مجاهد في قوله: ﴿كذلك أتتك آياتنا فنسيتها﴾ قال: فتركها

(١) انظر «معالم التنزيل» (١٩٧/٣).

﴿وكذلك اليوم تنسى﴾ وكذلك اليوم تُترك في النار. قال قتادة: نُسُوا من الخير ولم يُنسُوا من العذاب.

وقوله تعالى: ﴿وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه﴾.  
قال البغوي<sup>(١)</sup> أي: وكما جزينا من أعرض عن القرآن ﴿كذلك نجزي من أسرف﴾ أشرك ﴿ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد﴾ مما نعذبهم به في الدنيا والقبر ﴿وأبقى﴾ وأدوم.

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى﴾ (١٢٨) ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ (١٢٩) ﴿فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾ (١٣٠).

يقول تعالى: ﴿أفلم يهد لهم﴾ يبين لهم القرآن ﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساجدهم﴾ كديار عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين وغيرهم ﴿إن في ذلك لآيات لأولي النهي﴾ لذوي العقول. قال ابن عباس: ﴿لذوي النهي﴾ يقول: التقى.

وعن مجاهد قوله: ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لازماً وأجل مسمى﴾ الأجل المسمى: الدنيا.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: ومعنى الكلام: ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لازماً.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة ﴿لكان لازماً﴾، أي: لكان لازماً لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية.

(١) انظر «معالم التنزيل» (١٩٨/٣).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٣٢/١٦).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (١٩٨/٣).

﴿فأصبر على ما يقولون واسبغ برك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها﴾  
قال ابن عباس: الصلاة المكتوبة. قال البغوي ﴿ومن آناء الليل﴾ ساعاته ﴿فستبح﴾  
يعني صلاة المغرب والعشاء. قال ابن عباس: يريد أول الليل ﴿وأطراف النهار﴾  
يعني صلاة الظهر، وسمي وقت الظهر أطراف النهار لأنه وقته عند الزوال، وهو  
طرف النصف الأول انتهاء، وطرف النصف الآخر ابتداء. انتهى.

وقيل: التسبيح ههنا محمول على التنويه والإجلال، والصواب أن الآية عامة  
لصلاة المكتوبة وصلاة التطوع، والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير.

وقوله تعالى: ﴿لعلك ترضى﴾ قال ابن زيد: ترضى ما يشيك الله على ذلك.  
وفي الصحيحين عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: «كنا جلوساً عند  
رسول الله ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: إنكم سترون ربكم كما ترون هذا  
القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع  
الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ هذه الآية»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ۖ وَأَمْرٌ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا  
تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾.

عن قتادة قوله: ﴿زهرة الحياة الدنيا﴾، أي: زينة الحياة الدنيا ﴿لنفتنهم فيه﴾  
قال: لنبتليهم فيه ﴿ورزق ربك خير وأبقى﴾ مما متعنا به هؤلاء من هذه الدنيا.  
وكان هشام بن عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره فقال: ﴿ولا تمدن عينيك  
إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى  
وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى﴾ ثم  
ينادي: الصلاة الصلاة يرحمكم الله. وعن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٥٥٤ و ٥٧٣ و ٤٨٥١)، ومسلم (ح/ ٦٣٣).



يقول: «من كانت الدنيا همه فَرَّقَ الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، لم يَأْتِه من الدنيا إلا ما كتب له، ومن كانت الآخرة نيته جمع له أمره وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»<sup>(١)</sup>. رواه ابن ماجه.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۖ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذَلَ وَنُخْزَىٰ ۚ قُلْ كُلُّ مَثَرٍ مِّثْرٍ ۚ فَتَرَبَّصُوا ۚ فَسَتَعْلَمُونَ مَن أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ۚ﴾.

يقول تعالى: ﴿وقالوا﴾ يعني المشركين ﴿لولا يأتينا بآية من ربه﴾، أي: بآية يقترحونها ﴿أو لم تأتهم بيّنة ما في الصحف الأولى﴾ يعني بيان ما فيها وهو القرآن، كما قال تعالى: ﴿وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلنا إلينا رسولاً فتنبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾، أي: قالوا ذلك حين رأوا العذاب يوم القيامة. وعن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «يحتج على الله يوم القيامة ثلاثة: الهالك في الفترة، والمغلوب على عقله، والصبي الصغير، فيقول المغلوب على عقله: لم تجعل لي عقلاً انتفع به، ويقول الهالك في الفترة: لم تأتني رسول ولا نبي ولو أتاني لك رسول أو نبي لكنت أطوع خلقك لك وقرأ ﴿لولا أرسلنا إلينا رسولاً﴾، ويقول الصبي الصغير: كنت صغيراً لا أعقل. قال: فترفع لهم نار، ويقال لهم: ردوها قال: فبردوها من كان في علم الله أنه سعيد، وتلكاً عنها من كان

(١) أخرجه أحمد (١٨٣/٥)، وابن ماجه (٤١٠٥/ح) بسند صحيح.

(٢) سورة الملك: الآية ٢٦.

في علم الله، أنه شقي، فيقول: إياي عصيتم فكيف برسلي لو أتتكم؟<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مَرْبُصٌ﴾ وذلك أن المشركين قالوا: نتربص بمحمد حوادث الدهر، فقال الله سبحانه ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد ﴿كُلٌّ مَرْبُصٌ﴾ منا ومنكم ﴿فَتَرْبِصُوا فَسَتَعْلَمُونَ﴾ من أصحاب الصراط السوي، أي: الطريق المستقيم نحن أم أنتم ﴿وَمَنْ اهْتَدَى﴾ إلى الحق وسبيل الرشاد، كما قال تعالى: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرُونَ الْعَذَابَ مِنْ أَضَلِّ سَبِيلًا﴾.



---

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣٨/١٦)، والبغوي في «مسند ابن الجعد» (ح/٢٠٣٨)، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٢١٩/٧) إلى البزار وفي سننه العوفي، وهو ضعيف، لكن للحديث شواهد عديدة من حديث أبي هريرة، والأسود بن سريع ومعاذ، وأنس رضي الله عنهم، فالحديث بشواهد يرتقي إلى درجة الحسن، وقد سبق تخريجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## الدرس السبعون بعد المائة

### ﴿سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام﴾

مكية، وهي مائة واثننا عشرة آية

عن عبد الله بن مسعود قال: «بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء، هن من العتاق الأول، وهن من تلادي»<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾<sup>(١)</sup> مَا يَأْنِيهِمْ مِّنْ ذِكْرِ مَن رَّبِّهِمْ يُحَدِّثُ إِلَّا أَسْمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ<sup>(٢)</sup> لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ<sup>(٤)</sup> بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْنِ بِأَيْدِيهِمْ كَمَا أَرْسَلَ الْأَوَّلُونَ<sup>(٥)</sup> مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرِيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ<sup>(٦)</sup> وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَشْكُلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>(٧)</sup> وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ<sup>(٨)</sup> ثُمَّ صَدَقْتَهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ وَاهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ<sup>(٩)</sup> لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٣٩) موقوفاً.

ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا  
 آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَنَّا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا  
 أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَبُولْنَا إِنْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ  
 تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا  
 بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ لَا تَتَّخِذْتُهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ  
 نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُمْ مِنْ  
 فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾  
 يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ  
 يُنْشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا  
 يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ  
 هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ  
 مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا  
 فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا  
 يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ  
 وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ  
 إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ (١)  
 مَا يَأْتِيهِمْ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً  
 قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأُ النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ  
 السَّحَرَ وَانْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ  
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلِ افْتَرَيْنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا  
 بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَا ءَامَنْتُ قَبْلَهُمْ مِّن قَرِينٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ  
 يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ .

عن أبي سعيد عن النبي ﷺ: ﴿وهم في غفلة وهم معرضون﴾ قال: في الدنيا<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾، أي: غافلة.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى ذكره: ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ويذكرهم به ويعظمهم ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم﴾. وعن قتادة قوله: ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم مُحدث﴾ الآية، يقول: ما ينزل عليهم من شيء من القرآن ﴿إلا استمعوه وهم يلعبون﴾. وقال ابن عباس: ما لكم تسألون أهل الكتاب عما بأيديهم، وقد حرّفوه وبدّلوه وزادوا فيه ونقصوا منه، وكتابتكم أحدث الكتب بالله تقرأونه محضاً لم يُشَبَّ؟!

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (٤٠٧/٦) بسند صحيح، وأخرجه ابن جرير (١/١٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بسند صحيح أيضاً، وعزاه السيوطي في «الدر» (٤/٥٦٣) إلى ابن مردويه.

(٢) انظر «جامع البيان» (٢/١٧).

وقوله تعالى: ﴿وَأَسْرِوا النجوى الذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم أفتأتون السحر وأنتم تبصرون﴾ قال ابن زيد: قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله، زعموا أنه ساحر وأن ما جاء به من سحر قالوا: أأتأتون السحر وأنتم تبصرون؟ ﴿قال﴾، أي: محمد، وفي قراءة: ﴿قل ربي يعلم القول في السماء والأرض﴾ لا يخفى عليه خافية، وهو الذي أنزل هذا القرآن ﴿وهو السميع﴾ لأقوال الخلق ﴿العليم﴾ بأحوالهم.

﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾ عن ابن عباس قوله: ﴿أضغاث أحلام﴾ قال: مشتبهة. وعن قتادة قوله: ﴿أضغاث أحلام﴾، أي: فعل حالم، إنما هي رؤيا رآها ﴿بل افتراه بل هو شاعر﴾ كل هذا قد كان منهم.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني أن المشركين اقتسموا القول فيه وفيما يقوله فقال بعضهم: أضغاث أحلام، وقال بعضهم: بل هو فرية، وقال بعضهم: بل محمد شاعر وما جاءكم به شعر، فليأتنا بآية إن كان صادقاً كما أرسل الأولون؛ قال الله تعالى مجيباً لهم ﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها أفهم﴾ الرسل إذا جاؤوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يُنظروا.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَتَلَوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٧﴾ ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿٩﴾.

عن قتادة قوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ يقول: فاسألوا أهل التوراة والإنجيل.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٠١).

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: أراه أنا يقول: يخبروكم أن الرسل كانوا رجالاً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

وقال الضحاك في قوله: ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام﴾ يقول: لم أجعلهم جسداً لا يأكلون الطعام.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي قد كانوا بشراً من البشر يأكلون ويشربون مثل الناس. وعن قتادة قوله ﴿وما كانوا خالدين﴾، أي: لا بد لهم من الموت. ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾ بإنجاء المؤمنين وإهلاك المكذبين ﴿فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾﴾.

عن ابن عباس في قوله: ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم﴾ يقول: شرفكم ﴿أفلا تعقلون﴾؟ ﴿وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة﴾ قال مجاهد: أهلكناها ﴿وأنشأنا بعدها قوماً آخرين﴾.

﴿لا تركضوا﴾ لا تفروا ﴿وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾ قال قتادة يقول: ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها ﴿لعلكم تسألون﴾ من دنياكم شيئاً، استهزاء بهم ﴿قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾ فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيداً

(١) انظر «جامع البيان» (٥/١٧).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٧٤).

خامدين ﴿﴾ قال قتادة: فلما رأوا العذاب وعاینوه لم يكن لهم مجير إلا قولهم: يا ويلنا إنا كنا ظالمين، حتى دمر الله عليهم وأهلكهم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْنٍ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَكُمْ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعين﴾ يقول: ما خلقناهما عبثاً ولا باطلاً. وعن مجاهد في قوله: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ قال: زوجة ﴿لاتخذناه من لدنا﴾ من عندنا، وما خلقنا جنة ولا ناراً ولا موتاً ولا بعثاً. وعن قتادة قوله: ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا﴾ الآية، أي: أن ذلك لا يكون ولا ينبغي. وقوله: ﴿إن كنا فاعلين﴾ يقول: ما كنا فاعلين، وقيل: إن كنا ممن يفعل ذلك لاتخذناه من لدنا، ولكننا لم نفعله لأنه لا يليق بالربوبية.

﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾، أي: فبطل كذبهم بما نبين من الحق؛ ثم أوعدهم فقال: ﴿ولكم الويل مما تصفون﴾ الله بما لا يليق به من الصاحبة والولد والشريك.

﴿وله من في السموات والأرض﴾ خلقاً وملكاً وعبداً ﴿ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ قال قتادة: لا يعيون. وقال ابن زيد: لا يملون ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾ قال قتادة: يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون فيها؛ وذكر لنا «أن نبي الله ﷺ بينما هو جالس مع أصحابه إذ قال: تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء يا



نبي الله. قال: إني لأسمع أطيح السماء، وما تلام أن تنطق، وليس فيها موضع راحة إلا وفيه ملكٌ ساجد أو قائم»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَ اللَّهِ لَفَسَدَتَا فَسَبَّحَنَّا اللَّهَ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾

قال ابن زيد في قوله: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا إِلَهًا مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ﴾ يقول: أفي آلهتهم أحد يُحيي؟ ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾، كما قال تعالى: ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم على بعض سبحانه﴾ الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون»<sup>(٢)</sup>.

وقال الضحاك في قوله: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ لا يُسأل الخالق عما يقضي في خلقه، والخلق مسؤولون عن أعمالهم.

وقال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾ استفهام إنكار وتوبيخ.

﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مَنْ قَبْلِي﴾ قال ابن جريج:

(١) روي مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه الطحاوي في المشكل، وابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ح/٢٥٠)، والطبراني في الكبير (٣/٢٢٤ - ٢٢٥) من حديث حكيم بن حزام، وهو حديث صحيح، وله شاهد من حديث أنس عند أبي نعيم في «الحلية» (٦/٢٦٩)، وفيه ضعف، وشاهد آخر من حديث جابر عند الطبراني (٢/٢٠٠)، وفيه ضعف أيضاً، وشاهد من حديث العلاء بن سعد عند ابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (ح/٢٥٥)، وشاهد من حديث أبي ذر - رضي الله عنه - وسبق تخريجه.

(٢) سورة المؤمنون: الآية ٩١.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٠٣).

حديث مَنْ معي وحديث مَنْ قبلي. وعن قتادة قوله: ﴿هذا ذكر من معي﴾ يقول: هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ﴿وذكر من قبلي﴾ يقول: ذكر أعمال الأمم السالفة، وما صنع الله بهم وإلى ما صاروا، ﴿بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون﴾ عن كتاب الله ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحى إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾ به أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

قوله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله.

وقوله تعالى: ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى﴾ قال مجاهد: لمن رضي الله عنه. وقال ابن عباس: الذي ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلاّ الله.

وقوله تعالى: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾، أي: خائفون أن يعصوه ويخالفوا أمره فيعذبهم، ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾.

(١) المصدر السابق (٣/٢٠٤).

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره: ﴿ومن يقل ﴿إني إله من دونه فذلك﴾ الذي يقول ذلك منهم ﴿نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾.﴾

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: الواضعين الإلهية والعبادة في غير موضعهما. وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: ﴿ومن يقل منهم إني إله من دونه﴾، أي: من ادعى منهم أنه إله من دون الله أي مع الله ﴿فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾، أي: كل من قال ذلك، وهذا شرط، والشرط لا يلزم وقوعه، كقوله: ﴿إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين﴾<sup>(٤)</sup>، وقوله: ﴿لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين﴾<sup>(٥)</sup>.



(١) انظر «جامع البيان» (١٧/١٧).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٠٤).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/١٧٦).

(٤) سورة الزخرف: الآية ٨١.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٥.

## الدرس الواحد والسبعون بعد المائة

﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا  
وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ  
بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا  
مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ  
وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلشَّرِّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ  
الْمُخَلَّدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا  
تُرجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا  
الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَهُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ  
الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَنْ  
وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً  
فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِنْ  
قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ  
يَكْلُوكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ  
مُعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ  
أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ

عَلَيْهِمُ الْعُمْرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ  
الْغَالِبُونَ ﴿١١﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا  
يُنذَرُونَ ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُنَوَّلُنَا إِنَّا كُنَّا  
ظَالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ  
كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿١٤﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً﴾ يقول: ملتصقتين ﴿ففتقناهما﴾ فرفع السماء ووضع الأرض. وقال مجاهد: ففتقهن سبع سموات بعضهن فوق بعض، وسبع أرضين بعضهن تحت بعض. وقال عطية: كانت السماء رتقاً لا تمطر، والأرض رتقاً لا تنبت، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات، وجعل من الماء كل شيء حيٍّ ﴿أفلا يؤمنون﴾ قال قتادة: كل شيء حي خلق من الماء.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿أفلا يؤمنون﴾ يقول: أفلا يصدقون بذلك ويقرون بالوהة من فعل ذلك، ويفردونه بالعبادة؟

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا في الأرض رواسي﴾، أي: جبلاً ﴿أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجاً سبلاً﴾ بين الجبال ﴿لعلهم يهتدون﴾.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى ذكره: جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهتدوا إلى السير فيها.

وقوله تعالى: ﴿وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً﴾ قال قتادة: سقفاً مرفوعاً

(١) انظر «جامع البيان» (٢٠/١٧).

(٢) المصدر السابق.

وموجاً مكفوفاً ﴿وهم عن آياتها معرضون﴾. قال مجاهد: الشمس والقمر والنجوم آيات السماء ﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾ قال مجاهد: فلك كهيئة حديدة الرحى ﴿يسبحون﴾ يَجْرُونَ.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿٣٥﴾.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وما خلدنا أحداً من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك ﴿أفإن مِتَّ فهم الخالدون﴾؟ يقول: فهؤلاء المشركون بربهم هم الخالدون في الدنيا بعدك؟ لا ما ذلك، قيل: نزلت هذه الآية حين قالوا: نتربص بمحمد ريب المنون، وفي هذه الآية دلالة ظاهرة على أن الخضر عليه السلام ميت، لأن الله لم يجعل الخلد في الدنيا لأحد من بني آدم.

﴿كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون﴾ قال ابن عباس يقول: نبتليكم بالشدة والرخاء والسقم والغنى والفقر، والحلال والحرام والطاعة والمعصية والهدى والضلال. وقال ابن زيد: نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون، نختبرهم بذلك، لننظر كيف شكرهم فيما يحبون، وكيف صبرهم فيما يكرهون.

قوله عز وجل: ﴿وَلِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ أَنْ يَتَّخِذُوا مِنْكُمْ هُزُوًا أَمْ هَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ سَآوِرِكُمْ ءَايَتُنِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ ﴿٣٧﴾

(١) انظر «جامع البيان» (٢٤/١٧).

وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْثُفُونَ عَنْ وُجُوهِهمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَى بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا﴾ يا محمد هؤلاء المشركون ﴿إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ سخرياً يقول بعضهم لبعض ﴿أهذا الذي يذكر آلهتكم﴾ يعيها؟ ﴿وهم بذكر الرحمن هم كافرون﴾، كما قال تعالى: ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿خلق الإنسان من عجل﴾ قال سعيد بن جبير: لما دخلت الروح في رأس آدم وعينه نظر إلى ثمار الجنة، فلما دخلت في جوفه انتهى الطعام، فوثب قائماً قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عَجَلاً إلى ثمار الجنة فوقه. ﴿سأريكم آياتي فلا تستعجلون﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: هذا خطاب للمشركين، كانوا يستعجلون بالعذاب.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾ قال الله تعالى: ﴿لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون﴾ لا يدفعون ﴿عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من العذاب، أي: لو علموا لما أقاموا عن كفهم ولما استعجلوا ﴿بل تأتاهم﴾، أي: النار ﴿بغته فتبتهتهم فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ يمهلون ﴿ولقد استهزى برسُل من قبلك﴾ فاصبر كما صبروا ﴿فحاق بالذين سَخِرُوا مِنْهُمْ ما كانوا به يستهزؤون﴾، أي: نزل بهم العذاب الذي كانوا يستبعدون وقوعه.

(١) سورة الرعد: الآية ٣٠.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٢/٢٠٦).



قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَنَعَنَا هَؤُلَاءَ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يُنَوَّلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾ .

قال ابن عباس في قوله: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾ قال: يحرسكم ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون ﴿يَجَارُونَ﴾، أي: الآلهة لا يستطيعون نصر أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم.

﴿بَلْ مَنَعَنَا هَؤُلَاءَ﴾ في الدنيا ﴿وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاعتروا ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ قال ابن عباس: تخرب القرية حتى يكون العمران في ناحية ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ أم نحن؟

وعن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾، أي: بهذا القرآن ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ﴾ يقول: إن الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ولا يشفع به ولا يعقله ﴿وَلَكِنْ مَسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ﴾ يقول: عقوبة ﴿لَيَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ ندموا حين لا ينفعهم الندم.

قوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ ﴿٤٧﴾ .

عن عائشة رضي الله عنها «أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأضربهم وأشتهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: يحسب ما خانوك وما عصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصر لهم منك الفضل الذي بقي قبلك، فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: ما له لا يقرأ كتاب الله ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ولا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين﴾؟ فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء، يعني عبيده، إني أشهدك أنهم أحرار كلهم»<sup>(١)</sup>. رواه أحمد.



(١) أخرجه أحمد (٢٨٠/٦)، والترمذي (ح/٣١٦٥) وهو حديث صحيح.

## الدرس الثاني والسبعون بعد المائة

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ حَكَفْتُمْ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا مِلًّا هَٰذَا عَنَّا وَإِبْرَاهِيمَ لَهَا غَيْبٌ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مِنْ فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ آعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَتَسْلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ ثَكَبُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَبِلَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ

الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٦﴾ وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾  
 وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً  
 يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ  
 الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدَ ﴿٧٨﴾ وَلُوطًا إِذْ أَنَا فِي سَفَرٍ ۖ وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ  
 الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَحْشَىٰ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٩﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ  
 فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٠﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ  
 فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨١﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا  
 بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾ التوراة حلالها وحرامها، فرق الله بين الحق والباطل. وقال ابن زيد: الفرقان الحق، آتاه الله موسى وهارون فرق بينهما وبين فرعون، وقضى بينهم بالحق، وقرأ: ﴿وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان﴾ قال: يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿وضياء وذكراً للمتقين﴾، أي: تذكيراً لهم وعظة؛ ثم وصفهم فقال: ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾، أي: يخافونه ولم يروه ﴿وهم من الساعة مشفقون﴾، أي: خائفون وجلون، ﴿وهذا﴾، يعني: القرآن ﴿ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون﴾ وهو في غاية الجلاء والظهور؟ قال البغوي<sup>(١)</sup>: وهذا استفهام توبيخ وتعيير.

قوله عز وجل: ﴿﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ .

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٠٨).

عن مجاهد قوله: ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾ قال: هديناه صغيراً.  
وقوله تعالى: ﴿وكنا به عالمين﴾، أي: أنه أهل للهداية والنبوة ﴿إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل﴾، يعني: الأصنام ﴿التي أنتم لها عاكفون﴾، أي: على عبادتها مقيمون؟ ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ فاعتدنا بهم ﴿قال﴾ إبراهيم ﴿لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين﴾ بعبادتكم إياها ﴿قالوا أجبنا بالحق أم أنت من اللاعبين﴾ يعنون: أجاد أنت فيما تقول أم لاعب؟ ﴿قال بل ريكم السموات والأرض الذي فطرهن﴾ خلقهن ﴿وأنا على ذلكم من الشاهدين﴾ أنه لا إله إلا الله الذي لا يستحق العبادة غيره.

﴿وتالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ قال مجاهد: إنما قال إبراهيم هذا سرّاً من قومه، ولم يسمع ذلك إلا رجل واحد فأفشاه عليه.

قوله عز وجل: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ جُذُوعًا لَّآ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٨ ﴿قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُمْ لَمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٩ ﴿قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٠ ﴿قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ ٦١ ﴿قَالُوا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ ٦٢ ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُمُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَتَشَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ٦٣ ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ٦٤ ﴿ثُمَّ نَكَّسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ ٦٥ ﴿قَالَ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ ٦٦ ﴿أَفِ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ٦٧.

قال السدي: إن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيداً، لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد فخرجوا إليه، خرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه ﴿وقال إني سقيم﴾ يقول: أشتكي رجلي، فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضعفاء الناس ﴿تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن

تولوا مدبرين ﴿ فسمعوها منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم، إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً فوضعه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا وقد برّكت الآلهة في طعامنا فأكلنا، فلما نظر إليهم إبراهيم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال: ﴿ألا تأكلون؟﴾ فلما لم تجبه قال: ﴿ما لكم لا تنطقون؟﴾ ﴿فراغ عليهم ضرباً باليمين﴾ فأخذ فأس حديد فنقر كل صنم في حافتيه ثم علّق الفأس في عنق الصنم الأكبر ثم خرج، فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم ﴿قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين﴾ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ﴿وعن قتادة: ﴿لعلهم إليه يرجعون﴾ قال: كادهم بذلك لعلهم يتذكرون أو يبصرون.

وعن ابن إسحاق قوله: ﴿سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم﴾ سمعناه يسبّها ويعيبها ويستهزئ بها، لم نسمع أحداً يقول ذلك غيره، وهو الذي نظن أنه صنع هذا بها ﴿قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾ قال ابن إسحاق: بلغ ما فعل إبراهيم بآلهة قومه نمروود وأشراف قومه، فقالوا: ﴿فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾، أي: ما يُصنع به، ولما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمروود ﴿قالوا أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر فكسرهنّ. وعن قتادة قوله: ﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ وهي هذه الخطة التي كادهم بها.

قال ابن إسحاق: ﴿فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون﴾ قال: ارجعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرهنّ إلى أنفسهم فيما بينهم، فقالوا: لقد ظلمناه وما نراه إلّا كما قال، ثم قالوا: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾، أي: لا تتكلّم فتخبرنا من صنع هذا بها وما تبطش بالأيدي فنصدقك، يقول الله: ﴿ثم نكسوا على رؤوسهم﴾ في الحجّة عليهم لإبراهيم حين جادلهم، فقال عند ذلك

إبراهيم — حين ظهرت الحجة عليهم بقولهم: ﴿لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ — ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون؟﴾.

قوله عز وجل: ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا إِلَهَتَكُمْ إِنَّ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ ﴿٦٨﴾  
﴿قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ  
الْآخِزِينَ ﴿٧٠﴾.

قال ابن إسحاق: أجمع نمروذ وقومه في إبراهيم ﴿فقالوا حرقوه وانصروا إلهتكم إن كنتم فاعلين﴾، أي: لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن كنتم ناصريها. وعن السدي قال قالوا: ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم، فحبسوه في بيت وجمعوا له حطباً، حتى إن كان الطير لتمرّ بها فتحترق من شدة وهجها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم ﷺ رأسه إلى السماء وقال: اللهم أنت الواحد في السماء، وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري<sup>(١)</sup>، حسبي الله ونعم الوكيل. فقذفوه في النار فقال: ﴿يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. قال أبو العالية: السلام لا يؤذيه بردها، ولولا أنه قال ﴿وسلاماً﴾ لكان البرد أشدّ عليه من الحر. وقال كعب الأحمار: ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه. وعن أبي هريرة قال: إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار، وجده ترشح جبينه فقال عند ذلك: نعم الرب ربك يا إبراهيم.

قال ابن يسار: فقال نمروذ لإبراهيم: إني مقرب إلى إلهك قرباناً، لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك، حيث أبيت إلا عبادته وتوحيده، إني مقرب له أربعة آلاف بقرة. فقال له إبراهيم: إذا لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى

(١) روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولفظه: «لما ألقى إبراهيم في النار قال: اللهم إنك في السماء واحد وأنا في الأرض واحد أعبدك». وسنده ضعيف.



تفارقه إلى ديني، فقال: لا أستطيع ترك ملّتي وملكي، ولكن سوف أذبحها، فذبحها له نمرود ثم كفّ عن إبراهيم ومنعه الله منه.

قوله عز وجل: ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ ۖ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

عن قتادة ﴿ونجيناه و لوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾ كانا بأرض العراق فأنجيا إلى أرض الشام، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة وما نقص من الأرض زيد في الشام وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال.

وعن عطاء في قوله: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة﴾ قال عطية: ﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: الجميع أهل خير وصلاح. وقال ابن عباس: ﴿ووهبنا له إسحاق﴾ ولداً ﴿ويعقوب﴾ ابن ابن ﴿نافلة﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يعني أن يعقوب ولد إسحاق، كما قال: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾.

وعن قتادة قوله: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا﴾ جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله ﴿وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ١٨٥).

(٢) المصدر السابق (٣/ ١٨٥).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي فاعلين لما يأمرهم الناس به .

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْفَبْثِثَ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾﴾ .

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿ولوطاً آتيناه حكماً﴾، يعني: الفصل بين الخصوم بالحق ﴿وعلماً ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الفبثث﴾، يعني: سدوماً وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ﴿إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا إنه من الصالحين﴾ .

قوله عز وجل: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾﴾ .

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿ونوحاً إذا نادى﴾ دعا ﴿من قبل﴾، يعني: من قبل إبراهيم ولوط ﴿فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾ قال ابن عباس: من الغرق وتكذيب قومه؛ وقيل: لأنه كان أطول الأنبياء عمراً وأشدّهم بلاء، والكرب أشد الغم ﴿ونصرناه﴾ منعناه ﴿من القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أن يصلوا إليه بسوء . وقال أبو عبيدة: يعني على القوم ﴿إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين﴾ .



(١) المصدر السابق (٣/ ١٨٥) .

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٢١٣) .

(٣) المصدر السابق (٣/ ٢١٣) .

## الدرس الثالث والسبعون بعد المائة

﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ  
وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا  
وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ  
لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِّنْ بَاسِكُمْ ؕ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ  
عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾  
وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ  
حَافِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ  
الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُم  
مَّعَهُ رَحْمَةً مِنَّا وَعِزًّا وَذَكَرْنَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ  
كُلًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَادْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾  
وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا  
إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ  
وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُخَيِّجُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ  
رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ  
يَعْقُوبَ وَأَصْلَحْنَاهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونَآ رَعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَالَّتِي أَخْصَنَتْ فَرْجَهَا

فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهِنَا رَجُوعٌ ﴿١٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ﴿١٤﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِنُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

عن مجاهد في قول الله ﴿إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ قال: أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث، وحكم سليمان بجزء الغنم وألبانها لأهل الحرث، وعليهم رعايتها على أهل الحرث، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون لهم الحرث، كهية يوم أكل ثم يدفعونه إلى أهله ويأخذون غنمهم. وقال شريح: كان النفس ليلاً<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن: كان الحكم بما قضى به سليمان، ولم يعتق الله داود في حكمه. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ قال وهب: كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير. ﴿وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾، أي: ما ذكرهن: التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير.

وقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾، أي: الدروع قال قتادة: كانت قبل داود صفائح، وكان أول من صنع الحلق وسرد داود.

(١) والنفس: هو الرعي بالليل.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٧٣٥٢)، ومسلم (ح/١٧١٦) من حديث عمرو بن العاص رضي الله

قوله عز وجل: ﴿وَلَسَلِّمَنَّ الْرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾﴾.

قال قتادة: ورث الله سليمان داود، فورثه نبوته وملكه، وزاده على ذلك أن سخر له الريح والشياطين. وقال ابن زيد في قوله: ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره﴾ قال: عاصفة شديدة ﴿تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها﴾ قال: الشام. قال البغوي<sup>(١)</sup>: وذلك أنها كانت تجري بسليمان وأصحابه حيث شاء سليمان، ثم يعود إلى منزله بالشام.

قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَبِيدِ ﴿٨٤﴾﴾.

قال يزيد بن ميسرة: لما ابتلى الله أيوب عليه السلام بذهاب الأهل والمال والولد، قال: أحمذك رب الأرباب الذي أحسنت إليّ أعطيتني المال والولد، فلم يبق من قلبي شعبة إلا قد دخله ذلك، فأخذت ذلك كله مني وفرغت قلبي، فليس يحول بيني وبينك شيء، لو يعلم عدوي إبليس بالذي صنعت حسدني.

وقال الحسن: قال إبليس: يا رب سلطني على جسده، فإن أصابه الضر فيه أطاعني وعصاك، قال: تسلط على جسده، فأتاه فنفخ فيه نفخة فرح من لدن قرنه إلى قدمه، قال: فأصابه البلاء بعد البلاء حتى حُمِلَ فُوضِعَ على مزبلة كناسة لبني إسرائيل، فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يُقرُّبه غير زوجته، صبرت معه بصدق وكانت تأتيه بطعام، وتحمد الله معه إذا حمد، وأيوب على ذلك لا يفتر عن ذكر الله والتحميد والثناء على الله، والصبر على ما ابتلاه الله؛ قال: ومر به

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢١٥).

رجلان، ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب، فقال أحد الرجلين لصاحبه: لو كان لله في هذا حاجة ما بلغ به هذا، فلم يسمع أيوب شيئاً كان أشدّ عليه من هذه الكلمة.

وقال ابن عباس: لما مسّه الشيطان بُنْصِبَ وعذاب، أنساه الله الدعاء أن يدعوهُ فيكشف ما به من ضرّ، غير أنه كان يذكر الله كثيراً، ولا يزيده البلاء في الله إلاّ رغبة وحسن إيمان، فلما انتهى الأجل وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرّ، أذن له في الدعاء ويسّره له، وكان قبل ذلك يقول الله تبارك وتعالى: ﴿لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ثم لا أستجيب له﴾، فلما دعا استجيب له وأبْدَلَهُ بكل شيء ذهب له ضعفين، ردّ إليه أهله ومثلهم معهم، وأثنى عليه فقال: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾<sup>(١)</sup>.

وفي خبر وهب بن منبه<sup>(٢)</sup>: فركض برجله وانفجرت له عين، فدخل فيها فاغتسل، فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء، ثم خرج فجلس وأقبلت امرأته تلتسمه في مضجعه فلم تجده، فقامت كالوالهة متلذدة، ثم قالت: يا عبد الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذي كان ههنا؟ قال: لا، ثم تبسّم فعرفته بمضحكه فاعتنقته. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «لما عافى الله أيوب أمطر عليه جراداً من ذهب، فجعل يأخذ منه بيده ويجعله في ثوبه ف قيل له: يا أيوب أما تشبع؟ قال: يا رب ومن يشبع من رحمتك؟»<sup>(٣)</sup>.

وعن مجاهد في قوله ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قال قيل له: إن شئت

(١) أخرجه ابن جرير (٧٢/١٧) بسند ضعيف.

(٢) وذلك عند قوله تعالى: ﴿أركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ (سورة ص: الآية ٤٢).

(٣) أخرجه الحاكم (٥٨٢/٢) وصححه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي وزاد أيضاً على شرط مسلم وعزاه ابن كثير (١٨٩/٣) لابن أبي حاتم، والحديث أصله في الصحيحين كما ذكره ذلك ابن كثير رحمه الله.

أحييناهم لك وإن شئت كانوا لك في الآخرة وتعطى مثلهم في الدنيا، فاختار أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا. وعن محمد بن كعب القرظي في قوله: ﴿رحمة من عندنا وذكرى للعابدين﴾ قال: أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل: قد أصاب من هو خير منا، نبياً من الأنبياء.

قوله عز وجل: ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّادِقِينَ﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾.

عن مجاهد في قوله: ﴿وذا الكفل﴾ قال: رجل صالح غير نبي تكفل لنبي قومه أن يكفيه أمر قومه، ويقيمه لهم ويقضي بينهم بالعدل، ففعل ذلك فسمي ذا الكفل.

قوله عز وجل: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغْضِبًا فَظَنَّ أَن لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْعَمِّ وَكَذَلِكَ نُشَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾.

قال وهب بن منبه: إن يونس بن متى كان عبداً صالحاً، وكان في خلقه ضيق، فلما حملت عليه أثقال النبوة، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل، تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل، فقذفها بين يديه وخرج هارباً منها، يقول الله لنبيه ﷺ ﴿فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل﴾<sup>(١)</sup> ﴿فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت﴾<sup>(٢)</sup>.

وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بعثه الله — يعني يونس — إلى أهل

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

(٢) سورة القلم: الآية ٤٨.



قريته، فردّوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه: إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا، فأخرج من بين أظهرهم، فأعلم قومه الذي وعده الله من عذابه إياهم فقالوا: ارمقوه فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم، فلما كانت اللية التي وعدوا بالعذاب في صباحها أدلج، ورآه القوم فخرجوا من القرية إلى بَرّاز من أرضهم، وفرّقوا بين كل دابة وولدها، ثم عَجّوا إلى الله فاستقالوه فأقالهم، وانتظر يونس الخبر عن القرية وأهلها حتى مرّ به مارٌّ فقال: ما فعل أهل القرية؟ قال: فعلوا أن نبيّهم خرج من بين أظهرهم، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب، فخرجوا من قريتهم إلى بَرّاز من الأرض، ثم فرّقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعَجّوا إلى الله وتابوا إليه فقبل منهم وأخر عنهم العذاب، قال: فقال يونس عند ذلك — وغضب — والله لا أرجع إليهم كذاباً أبداً، وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضباً.

وفي رواية: فخرج يونس لينتظر العذاب فلم ير شيئاً، قال: جرّبوا عليّ كذباً، فذهب مغاضباً لربه حتى أتى البحر.

وعن ابن عباس: ﴿فَظَنُّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ يقول: ظن أن لن نقضي عليه عقوبة ولا بلاءً وعقوبته أخذ النون إياه. قال الحسن: وكان له سلف من عبادة وتسبيح، فتداركه الله بها فلم يدعه للشيطان. وعن قتادة ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ﴾ قال: ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل. وقال ابن عباس: ﴿نَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ معترفاً بذنبه من خطيئته. وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اسم الله الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى، دعوة يونس بن متى، قال فقلت: يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين؟ قال: هي ليونس بن متى خاصة وللمؤمنين عامة، إذا دَعَوْا بها، ألم تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

واستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير. وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾<sup>(٨٩)</sup> فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ؛ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْأَرَعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ<sup>(٩٠)</sup> وَالَّتِي أَحْصَيْنَا فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ<sup>(٩١)</sup>.

عن قتادة قوله: ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ كانت عاقراً فجعلها الله ولوداً. ﴿ووهبنا له﴾ منها ﴿يحيى﴾. وقال عطاء: كان في خُلُقها شيء فأصلحها الله. وعن ابن جريج أنهم ﴿كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً﴾ قال: رغباً في رحمة الله ﴿ورهباً﴾ من عذاب الله.

وقوله تعالى: ﴿وكانوا لنا خاشعين﴾، أي: متواضعين. قال قتادة: ذللاً لأمر الله. وقال مجاهد: الخشوع هو الخوف اللازم في القلب. وقوله تعالى: ﴿والتي أحصنت فرجها فننفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾ يعني مريم عليها السلام، حفظت فرجها من الحرام، وأمر الله جبريل فنفخ في جيب درعها

(١) أخرجه ابن جرير (٨٢/١٧) بسند ضعيف؛ لكن جاء الحديث بلفظ آخر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، مرفوعاً: «دعوة ذي النون إذ دعا بها وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت لظالمين، لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له»، أخرجه أحمد (١٧٠/١) مطولاً، والترمذي (ح/٣٥٠٥)، والنسائي في «اليوم والليلة» (ح/٦٥٧)، والحاكم (١/٥٠٥ و ٢/٣٨٢ و ٥٨٣) وصححه، وأقره الذهبي، قلت: وسنده حسن.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٦٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فدخلت في فرجها فحملت بعبسى، فكان من أم بلا أب ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ١٢﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ١٣ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُيُوتٌ ١٤﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿أمتكم أمة واحدة﴾ يقول: دينكم دين واحد. وقوله تعالى: ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>، أي: اختلفوا في الدين فصاروا فرقاً وأحزاباً ﴿كل إلينا راجعون﴾ فنجزهم بأعمالهم ﴿فمن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون﴾، أي: لعمله حافظون.

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٢٥).



قوله عز وجل: ﴿وَحَرَّمْ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٩٥﴾  
 حَقَّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾  
 وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُواِ يَتَوَلَّوْنَ قَدَّ  
 كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلَّ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾ .

عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾ قال: لا يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

وعن ابن جريج قوله: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾ قال: أمتان من وراء ردم ذي القرنين. وقال عمرو البكالي: إن الله جزأ الأنفس عشرة أجزاء: فتسعة منهم يأجوج ومأجوج، وسائر الإنس جزء. وقال ابن زيد في قوله: ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون﴾ قال: هذا مبتدأ يوم القيامة ﴿واقترب الوعد الحق﴾ قال: اقترب يوم القيامة منهم ﴿فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا﴾ فلا تكاد تطرف من شدة ذلك اليوم يقولون ﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين﴾.

وعن النواس بن سمعان الكلابي قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات يوم فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في ناحية النخل فقال: «غير الدجال أخوفني عليكم، فإن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فكل امرئ حجيجه نفسه، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه شاب جعد قطط، عينه طافية، وإنه يخرج خلّة بين الشام والعراق فعات يميناً وشمالاً، يا عباد اثبتوا»، قلنا: يا رسول الله ما لُبُّهُ في الأرض؟ قال: «أربعون يوماً يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»، قلنا: يا رسول الله فذاك اليوم الذي هو كسنة، أيكفينا فيه صلاة يوم وليلة؟ قال: «لا، اقدروا له قدره»، قلنا: يا رسول الله فما إسرعه في الأرض؟ قال: «كالغيث اشتدت به الريح، قال: فيمرّ بالحيّ فيدعوهم

فيستجيون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث، وتروح عليهم سارحتهم وهي أطول ما كانت ذرى وأمدّه خواصر وأسبغه ضروعا، ويمرّ بالحيّ فيدعوهم فيردّون عليه قوله، فتتبعه أموالهم فيصبحون ممحلين ليس لهم من أموالهم شيء، ويمرّ بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيغاسيب النحل قال: ويأمر برجل فيقتل فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض ثم يدعوه فيقبل إليه، فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين، واضعاً يديه على أجنحة ملكين، فيتبعه فيدركه فيقتله عند باب لدّ الشرقي، قال: فبينما هم كذلك إذ أوحى الله عز وجل إلى عيسى ابن مريم عليه السلام: إني قد أخرجت عبداً من عبادي لا يدان لأحد بقتالهم، فحرّز عبادي إلى الطور، فيبعث الله عز وجل يأجوج ومأجوج، كما قال تعالى: ﴿وهم من كل حذب ينسلون﴾.

فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل، فيرسل الله عليهم نغفاً في رقابهم فيصبحون موتى كموت نفس واحدة، فيهبط عيسى وأصحابه فلا يجدون في الأرض بيتاً إلاّ قد ملأه زهمهم وننتهم، فيرغب عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل، فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، قال: ويرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر أربعين يوماً، فيغسل به الأرض حتى يتركها كالزلفة، ويقال للأرض: أنبتي ثمرك ورُدّي بركتك. قال: فيومئذ يأكل النفر من الرمانة فيستظلّون بقحفها، ويبارك في الرسل حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر تكفي الفخذ، والشاة من الغنم تكفي أهل البيت، قال: فبينما هم على ذلك إذ بعث الله عز وجل ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مسلم — أو قال: مؤمن — ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحُرّ وعليهم تقوم الساعة<sup>(١)</sup> رواه مسلم وغيره.

(١) أخرجه مسلم (ج/٢١٣٧).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»<sup>(١)</sup>. رواه البخاري وغيره.

وقال كعب الأحبار: فبينما الناس كذلك — يعني بعد هلك يأجوج ومأجوج، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريده، قال: فيبعث عيسى ابن مريم طليعة سبعمائة، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحاً يمانية طيبة، فيقبض فيها روح كل مؤمن، ثم يبقى عجاج الناس فيتسافدون كما تتسافد البهائم، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه متى تضع.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ ﴿١٨﴾ لَوْ كَانَهُوَآلَاءَ إِلَهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٢١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٢٤﴾﴾.

عن ابن عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: وقودها. وقال الضحاك: يُرمى بهم فيها. وقال ابن زيد في قوله: ﴿لَوْ كَانَهُوَآلَاءَ إِلَهَةٍ مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال: العابد والمعبود. وقال الحسن البصري: ثم استثنى فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ فقد عُبِدَت الملائكة من دون الله، وعزير وعيسى من دون الله. وقال ابن إسحاق: جلس رسول الله ﷺ فيما بلغني يوماً مع الوليد بن المغيرة، فجاء النضر بن الحارث

(١) أخرجه البخاري (ح/١٥٩٣).

حتى جلس معهم، وفي المجلس غير واحد من رجال قريش، فتكلم رسول الله ﷺ فعرض له النضر بن الحارث، وكلمه رسول الله ﷺ حتى ألجمه ثم تلا عليه وعليهم ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون﴾ إلى قوله: ﴿وهم فيها لا يسمعون﴾، ثم قام رسول الله ﷺ وأقبل عبد الله بن الزبير حتى جلس، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبير: والله ما قام النضر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفاً وما قعد، وقد زعم، أنا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم، فقال عبد الله بن الزبير: أما والله لو وجدته لخصمته، فسلوا محمداً: أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده؟ فنحن نعبد الملائكة، واليهود تعبد عزيزاً، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم، فعجب الوليد بن المغيرة ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبير، ورأوا أنه قاتد خاصم واحتج، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ من قول ابن الزبير فقال رسول الله ﷺ: «نعم كل من أحب أن يُعبد من دون الله فهو مع من عبده، إنما يعبدون الشياطين، ومن أمرهم بعبادتهم؟» فأنزل الله عز وجل: ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون﴾ إلى ﴿خالدون﴾، أي: عيسى ابن مريم وعزير، ومن عبدوا من الأحبار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أرباباً من دون الله، فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة وأنها بنات الله: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يوم نظوي السماء كطي السجل للكتب﴾ قال ابن عباس يقول: كطي الصحف. وروى البخاري وغيره عن النبي ﷺ: «يقبض الله الأرض

(١) أخرجه ابن جرير (٩٦/١٧ — ٩٧)، وبنحوه عن ابن عباس: أخرجه الطبراني (١٥٣/١٢)



ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟<sup>(١)</sup> وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾<sup>(١٠٥)</sup> إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَصِيدِينَ<sup>(١٠٦)</sup> وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ<sup>(١٠٧)</sup>.

عن مجاهد في قوله: ﴿الزبور﴾ قال: الكتاب ﴿من بعد الذكر﴾ قال: أم الكتاب عند الله. وقال ابن زيد: الزبور الكتب التي أنزلت على الأنبياء، والذكر أم الكتاب الذي تكتب فيه الأشياء قبل ذلك ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ قال: الجنة، وقرأ قول الله جل ثناؤه ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نبيّوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ قال: تمت الرحمة لمن آمن به في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم قبل.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾<sup>(١٠٨)</sup> فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَاذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ﴾<sup>(١٠٩)</sup> إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾<sup>(١١٠)</sup> وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتْنَعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(١١١)</sup> قُلْ رَبِّ أَحْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾<sup>(١١٢)</sup>.

عن ابن جريج ﴿وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون﴾ قال: الأجل. وعن

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٨١٢ و ٦٥١٩)، ومسلم (ح/٢٧٨٧).

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٧.

ابن عباس: ﴿وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾ يقول: لعل ما أقرب لكم من العذاب والساعة أن يؤخر عنكم لمدتكم ﴿ومتاع إلى حين﴾ فيصير قلبي ذلك لكم فتنة. ﴿قال رب احكم بالحق﴾ قال: لا يحكم بالحق إلا الله، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا يسأل ربه على قومه.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون﴾، أي: على ما يقولون ويفترون من الكذب. وقال البغوي: فإن قيل: كيف قال: ﴿احكم بالحق﴾ والله لا يحكم إلا بالحق؟! قيل: الحق ههنا بمعنى العذاب، لأنه استعجل العذاب لقومه فعذبوا يوم بدر، نظيره قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٠٣).

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٩.

## الدرس الخامس والسبعون بعد المائة

### ﴿سورة الحج﴾

مكية، وقيل مدنية، وهي ثمان وسبعون آية

قال البغوي<sup>(١)</sup>: سورة الحج مكية، إلا ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾ الآيتين، أو إلا ﴿هذان خصمان﴾ الست آيات، فمدنيتان.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُمُوتُ وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٠).

الْأَرْضِ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
بَهِيحٍ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتُمْ يُحْيِ الْمَوْتَى وَأَنْتُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ  
السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ  
فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ  
فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ  
اللَّهَ لَيْسَ يَظْلَمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُؤًا رَبِّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾.

روى ابن جرير وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه شاخص ببصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال أبو هريرة: يا رسول الله وما الصور؟ قال: قرن. قال: فكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين؛ يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيمدها ويطولها ولا يفتر، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق﴾<sup>(١)</sup> فتسير الجبال فتكون سراباً، وترج الأرض رجاً، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة﴾<sup>(٢)</sup> فتكون الأرض كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الأمواج تكفاً بأهلها، وكالقنديل المعلق بالعرش ترجحه الأرواح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل ويشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً، وهي التي يقول الله تعالى: ﴿يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم

(١) سورة ص: الآية ١٥.

(٢) سورة النازعات: الآية ٥.

من الله من عاصم ﴿ فبينما هم على ذلك إذا انصدعت الأرض من قطر إلى قطر ورأوا أمراً عظيماً، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالमهل، ثم خسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها، ثم كُشِطت عنهم؛ قال رسول الله ﷺ: والأموات لا يعلمون بشيء من ذلك - قال أبو هريرة - : فمن استثنى الله حين يقول: ﴿ففرع من في السموات ومن في الأرض إلّا من شاء الله﴾<sup>(١)</sup>؟ قال: أولئك الشهداء، وإنما يصل الفرع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، ووقاهم الله شر ذلك اليوم وأمنهم، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه، وهو الذي يقول: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾<sup>(٢)</sup>. وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله يبعث يوم القيامة منادياً: يا آدم إن الله يأمرك أن تبعث بعثاً من ذريتك إلى النار، فيقول آدم: يا رب مَنْ هم؟ فيقال له من كل مائة تسعة وتسعون، فقال رجل من القوم: من هذا الناجي منا بعد هذا يا رسول الله؟ قال: هل تدرون؟ ما أنتم في الناس إلّا كالشامة في صدر البعير»<sup>(٣)</sup>. رواه أحمد.

وفي الصحيحين عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار، قال: يا رب وما بعث النار؟ قال: من كل ألف - أراه قال - تسعمائة وتسعة وتسعون، فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد ﴿وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ فشق ذلك على الناس حتى تغيّرت وجوههم، قال النبي ﷺ: «من يأجوج ومأجوج

(١) سورة النمل: الآية ٨٧.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧/١١٠) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (١/٣٨٨)، وفي سنده ضعف، لكن يغني عنه الحديث الذي بعده.

تسعمائة وتسعة وتسعون ومنكم واحد، أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: ثلث أهل الجنة، فكبرنا ثم قال: شطر أهل الجنة، فكبرنا<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ۖ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن قَوْلَاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝﴾.

قال مجاهد: ﴿قَوْلَاهُ﴾ اتبعه. وعن قتادة ﴿كتب عليه أنه من تولاه﴾ قال: كتب على الشيطان أنه من اتبع الشيطان من خلق الله.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرِّرَ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَّن يُّتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَّن يُّرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَىٰ الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُخَيِّ الْمَوْتِ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ ۝﴾.

عن قتادة في قول الله ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ قال: تامّة وغير تامّة. قال ابن جرير: المخلقة المصورة خلقاً تاماً، وغير المخلقة أسقط قبل تمام خلقه. وقال

(١) أخرجه البخاري (ح/٣٣٤٨ و ٤٧٤١)، ومسلم (ح/٢٢٢).

ابن زيد في قوله: ﴿وَنَقَرْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال: الأجل المسمى إقامته في الرحم حتى يخرج.

وعن ابن جريج في قوله: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدةً﴾ قال: لا نبات فيها ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ قال قتادة: حسنت وعرف الغيث في ربوها ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾ قال: حسن. وقال ابن جرير ﴿فِي كُلِّ زَوْجٍ﴾ من كل نوع. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٌ﴾، أي: حسن المنظر طيب الريح قال البغوي<sup>(٢)</sup>: فهذا دليل آخر على البعث. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾، أي: لتعلموا أن الله هو الحق ﴿وَأَنَّهُ يَحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ٨ ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ ٩ ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ١٠.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ ثاني عطفه متبخرًا لتكبره، وقال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: لما ذكر تعالى حال الضلال الجهال المقلدين في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مُّرِيدٍ﴾ ذكر في هذه حال الدعاة إلى الضلال من رؤوس الكفر والبدع فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾، أي: بلا عقل صحيح ولا نقل صريح، بل بمجرد الهوى ﴿ثَانِيَ عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٠٨/٣).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٢٣٢/٣).

(٣) المصدر السابق (٢٣٣/٣).

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٠٨٣).



الدنيا خزي ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد ﴿١﴾ وقال ابن زيد ﴿ثاني عطفه ليضلّ عن سبيل الله﴾ قال: لا وياً رأسه معرضاً مولياً لا يريد أن يسمع ما قيل له، وقرأ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لوآ رؤوسهم وأرأيتهم يصدّون وهم مستكبرون﴾<sup>(١)</sup> ﴿وإذا تتلى عليه آياتنا ولّى مستكبراً﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) سورة المنافقون: الآية ٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ٧.

## الدرس السادس والسبعون بعد المائة

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ١١ ﴾  
يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ١٢  
يَدْعُوا لَمَن ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ١٣ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا  
يُرِيدُ ١٤ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى  
السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ١٥ وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ آيَاتٍ  
يُبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ١٦ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ  
وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ  
اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي  
الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ  
وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا  
يَشَاءُ ١٨ هَٰذَا خِطْمَانِ اتَّخَصَّمُوا فِي رَيْبِهِمُ الْقَالِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ  
ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ  
وَالْجُلُودُ ٢٠ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِّن حَدِيدٍ ٢١ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ  
أُعِيدُوا فِيهَا وَذُقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلَّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ  
ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١١﴾ وَهُدًى إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدًى  
إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿١٢﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ۝ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا نَفْعَ لَهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ۝ يَدْعُوا لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْتَ الْمَوْلَىٰ وَلَيْتَ الْعَشِيرُ ۝﴾.

عن مجاهد قوله ﴿على حرف﴾ قال: على شك ﴿فإن أصابه خير﴾ رضاء وعافية استقر ﴿وإن أصابته فتنة﴾ عذاب ومصيبة ﴿انقلب﴾ ارتد ﴿على وجهه﴾ كافراً. وقال ابن زيد: هذا المنافق إن صلحت له دنياه أقام على العبادة، وإن فسدت عليه دنياه وتغيرت انقلب، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه، وإذا أصابته شدة أو فتنة أو اختبار أو ضيق ترك دينه ورجع إلى الكفر.

وقال قتادة: ﴿فإن أصابه خير﴾ يقول: كثر ماله وكثرت ماشيته ﴿اطمأن﴾ وقال: لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير ﴿وإن أصابته فتنة﴾ يقول: وإن ذهب ماله وذهبت ماشيته ﴿انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة﴾.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه﴾ يكفر بعد إيمانه ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾. ﴿يدعو لمن ضره﴾، أي: في الدنيا ﴿أقرب من نفعه لبس المولى ولبس العشير﴾ قال ابن زيد: العشير هو المعاشر الصاحب. وقال مجاهد: هو الوثن. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يعني بلس هذا الذي دعاه من دون الله مولى يعني ولياً وناصرأ ﴿ولبس العشير﴾ وهو المخالط والمعاشر.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢١٠).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (١٤) مَنْ كَانَتْ يَظُنُّ أَنَّ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾ .

قال قتادة: من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ﷺ ﴿فليمدد بسبب﴾ يقول: بحبل إلى سماء البيت ﴿ثم ليقطع﴾ يقول: ثم ليختنق ﴿فليظن هل يذهب كيده ما يغيظ﴾؟

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿وكذلك﴾، أي: مثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن ﴿أنزلناه﴾ يعني القرآن ﴿آيات بينات وإن الله يهدي من يريد﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (١٧) .

يخبر تعالى عن أهل هذه الأديان المختلفة من المؤمنين ومن سواهم، إنه يحكم بينهم بالعدل فيدخل الجنة من آمن به وأطاعه، ويدخل النار من كفر به وعصاه. قال قتادة: الصابئون قوم يعبدون الشمس والقمر والنيران ﴿والذين أشركوا﴾ يعبدون الأوثان؛ والأديان ستة: خمسة للشيطان، وواحد للرحمن.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٥).

وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٨﴾ .

هذه الآية كقوله تعالى ﴿أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفقهوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجداً لله وهم داخرون﴾<sup>(١)</sup>. وقال أبو العالية: ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجداً حين يغيب، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له. وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «أتدري أين تذهب هذه الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنها تذهب فتسجد تحت العرش، ثم تستأمر فيوشك أن يقال لها: ارجعي من حيث جئت»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وكثير من الناس﴾ قال مجاهد: المؤمنون ﴿وكثير حق عليه العذاب﴾ قال البغوي: وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود، وهم مع كفرهم يسجد ظالمهم لله عز وجل: ﴿ومن يهن الله فما له من مكرم﴾، أي: من يذله الله فلا يكرمه أحد ﴿إن الله يفعل ما يشاء﴾.

قوله عز وجل: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُمْ مَقْلِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُكَلِّفُ فِيهَا مِنْ آسَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَتُؤَلَّفُ أَلْبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدًى إِلَى أَطْيَبِ مِنْ أَلْفَوْلٍ وَهُدًى إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾ .

(١) سورة النحل: الآية ٤٨.

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٣١٩٩ و ٤٨٠٢ و ٤٨٠٣)، ومسلم (١/ ١٣٩).

**قال عطاء:** نزلت هؤلاء الآيات ﴿هذان خصمان اختصموا في ربهم﴾ في الذين تبارزوا يوم بدر: حمزة وعليّ وعبيدة<sup>(١)</sup> بن الحارث وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، إلى قوله ﴿وهذوا إلى صراط الحميد﴾<sup>(٢)</sup>.

**وقال مجاهد:** هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم ﴿فالذين كفروا قُطعت لهم ثياب من نار﴾ قال: الكافر قُطعت له ثياب من نار، والمؤمن يدخله الله جنات تجري من تحتها الأنهار. وروى ابن جرير وغيره عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن الجحيم يصبّ على رؤوسهم فينفذ الجمجمة حتى يخلص إلى جوفه، فيسلت ما في جوفه حتى يبلغ قدميه، وهو الصّهر، ثم يعاد كما كان»<sup>(٣)</sup>. وروى ابن جرير عن أبي ظبيان قال: النار سوداء مظلمة لا يضيء لهيبها ولا جمرها، ثم قرأ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقي من فيها إلى أعلى أبوابها، فيريدون الخروج فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع، ويقولون لهم إذا ضربوهم ﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾.

ولما ذكر تعالى حال أعدائه في النار، ذكر حال أوليائه في الجنة فقال: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا ولباسهم فيها حرير﴾. وفي الصحيح: «لا تلبسوا الحرير فإنه من لبسه في الدنيا لم يلبسه في الآخرة»<sup>(٤)</sup>. وورد في الحديث الآخر: «الذهب والحرير

(١) في (الأصل): «وعبيدة»، وهو خطأ.

(٢) وروي مثله عن أبي ذر — رضي الله عنه — أخرجه البخاري (ح/٣٩٦٦ و ٣٩٦٨ و ٣٩٦٩)، ومسلم (ح/٣٠٣٣).

(٣) أخرجه أحمد (٢/٣٧٤)، والترمذي (ح/٢٥٨٢) وصححه، وابن جرير (١٧/١٣٤)، والحاكم (٢/٣٨٧)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) أخرجه مسلم (٣/١٦٤٢) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

حرام على ذكور أمّتي حلّ لإناثهم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطِّيبِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ قال: هُدُوا إِلَى الكلام الطيب: لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله. قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾<sup>(٢)</sup> قال البغوي<sup>(٣)</sup>: إلى دين الله وهو الإسلام.



---

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٢٥١/٤)، والطبراني في الكبير (٢١١/٥)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٧٤/١) من حديث زيد بن أرقم، وسنده ضعيف، لكن قال العقيلي بعدما ساقه سنداً ومثنياً: «ويروي بغير هذا الإسناد بأسانيد صالحة». قلت: وله شاهد من حديث علي رضي الله عنه بنحوه أخرجه أحمد (٩٦/١ و ١١٥)، وأبو داود (ح/٤٠٥٧)، والنسائي (١٦٠/٨ — ١٦١)، وابن ماجه (ح/٣٥٩٥)، وشاهد من حديث واثلة بن الأسقع — رضي الله عنه — أخرجه الطبراني (٩٧/٢٢)، وبها يتقوى الحديث.

(٢) سورة فاطر: الآية ١٠.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٢٣٧/٣).



## الدرس السابع والسبعون بعد المائة

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفِ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِ يُظْلَمِ نُذْقُهُ مِنْ عَذَابِ الْبَاسِ ٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتِ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ٢٦ وَأَذِنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ٢٧ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ٢٨ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نُدْوَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٢٩ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَتُمْ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ٣٠ حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ٣١ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمَ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ٣٢ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ٣٣ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ كَرُّوا إِلَهُ وَحْدًا فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ٣٤ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ٣٥﴾

وَالْبَدَنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ  
فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ  
سَخَّرَهَا لَكُمْ لِشُكْرِكُمْ وَآلِلَكُمْ عَلَىٰ مَا هَدَيْنَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَافِمْ يُظَلِّمْ نَفْسَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ (٢٥).

عن ابن عباس قوله: ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ يقول: ينزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام. وعن مجاهد وعطاء ﴿سواء العاكف فيه والباد﴾ هما في حرمة سواء. وعن مجاهد: ﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم﴾ قال: يعمل فيه عملاً سيئاً ﴿نذقه من عذاب أليم﴾ قال الضحاك: إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر، ولم يعملها فتكتب عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ فِي شَيْءٍ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ (٢٦).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾، أي: وطأنا. قال ابن عباس: جعلنا، وقيل: بيتاً.

وعن مجاهد في قوله: ﴿وطهر بيتي﴾ قال: من الشرك. وعن عطاء في قوله: ﴿وطهر بيتي للطائفين والقائمين﴾ قال: القائمون في الصلاة. وقال ابن زيد: القائم الراكع والساجد هو المصلّي، والطائف هو الذي يطوف به. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: هذا فيه تقرير وتوبيخ لمن عبد غير الله وأشرك به، في البقعة التي أُنست من أول يوم على توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٢٣٩/٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢١٥/٣).

قوله عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا نَدْوَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾﴾.

قال ابن عباس: «لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له ﴿أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ قال: يا رب وما يبلغ صوتي؟ قال: أذن وعليّ البلاغ، فنادى إبراهيم: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجّوا. قال: فسمعه ما بين السماء والأرض، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يُلبّون»<sup>(١)</sup>؟ وفي رواية: «فأسمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحجّ إلى يوم القيامة: لبيك اللهم لبيك»<sup>(٢)</sup>.

﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ قال: على أرجلهم ﴿وعلى كل ضامر﴾ قال: الإبل ﴿يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ قال: بعيد ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قال: هي الأسواق. وقال مجاهد: التجارة، وما يرضي الله من أمر الدنيا والآخرة ﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات﴾ قال ابن عباس: يعني أيام التشريق ﴿على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾ قال الضحاك: يعني البُذْن ﴿فكلوا منها﴾ قال مجاهد: هي رخصة، إن شاء أكل وإن شاء لم يأكل ﴿وأطعموا البائس الفقير﴾ قال ابن عباس: يعني الزَّيْمَنَ الفقير.

﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ قال ابن عمر: التفث المناسك كلها. وقال ابن عباس:

(١) أخرجه ابن جرير (١٧/١٤٤)، والحاكم (٢/٣٨٨) ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٢٧٦/٥) قال الحاكم: «صحيح الإسناد» ووافقه الذهبي. قلت: وفيه قابوس بن أبي ظبيان. وفيه ضعف.

(٢) أخرجه ابن جرير (١٧/١٤٤) بسند ضعيف.

التفت حلق الرأس وأخذ من الشاربين، وبتف الإبط وحلق العانة، وقص الأظفار والأخذ من العارضين، ورمي الجمار والموقف بعرفة والمزدلفة ﴿وليفوا نذورهم﴾ قال: نحو ما نذروا من البُذْن. وقال مجاهد: نذر الحج والهدي، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ قال قتادة: عتق من الجبابة. وقال ابن زيد: العتيق القديم. وعن عطاء في قوله: ﴿وليطوفوا بالبيت العتيق﴾ قال: طواف يوم النحر.

قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ. وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الزُّورَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ. وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾.

قال مجاهد في قوله: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتِ اللَّهِ﴾ قال: الحرمه مكّة والحج والعمرة، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ قال قتادة: إلا الميته وما لم يذكر اسم الله عليه ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ قال ابن عباس: يقول تعالى ذكره: واجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان. وعن مجاهد قوله: ﴿قول الزور﴾ قال: الكذب. وعن ابن عباس قوله: ﴿واجتنبوا قول الزور﴾ حنفاء لله غير مشركين به، يعني: الافتراء على الله والتكذيب. وعن ابن مسعود قال: تعدل شهادة الزور بالشرك، وقرأ ﴿فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾<sup>(١)</sup>. وعن قتادة: ﴿فكأنما خرّ من

(١) أخرجه ابن جرير (١٥٤/١٧)، والطبراني (١١٤/٩) بسند حسن، وروي مرفوعاً من حديث خريم بن فاتك الأسدي: أخرجه أحمد (٣٢١/٤ و ٣٢٢)، وأبو داود (ح/٣٥٩٩)، =

﴿السماء﴾ قال: هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه ﴿فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ قال مجاهد: بعيد.

قوله عز وجل: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾.

قال محمد بن أبي موسى: الوقوف بعرفة من شعائر الله، والجمع من شعائر الله، ورمي الجمار من شعائر الله والبُدن من شعائر الله، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله.

في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله﴾ فمن يعظمها ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾. وعن ابن عباس في قوله: ﴿ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾ قال: استعظامها واستحسانها واستمساكها ﴿لکم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: ما لم يُسَمَّ بُدْنًا. وعن عطاء ﴿لکم فيها منافع إلى أجل مسمى﴾ قال: هو ركوب البدن وشرب لبنها إن احتاج ﴿ثم محلها إلى البيت العتيق﴾ إلى مكة. وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ رأى رجلاً يسوق بدنة قال: «اركبها، قال: إنها بدنة، قال: اركبها ويحك، في الثانية أو في الثالثة»<sup>(١)</sup>. وفي حديث آخر عند مسلم «قال: اركبها بالمعروف إذا لُجِئَتْ إليها»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَالْيَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْسِتِينَ﴾ ﴿٣٤﴾

= وابن ماجه (ح/٢٣٧٢)، والطبراني (٢٠٩/٤) بسند ضعيف، وأيضاً روي مرفوعاً من حديث أيمن بن خريم: أخرجه أحمد (١٧٨/٤)، والترمذي (ح/٢٢٩٩) وابن جرير (١٧/١٥٤)، بسند ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (ح/١٦٨٩ ١٧٠٦)، ومسلم (ح/٣٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (ح/١٣٢٤) من حديث جابر عبد الله رضي الله عنه.

الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ .

عن مجاهد ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً﴾ قال: إهراق الدماء ﴿ليذكروا اسم الله﴾ عليها ﴿فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المختبين﴾ المطمئنين إلى الله .

وقال ابن زيد في قوله: ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ قال: لا تقسوا قلوبهم ﴿والصابرين على ما أصابهم﴾ من شدة في أمر الله ونالهم من مكروه في جنبه ﴿والمقيمي الصلاة﴾ المفروضة ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال ﴿ينفقون﴾ في الواجب عليهم إنفاقها فيه، في زكاة ونفقة عيال، ومن وجبت عليه نفقته، وفي سبيل الله .

قوله عز وجل: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعْتِيرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فُكِّلُوا مِنْهَا وَاطَّعِمُوا الْقَنَاعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ .

قال عطاء: ﴿والبدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾ قال: البقرة والبعير . وقال مجاهد: إنما البدن من الإبل، ويشهد له قوله ﷺ: «من اغتسل يوم الجمعة ثم راح في الساعة الأولى، فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية، فكأنما قرب بقرة»<sup>(١)</sup> الحديث .

وعن مجاهد في قول الله ﴿لکم فیہا خیر﴾ قال: أجر ومنافع في البدن . وعن ابن عباس في قوله: ﴿فاذكروا اسم الله عليها صواف﴾ قال: الله أكبر الله أكبر، اللهم منك ولك قيامها على ثلاث أرجل، فقيل لابن عباس: ما نصنع بجلودها؟

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٨٨١)، ومسلم (ح/ ٨٥٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال: تصدّقوا بها واستمتعوا بها. وعن مجاهد ﴿فإذا وجبت جنوبها﴾ سقطت إلى الأرض ﴿فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر﴾ قال ابن عباس يقول: يأكل منها ويطيّع. وقال الحسن: القانع الذي يقنع إليك ويسألك، والمعتر الذي يتعرّض لك ولا يسألك. وقال زيد بن أسلم: القانع المسكين الذي يطوف، والمعتر الصديق والضعيف الذي يزور. وقال ابنه: القانع المسكين الذي يعترّ للقوم للحمهم وليس بمسكين، ولا تكون له ذبيحة، يجيء إلى القوم من أجل لحمهم، والبائس الفقير: هو القانع. وفي الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إني كنت نهيتكم عن ادّخار لحوم الأضاحي فوق ثلاث، فكلوا وادّخروا ما بدا لكم». وفي رواية: «فكلوا وأطعموا وتصدّقوا»<sup>(١)</sup>.

وعن إبراهيم في قول الله: ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ قال: ما أريد به وجه الله. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا تحروا البدن لطّخوا الكعبة بدماؤها قربة إلى الله فأنزل الله هذه الآية ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ما هداكم﴾ أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجّه ﴿وبشّر المحسنين﴾.



(١) أخرجه أحمد (٧٦/٥)، وأبو داود (ح/٢٨١٣) من حديث نبيشة رضي الله عنه، وهو حديث صحيح وينحوه من حديث عبد الله بن واقد رضي الله عنه أخرجه مسلم (ح/١٩٧١)، وينحوه — أيضاً — من حديث جابر رضي الله عنه أخرجه ومسلم (ح/١٩٧٢)، وينحوه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أخرجه مسلم (ح/١٩٧٣).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٤٤).



## الدرس الثامن والسبعون بعد المائة

﴿ إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ (٣٨) أَذِنَ  
لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ  
دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ  
لَّهُدِمَتِ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا  
وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي  
الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ  
وَتَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ  
لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا  
وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُا مَِعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾  
أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا  
تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ  
يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن  
مِّن قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ  
إِنَّمَا أَنَا لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا

أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ وَلَا نَجِي إِلَّا إِذَا تَمَتَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَمْرَهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٨﴾ وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُمْ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٩﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٠﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٦١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٦٢﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّزُقِينَ ﴿٦٣﴾ لِيَدْخُلَنَّهُمْ مَدْخَلًا يُرْضَوْنَهُ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٦﴾ ذَلِكَ يَأْتِي اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَآبَأَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَبَى اللَّهُ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (٣٨) ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتْلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الصَّوَامِعُ وَبِيعَ وَصَلَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكِّرُ فِيهَا أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيْسَ صُرَّتِ اللَّهُ مِنْ بَصَرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (٤٠) ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ (٤١).

قال ابن عباس: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾ قال أبو بكر رضي الله عنه: فعرفت أنه سيكون قتال. رواه ابن جرير وغيره؛ زاد أحمد: قال ابن عباس: وهي أول آية نزلت في القتال<sup>(١)</sup>.

وروى ابن جريج أيضاً عن ابن عباس قوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾، يعني: محمداً وأصحابه إذ أخرجوا من مكة إلى المدينة، يقول الله: ﴿فإن الله على نصرهم لقدير﴾ وقد فعل.

وعن ابن جريج قوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ دفع المشركين بالمسلمين. وقال ابن زيد: لولا القتال والجهاد لهدمت صوامع قال مجاهد:

(١) أخرجه أحمد (٢١٦/١)، والترمذي (ح/٣١٧١) وحسنه، وابن جرير (١٧٢/١٧)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٦٦/٢ و ٢٤٦ و ٣٩٠) و (٧/٣)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/٢٩٤)، وهو صحيح.

صوامع الرهبان ﴿وَبِيعَ﴾ قال: وكنائس. وقال الضحاك: الَبِيعُ يَبِيعُ النصارى. وعن قتادة ﴿وصلوات﴾ كنائس اليهود ﴿ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ قال: المساجد مساجد المسلمين ﴿يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، لهدم في شريعة كل نبي مكان صلاتهم، لهدم في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الَبِيع والصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد. ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾، يعني: ينصر دينه ونبيه ﴿إن الله لقوي عزيز﴾.

وعن أبي العالية في قوله: ﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر﴾ قال: كان أمرهم بالمعروف أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده لا شريك له، ونهيههم عن المنكر أنهم نهوا عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان. وقال زيد بن أسلم ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ وعند الله ثواب ما صنعوا. وقال عمر بن عبد العزيز: ألا أنبتكم بما لكم على الوالي، وبما للوالي عليكم؟ إن لكم على الوالي أن يأخذكم بحقوق الله عليكم، وأن يأخذ لبعضكم من بعض، وأن يهديكم للتي هي أقوم ما استطاع، وإن عليكم الطاعة غير المبزوزة ولا المستكثر بها ولا المخالف سرها علانيتها.

قوله عز وجل: ﴿وَلِإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿١٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٤﴾ فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فِيهَا خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَبْنَؤُا مُعْطَلَةٌ وَقَصْرٌ مَشِيدٌ ﴿١٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٤٤).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿فكيف كان نكير﴾، يعني: إنكاري، أي: كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك، يخوف به من يخالف النبي ﷺ ويكذبه.

وقوله تعالى: ﴿فكأين من قرية أهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها﴾ قال الضحاك: خاؤها خرابها و﴿عروشها﴾ سقوفها ﴿وبئر معطلة﴾ قال: لا أهل لها. وقال قتادة: عطّلها أهلها، تركوها. وعن عكرمة في قوله: ﴿وقصر مشيد﴾ قال: مجصّص. وقال قتادة: كان أهله سدّوه وحصّنوه فهلكوا وتركوه.

وقوله تعالى: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾ فيعتبرون ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ قال قتادة: البصر الظاهر بُلَغَةُ ومُتَعَّةٌ، وبصر القلب هو البصر النافع، وما أحسن ما قاله بعض الشعراء:

|                                     |                                      |
|-------------------------------------|--------------------------------------|
| يا من يُصَيِّخُ إلى داعي الشقاء وقد | نادى به الناعيان: الشَيْبُ والكِبَرُ |
| إن كنت لا تسمع الذكرى فقيم ترى      | في رأسك الواعيان: السمع والبصرُ      |
| ليس الأصم ولا الأعمى سوى رجل        | لم يَهْدِهِ الهاديان: العين والأثرُ  |
| لا الدهر يبقى ولا الدنيا ولا الفلكُ | الأعلى ولا النِّيران: الشمس والقمرُ  |
| ليرحلن عن الدنيا وإن كَرِهَا        | فراقها الشاويان: البدو والحضرُ       |

قوله عز وجل: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيْنَ مِنْ قَرِيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾﴾.

قال ابن عباس: مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة. وعن أبي هريرة أن

(١) المصدر السابق (٣/٢٤٥).

رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم خمسمائة عام»<sup>(١)</sup>. رواه ابن أبي حاتم وغيره.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾.

قال ابن جريج قوله: ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ قال: الجنة. وعن ابن عباس ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾ قال: مشاقين. وقال مجاهد: يثبّطون الناس عن متابعة النبي ﷺ. وقال قتادة: كذبوا بآيات الله فظنوا أنهم يعجزون الله، ولن يعجزوه ﴿أولئك أصحاب الجحيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ءَايَتِهِ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾.

عن محمد بن كعب القرظي ومحمد بن قيس قالا: جلس رسول الله ﷺ في ناد من أندية قريش كثير أهله، تمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء فينفروا عنه،

(١) أخرجه أحمد (٥١٣/٢ و ٥١٩)، والترمذي (ح/٢٣٥٣ و ٢٣٥٤)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرى» (٤١٢/٦)، وابن ماجه (ح/٤١٢٢)، وابن جرير (١٨٣/١٧)، وابن أبي حاتم — كما عزاه له ابن كثير في تفسيره — (٢٢٨/٣)، وهو حديث صحيح وفي الباب عن أبي سعيد، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو رضي الله عنهم.

فأنزل الله عليه ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ ألقى عليها الشيطان كلمتين: تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهن لترتجى؛ فتكلم بها ثم مضى فقرأ السورة كلها، فسجد في آخر السورة وسجد القوم جميعاً معه، ورفع الوليد بن المغيرة تراباً إلى جبهته فسجد عليه، وكان شيخاً كبيراً لا يقدر على السجود، فرضوا بما تكلم به وقالوا: قد عرفنا أن الله يحيي ويميت، وهو الذي يخلق ويرزق، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده، إذ جعلت لها نصيباً فنحن معك، قالوا: فلما أمسى أتاه جبريل عليه السلام فعرض عليه السورة، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال: ما جئتكم بهاتين، فقال رسول الله ﷺ: «أَفَتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ وَكَلْتُ عَلَى اللَّهِ مَا لَمْ يَقُلْ؟» فأوحى الله إليه ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ﴾ إلى قوله: ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً﴾ فما زال مغموماً مهموماً حتى نزلت عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكُمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ قال: فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم، فرجعوا إلى عشائرتهم وقالوا: هم أحب إلينا، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير وغيره.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ يَكُونُ اللَّهُ يَحْكُمُ﴾

(١) أخرجه ابن جرير (١٨٦/١٧ - ١٨٧) مرسل، وروي بنحوه مرسلًا عن الضحاك، وسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن الحارث، وأبي العالية، وقتادة، وعكرمة، وهذه القصة هي قصة الغرائق، وقد ألف بعض المتأخرين كتاباً في تضعيف هذه القصة واسمها: «نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق»، والقصة ضعفها كثير من المشتغلين بالعلم كابن العربي، وعياض، والرازي، والقرطبي، والعيني والشوكاني، والألوسي، وصديق حسن خان، والألباني، فالقصة غير ثابتة بسند صحيح مرفوعاً.

بَيْنَهُمْ ﴿٥٦﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٨﴾ .

عن سعيد بن جبير ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ من قوله: تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن ترتجى. وعن ابن جريج ﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية منه﴾ قال: من القرآن ﴿حتى تأتيهم الساعة بغتة أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ قال مجاهد: يوم بدر.

وقوله تعالى: ﴿الملك يومئذ﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني يوم القيامة ﴿الله﴾ من غير منازع ﴿يحكم بينهم﴾، ثم بين الحكم فقال تعالى: ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾ لِيَدْخِلَنَّهُمْ مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ، ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصَرَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَأْتِ اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنْتَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ .

عن ابن جريج ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ قال: هم المشركون بغوا على رسول الله ﷺ، فوعده الله أن ينصره، وقال: في القصص أيضاً. قال

(١) انظر «معالم التنزيل» (٢٤٨/٣).



البغوي<sup>(١)</sup>: والعقاب الأوّل بمعنى الجزاء. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَفْوٌ غَفُورٌ﴾ عفا عن مساوئ المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم.

﴿ذلك﴾، يعني: ذلك النصر ﴿بِأَنَّ اللَّهَ﴾ القادر على ما يشاء، فمن قدرته أنه ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العليّ ﴿الْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ الْكَبِيرُ﴾ العظيم الذي كل شيء دونه. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: فكلّ شيء تحت قهره وسلطانه وعظمته، لا إله إلا هو ولا ربّ سواه، لأنه العظيم الذي لا أعظم منه، العليّ الذي لا أعلى منه، الكبير الذي لا أكبر منه، تعالى وتقدّس وتنزه عزّ وجلّ عما يقول الظالمون المعتدون علوّاً كبيراً.



(١) المصدر السابق (٣/٢٤٩).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٣٢).

## الدرس التاسع والسبعون بعد المائة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (٦٣) لَمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفِيُّ الْحَكِيمُ (٦٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجَرَّى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ (٦٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ (٦٦) لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٍ (٦٧) وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ (٦٨) اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٦٩) أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧٠) وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (٧١) وَإِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرُ يَكَادِبُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مِنَ ذَلِكَُمُ النَّارِ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَسَّ الْمَصِيرُ (٧٢) يَتَأَيَّهَا النَّاسُ ضَرِبَ مَثَلٌ فَأَسْتَجِيعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَلَنْ يَسْلُبَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴿٧٦﴾ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّكَ اللَّهُ  
 سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٨﴾  
 يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ  
 لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٩﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا  
 جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَعَكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ  
 وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ  
 وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٨٠﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَفُصِّحُ  
الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ (١٣) لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ  
وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ  
وَأَلْفَلَكَ تَجَرَى فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ  
اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١٥) وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ  
إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴾ (١٦) .

في هذه الآيات الدالة الواضحة على قدرته وعظيم سلطانه، وإنه لا يستحق العبادة سواه، قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله ﴿وهو الذي أحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ إن الإنسان لكفور، كقوله ﴿وكيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون﴾<sup>(٢)</sup> ومعنى الكلام: كيف تجعلون لله أنداداً وتعبدون معه غيره، وهو المستقل بالخلق والرزق والتصرف؟

قوله عز وجل: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاَدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَمْ يُهْدَىٰ مُسْتَقِيمٌ﴾ (٦٧) وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿ولكل أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾ يقول: عبداً.  
وقال مجاهد: إهراق دم الهدي. وقال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿فلا يَنَازُعَنَّكَ فِي الْأَمْرِ﴾ يعني

(١) المصدر السابق (٢٣٣/٣).

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨.

(۳) انظر «معالم التنزيل» (۳/۲۵۰).

في أمر الذبائح؛ نزلت في بديل بن ورقاء، وبشر بن سفيان<sup>(١)</sup>، ويزيد بن خنيس، قالوا لأصحاب النبي ﷺ: ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله؟

وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله ﴿وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون﴾، كقوله ﴿وإن كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

قال عبدة بن أبي لبابة: علم الله ما هو خالق وما الخلق عاملون، ثم كتبه.

قوله عز وجل: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾<sup>(٣)</sup> وإذا نزلت عليهم آياتنا بينتت تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يستطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير<sup>(٤)</sup>.

عن ابن عباس قوله ﴿يكادون يستطون﴾ يقول: يبطشون.

وقوله تعالى: ﴿قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار﴾ قال البغوي<sup>(٥)</sup>: يعني بشر لكم، وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تسمعون؟ النار، يعني هي ﴿النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾. وقال ابن كثير، أي: النار وعذابها ونكالها، أشد

(١) في (الأصل): «بشير بن سفيان»، والمثبت من تفسير البغوي.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٣٤).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٥٠).

وأشقى وأطم وأعظم مما تخوفون به أولياء الله المؤمنين في الدنيا، وعذاب الآخرة على صنيعكم هذا أعظم مما تتلون منهم، إن نلتهم بزعمكم وإرادتكم.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾.

قال ابن زيد: هذا مثل ضربه الله لآلهتهم وقراً ﴿ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره﴾ حين يعبدون من دون الله ما لا يتتصف من الذباب ولا يتمتع منه. وقال ابن عباس: الطالب الصنم، والمطلوب الذباب، وقال: كانوا يطلون الأصنام بالزعران، فإذا جفّ جاء الذباب فاستلب منه.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿الله يصطفي﴾ يعني يختار ﴿من الملائكة رسلاً﴾ وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم ﴿ومن الناس﴾ يعني يختار من الناس رسلاً، مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد ﷺ وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، نزلت حين قال المشركون: ﴿أنزل عليه الذكر من بيننا؟﴾ فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا آرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٥١).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ يعني صلّوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾، أي: وحدوه ﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ قال ابن عباس: صلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة. وروى أبو داود عن خالد بن معدان رحمه الله أن رسول الله ﷺ قال: «فُضِّلَتْ سورة الحج على سائر القرآن بسجديتين»<sup>(٢)</sup>. وعن أبي الجهم أن عمر سجد سجديتين في الحج وهو بالجابية وقال: «إن هذه فضلت بسجديتين».

قوله عز وجل: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾.

قال ابن عباس في قوله: ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده﴾ لا تخافوا في الله لومة لائم. وقال ابن زيد في قوله: ﴿هو اجتباكم﴾ قال: هداكم. وعن ابن عباس في قوله: ﴿وما جعل عليكم في الدين من حرج﴾ قال: الحرج الضيق، فجعل الله الكفارات مخرجاً من ذلك. وقال مقاتل: يعني الرخص عند الضرورات: كقصر

(١) المصدر السابق (٣/٢٥٢).

(٢) غاب عن المؤلف - رحمه الله - كون الحديث ورد مرفوعاً من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه، أخرجه أحمد (٤/١٥١ و ١٥٥)، وأبو داود (ح/١٤٠٢)، والترمذي (ح/٥٧٨)، والطبراني (١٧/٣٠٧)، والدارقطني (١/٤٠٨)، والحاكم (١/٢٢١) و٢/٣٩٠، وصححه، قلت: وفيه ابن لهيعة ومشرح وكلاهما ضعيف؛ لكن للحديث شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، وأثار عن بعض الصحابة كعمر، وعبد الله بن عباس، وابن عمر، وابن مسعود، وأبي موسى، وأبي الدرداء، وعمار أخرجهما الحاكم، وبها يتقوى الحديث، وأقل أحواله أنه حسن إن شاء الله تعالى.

الصلاة في السفر، والتميم عند فقد الماء، وأكل الميتة عند الضرورة، والإفطار بالسفر والمرض، والصلاة قاعداً عند العجز عن القيام؛ وقال ﷺ: «بعثت بالحنيفة السمحة»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾، أي: اتَّبِعُوا مَلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مَلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا﴾ قال مجاهد: الله سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ فِي الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ ﴿وَفِي هَذَا﴾ يعني القرآن. وعن قتادة ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ﴾ قال: الله سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ. ﴿وَفِي هَذَا﴾ ليكون الرسول شهيداً عليكم ﴿بأنه بَلَّغَكُمْ﴾ وتكونوا شهداء على الناس ﴿أَنْ رَسَلَهُمْ قَدْ بَلَّغْتَهُمْ﴾ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ، أي: استعينوا به وتوكلوا عليه ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ يحفظكم وينصركم ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾. قال وهيب بن الورد: ويقول الله تعالى «ابن آدم اذكرني إذا غضبت أذكرك إذا غضبتُ، فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظلمت فاصبر وارض بنصرتي فإن نصرتي لك خير من نصرتك لنفسك»<sup>(٣)</sup> رواه ابن أبي حاتم. والله أعلم وهو المستعان.



(١) أخرجه أحمد (٢٦٦/٥)، والطبراني (٢٥٧/٨)، من حديث أبي أمامة بسند ضعيف. وروي أيضاً من حديث جابر رضي الله عنه أخرجه الخطيب في تاريخه (٢٠٩/٧) بسند ضعيف أيضاً.

(٢) سورة النحل: الآية ١٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم، كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٢٣٧/٣).



## الدرس الثمانون بعد المائة

### ﴿سورة المؤمنون﴾

وهي مائة وثمان عشرة آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ  
الْغَوْرِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ  
حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرَ مُلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ  
ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ  
رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ  
يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ  
طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا الطُّفْةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ  
مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ  
فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا بَعْدَ ذَلِكَ لِمَنَ شَاءَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّا كَرَّمْنَا الْقَيْسَمَةَ  
تُبَعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾  
وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَلَئِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا  
لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا وَأَعْنَبٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً

تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغَ لِلْأَكْلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً  
تُنْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ  
تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَارِهُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾.

سئلت عائشة رضي الله عنها: كيف كان خلقُ رسول الله ﷺ؟ قالت: «كان خلقُ رسول الله ﷺ القرآن، فقرأت: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى انتهت إلى ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾ قالت: هكذا كان خلقُ رسول الله ﷺ»<sup>(١)</sup>.  
رواه النسائي. وعن أبي سعيد الخدري مرفوعاً قال: «خلق الله الجنة لبنَةً من ذهب ولبنَةً من فضة وعرسها، وقال لها: تكلمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون، فدخلتها الملائكة فقالت: طوبى لك منزل الملوك»<sup>(٢)</sup>.

وعن الحسن في قوله: ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ قال: كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك البصر، وخفضوا به الجَنَاح. وعن ابن عباس قوله: ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ يقول: الباطل.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (ح/٣٠٨)، والنسائي في الكبرى (٤١٢/٦)، والحاكم (٣٩٢/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الدلائل» (٣٠٩/٢) وهو حديث حسن، وأوله: «كان خلقه القرآن» عند مسلم (ح/٧٤٦) عن عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البزار كما في «كشف الأستار» (ح/٣٥٠٧)، ومجمع الزوائد (٣٩٧/١٠)، ومختصر زوائد البزار (ح/٢٢٥٤)، والطبراني في الأوسط كما في «مجمع البحرين» (١٤٦/٨)، ومجمع الزوائد (٣٩٧/١٠)، بسند ضعيف جداً.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ قال البغوي: أي للزكاة الواجبة مؤدّون. وعن ابن عباس قوله: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ يقول: رضي الله لهم إتيانهم أزواجهم وما مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ قال ابن زيد: الذين يتعدّون الحلال إلى الحرام.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾ حافظون. قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي يحفظون ما أوْتَمَنُوا عليه، والعقود التي عاقدوا الناس عليها، يقومون بالوفاء بها؛ والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد، كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه، وتكون من العبيد كالودائع والصنائع، فعلى العبد الوفاء بجميعها. وعن مسروق ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال: على ميقاتها. وقال قتادة: على مواقيتها وركوعها وسجودها. وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «استقيموا ولن تحصوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن»<sup>(٢)</sup>. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾»<sup>(٣)</sup> رواه ابن جرير وابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفَرْدُوسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ قال قتادة: قتل

(١) انظر «معالم التنزيل» (٢٥٦/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٧/٥ و ٢٨٢)، وابن ماجه (ح/٢٧٧)، والدارمي (١/١٣٣)، والطبراني (٢/١٠١)، وابن حبان - الإحسان - (٢/١٨٧)، والحاكم (١/١٣٠)، وصححه، ووافقه الذهبي من حديث ثوبان رضي الله عنه، وللحديث شاهد من حديث عبد الله بن عمرو، وأبي أمامة وسلمة بن الأكوع، رضي الله عنهم، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح/٤٣٤١) وابن جرير (٦/١٨) بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

حارثة بن سراقة يوم بدر فقالت أمه: يا رسول الله إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه، وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء، قال: «يا أم حارثة إنها جنات في عدن، وإن ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾.

عن قتادة في قوله: ﴿من سلالة من طين﴾ قال: استل آدم من طين، وخلقت ذريته من ماء مهين؛ وقال النبي ﷺ: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد»<sup>(٢)</sup>. الحديث متفق عليه.

وعن أبي العالية: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ قال: نفخ الروح فيها ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ قال مجاهد: يصنعون ويصنع الله، والله خير الصانعين. وعن ابن عباس: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾ يعني ننقله من حال إلى حال، إلى أن خرج طفلاً، ثم نشأ صغيراً، ثم احتلم، ثم صار شاباً، ثم كهلاً ثم شيخاً ثم هرمًا.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمِتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾﴾.

(١) أخرجه ابن جرير (٦/١٨) مرسلاً، وروي بنحوه مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه: أخرجه البخاري (ح/٢٨٠٩ و ٣٩٨٢ و ٦٥٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٣٣٣٢)، ومسلم (ح/٢٦٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال ابن زيد في قول الله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ قال: الطرائق السموات. وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرَجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾<sup>(١٨)</sup> فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا أَنْهَارٌ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ<sup>(١٩)</sup> وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبْغٌ لِلْأَكْلِيلِ<sup>(٢٠)</sup>.

عن ابن عباس في قوله: ﴿مِنْ طُورٍ سَيْنَاءَ﴾ قال: الجبل الذي نودي منه موسى ﷺ ﴿تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ﴾ يقول: هو الزيت يؤكل ويذهن به. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَصَبْغٌ لِلْأَكْلِيلِ﴾ قال: هذا الزيتون صبغ للأكلين يأتمدون به ويصطبغون به. قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: وطور سَيْنَاءَ هو طور سينين، وهو الجبل الذي كلم الله عليه

(١) سورة المجادلة: الآية ٧.

(٢) سورة سبأ: الآية ٢.

(٣) سورة هود: الآية ٦، قلت: وفي هذه الآيات إثبات معية الله لخلقه بالعلم والإحاطة، كما فسرها بذلك السلف والخلف من أهل السنة، وسيأتي بيانها عند تفسير هذه الآيات في مواضعها إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٤٣).

موسى بن عمران عليه السلام، وما حوله من الجبال التي فيها شجر الزيتون.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً تُمْسِكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ (٢١) وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يذكر تعالى ما جعل لخلقه في الأنعام من المنافع، وذلك أنهم يشربون من ألبانها الخارجة من بين فرث ودم، ويأكلون من لحمانها، ويلبسون من أصوافها وأوبارها وأشعارها، ويركبون ظهورها، ويحملونها الأحمال الثقال إلى البلاد النائية عنهم؛ كما قال تعالى: ﴿وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرْؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).



(١) المصدر السابق (٣/٢٤٣).

(٢) سورة النحل: الآية ٧.

## الدرس الحادي والثمانون بعد المائة

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِندِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ ٢٣ فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِنَّ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا ووَحَيْنَا فَلِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنَوُّلُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطِطْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ فَقُلِ أَلَمُعِدْ لِلَّهِ الَّذِي تَجْعَلُنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِندِهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِيقَاءِ الْآخِرَةِ أَتَرْفَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَكِنْ أَطْعَمْتُمْ بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَعْبَدْتُمْ أَنْكُمُ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ تُخْرِجُونَ ﴿٣٥﴾ ﴿ هَيَّاهُ هَيَّاهُ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴾ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَدِيمِينَ ﴿٤٠﴾



فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُرُثًا ۖ فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا  
مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ۖ آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِزُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا  
رُسُلَنَا تَتْرًا ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رُسُلُهُمْ كَذَّبُوهُ ۖ فَاتَّبَعْنَا بِغَضَبٍ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۖ فَبَعْدًا  
لِلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (٢٣) فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جَنَّةٌ فَنَرَيْصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ (٢٥).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وحده﴾ ما لكم من إله غيره ﴿معبود سواه﴾ ﴿أفلا تتقون﴾ أفلا تخافون عقوبته إذا عبدتم غيره؟

﴿فقال الملاء الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم﴾، يعني: يتشرف بأن يكون له الفضل عليكم فيصير متبوعاً وأنتم له تبع ﴿ولو شاء الله﴾ أن لا يعبد سواه ﴿لأنزل ملائكة﴾، يعني: بإبلاغ الوحي ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يدعوننا إليه نوح ﴿في آبائنا الأولين﴾ وقيل ﴿ما سمعنا بهذا﴾، أي: بإرسال بشر رسولاً ﴿إن هو إلا رجل به جنة﴾، يعني: جنون ﴿فترىصوا به حتى حِين﴾، يعني: إلى أن يموت فتستريحوا منه.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُونَ﴾ (٢٦) ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوْحَيْنَا فَلِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْزِيلُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾ (٢٧) ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَعَكَ عَلَى الْفُلْكَ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٥٩).

الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾  
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ .

عن مجاهد في قوله: ﴿منزلاً مباركاً﴾ قال لنوح حين نزل من السفينة .  
قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيات﴾، أي: أن في هذا الصنيع وهو إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿لآيات﴾، أي: لحجج ودلالات واضحة على صدق الأنبياء فيما جاؤوا به عن الله تعالى، وأنه تعالى فاعل لما يشاء، قادر على كل شيء، عليم بكل شيء. وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾، أي: لمختبرين للعباد بإرسال المرسلين .

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٢١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتَرَفْتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٥﴾ أَعْيَدَكُمْ أَتُكْرَمُونَ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٢٦﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لِمَا تُوْعَدُونَ ﴿٢٧﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ .

عن ابن عباس في قوله: ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾ يقول: بعيد بعيد .  
قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول الملأ من ثمود أنهم قالوا: ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾، أي: بعيد ﴿ما توعدون﴾ أيها القوم من أنكم بعد موتكم ومصيركم تراباً وعظاماً مخرجون أحياء من قبوركم، يقولون: ذلك غير كائن .

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٤٤).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٠/١٨).

وقال ابن زيد في قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ قال يقول: ليس آخرة ولا بعث، يكفرون بالبعث يقولون: إنما هي حياتنا هذه ثم نموت ولا نحيا، يموت هؤلاء ويحيا هؤلاء، يقولون: إنما الناس كالزروع يُحصد هذا وينبت هذا، يقولون: يموت هؤلاء ويأتي آخرون ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كلَّ ممزقٍ إنكم لفي خلقٍ جديدٍ﴾<sup>(١)</sup>، ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبئن بما عملتم وذلك على الله يسير﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَبُوا ۖ﴾<sup>(٣٩)</sup> قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَآخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلسَّعِيرِ ﴿٤١﴾

قال ابن عباس يقول: جُعِلُوا كالشيء الميت البالي من الشجر. وقال مجاهد: غثاء كالرميم الهامد الذي يحتمل السيل، أولئك ثمود.

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَفْشَانَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ﴾<sup>(٤٢)</sup> مَا تَسْقِي مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَا جَاءَ أُمَّةً رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

عن ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ يقول: يتبع بعضها بعضاً. وقوله تعالى: ﴿كَلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا﴾، أي: أهلكناهم ﴿وجعلناهم أحاديث﴾، أي: قصصاً يتحدث بهم من بعدهم ﴿فبعداً لقوم لا يؤمنون﴾، أي: فأبعد الله قوماً لا يؤمنون بالله ولا يصدقون رسله.



(١) سورة نبا: الآية ٧.

(٢) سورة التغابن: الآية ٧.

## الدرس الثاني والثمانون بعد المائة

﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّهَا مِنَ الطَّبِيبَتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيْخَسِبُونَ أَنَّا نُنْذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نَسَاجُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَلُوا آيَتِنَا إِلَهُكُمْ مِنَّا لَا تَتَّبِعُوا آيَتِنَا نَتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِصُونَ ﴿٦٥﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سِمَرًَا تَهْجُرُونَ ﴿٦٦﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ مِثْلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ يَنْكُرُوا ﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ

جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَلَآتُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ  
السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَنزَلْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ  
مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَقَرْجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْكَ  
لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ  
لَنَكِبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ  
يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّى إِذَا  
فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ يعني بحجة بيّنة من اليد والعصا وغيرهما ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا﴾ تعظموا عن الإيمان ﴿وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم.

﴿فَقَالُوا﴾ يعني فرعون وقومه ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ يعني موسى وهارون ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ مطيعون متذلّلون ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾ بالغرق. وقال ابن زيد: قال فرعون ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ نذهب نرفعهم فوقنا ونكون تحتهم، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا، كيف نصنع ذلك؟ وذلك حين أتوهم بالرسالة، وقرأ ﴿وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ﴾ قال: العلو في الأرض.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾﴾.

عن قتادة في قوله ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ قال: ولدته من غير أب هو له، ولذلك وجدت الآية، وقد ذكر مريم وابنها. وقوله تعالى: ﴿وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ قال ابن عباس: الربوة المكان المرتفع، وهو أحسن ما يكون فيه النبات.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٢٦١ - ٢٦٢).

وقوله: ﴿ذَاتِ قَرَارٍ﴾ يقول: ذات خصب ﴿وَمَعِينٍ﴾ يعني ماء ظاهراً. وقال الضحاك وقتادة ﴿إِلَى رِبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ هو بيت المقدس.

قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾.

قال الضحاك: ﴿كلوا من الطيبات﴾ يعني الحلال. وعن ابن جريج ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ قال: الملة والدين.

قوله عز وجل: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرْحُونَ ﴿٥٣﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ ﴿٥٥﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

عن مجاهد ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ قال: كتبهم فزقوها قطعاً. وقال ابن زيد في قوله: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ كل حزب بما لديهم فرحون ﴿٥٣﴾ قال: هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب، كل معجبون برأيهم، ليس أهل هوى إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم، وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم. وعن مجاهد ﴿فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال: في ضلالهم.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: إلى أن يموتوا. ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَيْنٍ﴾ ما نعطيهم ونجعله مدداً لهم من المال والبنين في الدنيا ﴿نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، أي: نعجل لهم في الخيرات ونقدمها ثواباً لأعمالهم لمرضاتنا عنهم ﴿بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أن ذلك استدراج لهم.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ يَتَابِعَاتٍ بِرَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٦٢).



وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ .

عن الحسن أنه كان يقول: إن المؤمن جَمَعَ إحساناً وشفقة، وإن المنافق جَمَعَ إساءة وأمناً، ثم تلا ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ إلى ﴿وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾. وعن عائشة أنها قالت: يا رسول الله، الذين يؤتون ما آتوا وقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ، أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال: «لا يا ابنة أبي بكر، ولكن الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يُقبل منه»<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير وغيره.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ﴾، أي: يبادرون إلى الأعمال الصالحات ﴿وَهُمْ لَهَا﴾، أي: إليها ﴿سَابِقُونَ﴾ قال ابن عباس: سبقت لهم من الله السعادة.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ .

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ﴿ولديننا كتاب ينطق بالحق﴾ يعني كتاب الأعمال ﴿وهم لا يُظلمون بل قلوبهم في غمرة من هذا﴾ قال مجاهد: في عمى من هذا القرآن ﴿ولهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون﴾ قال: الخطايا.

(١) أخرجه أحمد (١٥٩/٦ و ٢٠٥)، والترمذي (ح/٣١٧٥)، وابن ماجه (ح/٤١٩٨)، وابن جرير (٣٣/١٨)، والحاكم (٣٩٣/٢)، وصححه، ووافقه الذهبي، جميعهم عن عبد الرحمن بن سعيد الهمداني عن عائشة رضي الله عنها قلت: وفيه انقطاع فعبد الرحمن لم يدرك عائشة رضي الله عنها، وله شاهد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أخرجه ابن جرير (٣٣/١٨)، وفي سنده ضعف، وعزاه السيوطي في «الدر» (٢١/٥) إلى ابن أبي الدنيا، وابن الأنباري، وابن مردويه.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢/٢٤٩).

قوله عز وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْعَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي عَلَيْكُمْ فَاكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنْكِرُ صَوْنَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ .

قال ابن زيد: المترفون العظماء. ﴿إذا هم يجأرون﴾ يقول: فإذا أخذناهم بالعذاب جأروا، يقول ضجوا واستغاثوا مما حلَّ بهم من عذابنا ﴿لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون﴾ قال الربيع: لا تجزعوا الآن حين حلَّ بكم العذاب إنه لا ينفعكم، فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم.

﴿قد كانت آياتي تتلى عليكم فكنتم على أعقابكم تنكصون﴾ قال ابن عباس يقول: تُذبرون ﴿مستكبرين به﴾ يقول: مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد ﴿سامراً﴾ يقول: يسمرون حول البيت ﴿تهجرون﴾ قال: يهجرون ذكر الله والحق. وقال ابن زيد: كانوا يسمرون ليلهم ويلعبون، ويتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون. وعن مجاهد ﴿تهجرون﴾ قال: بالقول السيئ في القرآن.

قوله عز وجل: ﴿أَفَلَمْ يَذَّبَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَكَثُرَتْ لِلْحَقِّ كَذِبُوهُنَّ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴿٧١﴾ بَلْ أَيْنَتْهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرَجًا فَخَرَجَ رَيْكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّزْقِينَ ﴿٧٣﴾﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿أفلم يذبروا﴾ يعني يتذبروا ﴿القول﴾ يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن، فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ ﴿أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين؟﴾ فأنكروا، يريد: أنا قد بعثنا من قبلهم رسلاً إلى قومهم، كذلك بعثنا محمداً إليهم؛ وقيل: ﴿أم﴾ بمعنى «بل»

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٦٤).

يعني: بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين، فلذلك أنكروا.

﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾ محمداً ﷺ ﴿فهم له منكرون﴾ قال ابن عباس: أليس قد عرفوا محمداً ﷺ صغيراً وكبيراً، وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود؟ وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه، بعدما عرفوه بالصدق والأمانة.

﴿أم يقولون به جنة؟﴾ جنون، وليس كذلك ﴿بل جاءهم بالحق﴾ يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل ﴿وأكثرهم للحق كارهون﴾.

وقوله تعالى: ﴿ولو اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ قال مجاهد وغيره: الحق هو الله. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: والمراد، لو أجابهم الله إلى ما في أنفسهم من الهوى، وشرع الأمور على وفق ذلك ﴿لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾، أي: لفساد أهوائهم واختلافها، كما أخبر عنهم في قولهم ﴿لولا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ ثم قال ﴿أَهْمُ يَقْسَمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ﴾<sup>(٢)</sup> وقال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ قال ابن عباس، أي: بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن ﴿فهم عن ذكرهم معرضون﴾.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٥٠).

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣١.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٠٠.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤٧.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾. قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ﴾ على ما جتتهم به ﴿خرجاً﴾ أجراً وجُعلاً ﴿فخرج ربك خير﴾ يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير ﴿وهو خير الرازقين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلِئِنْ لَدَعَوْهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضُرُّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَلُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

عن ابن عباس قوله ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط لناكبون﴾ يقول: عن الحق عادلون. وعن ابن جريج في قوله ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضر﴾ قال: الجوع. ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ قال: الجوع والجذب ﴿فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ قال الحسن: إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء، فإنما هي نقمة فلا تستقبلوا نقمة الله بالحمية، ولكن استقبلوها بالاستغفار وتضرعوا إلى الله.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْسَلُونَ﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي، حتى إذا جاءهم أمر الله وجاءتهم الساعة بغتة، فأخذهم من عذاب الله ما لم يكونوا يحتسبون، فعند ذلك أُبْسِلُوا من كل خير، وأيسوا من كل رحمة، وانقطعت آمالهم ورجاؤهم.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٦٥).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٥٢).

## الدرس الثالث والثمانون بعد المائة

﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ ٧٨ ﴿ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ ٧٩ ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ ٨٠ ﴿ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴾ ٨١ ﴿ قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِذَا نَلْمَعُوثُونَ ﴾ ٨٢ ﴿ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ٨٣ ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٤ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ ٨٥ ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَكَاتِ السَّجْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ٨٦ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ ٨٧ ﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُ مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِيهِ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٨٨ ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴾ ٨٩ ﴿ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ ٩٠ ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴾ ٩١ ﴿ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ٩٢ ﴿ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴾ ٩٣ ﴿ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ ٩٤ ﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴾ ٩٥ ﴿ أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴾ ٩٦ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ ٩٧ ﴿ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ ٩٨ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴾ ٩٩ ﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ ١٠٠ ﴿ فَإِذَا

نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١١٦﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١١٨﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١١٩﴾ أَلَمْ تَكُنْ عَائِدَتِي ثُنًى عَلَيَّكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٢١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا فَرِيقًا مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢٤﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سَخِرَاتٍ حَتَّىٰ أَنْسَوَكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ قَضِحَكُونَ ﴿١٢٥﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٢٦﴾ قُلْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ عِدَّةٌ سِنِينَ ﴿١٢٧﴾ قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَتَنِلْ الْعَادِينَ ﴿١٢٨﴾ قُلْ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنُكُم كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٩﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٣٠﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٣٣﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ (٧٨) ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (٧٩) ﴿وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (٨٠) ﴿بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ﴾ (٨١) ﴿قَالُوا أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَبْعُوثُونَ﴾ (٨٢) ﴿لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَٰذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٨٣).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿وهو الذي أنشأ لكم السمع﴾، أي: أنشأ لكم الأسماع ﴿والأبصار والأفئدة﴾: لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا ﴿قليلًا ما تشكرون﴾، أي: لم تشكروا هذه النعم. ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾ تبعثون ﴿وهو الذي يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار﴾، أي: تدبير الليل والنهار في الزيادة والنقصان. قال الفراء: جعلهما مختلفين يتعاقبان ويختلفان في السواد والبياض ﴿أفلا تعقلون﴾ ما ترون من صنعه فتعتبرون؟

﴿بل قالوا مثل ما قال الأولون﴾، أي: كذبوا كما كذب الأولون ﴿قالوا إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون﴾ لمحشورون؟ قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب. ﴿لقد وُعِدنا نحن وآباؤنا هذا﴾ الوعد ﴿من قبل﴾، أي: وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله، فلم نر له حقيقة ﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أكاذيب الأولين.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨٤) ﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (٨٥) ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٢/٢٦٦).

الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدْعُو مَلَكَوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَمَّا لَبِثُوا عَلَىٰ بَعْضِ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَلَّىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿قل﴾ يا محمد مجيباً لهم ﴿لمن الأرض ومن فيها﴾ من الخلق ﴿إن كنتم تعلمون﴾ خالقها ومالكها ﴿سيقولون لله﴾ ولا بدّ لهم من ذلك، لأنهم يقرّون أنها مخلوقة، فقل لهم إذا أقروا بذلك ﴿أفلا تذكّرون؟﴾ فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت؟

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون؟﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي إذا كنتم تعرفون بأنه رب السموات ورب العرش العظيم، أفلا تخافون عقابه وتحذرون عذابه في عبادتكم معه غيره وإشراككم به؟

﴿قل من بيده ملكوت كل شيء﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: الملكوت الملك، والتاء فيه للمبالغة. ﴿وهو يجير﴾، أي يؤمن من يشاء ﴿ولا يجار عليه؟﴾، أي: لا يؤمن عليه.

﴿إن كنتم تعلمون سيقولون لله﴾ قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: فأني سيترفون أن السيد العظيم الذي يجير ولا يجار عليه هو الله تعالى وحده لا شريك له ﴿قل فأني

(١) المصدر السابق (٣/٢٦٦).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٥٣).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٦٦).

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٥٣).



تسحرون؟ أي: فكيف تذهب عقولكم في عبادتكم معه غيره، مع اعترافكم وعلمكم بذلك؟

ثم قال تعالى: ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ﴾ وهو الإعلام بأنه لا إله إلا الله، وأقمنا الأدلة الصحيحة الواضحة القاطعة على ذلك ﴿وإنهم لكاذبون﴾، أي: في عبادتهم مع الله غيره، ولا دليل لهم على ذلك.

وقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾، أي: تفرّد بما خلقه فلم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره، ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلق ﴿ولعلنا بعضهم على بعض﴾، أي: طلب بعضهم مغالبة بعض، كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم؛ ثم نزه نفسه فقال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ عَالَمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

قوله عزم وجل: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ وَإِنَّا عَلَى أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿١٥﴾ أَدْفَعْ بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿١٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي﴾، أي: إن أريدني ﴿ما يوعدون﴾، أي: ما أوعدتهم من العذاب، أي: يا رب ﴿فلا تجعلني في القوم الظالمين﴾، أي: لا تهلكني بهلاكهم ﴿وإننا على أن نريك ما نعدهم﴾ من العذاب لهم ﴿لقادرون﴾. وعن مجاهد في قوله: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾ قال:

(١) «معالم التنزيل» (٢٦٧/٣).

أعرض عن أذاهم إيّاك. قال الحسن: والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظاً، ويصفح عما يكره.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ خَفُّهُمْ الناس فذلك همزاتهم ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في شيء من أمري. وقال ابن عباس: همزات الشياطين نزعاتهم.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحاً فيما تركت﴾ قال قتادة: ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته، ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فَرَحِمَ الله امرءاً عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب.

وقوله تعالى: ﴿كلّا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾. قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿كلّا﴾ كلمة ردع وزجر، أي: لا يرجع إليها ﴿إنها﴾، يعني: سؤاله الرجعة ﴿كلمة هو قائلها﴾ ولا ينالها ﴿ومن ورائهم برزخ﴾، أي: أمامهم وبين أيديهم حاجز ﴿إلى يوم يبعثون﴾. وقال الضحاك: البرزخ ما بين الموت إلى البعث.

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠٦﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٨﴾ تَلَفَحَ وُجُوهُهُمْ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٩﴾ أَلَمْ تَكُنْ أَتِنَّا عَلَيْكُمْ فَنَكُتُ بِهِ ثُكُودًا ﴿١١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١١١﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١١٢﴾ قَالَ اخْسَرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١١٣﴾ إِنَّكُمْ كَانُمْرًا مِنْ عِبَادِي

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٨).

يَقُولُونَ رَبَّنَا ءَامَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠١﴾ فَأَتَّخَذَتُهُمْ سَخِرَاتٍ حَتَّىٰ أَسْوَكَتُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١٠٣﴾ .

قال ابن مسعود: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين، ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه، قال: فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته، وإن كان صغيراً، ومصدق ذلك في كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾<sup>(١)</sup> رواه ابن أبي حاتم. وقال ابن عباس: «إن للقيامة أحوالاً ومواطن، ففي مواطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون، وفي مواطن يفيقون إفاقة فيتساءلون».

وقوله تعالى: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾ قال ابن عباس يقول: عابسون. وقال ابن مسعود: ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفتاه وبدت أسنانه؟

وقوله تعالى: ﴿ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ قال ابن جريج: بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم: ﴿أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾، فلم يجيبوهم ما شاء الله، فلما أجابوهم بعد حين قالوا: ﴿ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾، قال: ثم نادوا: ﴿يا مالك ليقض علينا ربك﴾، فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة، ثم أجابهم فقال: ﴿إنكم ماكثون﴾، ثم نادى الأشقياء ربهم فقالوا: ﴿ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾ فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا، ثم أجابهم بعد

(١) أخرجه ابن جرير (٥٤/١٨).

ذلك تبارك وتعالى ﴿اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تَكْلُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّهٗ كَانَ فَرِيقَ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكَم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا: إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ هَلْ تُؤْتَوْنَ الْكَفَّارَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾ قُلْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿قال كم لبثتم في الأرض﴾، أي: في الدنيا وفي القبور ﴿عدد سنين قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب ﴿فاسأل العادين﴾ الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحصونها عليهم ﴿قال إن لبثتم﴾، أي: ما لبثتم في الدنيا ﴿إلا قليلاً لو أنكم كنتم تعلمون أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾، أي: لعباً وباطلاً لا لحكمة ﴿وأنكم إلينا

(١) أخرجه ابن جرير (٥٧/١٨)، وبنحوه مرفوعاً من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه أخرجه الترمذي (ح/٢٥٨٦)، وابن جرير (٥٩/١٨)، بسند ضعيف. قال الترمذي: «إنما نعرف هذا الحديث عن الأعمش عن شمر بن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء قوله وليس بمرفوع...». قلت: وأخرجه موقوفاً ابن جرير — أيضاً — (٥٩/١٨).

(٢) سورة المصطفين: الآيات ٢٩ — ٣٦.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٧٠).

لا ترجعون ﴿١﴾ في الآخرة للجزاء؟ كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَتْرَكَ سُدًى﴾ (١)؟ ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ قال ابن كثير (٢): أي تقدّس أن يخلق شيئاً عبثاً فإنه الملك الحقّ المتّزه عن ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ فذكر العرش لأنه سقف جميع المخلوقات، ووصفه بأنه كريم: أي حسن المنظر بهي الشكل.

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ (١١٧) وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾.

قال البغوي (٣): ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به﴾، أي: لا حجة له به ولا بينة، لأنه لا حجة في دعوى الشرك ﴿فإنما حسابه﴾ جزاؤه ﴿عند ربه﴾ يجازيه بعمله، كما قال تعالى: ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ ﴿إنه لا يفلح الكافرون﴾ لا يسعد من جحد وكذب ﴿وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين﴾.



(١) سورة القيامة: الآية ٣٦.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٥٩/٣).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٢٧١/٣).

## الدرس الرابع والثمانون بعد المائة

### ﴿سورة النور﴾

مدنية، وهي أربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَنْتَبِهُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ <sup>(١)</sup> الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهَادَةُ عَادِهِمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٢)</sup> الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ <sup>(٣)</sup> وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ <sup>(٤)</sup> إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ <sup>(٥)</sup> وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ <sup>(٦)</sup> وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعْنَتْ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ <sup>(٧)</sup> وَيَدْرُؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ <sup>(٨)</sup> وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضَبَ اللَّهُ عَلَيْهِنَّ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ <sup>(٩)</sup> وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ <sup>(١٠)</sup>

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ يَبَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (١) الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (٣).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى: هذه ﴿سورة أنزلناها﴾ وفيه تنبيه على الاعتناء بها. وعن ابن عباس في قوله ﴿وفرضناها﴾ يقول: بيّناها. وعن ابن جريج ﴿وأنزلنا فيها آيات بيّنات﴾ قال: الحلال والحرام والحدود ﴿لعلكم تذكرون الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ قال عطاء: يقام حمداً لله ولا يعطّل وليس بالقتل. وقال عمران: قلت لأبي مجلز ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما﴾ إلى ﴿واليوم الآخر﴾ إنا لنرحمهم أن يجلد الرجل حداً أو تقطع يده، قال: إنما ذاك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحدّ.

وقوله تعالى: ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ قال الزهري: الطائفة الثلاثة فصاعداً. وعن ابن عباس: أن عمر قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أما بعد أيها الناس، فإن الله تعالى بعث محمداً ﷺ بالحق وأنزل عليه الكتاب، فكان فيما أنزل عليه آية الرجم، فقرأناها ووعيناها، ورجم رسول الله ﷺ ورجمنا بعده، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل: لا نجد الرجم في كتاب الله، فيضلوا

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٦٠).

بترك فريضة قد أنزلها الله، فالرجم في كتاب الله حقّ على من زنى إذا أُخْصِنَ من الرجال والنساء إذا قامت البيّنة أو كان الحَبْلُ أو الاعتراف»<sup>(١)</sup>. متفق عليه. وفي الصحيحين أيضاً في حديث العسيفي، فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لأفضينَ بينكما بكتاب الله: الوليدة والغنم ردّاً عليك، وعلى ابنك مائة جلدة وتغريب عام، وأغد يا أنيس إلى امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها فغدا عليها فاعترفت فرجمها»<sup>(٢)</sup>. وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: كنا نقرأ: «والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة»<sup>(٣)</sup>. رواه النسائي وغيره. قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: آية الرجم كانت مكتوبة، فنسخ تلاوتها وبقي حكمها معمولاً به. والله أعلم.

وقوله تعالى: ﴿الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين﴾ قال عبد الله بن عمرو: كانت امرأة يقال لها أم مهزول وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب رسول الله ﷺ أن يتزوجها، فأنزل الله عز وجل: ﴿الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين﴾<sup>(٥)</sup> رواه النسائي. وفي رواية الإمام أحمد: فاستأذن رسول الله ﷺ فقرأ ﴿الزاني لا ينكح إلاّ زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلاّ زان أو مشرك وحرّم ذلك على المؤمنين﴾. وعن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حرّم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر، والعاق لوالديه، والذي يقرّ في

(١) أخرجه البخاري (٦٨٣٠)، ومسلم (ح/١٦٩١).

(٢) العسيفي، أي: الأمير، أخرجه البخاري (ح/٢٦٩٥ و ٢٧٢٤ و ٢٧٢٥)، ومسلم

(ح/١٦٩٧ و ١٦٩٨) من حديث أبي هريرة وزيد بن خالد الجهني رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى (٢٧١/٤).

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٦٠/٣).

(٥) أخرجه أحمد (١٥٩/٢ و ٢٢٥)، وابن جرير (٧١/١٨)، والنسائي في الكبرى

(٤١٥/٦)، والحاكم (١٩٣/٢ — ١٩٤) وصححه، ووافقه الذهبي، قلت: وسنده لا بأس



أهله الخبث»<sup>(١)</sup>. رواه أحمد. وفي رواية: «والديوث».

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءَ فَأُجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: المحصنة هي الحرة البالغة العفيفة. وقال الشعبي في القاذف إذا تاب وعلم منه خير: أن شهادته جائزة، وإن لم يتب فهو خلع لا تجوز شهادته، وتوبته إكذابه نفسه. وقال الضحاك: إذا تاب وأصلح قبلت شهادته.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَتْ أَحَدُهُمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنْتَ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُهَا عَنِ الْعَذَابِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْ لَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

قوله: ﴿ويدراً عنها العذاب أن تشهد﴾، أي: ويدفع عنها الحد شهادتها. وعن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا﴾ قال سعد بن عباد وهو سيد الأنصار رضي الله عنه: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم؟» فقالوا: يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، وما طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا أن

(١) أخرجه أحمد (٦٩/٢ و ١٢٨) بسند ضعيف، وبنحوه — أيضاً — عن ابن عمر رضي الله عنه

أخرجه أحمد (١٣٤/٢)، والطبراني (٣٠٢/١٢)، بسند فيه ضعف.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٦٥).

يتزوجها من شدة غيـرته، فقال سعد: والله يا رسول الله إني لأعلم أنها لحقّ وأنها من الله، ولكنني قد تعجبت، إني لو وجدت لكاعاً قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهتجه ولا أحرّكه حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته!

قال: فما لبثوا إلّا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، فجاء من أرضه عشاء فوجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنيه فلم يهتجه حتى أصبح، فغدا على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إني جئت أهلي عشاء فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني وسمعت بأذني، فكره رسول الله ﷺ ما جاء به واشتدّ عليه واجتمعت الأنصار وقالوا: قد ابتلينا بما قال سعد بن عبادة، الآن يضرب رسول الله ﷺ هلال بن أمية ويبطل شهادته في الناس، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، وقال هلال: يا رسول الله فإني قد أرى ما اشتدّ عليك مما جئت به، والله يعلم إني لصادق، فوالله إن رسول الله ﷺ يريد أن يأمر بضربه إذ أنزل الله على رسوله ﷺ الوحي، وكان إذا أنزل عليه الوحي عرفوا ذلك في تربّد وجهه، يعني فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فتزلت والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلّا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله ﴿الآية﴾، فسُرّي عن رسول الله ﷺ فقال: «أبشر يا هلال فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً»، فقال هلال: قد كنت أرجو ذلك من ربي عز وجل، فقال رسول الله ﷺ: «أرسلوا إليها»، فأرسلوا إليها فجاءت فتلاها رسول الله ﷺ عليهما، فذكرهما وأخبرهما أن عذاب الآخرة أشدّ من عذاب الدنيا، فقال هلال: والله يا رسول الله لقد صدقت عليهما، فقالت: كذب، فقال رسول الله ﷺ: «لاعنوا بينهما»، فقيل لهلال: اشهد، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، فلما كانت الخامسة قيل له: يا هلال اتق الله، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فقال: والله لا يعذبني الله

عليها كما لم يجلدني عليها، فشهد في الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين؛ ثم قيل للمرأة: اشهدي، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، وقيل لها عند الخامسة: اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، وإن هذه الموجبة التي توجب عليك العذاب، فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت: والله لا أفصح قومي، فشهدت في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين، ففرق رسول الله ﷺ بينهما، وقضى أن لا يُدعى ولدها لأب ولا يُرمى ولدها، ومن رماها أو رمى ولدها فعليه الحد، وقضى أن لا يبت عليه ولا قوت لها، من أجل أنهما يفترقان من غير طلاق ولا متوفى عنها، وقال: «إن جاءت به أصيب أو حمش الساقين فهو لهلال، وإن جاءت به أورك جعداً جمالياً خدلج الساقين ساينغ الأليتين فهو للذي رُميت به، فجاءت به أورك جعداً خدلج الساقين ساينغ الأليتين، فقال رسول الله ﷺ: «لولا الأيمان لكان لي ولها شأن»<sup>(١)</sup>. قال عكرمة: فكان بعد ذلك أميراً على مصر، وكان يدعى لأمه ولا يدعى لأب. رواه أحمد وغيره.

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر قال: يا رسول الله مالي؟ قال: «لا مال لك إن كنت صدقت عليها، فهو بما استحلتت من فرجها، وإن كنت كذبت عليها فهو أبعد لك منها»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: جواب «لولا» محذوف، يعني لعاجلكم بالعقوبة، ولكنه ستر عليكم

(١) أخرجه أحمد (٢٣٨/١)، وأبو داود (ح/٢٢٥٥)، والطبراني (ح/٢٦٦٧)، وابن جرير (٨٢/١٨)، والبيهقي (٧/٣٩٤ - ٣٩٥)، بسند ضعيف، والحديث بنحوه عند البخاري (ح/٤٧٤٥ و ٤٧٤٦ و ٥٣٠٩)، ومسلم (ح/١٤٩٢)، من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، وينحوه أيضاً من حديث ابن عباس أخرجه البخاري (ح/٤٧٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٥٣١١ و ٥٣١٢ و ٥٣٤٩)، ومسلم (٢/١١٣٠).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٧٨).

ورفع عنكم الحدّ باللعان ﴿وأن الله تواب﴾ يعود على من يرجع عن المعاصي بالرحمة ﴿حكيم﴾ فيما فرض من الحدود.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ثم ذكر تعالى رأفته بخلقه ولطفه بهم فيما شرع لهم من الفرج والمخرج من شدّة ما يكون بهم من الضيق، فقال تعالى ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾، أي: لخرجتم ولشقّ عليكم كثير من أموركم ﴿وأن الله تواب﴾، أي: على عباده، وإن كان ذلك بعد الحلف والأيمان المغلظة ﴿حكيم﴾ فيما يشرّعه ويأمر به وفيما ينهى عنه.



---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٧٤).

## الدرس الخامس والثمانون بعد المائة

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ  
 أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَوْلَا إِذْ  
 سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلَا  
 جَاءَ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾  
 وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَسْتُمْ فِي مَا أَقْبَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ  
 عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّكِزِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ  
 هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا  
 سُبْحَنَكَ هَذَا مُبْتَدَأٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ  
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ  
 تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ  
 لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾  
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ  
 بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ  
 يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى  
 الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ  
 يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَزُمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَنَافِلَتِ

الْمُؤْمِنَاتِ لِعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ  
وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ لَا يُفْقَهُمْ إِلَهُ دِينَهُمْ الْحَقُّ وَالْحَقُّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ  
هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ  
وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ  
كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ تَوَلَّى إِذْ سَمِعَتْهُ نَفْسٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَأْنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ تَوَلَّى جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾.

قال الزهري: أخبرني سعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وعلقمة بن أبي وقاص وعبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله تعالى وكلهم قد حدثني بطائفة من حديثها، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض وأثبت له اقتصاصاً، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة، وبعض حديثهم يصدق بعضاً؛ ذكروا أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج لسفر أقرع بين نسائه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة رضي الله عنها: فأقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج فيها سهمي وخرجت مع رسول الله ﷺ وذلك بعدما أنزل الحجاب، فأنا أُحْمَلُ في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة، آذن ليلة بالرحيل، فقمنا حين آذن بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي فلمست صدري، فإذا عقدٌ بها من جزع ظفار قد انقطع، فرجعت فالتمست عقدي فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أنني فيه، قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشن اللحم، إنما يأكلن العلقمة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه،

وكنت جارية حديثة السنّ، فبعثوا الجمل وساروا، ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فتيمّمت منزلي الذي كنت فيه وظننت أن القوم سيفقدونني فيرجعون إليّ فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيناى فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلميّ ثم الذكوانيّ قد عرس من وراء الجيش، فأدلى فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأي، وقد كان قد رأي قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلّمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حين أناخ راحلته فوطىء على يدها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نمر الظهيرة، فهلك من هلك في شأني، وكان الذي تولّى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكت حين قدمناها شهراً، والناس يفيضون في قول أهل الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك، ويريني في وجعي أنني لا أرى من رسول الله ﷺ اللطف الذي أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم»؟ فذلك الذي يريني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت بعدما نفهت، وخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهو متبرّزنا، ولا نخرج إلّا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأوّل في التنزه في البرية، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها في بيوتنا، وانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف، وأمها ابنة صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب، فأقبلت أنا وابنة أبي رهم أم مسطح قبل بيتي حين فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بش ما قلت، تسبّين رجلاً شهد بدرًا؟ فقالت: أي هتاه ألم تسمعي ما قال؟ قلت: ماذا؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل عليّ رسول الله ﷺ فيسلم ثم قال: «كيف تيكم»؟ فقلت له: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أتقن الخبر من قبليهما، فأذن لي رسول الله ﷺ فجئت



أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت: أي بنته هؤني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبّها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها، قالت فقلت: سبحان الله، وقد تحدّث الناس بها؟ فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي، قالت: فدعا رسول الله ﷺ عليّ ابن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يسألهما ويستشيرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه لهم من الودّ، فقال أسامة: يا رسول الله أهلك ولا نعلم إلاّ خيراً، وأما عليّ بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك الخبر. قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة فقال: «أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك من عائشة؟» فقالت له بريرة: والذي بعثك بالحق إن رأيت منها امرأة قطّ أغمصه عليها، أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول. قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي». فقام سعد بن معاذ الأنصاري رضي الله عنه فقال: أنا أعذرک منه يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة، وهو سيد الخزرج وكان رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحميّة فقال لسعد بن معاذ: كذبت، لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله، ولو كان من رهطك ما أحببت أن يُقتل؛ فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله، لنقتلته، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فتشاور الحيّان الأوس والخزرج حتى همّوا أن يقتتلوا ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفّضهم حتى سكتوا وسكت رسول الله ﷺ، قالت: وبكيت يومي

ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، وأبواي يظنّان أن البكاء فالقُ كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت عليّ امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن على ذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قليل ما قيل، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ثم قال: «أما بعد يا عائشة، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه وتاب تاب الله عليه»، قالت: فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته، قلص دمعني حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، فقال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبني رسول الله ﷺ، فقالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: والله لقد علمتُ، لقد سمعتم بهذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدّقتكم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة لا تصدّقوني، ولئن اعترفت بأمر، والله يعلم أني منه بريئة لتصدّقني، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلاّ كما قال أبو يوسف: «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون»، قالت: ثم تحوّلت فاضطجعت على فراشي: قالت: وأنا والله أعلم حينئذ أني بريئة وأن الله تعالى مبرّئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل في شأني وحْيٌ يُتلى، ولشأنني كان أحقر في نفسي من أن يُتكلّم فيّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرّئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ مجلسه ولا خرج من أهل البيت أحد، حتى أنزل الله تعالى على نبيّه ﷺ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي، حتى أنه ليتحدّر منه مثل الجُمان من العرق، وهو في يوم شاتٍ من ثقل القول الذي أنزل عليه، قالت: فسُرّي عن رسول الله ﷺ وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال: «أبشري يا عائشة، أما الله عزّ وجل فقد برّأك»، قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلاّ الله عزّ وجل، هو الذي أنزل براءتي،

وأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ العشر الآيات كلها، فلما أَنْزَلَ اللهُ هَذَا فِي بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ — وَكَانَ يَنْفِقُ عَلَى مَسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ — : وَاللَّهِ لَا أَنْفَقُ عَلَيْهِ شَيْئاً أَبَداً بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللَّهُ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مَسْطَحِ النِّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يَنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: وَاللَّهُ لَا أَنْزَعُهَا مِنْهُ أَبَداً. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ مَا عَلِمْتَ أَوْ رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ احْمِنِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهُ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْراً، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تَسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللهُ تَعَالَى بِالْوَرَعِ، وَطَفَقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تَحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكْتَ فِيمَنْ هَلَكَ». مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَعِنْدَ أَهْلِ السَّنَنِ قَالَتْ: «لَمَّا نَزَلَ عَذْرِي قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ وَتَلَا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ فَضْرَبُوا حَذَمَهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وعند أبي داود: «حسان بن ثابت ومسطح بن أثاثة وحمنة بنت جحش»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾، أي: النار في الآخرة. قال ابن عباس: «الذين افتروا على عائشة عبد الله بن أبي وهو الذي تولى كِبْرَهُ، وحسان ومسطح وحمنة بنت جحش»<sup>(٣)</sup>. وقال ابن زيد: أما الذي تولى كِبْرَهُ فعبد الله بن أبي ابن سلول الخبيث، هو الذي ابتداء هذا الكلام وقال: امرأة نبيكم

(١) أخرجه البخاري (ح/٢٦٣٧ و ٢٦٦١ و ٢٨٧٩ و ٤٠٢٥ و ٤١٤١ و ٤٦٩٠)، ومسلم (ح/٢٧٧٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٤٧٥) عن محمد بن إسحاق، وبنحوه من حديث أبي هريرة ولفظه: «فحد رسول الله ﷺ مسطحاً وصحنة وحسان، أخرجه البزار كما في «مختصر زوائد البزار» (٢٠٠/٥)، وإسناده حسن كما قال الهيثمي.

(٣) أخرجه ابن جرير (٨٧/١٨)، وفيه انقطاع.

باتت مع رجل حتى أصبحت ثم جاء يقود بها. وعن محمد بن إسحاق عن أبيه عن بعض رجال لبني النجار: أن أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى وذلك الكذب، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله، قال: فعائشة والله خير منك. قال: فلما أنزل الله القرآن ذكر الله من قال الفاحشة ما قال من أهل الإفك ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ وذلك من حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم قال: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كما قال أبو أيوب وصاحبه<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ قال ابن كثير: ﴿لَوْلَا﴾، أي: هلاً ﴿جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يشهدون على صحة ما جاءوا به فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون، أي: في حكم الله كاذبون فاجرون.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ ١٤ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ ١٥ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَنَكَ هَذَا بَهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ ١٦ ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ١٧ ﴿وَيَسِّرُ اللَّهُ لَكُمْ الْأَيْتَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ١٨.

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ هذا للذين تكلموا فتشبهوا ذلك الكلام ﴿لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم﴾. وعن مجاهد: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ قال: تروونه بعضهم عن بعض.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ١٩ ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ

(١) أخرجه ابن جرير (٩٦/١٨) بسند ضعيف.

عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبدا﴾ يقول: ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ينفع به نفسه، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه. قال ابن زيد: كل شيء في القرآن من زكى أو تزكى فهو الإسلام؛ وقال مقاتل: ﴿ما زكى﴾ ما صلح؛ وقال ابن قتيبة: ما طهر.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: والآية على العموم عند بعض المفسرين. قالوا: أخبر الله أنه لولا فضله ورحمته بالعصمة ما صلح مسلم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة﴾ إلى آخر الآية قال: كان ناس من أصحاب رسول الله ﷺ قد رموا عائشة بالقبیح وأفسحوا ذلك وتكلموا به، فأقسم ناس من أصحاب رسول الله ﷺ فيهم أبو بكر أن لا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله، فقال: لا يقسم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم وأن يعطوهم من أموالهم، كالذي كانوا يفعلون قبل ذلك، فأمر الله أن يغفر لهم وأن يعفو عنهم<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٨٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨/١٠٢) بسند ضعيف.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ الْحَاشِيَةُ لِلْخَيْثُورِ وَالْخَيْثُورُ لِلْخَيْثُوتِ وَالطَّيْبَةُ لِلطَّيْبَتِ وَالطَّيْبُونَ لِلطَّيْبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ .

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ يقول تعالى ذكره: إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ بِالْفَاحِشَةِ ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾، يعني: العفيفات ﴿الْغَافِلَاتِ﴾ عن الفواحش ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله وما جاء به من عند الله ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ يقول: أَبْعَدُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وذلك عذاب جهنم. وعن جعفر بن برقان قال: سألت ميموناً قلت: الذي ذكر الله: ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾، إلى قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ فجعله في هذه الآية توبة، وقال في الأخرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال ميمون: أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت، وأما هذه فهي التي لم تقارف شيئاً من ذلك. وقال ابن زيد: هذا في عائشة، ومن صنع اليوم في المسلمات فله ما قال الله.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال قتادة: ابن آدم، والله إن عليك لشهوداً غير متهمّة من بدنك، فراقبهم واتق الله في سرّك وعلايتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسرّ عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل، ولا قوة إلاّ بالله.

(١) انظر «جامع البيان» (١٨/١٠٣).

وعن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ يقول: حسابهم. وقال البغوي<sup>(١)</sup>: جزاؤهم الواجب، وقيل: حسابهم العدل ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ يبين لهم حقيقة ما كان بعدهم في الدنيا. قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: وذلك أن عبد الله بن أبي كان يشك في الدين، فيعلم يوم القيامة أن الله هو الحق المبين.

وعن ابن عباس قوله: ﴿الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ﴾ يقول: الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول. وقوله: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ﴾ يقول: «الطيبات من القول للطيبين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من القول. نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي ﷺ ما قالوا من البهتان»<sup>(٢)</sup>. وقال ابن زيد: نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالبهتان والفرية، فبرأها الله من ذلك؛ وكان عبد الله بن أبي هو خبيثاً، وكان هو أولى بأن تكون له الخبيثة ويكون لها، وكان رسول الله ﷺ طيباً، وكان أولى أن تكون له الطيبة، وكانت عائشة الطيبة، وكان أولى أن يكون لها الطيب ﴿أُولَئِكَ مَبْرُؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ﴾ قال ههنا: بُرئت عائشة ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (١٨/١٠٦) بسند ضعيف.

## الدرس السادس والثمانون بعد المائة

﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا  
وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا  
فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُوْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا  
تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتْنَعٌ لَكُمْ  
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُلِ لِلْمُؤْمِنِينَ يَفْعُسُوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ  
وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُلِ لِلْمُؤْمِنَاتِ  
يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ  
مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ  
ءَابَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ  
أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ  
التَّيَّعِينَ غَيْرَ أُولِي الْأَرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ  
النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا  
أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ  
وَأَمَّا بِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلِلسَّعْفِ  
الَّذِينَ لَا يَمْلِكُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ  
أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا



تُكْرِهُوا فَتِيْنَتِكُمْ عَلَى الْإِغْيَاءِ إِنِ ارْدَنَّ تَحْصُنَا لِنُبْتَغُوا عَرْضَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُهُنَّ فَإِنَّ  
اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُوْرٌ رَحِيْمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ  
الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِيْنَ ﴿٣٤﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ٢٧ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها﴾ قال: الاستئناس الاستئذان. وعن قتادة: ﴿حتى تستأنسوا وتسلموا﴾ وعن أبي موسى قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليصرف»<sup>(١)</sup>. رواه البخاري. وعن جابر قال: «أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي، فدققت الباب فقال: من ذا؟ فقلت: أنا، قال: أنا أنا! كأنه كرهه»<sup>(٢)</sup>. رواه الجماعة. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: وإنما كره ذلك لأن هذه اللفظة لا يعرف صاحبها حتى يفصح باسمه<sup>(٤)</sup>.

وعن عدي بن ثابت أن امرأة من الأنصار قالت: يا رسول الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها، لا والد ولا ولد، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، قال: فتزلت ﴿يا أيها الذين آمنوا

(١) أخرجه البخاري (ح/٦٢٤٥)، ومسلم (ح/٢١٥٣)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٦٢٥٠)، ومسلم (ح/٢١٥٥).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٧٩).

(٤) وقيل: لأن جابراً رضي الله عنه لم يستأذن بلفظ اللام، وقيل غير ذلك.

لا تدخلوا بيوتاً»<sup>(١)</sup> الآية. رواه ابن جرير. وقال ابن مسعود: وعليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم. وعن زينب امرأة ابن مسعود قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجته فانتهى إلى الباب تنحنح وبزق، كراهية أن يهجم منا على أمر يكرهه.

وقوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾ قال مجاهد: هي البيوت التي ينزلها السفر لا يسكنها أحد. قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: إن الله عمّ بقوله: ﴿ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة فيها متاع لكم﴾ كل بيت لا ساكن به لنا فيه متاع، ندخله بغير إذن.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس: ﴿يغضوا أبصارهم﴾ عما يكره الله. وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ عن نظرة الفجأة، فأمرني أن أصرف بصري<sup>(٤)</sup>. رواه مسلم. وعن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي لا تتبع النظرة بالنظرة، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة»<sup>(٥)</sup>. رواه أبو داود وغيره. وقال النبي ﷺ: «من يكفل لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة»<sup>(٥)</sup>. رواه البخاري. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:

(١) أخرجه ابن جرير (١١٠/١٨ - ١١١) بسند ضعيف.

(٢) انظر «جامع البيان» (١١٦/١٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح/٢١٥٩).

(٤) أخرجه أحمد (٣٥١/٥ و ٣٥٣ و ٣٥٧)، وأبو داود (ح/٢١٤٩)، والترمذي (ح/٢٧٧٨)، وقال: «حديث حسن غريب»، والحاكم (٢/١٩٤)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، قلت: وفي سنده ضعف من جهة شريك القاضي، فهو ضعيف. لكن للحديث شاهد من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه أحمد (١/١٥٩)، والدارمي (٢/٢٩٨) وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، والحديث بمجموعها حسن إن شاء الله تعالى.

(٥) أخرجه البخاري (ح/٦٤٧٤) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنه.

«لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة، ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد، ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد»<sup>(١)</sup>. رواه البغوي.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَزكى لَهُمْ إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ في بعض الآثار: «إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم، يقول الله تعالى: من تركها مخافتى أبدلتها إيماناً يجد حلاوته في قلبه»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ هُنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

عن ابن مسعود: «ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها» قال: الثياب. وقال ابن عباس: الكحل والخاتم. وقال عطاء: الكفان والوجه. وقال الحسن: الوجه والثياب. قال البغوي<sup>(٣)</sup>: فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة. وعن عائشة قالت: لما نزلت هذه الآية «وليضربن بخمرهن»

(١) أخرجه مسلم (ح/٣٣٨).

(٢) روي مرفوعاً بنحوه من حديث ابن عمر رضي الله عنه، أخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠١/٦) بسند ضعيف جداً.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٨٧).

على جيوبهن ﴿ شققن البرد مما يلي الحواشي فاختمرن به . رواه ابن جرير وغيره .  
وقال سعيد بن جبير : ﴿ وليضربن ﴾ وليشددن ﴿ بخمرهن على جيوبهن ﴾ يعني على  
النحر والصدر فلا يرى منه شيء . وعن ابن عباس : ﴿ ولا يبدین زیتھن إلا  
لبعولتھن ﴾ إلى قوله ﴿ عورات النساء ﴾ قال : الزينة التي يبدینها لهؤلاء : قرطاهها  
وقلادتها وسوارها ، فأما خلخالها ومعضداها ونحراها وشعرها فإنه لا تبدیه إلا  
لزوجها . وقال قتادة : تبدی لهؤلاء الرأس . قال بعض السلف : لم يذكر العم  
والخال وهما من محارمهن لئلا يصفوهن لبنیهن . وقال الحسن البصري : إنهما  
كسائر المحارم في جواز النظر ، وقد يذكر البعض لينبه على الجملة . وهذا أظهر .

وعن ابن عباس : ﴿ أو نساھن ﴾ قال : هن المسلمات ، لا تبدیه ليهودية ولا  
نصرانية ، وهو النحر والقرط والشاح ، وما لا يحل أن يراه إلا محرم . وعن ابن  
جريج قوله : ﴿ أو نساھن ﴾ قال : بلغني أن نساء المسلمين لا يحل لمسلمة أن ترى  
مشرقة عريتها إلا أن تكون أمة لها ، فذلك قوله ﴿ أو ما ملكت أيمانھن ﴾ . قال ابن  
كثير<sup>(١)</sup> : وقال الأكثرون : بل يجوز أن تظهر زيتها على رقيقها من الرجال والنساء ،  
واستدلوا بالحديث الذي رواه أبو داود عن أنس أن النبي ﷺ أتى فاطمة بعبد قد  
وهبه لها ، قال : وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به رأسها لم يبلغ رجلها ، وإذا غطت  
به رجلها لم يبلغ رأسها ، فلما رأى النبي ﷺ ما تلقى قال : « إنه ليس عليك بأس ،  
إنما هو أبوك وغلأمك »<sup>(٢)</sup> .

وقال البغوي<sup>(٣)</sup> : قوله تعالى : ﴿ وما ملكت أيمانھن ﴾ اختلفوا فيها فقال  
قوم : عبد المرأة محرم لها فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفاً ، وينظر إلى بدن  
مولاته إلا ما بين السرة والركبة كالمحارم ، وهو ظاهر القرآن .  
وعن ابن عباس قوله : ﴿ أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال ﴾ قال : كان

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٨٥) .

(٢) أخرجه أبو داود (ح/٤١٠٦) من حديث أنس رضي الله عنه بسند حسن .

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٨٨) .

الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول ولا يغار عليه، ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده، وهو الأحق الذي لا حاجة له في النساء.

وقوله تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلَ الَّذِينَ لَمْ يَرْوَوْا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾ قال مجاهد: لم يدروا ما تم من الصغر قبل الحلم.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ﴾ قال ابن عباس: هو أن ترفع الخلل بالآخر عند الرجال ويكون في رجليها خلل، فتحركهن عند الرجال، فنهى الله سبحانه وتعالى عن ذلك، لأنه من عمل الشيطان.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، أي: افعلوا ما أمركم به من هذه الصفات الجميلة والأخلاق الجليلة، واتركوا ما كان عليه أهل الجاهلية من الأخلاق والصفات الرذيلة، فإن الفلاح كل الفلاح في فعل ما أمر الله به ورسوله، وترك ما نهى عنه. والله تعالى هو المستعان.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلِیَسْتَعْفِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَابِتُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَّتَكُمْ عَلَى الْإِعْءَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لِلْبِتْنَةِ عَرْضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

قال ابن زيد في قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ﴾ قال: أيامى النساء اللاتي ليس لهن أزواج. وعن ابن عباس قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٨٦/٣).

عبادكم وإمائكم ﴿١﴾ قال: أمر الله سبحانه بالنكاح ورغبهم فيه وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم، ووعدهم في ذلك الغنى فقال: ﴿٢﴾ إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله ﴿٣﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> وقوله: ﴿٢﴾ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله ﴿٣﴾ هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجاً بالتعفف عن الحرام.

وقوله تعالى: ﴿٤﴾ والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكايتوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴿٥﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: سبب نزول هذه الآية ما روي أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه، فأنزل الله هذه الآية. فكايت حويطب على مائة دينار، ووهب له منها عشرين ديناراً.

وعن ابن عباس قوله: ﴿٦﴾ فكايتوهم إن علمتم فيهم خيراً ﴿٧﴾ يقول: إن علمتم لهم حيلة ولا تلقون مؤونتهم على المسلمين. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة حق على الله عونهم: المكاتب الذي يريد الأداء، والناكح يريد العفاف، والمجاهد في سبيل الله»<sup>(٣)</sup>. رواه البغوي.

وقوله تعالى: ﴿٨﴾ ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ﴿٩﴾ قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدكم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام نهى الله المؤمنين عن ذلك، وكان سبب نزول

(١) المصدر السابق (٣/٢٨٧).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٩٠).

(٣) أخرجه الترمذي (ح/١٦٥٥) وحسنه، والنسائي (٦/٦١)، وابن ماجه (ح/٢٥١٨)، والحاكم (٢/١٦٠) وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٨٨)، والبغوي في شرح السنة (٩/٧)، وهو حديث صحيح.

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٨٨).

هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف، في شأن عبد الله بن أبي ابن سلول، فإنه كان له إماء فكان يكرههنّ على البغاء طلباً لخراجهنّ ورغبة في أولادهنّ ورياسة منه فيما يزعم. قال: وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾ هذا خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له.

وقوله تعالى: ومن يكرههنّ فإن الله من بعد إكراههنّ غفور رحيم، أي: لهنّ. قال ابن عباس فإن فعلتم ﴿فإن الله﴾ لهنّ ﴿غفور رحيم﴾ وإثمهنّ على من أكرههنّ. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ولما فصل تبارك وتعالى هذه الأحكام وبيّنها، قال تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ يعني القرآن فيه آيات واضحات مفسّرات ﴿ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم﴾ أي خبراً عن الأمم الماضية وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فجعلناهم سلفاً ومثلاً للآخرين﴾<sup>(٢)</sup> أي زاجراً عن ارتكاب المآثم والمحارم ﴿وموعظة للمتقين﴾ أي لمن اتقى الله وخافه. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في صفة القرآن: «فيه حكم ما بينكم، وخبر ما قبلكم، ونبأ ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله»<sup>(٣)</sup>.



(١) المصدر السابق (٣/٢٨٩).

(٢) سورة الزخرف: الآية ٥٦.

(٣) سبق تخريجه.



## الدرس السابع والثمانون بعد المائة

﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَوْفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيُّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلْتُمْ كُرَابِمْ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْنَهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَفَقَتٍ كُلُّ قَدِّعٍ صَلَاتَهُمْ وَسُبْحُهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِلَّهِ اللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ ۞

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾

عن ابن عباس قوله ﴿الله نور السموات والأرض﴾ يقول: الله سبحانه هادي أهل السموات والأرض<sup>(١)</sup> ﴿مثل نوره﴾ مثل هداه في قلب المؤمن ﴿كمشكاة﴾ قال: المشكاة كوة البيت ﴿فيها مصباح﴾ قال السدي: هو السراج، وقال أبي بن كعب: المصباح النور وهو القرآن والإيمان الذي في صدره ﴿المصباح في زجاجة﴾ وهي نظير قلب المؤمن ﴿الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ مضيء ﴿يوقد من

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/١٣٥)، وابن أبي حاتم (٤/ب/٤٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/١٤٣) بسند ضعيف. قال ابن تيمية - رحمه الله - (الفتاوى ٦/٣٩١): «فقول من قال: (نور السموات والأرض) هادي أهل السموات والأرض كلام صحيح، فإن من معاني كونه نور السموات والأرض أن يكون هادياً لهم، أما أنهم نفوا ما سوى ذلك فهذا غير معلوم...» اهـ. وراجع الفتاوى (٦/٣٧٤ - ٣٩٦) ففيها زيادة تفصيل حول هذه المسألة.

قلت: وفي هذه الآية إثبات صفة «النور» لله تعالى على ما يليق به، وكذلك هو من أسماءه تعالى. قال ابن القيم - رحمه الله - في «الجوش» (ص ٤٤ - ٥٣): «والله سبحانه وتعالى سمي نفسه نوراً، وجعل كتابه نوراً، ورسوله ﷺ نوراً، ودينه نوراً، واحتجب عن خلقه بالنور، وجعل دار أوليائه نوراً تلالاً... وقد فسر: «نور السموات والأرض...» بكونه نور السموات والأرض، وهذا إنما هو فعله، وإلا فالنور الذي هو من أوصافه قائم به، ومنه اشتق له اسم النور الذي هو أحد الأسماء الحسنى»، إلى أن قال: «وهذا النور يضاف إلى الله تعالى إذ هو معطيه لعبده، وواهبه إياه، ويضاف إلى العبد إذ هو محله وقابله، فيضاف إلى الفاعل والقابل...» وقد تكلم رحمه الله عن تفسير هذه الآية، ولولا خشية الإطالة لنقلته ههنا، فليراجع لزماً.

شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية ﴿ قال ابن عباس: هي شجرة وسط الشجر ليست من الشرق ولا من الغرب. وقال عكرمة لا يسترها من الشمس جبل ولا واد إذا طلعت وإذا غربت. وقال مجاهد: إذا طلعت الشمس أصابتها، وإذا غربت أصابتها.﴾

﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿يكاد زيتها﴾ دهنها ﴿يضيء﴾ من صفائه ﴿ولو لم تمسسه نار﴾، أي: قبل أن تصيبه النار. ﴿نور على نور﴾ يعني نور المصباح على نور الزجاجة. قال أبي بن كعب: هذا مثل المؤمن، فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله في قلبه من الإيمان والقرآن ﴿يوقد من شجرة مباركة﴾ وهي الإخلاص لله وحده.

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿نور على نور﴾ قال: نور النار ونور الزيت، حين اجتماعا أضواء ولا يضيء واحد بغير صاحبه، كذلك نور القرآن ونور الإيمان حين اجتماعا، فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه.

﴿يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>، أي: هو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراج فيه نور. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عَرَفَ ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدّها الدم والقحح، فأَيَ المَدَّتَيْنِ غلبت على الأخرى غلبت عليه»<sup>(٣)</sup>. رواه أحمد.

(١) انظر «معالم التنزيل» (١٩٣/٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٩١/٣).

(٣) أخرجه أحمد (١٧/٣)، والطبراني في الصغير (ح/١٠٤٨) بسند ضعيف.

قوله عز وجل: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ يُسَبِّحُ لَهُمْ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ .

عن مجاهد في قوله: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ قال: مساجد بني. وقال ابن عباس في قوله ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع﴾ وهي المساجد، كره ونهى عن اللغو فيها، ثم قال: ﴿ويذكر فيها اسمه﴾ يقول: يُتلى فيها كتابه. وعن الحسن في هذه الآية ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾ قال: هم قوم في تجارتهم وبيعهم لا تلهيهم تجاراتهم ولا يبيعهم عن ذكر الله.

وقوله تعالى: ﴿ليجزئهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب﴾ روى النسائي عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، جاء مناد فنادى بصوت يُسمع الخلائق: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، ليقم الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، فيقومون وهم قليل، ثم يحاسب سائر الخلائق» (١).

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلَتْهُمْ كُرْأِيًّا بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّالِمَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُمْ لَا يُجِدهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِندَهُمْ فَوْقَهُ حِسَابُهُمُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ (٣٩) أَوْ كَظُلُمْتِ فِي بَحْرٍ لَّيْجٍ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن

(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/١٠٤ - ٤/٥٤) ، والبيهقي بسند ضعيف، وهم المؤلف - رحمه الله - فقال: رواه النسائي وليس كما قال.

فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُمُ لَمْ يَكْدِرْهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴿١﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هذان مثلان ضربهما الله تعالى لنوعي الكفار، كما ضرب للمنافقين في أول البقرة مثلين نارياً ومائتاً، وكما ضرب لما يقرّ في القلوب من الهدى والعلم في سورة الرعد مثلين مائتاً ونارياً؛ فأما الأول من هذين المثلين فهو للكفار الدعاة إلى كفرهم، الذين يحسبون أنهم على شيء من الأعمال والاعتقادات، وليسوا في نفس الأمر على شيء، وهذا المثل مثال لذوي الجهل المركّب، فأما أصحاب الجهل البسيط وهم الطماطم الأغشام المقلّدون لأئمة الكفر، الصمّ البكم الذين لا يعقلون فمثلهم كما قال تعالى: ﴿أَوْ كظلمات في بحر لجّي﴾. انتهى ملخصاً.

وقال أبيّ بن كعب: ثم ضرب الله مثلاً آخر فقال: ﴿والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة﴾ قال: وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة وهو يحسب أن له عند الله خيراً، فلا يجد فيدخله النار. وعن ابن عباس قوله ﴿أو كظلمات في بحر لجّي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ إلى قوله: ﴿من نور﴾ قال: يعني بالظلمات الأعمال، وبالبحر اللجّي قلب الإنسان، قال: ﴿يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب﴾ قال: ﴿ظلمات بعضها فوق بعض﴾ يعني بذلك: الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر، وهو كقوله تعالى: ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾<sup>(٢)</sup>. وعن أبيّ بن كعب في قوله ﴿أو كظلمات في بحر لجّي يغشاه موج﴾ الآية قال: ضرب مثلاً آخر للكفار، فهو يتقلّب في خمس من الظلم: فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة إلى النار.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٩٦).

(٢) سورة البقرة: الآية ٧.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ كقوله تعالى: ﴿مَنْ يَضِلُّ اللَّهُ فَمَا هَادِي وَلَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّيْتُ كُلَّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يخبر تعالى أنه ﴿يَسْبُحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، أي: من الملائكة والأناسي والعجان والحيوان حتى الجماد، كما قال تعالى: ﴿تَسْبُحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يَسْبُحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ﴾، أي: في حال طيرانها تسبِّح ربها وتعبده بتسبيح ألهمها وأرشدتها إليه، وهو يعلم ما هي فاعلة، ولهذا قال تعالى: ﴿كُلُّ قَدِّ عِلْمٍ صَلَاتُهُ وَتَسْبِيحُهُ﴾، أي: كل قد أرشده إلى طريقته ومسلكه في عبادة الله عز وجل؛ ثم أخبر أنه عالم بجميع ذلك لا يخفى عليه من ذلك شيء، ولهذا قال: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾.

ثم أخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض فهو الحاكم المتصرف، الإله المعبود الذي لا تنبغي العبادة إلا له، ولا معقب لحكمه ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، أي: يوم القيامة، فيحكم فيه بما شاء، ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى، فهو الخالق المالك الإله الحكم في الدنيا والآخرة، وله الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون.

• • •

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

(٢) المصدر السابق (٣/٢٩٧).

(٣) سورة الإسراء: الآية ٤٤.

## الدرس الثامن والثمانون بعد المائة

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزَيِّجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدَّكَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿١٣﴾ يَقْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِالْحَقِّ وَنَبَّأَهُ بِاللَّهِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿١٨﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿١٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٢﴾ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أُمرَّيْنَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٢٤﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ

الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْبَسَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَكَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ الْتَارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ .

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ يُخْرِجُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ. وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يذكر تعالى أنه يسوق السحاب بقدرته أول ما ينشئها وهي ضعيفة وهو الإزجاء ﴿ثم يؤلف بينه﴾، أي: يجمعه بعد تفرقه ﴿ثم يجعله ركاماً﴾، أي: متراماً يركب بعضه بعضاً ﴿فترى الودق﴾، أي: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾، أي: من خلله. قال عبيد بن عمير الليثي: يبعث الله الميثرة فتقم الأرض قمّاً، ثم يبعث الله الناشئة فتنشئ السحاب، ثم يبعث الله المؤلفة فتؤلف بينه، ثم يبعث الله اللواحق فتلقح السحاب. وقال ابن زيد في قوله: ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ قال: الودق القطر.

وقوله تعالى: ﴿ويُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَمَّنْ يَشَاءُ﴾ قال ابن عباس: أخبر الله تعالى أن في السماء جبلاً من بَرَدٍ ﴿يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار﴾ قال: ضوء برقه يذهب بالأبصار.

وقوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ كقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر أققلب الليل والنهار»<sup>(٢)</sup>. رواه البخاري وغيره.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٢٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٨٢٦)، ومسلم (٢٢٤٦)، وأبعد المؤلف النجعة فقال: «رواه البخاري».

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يذكر تعالى قدرته التامة، وسلطانه العظيم، في خلقه أنواع المخلوقات، على اختلاف أشكالها وألوانها، وحركاتها وسكناتها، من ماء واحد، فمنهم من يمشي على بطنه كالحية وما شاكلها، ومنهم من يمشي على رجلين كالإنسان والطير، ومنهم من يمشي على أربع كالأنعام وسائر الحيوانات، ولهذا قال: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ولم يذكر من يمشي على أكثر من أربع مثل حشرات الأرض لأنها في الصورة كالتي على الأربع، وقيل: إن في قوله تعالى: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ تنبيهاً على سائر الأقسام.

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾، أي: واضحات تدل على طريق الحق ﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَلَئِن يَكُنْ لَّهُم لَأَلْقُ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا

(١) المصدر السابق (٢٩٨/٣).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٢٩٨/٣).

وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٧﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يخبر تعالى عن صفات المنافقين، الذين يُظهرون خلاف ما يبتنون، يقولون قولاً بألسنتهم: آمنا بالله وبالرسل وأطعنا ﴿ثم يتولّى فريق منهم من بعد ذلك﴾، أي: يخالفون أقوالهم بأعمالهم، فيقولون ما لا يفعلون، ولهذا قال تعالى: ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾، أي: إذا طلبوا إلى اتباع الهدى فيما أنزل الله على رسوله، أعرضوا عنه واستكبروا في أنفسهم عن اتباعه، كقوله تعالى: ﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلّهم ضلالاً بعيداً وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً﴾<sup>(٢)</sup>. وفي الطبراني عن سمرة مرفوعاً: «من دُعِيَ إلى سلطان فلم يجب فهو ظالم لا حقّ له»<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾، أي: وإذا كانت الحكومة لهم لا عليهم جاءوا سامعين مطيعين، وإذا كانت عليهم أعرضوا، ولهذا قال تعالى: ﴿أففي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحثف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون﴾. قال قتادة: ذكر لنا أن عبادة بن الصامت وكان عقيماً بدريةً أحد نقباء الأنصار، أنه لما حضره الموت قال

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٩٨/٣).

(٢) سورة النساء: الآية ٦١.

(٣) أخرجه الطبراني (٢٢٥/٧) بسند ضعيف.

لابن أخيه جنادة بن أبي أمية: ألا أنبتك بماذا عليك وبماذا لك؟ قال: بلى قال: فإن عليك السمع والطاعة، في عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك وأثرة عليك، وعليك أن تقيم لسانك بالعدل، وأن لا تنازع الأمر أهله، إلا أن يأمرك بمعصية الله بواحاً، فما أمرت به من شيء يخالف كتاب الله فاتبع كتاب الله<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخشى الله ويتقّه فأولئك هم الفائزون﴾. قال قتادة: يطيع الله ورسوله فيما أمراه به، ويترك ما نهياه عنه، ويخشى الله فيما مضى من ذنوبه، ويتقّه فيما يستقبل.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانُ الْأَمْرِ﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup> قوله تعالى: ﴿وأقسموا بالله جهداً أيماهم﴾ جهداً اليمين أن يحلف بالله، ولا حلف فوق الحلف بالله ﴿لئن أمرتهم ليخرجن﴾ وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله ﷺ: أينما كنت نكن معك، لئن خرجت خرجنا وإن أقمت أقمنا، وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا، فقال تعالى: ﴿قل﴾ لهم ﴿لا تقسموا﴾ لا تحلفوا، وقد تم الكلام؛ ثم قال: ﴿طاعة معروفة﴾، يعني: هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد، وهي معروفة: يعني أمرٌ عرف منكم أنكم تكذبون وتقولون ما لا تفعلون، هذا معنى قول مجاهد ﴿إن الله خبير بما تعملون﴾ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولّوا، يعني: تولّوا عن طاعة الله ورسوله

(١) قلت: روي مرفوعاً بنحو عن عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - أخرجه البخاري

(ح/٧٠٥٦)، ومسلم (٣/١٤٧٠).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٢٩٩).

﴿فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ﴾، يعني: على الرسول ما كُلف وأمر به من تبليغ الرسالة ﴿وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ﴾ من الإجابة والطاعة ﴿وَإِنْ تَطِيعُوهُ﴾ تهتدوا وما على الرسول إلاّ البلاغ المبين.

قوله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاطِيعُوا الرُّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا أَوْلَهُمْ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾﴾.

عن أبي العالية قوله: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات﴾ الآية. قال: مكث النبي ﷺ عشر سنين خائفاً يدعو إلى الله سرّاً وعلانية، ثم أمر بالهجرة إلى المدينة، فمكث بها هو وأصحابه خائفين يصبحون في السلاح ويمسون فيه، فقال رجل: ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع عنا السلاح؟ فقال النبي ﷺ: «لا تصبرون إلّا يسيراً حتى يجلس الرجل منكم في الملاء العظيم محتبياً ليس فيه حديدة»، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم﴾ إلى قوله: ﴿فمن كفر بعد ذلك﴾ قال: يقول: من كفر بهذه النعمة ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ وليس يعني الكفر بالله؛ قال: فأظهره الله على جزيرة العرب فأمنوا ثم تجبروا فغير الله ما بهم، وكفروا بهذه النعمة فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: فالصحابه رضي الله عنهم لما كانوا أقوم الناس بعد

(١) أخرجه ابن جرير (١٨/١٥٩ - ١٦٠).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٠٠).

النبي ﷺ بأوامر الله عز وجل وأطوعهم الله، كان نصرهم بحسبهم، أظهروا كلمة الله في المشارق والمغارب، وأيدهم تأييداً عظيماً، وحكموا في سائر البلاد والعباد، ولما قصر الناس بعدهم في بعض الأوامر، نقص ظهورهم بحسبهم، ولكن قد ثبت في الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>. وفي رواية: «حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك»<sup>(٢)</sup>.



---

(١) أخرجه مسلم (ح/١٩٢) من حديث ثوبان رضي الله عنه، وأيضاً (ح/١٩٢٣) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٦٩) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

## الدرس التاسع والثمانون بعد المائة

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَفْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَوةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَوةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا طَوْفُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٨ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَفْذِنُوا كَمَا اسْتَفْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ٥٩ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٦٠ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاتِحُهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ٦١ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى

يَسْتَعِذُّوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَعِذُّونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا  
 اسْتَعِذُّوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِّنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ  
 اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا  
 قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذٍ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ  
 أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
 قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ  
 عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ .

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْدَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

عن ابن عباس في قوله: ﴿ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ يقول: إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا بإذن، حتى يصلي الغداة، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن﴾، أي: بعد هذه الأحوال الثلاث ﴿طوافون﴾.

قال في جامع البيان: أي هم طوافون، ﴿عليكم﴾ استئناف يبين العذر في ترك الاستئذان ﴿بعضكم﴾ طائف ﴿على بعض﴾ أو تقديره: يطوف بعضكم على بعض، أو فيكثرون التردد لحوائجكم، فيفتقر فيهم ما لا يفتقر في غيرهم، ﴿كذلك﴾ مثل ذلك التبيين ﴿يبين الله لكم الآيات والله عليم﴾ بأحوالكم ﴿حكيم﴾ فيما أمركم.

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم﴾، أي: الاحتلام، يريد الأحرار البالغين ﴿فليستأذنوا﴾، أي: يستأذنون في جميع الأوقات في الدخول عليكم ﴿كما استأذن الذين من قبلهم﴾ من الأحرار والكبار ﴿كذلك

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٠٢).

يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ﴿٦٠﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾ بِأُمُورِ خَلْقِهِ ﴿٦٢﴾ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ فِيمَا دَبَّرَ لَهُمْ. قَالَ: وسئل حذيفة: أيستأذن الرجل على والدته؟ قال: نعم، إن لم يفعل رأى منها ما يكره.

قوله عز وجل: ﴿٦٠﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦١﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿٦٠﴾ وَالْقَوَاعِدُ يعني اللاتي قعدن عن الولد والحيض من الكبر ﴿٦١﴾ اللاتي لا يرجون نكاحاً، أي: لا يردن الرجال لكبرهن ﴿٦٢﴾ فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن عند الرجال: يعني: يضعن بعض ثيابهن، وهي الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار، والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره. وعن الشعبي: ﴿٦٣﴾ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خير لهن ﴿٦٤﴾ قال: ترك ذلك، يعني: ترك وضع الثياب.

قوله عز وجل: ﴿٦٥﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُم مَفَاحِشُهُمْ أَوْ صَدِيقَهُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٦﴾.

(١) المصدر السابق (٣/٣٠٣).

قال مجاهد: كان الرجل يذهب بالأعمى أو بالأعرج أو بالمرضى إلى بيت أبيه أو أخيه، أو بعض من سمى الله في هذه الآية، فكان الزمنى يتحرّجون من ذلك يقولون: إنما يذهبون بنا إلى بيوت عشيرتهم، فنزلت هذه الآية رخصة لهم<sup>(١)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم﴾ إنما ذكر هذا وهو معلوم، ليعطف عليه غيره في اللفظ، وليساوي به ما بعده في الحكم، وتضمن هذا بيوت الأبناء لأنه لم ينصّ عليه، ولهذا استدلّ به من ذهب إلى أن مال الولد بمنزلة مال أبيه، وقد جاء في المسند والسنن من غير وجه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنت ومالك لأبيك»<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾ قال ابن عباس: «كانوا يأنفون ويتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده حتى يكون معه غيره، فرخص الله لهم فقال ﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾. قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: فهذه رخصة من الله تعالى في أن يأكل الرجل وحده ومع الجماعة، وإن كان الأكل مع الجماعة أبرك وأفضل، كما رواه الإمام أحمد أن رجلاً قال

(١) أخرجه ابن جرير (١٦٩/١٨)، وقيل: لأنهم كانوا يتخرجون الأكل مع الأعمى؛ لأنه لا يرى الطعام، والأعرج لأنه لا يقدر على الجلوس، والمرضى لأنه لا يقدر أن يستوفي الطعام كغيره، فكرهوا أن يؤاكلوهم لئلا يظلموهم فأنزل الله هذه الآية، وهذا هو قول سعيد بن جبير ومقسم، وقيل: لأنهم كانوا يتخرجون الأكل مع هؤلاء تقدراً وتعزراً ولئلا يتفضلوا عليهم، فأنزل الله هذه الآية، وهذا القول الضحّاك، وهناك أقوال أخر ذكرها ابن جرير في تفسيره فراجعها إن شئت.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٠٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه (ح/٢٢٩١) من حديث جابر رضي الله عنه، والطبراني (٩٩/١٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، والطبراني (٧/٢٣٠) من حديث سمرة رضي الله عنه وأحمد (٢/١٧٨ و ١٧٩ و ٢٠٤ و ٢١٤)، وأبو داود (ح/٣٥٣٠)؛ وابن ماجه (ح/٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بنحوه، وهو حديث صحيح.

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٠٥).

للنبي ﷺ: إنا نأكل ولا نشبع! قال: «لعلكم تأكلون متفرقين، اجتمعوا على طعامكم واذكروا اسم الله يبارك لكم فيه»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾. قال قتادة: إذا دخلت على أهلِكَ فسَلِّمْ عليهم، وإذا دخلت بيتاً ليس فيه أحد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، فإنه كان يؤمر<sup>(٢)</sup> بذلك، وحُذِّثنا أن الملائكة تردّ عليه.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهُ لِلَّذِينَ اسْتَغْفَرَ اللَّهُ إِنَّكَ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن زيد: الأمر الجامع حين يكونون معه في جماعة الحرب أو الجمعة، قال: والجمعة من الأمر الجامع، لا ينبغي لأحد أن يخرج إذا قعد الإمام على المنبر يوم الجمعة، إلاّ بإذن سلطان، إذا كان حيث يراه أو يقدر عليه، ولا يخرج إلاّ بإذن، وإذا كان حيث لا يراه ولا يقدر عليه ولا يصل إليه، فالله أولى بالعذر. وروى أبو داود وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم، فإذا أراد أن يقوم فليسلم، فليست الأولى بأحقّ من الآخرة»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (٣/٥٠١)، وأبو داود (٣٧٦٤/ح)، وابن ماجه (٣٢٨٦/ح) من حديث وحشي بن حرب رضي الله عنه، بسند ضعيف.

(٢) في (الأصل): «يؤموا» وهو خطأ.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٣٠ و ٢٨٧ و ٤٣٩)، وأبو داود (٥٢٠٨/ح)، والترمذي (٢٧٠٧/ح)، وحسنه، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢/٤٦٥ و ٤٦٦)، والطحاوي في «المشكّل» (٢/١٣٩)، وهو حديث صحيح.

قوله عز وجل: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٣).

قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد يا أبا القاسم، فنهاهم الله عن ذلك إعظاماً لنبية، قال فقولوا: يا نبي الله يا رسول الله. وقال قتادة في قوله: ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾، يعني: لواذاً عن نبي الله وعن كتابه (١).

وقوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة﴾ قال ابن كثير: أي في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة ﴿أو يصيبهم عذاب أليم﴾، أي: في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك.

قوله عز وجل: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (١٤).

قال ابن كثير (٢): «قد» للتحقيق، كما قال قبلها ﴿قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذاً﴾ قال ابن جرير (٣): ﴿ويوم يرجعون إليه﴾ يقول: ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ﴿فينبئهم﴾ يقول: فيخبرهم حينئذ ﴿بما عملوا﴾ في الدنيا ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها من خلافهم ﴿والله بكل شيء عليم﴾.

• • •

(١) واللواذ هو: الروغان بخفية.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٠٧).

(٣) انظر «جامع البيان» (١٨/١٧٩).

## الدرس التسعون بعد المائة

### ﴿سورة الفرقان﴾

مكية، وهي سبع وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ١ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا ٢ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ٣ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكُ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ٤ وَقَالُوا أَأَسْطِيزُ الْأَوَّلِينَ أَمِ اتَّخَذَتْنَاهَا فِئَةً تُمَلِّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ٥ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ٦ وَقَالُوا مَا هَذَا الرَّسُولُ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ٧ أَوْ يُنْفِقُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ٨ أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَل فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ٩ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ

قُصُورًا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ  
 مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَا أَلْقَا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا  
 هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ  
 أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾  
 لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ  
 يَخْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ  
 هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ  
 أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَعَآبَاءَ هُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ  
 كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا اسْتَطِيعُوا صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ مِنْكُمْ  
 نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا أَنْهُمْ  
 لَبِأَ كَلُوتِ الطَّعَامِ وَيَخْشَوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً  
 أَنْتَصِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ  
 عَلَيْنَا الْمَلَكُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ  
 يَرَوْنَ الْمَلَكَ لَا يُشْرِي يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدْ مَنَا إِلَى مَا  
 عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا  
 وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَمِ وَنُزِلُ الْمَلَكُ تَنْزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ  
 الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ  
 يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَوَيْلَ لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾  
 لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ  
 خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي أَخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ .

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (١) ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رَمَقَهُ نَقِيرًا﴾ (٢) ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ (٣).

قال ابن زيد في قوله: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرًا﴾ قال: النبي النذير، وقرأ: ﴿وإن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ (١) وقرأ: ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾ (٢). قال: رسل، قال: المندرون الرسل، قال: وكان نذيرًا واحداً بلغ ما بين المشرق والمغرب، ذو القرنين، ثم بلغ السدّين، وكان نذيرًا ولم أسمع أحداً بحق أنه كان نبياً. ﴿وأوحى إليّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ (٣) قال: من بلغه القرآن من الخلق فرسول الله نذيره، وقرأ: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ (٤) وقال: لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحاً بدأ به، فكان رسول أهل الأرض كلهم، ومحمد ﷺ ختم به.

قال البغوي (٥): ﴿تبارك﴾ تفاعل، من البركة ﴿الذي نزل الفرقان﴾ أي القرآن ﴿على عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ليكون للعالمين نذيراً﴾ أي الجن والإنس ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل﴾

(١) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢٨.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٩.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٨.

(٥) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٠٦).

شيء مما يطلق عليه صفة المخلوق ﴿فقدّره تقديراً﴾ فسوّاه وهيّاه لما يصلح له، لا خلال فيه ولا تفاوت. ﴿واتخذوا﴾ يعني عبدة الأوثان ﴿من دونه آلهة﴾ يعني الأصنام ﴿لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً﴾ أي دفع ضرر ولا جلب نفع ﴿ولا يملكون موتاً ولا حياة﴾ أي إماتة وإحياء ﴿ولا نشوراً﴾ أي بعثاً بعد الموت.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً﴾ ٤ ﴿وَقَالُوا أَأَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ ٥ ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ كَانَ عَفْوَاً رَحِيماً﴾ ٦ .

عن ابن جريج ﴿قل أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض﴾ قال: ما يسرُّ أهل الأرض وأهل السماء.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا﴾ ٧ ﴿أَوْ يُنْفَخُ إِلَيْهِ كَافٌ أَوْ تَكُونُ لَهُمْ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً﴾ ٨ ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَلَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ ٩ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُوراً﴾ ١٠ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿انظر﴾ يا محمد ﴿كيف ضربوا لك الأمثال﴾ يعني الأشباه فقالوا: مسحور محتاج وغيره ﴿فضلوا﴾ عن الحق ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ إلى الهدى ومخرجاً عن الضلالة. وعن مجاهد قوله: ﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك

(١) المصدر السابق (٣/٣٠٧).

خيراً ﴿١٠﴾ مما قالوا ﴿٩﴾ جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصوراً ﴿٨﴾ قال: بيوتاً مبنية مشيدة. وروى البغوي وغيره عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً فقلت: لا يا رب، ولكن أشبع يوماً وأجوع يوماً، فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك، وإذا شبعت حمدتك وشكرتك»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿١١﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ﴿١٢﴾ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْطًا وَزَفِيرًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٥﴾ لَا نَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٦﴾ قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧﴾ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿١٨﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿١٩﴾ كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُورًا ﴿٢٠﴾

قال الضحاك: الثُّبُور الهلاك. وعن ابن عباس في قوله: ﴿١٨﴾ لهم فيها ما يشاءون خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً ﴿١٧﴾ قال: فسألوا الذي وعدهم وتنجزوه. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم في الدنيا حين قالوا: ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك، يقول: كان أعطى الله المؤمنين جنة الخلد وعداً وعدهم على طاعتهم إياه في الدنيا ومسألتهم إياه.

قوله عز وجل: ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ هَآأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَآؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿٢١﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ يَلْبِغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَأَهُمْ هُمْ حَتَّى نَسُوا

(١) أخرجه أحمد (٢٥٤/٥)، والترمذي (ح/٢٣٤٧)، والطبراني (٢٤٥/٨)، والبغوي في تفسيره (٣٠٨/٣)، بسند ضعيف جداً.

(٢) المصدر السابق (٣٠٩/٣).

الَّذِينَ كَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ .

عن مجاهد في قوله: ﴿ويوم نحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء؟﴾ قال: عيسى وعزير والملائكة. وعن ابن عباس قوله: ﴿وكانوا قوماً بوراً﴾ يقول: هلكى. وقال الحسن: لا خير فيهم.

وعن مجاهد: فقد كذبوكم بما تقولون ﴿قال: عيسى وعزير والملائكة يكذبون المشركين﴾ ﴿فما تستطيعون صرفاً ولا نصراً﴾ قال: المشركون. قال ابن جريج: لا يستطيعون صرف العذاب عنهم، ولا نصر أنفسهم ﴿ومن يظلم منكم﴾ قال: يشرك ﴿نذقه عذاباً كبيراً﴾ وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة أو نرى ربنا لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ يَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ .

(١) سورة يونس: الآية ٢٨.

قال ابن عباس: لما عَبرَ المشركون رسول الله ﷺ وقالوا: ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق؟ أنزل الله عز وجل هذه الآية، أي ما كنت بدعاً من الرسل، وهم كانوا بشراً يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق.

﴿وجعلنا بعضكم لبعض فتنة﴾ قال ابن عباس: أي جعلت بعضكم بلاء لبعض، لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتتبعوا الهدى.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿وكان ربك بصيراً﴾ أي بمن يستحق أن يوحى إليه، كما قال تعالى: ﴿والله أعلم حيث يجعل رسالته﴾. وقوله تعالى: ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا أنزل علينا الملائكة﴾، أي: فتخبرنا أن محمداً صادق ﴿أو نرى ربنا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لقد استكبروا في أنفسهم وعتوا عتواً كبيراً يوم يرون الملائكة﴾ عند الموت ويوم القيامة ﴿لا بشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجراً محجوراً﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي وتقول الملائكة للكافرين: حرام محرّم عليكم الفلاح اليوم.

وقوله تعالى: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً﴾، أي: باطلاً لا ثواب له، كما قال تعالى: ﴿ومثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرّون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد﴾<sup>(٣)</sup>. وعن ابن عباس قوله: ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلاً﴾ يقول: قالوا في الغرف في الجنة، وكان حسابهم أن عرضوا على ربهم عرضة واحدة، وذلك الحساب اليسير، وهو مثل قوله: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً﴾<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣١٣).

(٢) المصدر السابق (٣/٣١٣).

(٣) سورة إبراهيم: الآية ١٨.

(٤) سورة الإنشقاق: الآية ٨.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ وَالْغَمَمُ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا﴾ ٢٥ ﴿الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ٢٦ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَنَالِيَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ٢٧ ﴿يَوَالَتِي لَيْتَنِي لَمْ أَخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ ٢٨ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ ٢٩ .

قال ابن عباس: تشقق السماء الدنيا فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس، ثم تشقق السماء الثانية فينزل أهلها، وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس، ثم كذلك حتى تشقق السماء السابعة، وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي قبلها، ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش. وعن مجاهد قوله: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ قال: هو الذي قال: ﴿في ظل من الغمام﴾ الذي يأتي الله فيه يوم القيامة.

وعن ابن عباس قوله: ﴿ويوم يعص الظالم على يديه﴾ إلى قوله: ﴿فلاناً خليلاً﴾ قال: هو أبي بن خلف كان يحضر النبي ﷺ فزجره عقبة بن أبي معيط. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وسواء كان سبب نزولها في عقبة بن أبي معيط أو غيره من الأشقياء، فإنها عامة في كل ظالم، كما قال تعالى: ﴿يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسل﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَرْبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ٣٠ ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ ٣١ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَقَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ٣٢ ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ

(١) المصدر السابق (٣/٣١٦).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٦٦.

تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ .

قال ابن زيد في قول الله: ﴿وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ لا يرون أن يسمعه، وإن دُعوا إلى الله قالوا: لا، وقرأ: ﴿وهم ينهون عنه وينأون عنه﴾<sup>(١)</sup> قال: ينهون عنه ويبتعدون عنه. وقال ابن عباس: ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً من المجرمين﴾ قال: يوطن محمداً ﷺ أنه جاعل له عدواً من المجرمين كما جعل لمن قبله.

وقوله تعالى: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لثبتت به فؤادك ورتلناه ترتيلاً﴾ قال ابن عباس: كان الله ينزل عليه الآية، فإذا علمها نبي الله نزلت عليه آية أخرى، ليعلمه الكتاب عن ظهر قلب ويثبت به فؤاده وعن الحسن في قوله: ﴿ورتلناه ترتيلاً﴾ قال: كان ينزل آية في آيتين وآيات، جواباً لهم إذا سألوا عن شيء، أنزله الله جواباً لهم ورداً عن الشيء فيما يتكلمون به، وكان بين أوله وآخره نحو من عشرين سنة.

وعن ابن جريج ﴿ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق﴾ قال: الكتاب بما ترد به ما جاءوا به من الأمثال التي جاءوا بها ﴿وأحسن تفسيراً﴾. قال ابن عباس: يقول أحسن تفصيلاً.

وقوله تعالى: ﴿الذين يحشرون علىٰ وجوههم إلىٰ جهنم أولئك شرّ مكاناً وأضلّ سبيلاً﴾ في الصحيح عن أنس أن رجلاً قال: يا رسول الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ فقال: «إن الذي أمشاه على رجله قادر أن يمشيه على وجهه يوم القيامة»<sup>(٢)</sup>.

• • •

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٦.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٧٦٠)، ومسلم (ح/٢٨٠٦).

## الدرس الحادي والتسعون بعد المائة

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ٣٥ ﴾  
 فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمْزِلْهُمْ تَدْمِيرًا ٣٦ وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا  
 كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا  
 أَلِيمًا ٣٧ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ٣٨ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ  
 الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرَّأْنَا تَبِيرًا ٣٩ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمُطِرَتْ مَطَرُ السَّوَاءِ  
 أَفْكَمَ يَكُونُوا يَكُونُوهَا بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ٤٠ وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا  
 يَنْخِذُونَكَ إِلَّا هُزُؤًا أَهْذًا الَّذِي بِعَمِكَ اللَّهُ رَسُولًا ٤١ إِنْ كَادَ لَيُضِلَّنَا عَنْ  
 إِلَهِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ  
 أَضَلُّ سَبِيلًا ٤٢ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ٤٣ أَمْ  
 تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ  
 سَبِيلًا ٤٤ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ  
 عَلَيْهِ دَلِيلًا ٤٥ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ٤٦ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْيَلَّ لِبَاسًا  
 وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ٤٧ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ  
 رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ٤٨ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُشْفِيَهُ وَمَا  
 خَلَقْنَا أَنْعَمًا وَلَا نَاسِيًا كَثِيرًا ٤٩ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ  
 إِلَّا كُفُورًا ٥٠ وَلَوْ شِئْنَا لَافْتَنَّا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ٥١ فَلَا تُطِيعُ



الْكَافِرِينَ وَجَهَدَهُمْ بِهِ، جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ  
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي  
خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ  
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا  
وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَا نَشَاءُ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾  
وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ  
خَيْرًا ﴿٥٨﴾ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى  
الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا  
الرَّحْمَنُ أَنْسَجِدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ تُفُورًا ﴿٦٠﴾ ۞

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا ۝٣٥﴾ فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِعَايَتِنَا فَدَمْزَلْنَهُمْ نَذِيرًا ۝٣٦﴾ وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَّمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ لَئِذَا مَثَلَ وَأَمْثَلٌ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَنْبِيْرًا ۝٣٩﴾ وَلَقَدْ أَنَوَّا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَمْطَرْنَا مَطَرَ السَّوْءِ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَكُونُوا يَرْوْنَهَا بَلْ كَانُوا لَا يَتَّخِذُونَ شُعُورًا ۝٤٠﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿وأصحاب الرس﴾ قال: هي بئر كانت تسمى الرس. وقال قتادة: الرس قرية من اليمامة يقال لها الفلج ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ قال: كل قد أعذر الله إليه ثم انتقم منه ﴿وكلاً تبرنا تنبيراً﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني أهلكتنا إهلاكاً.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ۝٤١﴾ إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حَيْثُ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٢﴾ أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ۝٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ .

عن ابن جريج قوله: ﴿إِن كَادَ لِيُضِلَّنَا عَنْ إِلَهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا﴾ قال:

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣١٤).

ثبتنا عليها، قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها. انتهى. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملائمة أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلاً﴾ قال ابن عباس: أرأيت من ترك عبادة الله وخالفه، ثم هوى حجراً فعبده ما حاله عنده؟ وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: ﴿أرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾، أي: مهما استحسنت من شيء ورآه حسناً في هوى نفسه، كان دينه ومذهبه، كما قال تعالى: ﴿أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿ألم تر إلى ربك كيف مَدَّ الظل﴾ يقول: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ﴿ولو شاء لجعله ساكناً﴾ يقول: دائماً ﴿ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً﴾ يقول: طلوع الشمس. وقال مجاهد: تحويه ﴿ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً﴾ قال: حوى الشمس الظل.

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾، أي: سترأ تستترون به ﴿والنوم سباتاً﴾ راحة لأبدانكم ﴿وجعل النهار نشوراً﴾ تنتشرون فيه لأشغالكم.

(١) المصدر السابق (٣/ ٣١٤).

(٢) سورة ص: الآيات ٤ — ٦.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٢٠).

قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾  
وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُخْشِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيْتًا وَنُسْقِيَهُمْ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَمًا  
وَأَنَاسِي كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا  
كُفُورًا ﴿٥٠﴾.

قال ابن عباس: ما عام بأكثر مطر من عام، ولكن الله يصرفه بين خلقه ثم قرأ  
﴿ولقد صرّفناه بينهم ليدذكروا﴾. وعن عكرمة ﴿أبى أكثر الناس إلا كفورا﴾ قال:  
قولهم في الأنواء.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِيعُ  
الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ  
هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي  
خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ  
مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾.

قال ابن عباس قوله: ﴿فلا تطع الكافرون وجاهدكم به﴾ قال:  
بالقرآن.

وعن مجاهد في قوله: ﴿مرج البحرين﴾ أفاض أحدهما على الآخر ﴿هذا  
عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾ قال: لا يختلط  
البحر بالعذب. وعن الحسن في قوله: ﴿وجعلنا بينهما برزخاً وحجراً محجوراً﴾  
قال: هذا اليبس.

وقوله تعالى: ﴿وهو الذي خلق من الماء﴾، أي: النطف ﴿بشراً فجعله  
نسباً﴾ وهو القرابة ﴿وصهراً﴾ وهو الخلطة التي تشبه القرابة ﴿وكان ربك قديراً﴾.  
وعن الحسن في قوله: ﴿وكان الكافر على ربه ظهيراً﴾ قال: عوناً للشيطان على ربه

على المعاصي. وقال ابن زيد: والظهير العوين، وقرأ قول الله ﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً  
لِّلْكَافِرِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾<sup>(٥٦)</sup> قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ  
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً﴾<sup>(٥٧)</sup> وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا  
يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيراً﴾<sup>(٥٨)</sup> الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَلِّ بِهِ  
خَبِيراً﴾<sup>(٥٩)</sup> وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ  
نُفُوراً﴾<sup>(٦٠)</sup>.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: قوله: ﴿وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ قل ما أسألكم  
عليه، أي: على تبليغ الوحي ﴿من أجر﴾ فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا  
﴿إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ هذا من الاستثناء المنقطع والمعنى:  
لا أسألكم لنفسي أجراً، ولكن لا أمنع من إنفاق المال في طلب مرضاة الله  
واتخاذ السبيل إلى جنته.

وقوله تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى  
بذنوب عباده خبيراً﴾ عالماً بصغيرها وكبيرها ﴿الذي خلق السموات والأرض  
وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ قال  
مجاهد في قوله: ﴿فاسأل به خبيراً﴾ ما أخبرتك من شيء فهو كما أخبرتك.

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: يقول: فاسأل يا محمد بالرحمن خبيراً بخلقه، فإنه خالق  
كل شيء ولا يخفى عليه ما خلق.

(١) سورة القصص: الآية ٨٦.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣١٧).

(٣) انظر «جامع البيان» (٢٧/١٩).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ؟ أَيْ: لَا نَعْرِفُهُ وَلَا نَقْرَأُ بِهِ، وَكَانُوا يَنْكُرُونَ أَنْ يَسْمَى اللَّهَ بِاسْمِهِ الرَّحْمَنُ ﴿أَنْسَجِدَ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾، أَيْ: لِمَجْرَدِ قَوْلِكَ؟ ﴿وَزَادَهُمْ﴾ ذَلِكَ ﴿نَفُورًا﴾ عَنِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ. قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ<sup>(١)</sup>: فَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَعْبُدُونَ اللَّهَ الَّذِي هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَيَفْرَدُونَهُ بِالْإِلَهِيَّةِ وَيَسْجُدُونَ لَهُ.



---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٢٣).

## الدرس الثاني والتسعون بعد المائة

﴿ نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ٦١ ﴾  
 وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ٦٢  
 وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا  
 سَلَامًا ٦٣ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ٦٤ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا  
 أَصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا  
 وَمُقَامًا ٦٦ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ  
 قَوَامًا ٦٧ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ  
 إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ٦٨ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ  
 الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ٦٩ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا  
 فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٧٠ وَمَنْ تَابَ  
 وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ٧١ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا  
 بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ٧٢ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا  
 صُمًا وَعُمِيَانًا ٧٣ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ  
 أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمَتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا  
 وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا ٧٥ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٧٦  
 قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ٧٧ ﴾

قوله عز وجل: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا  
وَفَعَّرَ أُنْثِيرًا﴾ (٦١) وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ  
شُكُورًا ﴿٦٢﴾ .

قال قتادة: البروج النجوم. وعن مجاهد قوله: ﴿وهو الذي جعل الليل  
والنهار خلفه﴾ قال: هذا يخلف هذا وهذا يخلف هذا ﴿لمن أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ ذاك آية  
له ﴿أو أَرَادَ شُكُورًا﴾ قال: شكر نعمة ربه عليه فيهما.

قوله عز وجل: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا  
خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ (٦٣) وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا  
وَقِيَمًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ  
غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ  
يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ .

عن مجاهد ﴿يمشون على الأرض هونًا﴾ قال: بالوقار والسكينة. وعن ابن  
عباس قوله: ﴿الذين يمشون على الأرض هونًا﴾ بالطاعة والعفاف والتواضع. وقال  
ابن زيد: لا يتكبرون على الناس ولا يتجبرون ولا يفسدون، وقرأ قول الله ﴿تلك  
الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًا في الأرض ولا فسادًا والعاقبة  
للمتقين﴾ .

وعن الحسن ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا﴾ قال: حلماء، وإن جهل  
عليهم لم يجهلوا.

وقوله تعالى: ﴿ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غرامًا﴾ قال



البغوي<sup>(١)</sup>: يعني مُلِحاً دائماً لازماً غير مفارق مَنْ عُدِّبَ به من الكفار ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً﴾، يعني: بشس موضع قرار وإقامة.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾ قال: هم المؤمنون لا يسرفون فينفقوا في معصية الله، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله. وعن إبراهيم قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يَسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ قال: لا يجيعهم ولا يعريهم، ولا ينفق نفقة يقول الناس: قد أسرف. وروى الإمام أحمد عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «من فقه الرجل قصده في معيشته»<sup>(٢)</sup>. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾، أي: وسطاً عدلاً، وقرئ بكسر القاف، وهو ما تقام به الحاجة.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۖ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ﴾.

عن ابن مسعود قال: «سئل رسول الله ﷺ: أي الذنب أكبر؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك، قال: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك، قال: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك» قال عبد الله: وأنزل الله تصديق ذلك ﴿وَالَّذِينَ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣١٩).

(٢) أخرجه أحمد (٥/١٩٤) بسند ضعيف.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٢٩.

لا يدعون مع الله إلهاً آخر»<sup>(١)</sup> الآية. رواه أحمد وغيره. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ قال: «لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»<sup>(٢)</sup>. وقال لقمان لابنه يا بني إياك والزنا، فإن أوله مخافة وآخره ندامة.

وقوله تعالى: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً﴾ قال أبو عبيدة: الأثام العقوبة؛ وقال مجاهد: الأثام واد في جهنم. قرأ ابن كثير وحفص فيه بإشباع الكسرة، وقرأ الباقون بغير إشباع كفظائرها. وقوله تعالى: ﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ قال ابن عباس: ﴿فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات﴾ بالشرك إيماناً، وبالقتل إمساكاً، وبالزنا إحصاناً. وقال سعيد بن المسيب: تصير سيئاتهم حسنات لهم يوم القيامة.

وقوله تعالى: ﴿ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾، أي: رجوعاً. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي فإن الله يقبل توبته، كما قال تعالى: ﴿ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً﴾<sup>(٤)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۖ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِتِائَةٍ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۚ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْ لَنَا لِمُنْقِبٍ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٦١)، ومسلم (ح/٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٦٨٧٨)، ومسلم (ح/١٦٧٦). من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٢٨).

(٤) سورة النساء: الآية ١١٠.

وَيُلَقِّتُونَ فِيهَا نَجِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup> في قوله: ﴿والذين لا يشهدون الزور﴾ لا يشهدون شيئاً من الباطل، لا شركاً ولا غناء ولا كذباً ولا غيره، قال: واللغو في كلام العرب هو كل كلام أو فعل باطل لا حقيقة له، أو ما يُستقبح. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي لا يحضرون الزور، وإذا اتفق مرورهم به مروا ولم يتدنسوا منه بشيء، ولهذا قال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾.

وقوله تعالى: ﴿والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿والذين إذا ذُكِّروا بآيات ربهم لم يخروا﴾ لم يقعوا ولم يسقطوا عليها ﴿صماً وعمياناً﴾ كأنهم صم عمي، بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه، ويرون الحق فيه فيتبعونه؛ قال القتيبي: لم يتغافلوا عنها كأنهم صم لم يسمعوها وعمي لم يروها.

وقوله تعالى: ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين واجعلنا للمتقين إماماً﴾ عن ابن عباس قوله: ﴿هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرّة أعين﴾ يعنون: من يعمل لك بالطاعة فتقرّ بهم أعيناً في الدنيا والآخرة ﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾ يقول: أئمة يقتدى بنا. وقال مجاهد: أئمة نفتدي بمن قبلنا، ونكون أئمة لمن بعدنا.

وقوله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾، أي: الدرجة العالية وهي الفردوس أعلا الجنة ﴿بما صبروا﴾ على أمر الله تعالى طاعته ﴿يُلَقِّتُونَ فِيهَا تحيةً وسلاماً﴾ كما قال تعالى: ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم

(١) انظر «جامع البيان» (٤٨/١٩).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٢٩).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٢٢).

عقبي الدار<sup>(١)</sup>. ﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنْتَ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾، أي: موضع قرار وإقامة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حَوْلًا﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا يَعْبَهُوا بِكُمْ رَفِئًا وَلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾<sup>(٣)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي لا يبالي ولا يكثرث بكم إذا لم تعبدوه، فإنه إنما خلق الخلق ليعبدوه ويوحّدوه. وقال الضحاك في قوله: ﴿فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ الكفار كذبوا رسول الله ﷺ وبما جاء به من عند الله ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ وهو يوم بدر. وعن ابن عباس ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ قال: موتاً. وقال الحسن البصري ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، أي: يوم القيامة. وقال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾، أي: فسوف يكون تكذيبكم لزاماً لكم، يعني: مقتضياً لعذابكم وهلاككم ودماركم في الدنيا والآخرة.

• • •

(١) سورة الرعد: الآية ٢٣.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٠٧.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٣٠).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٣٣٠).

## الدرس الثالث والتسعون بعد المائة

### ﴿سورة الشعراء﴾

مكية، وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسّم ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ لَعَلَّكَ بَلِغٌ قَفْصِكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٤ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُجَدِّدٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَتُوا مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٦ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ٧ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٩ وَلَإِذَا نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَنْقُورُونَ ١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ١٣ وَلَهُمْ عَلَى ذُنُوبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ١٤ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَعِينُونَ ١٥ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ١٧ قَالَ أَلَمْ تُرِيدِكُنِي فِينَا وَلِيدًا وَلِئْتَ فِينَا مِنْ عَمَرِكُمْ سِنِينَ ١٨ وَفَعَلْتَ فَعَلْتَك الْتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ٢٠ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ٢١ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ٢٢ قَالَ

فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَيْنِ اتَّخَذَتِ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أُولَئِ هِيَ ثِعَابُ مِثْنِ مَيْمٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَّبِعْ فِي الدِّينِ حَشِيرِينَ ﴿٣٦﴾ يَا تُولَكِ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٌ ﴿٣٧﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَنَأْجُرُكَ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمَقْرِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهَهُمْ وَقَالُوا بَعِزَّةَ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجِيدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَايِبُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطْعَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا لَا ضَرَرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطْلِينَ أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴿٥٢﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِلَيْكُمْ مُتَّبِعُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي أَمْدَائِنِ حَشِيرِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٥﴾ وَلَهُمْ لَنَا لَغَايُطُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٨﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٥٩﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٠﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ

مُوسَىٰ إِنَّا لَمَذْكُورٌ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ  
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا نَمَّ  
الْآخِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿طَسَّرَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ٢ ﴿لَمَّا بَلَغَ نَفْسَكَ ٣﴾ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ٤ ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ ٦ ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْتَبُوا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَّمْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَنْجٍ كَرِيمٍ ٨ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً ٩﴾ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ١٠ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ١١ ﴿

قال ابن عباس: ﴿باخع نفسك﴾ قاتل نفسك. وقال قتادة: لعلك من الحرص على إيمانهم مخرج نفسك من جسدك.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ قال قتادة: لو شاء الله لنزل آية يذلون بها، فلا يلوي أحد عنقه إلى معصية الله. وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي لو نشاء لأنزلنا آية تضطرهم إلى الإيمان قهراً، ولكن لا نفعل ذلك لأننا لا نريد من أحد إلا الإيمان الاختياري.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدَّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْتَهُ مُعْرِضِينَ﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>، أي: مُحَدَّثٌ إنزاله، فهو محدث في التنزيل. قال الكلبي: كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول. وقوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَاتِهِمْ أَنْبَاءٌ﴾، أي: أخبار وعواقب ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٣١).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٢٥).



وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زوج كَرِيمٍ﴾، أي: حسن. قال الشعبي: الناس من نبات الأرض، فمن دخل الجنة فهو كريم، ومن دخل النار فهو لئيم.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾، أي: دلالة على قدرة الخالق وتوحيده بالعبادة ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قال أبو العالية ﴿العزیز﴾ في نغمته وانتصاره ممن خالف أمره وعبد غيره. وقال سعيد بن جبیر: ﴿الرحيم﴾ بمن تاب إليه وأناب.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنْ أَنْتَ الْغَلَامُ الْغَلِيلُ ۖ قَوْمَ فِرْعَوْنَ لَا يَسْمَعُونَ ۚ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ۖ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۖ وَلَهُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ۖ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِبَنَاتَيْنَا ۖ إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ۖ فَآتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۖ أَنْ أَرْسَلَ مَعَنَا بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ۖ﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي إلى فلسطين، ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم أربعمئة سنة، وكانوا في ذلك ستمائة ألف وثلاثين ألفاً، فانطلق موسى إلى مصر، وهارون بها فأخبره بذلك، وصاحت أمهما وقالت: إن فرعون يطلبك ليقتلك، فلو ذهبتما إليه قتلكما، فلم يمتنعا لقولها وذهبا إلى باب فرعون.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ۖ وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْغَلِيلَ الْغَلِيلَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ۖ قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ۖ فَفَرَّرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدَتْ بَنَىٰ إِسْرَءِيلَ ۖ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ قَالَ

(١) المصدر السابق (٣/٣٢٦).

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لَنْ أَخَذَتْ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوْلَوْ جِثَّتْ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَاتَّ بِهٖ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظِيرِينَ ﴿٣٣﴾ .

قال ابن زيد في قوله: ﴿وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾ قال: ربّناك فينا وليداً فهذا الذي كافأنا أن قتلنا منا نفساً وكفرت نعمتنا؟ ﴿قال فعلتها إذا وأنا من الضالين﴾ قال مجاهد: من الجاهلين. وعن السدي ﴿فوهب لي ربي حكماً﴾ والحكم النبوة. وعن مجاهد ﴿تَمْثُهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ قال: قهرتهم واستعملتهم. وعن السدي ﴿وتلك نعمة تَمْثُهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ وربيتني قبل وليداً!

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي وما أحسنت إليّ وربيتني مقابل ما أسأت إلى بني إسرائيل، فجعلتهم عبيداً وخداماً تصرفهم في أعمالك ومشاق رعيّتك، أفقي إحسانك إلى رجل واحد منهم بما أسأت إلى مجموعهم؟ أي ليس ما ذكرته شيئاً بالنسبة إلى ما فعلت بهم.

﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾. يقول: أي شيء رب العالمين الذي تزعم أنك رسوله؟ ﴿قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين﴾ أنه خالقها، أي: إن كانت لكم قلوب موقنة تدلّكم على أن فرعون وغيره لا يخلقون ذلك ﴿قال لمن حوله ألا تستمعون﴾، أي: ألا تعجبون من هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري؟ ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ الذين كانوا قبل فرعون وزمانه ﴿قال

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٣٢).

إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون ﴿٣٤﴾، أي: ليس له عقل؛ فزاد موسى في البيان: ﴿قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾.

فلما رأى فرعون الحجة لزمته وانقطعت حجته، عدل إلى قوته وسلطانه: ﴿قال لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين قال أو لو جئتكم بشيء مبين﴾، أي: أتسجنني وإن أتيتك بحجة بيّنة ﴿قال فإنت به إن كنت من الصادقين فآلقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين﴾ يقول: مبين له خلق حية.

وقوله: ﴿ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ لمن ينظر إليها ويراها.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٧﴾ بَاثُوكَ بِكُلِّ سَحَابٍ عَلِيمٍ ﴿٣٨﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾ لَعَلَّآ نَبْعُ السَّحَرَةِ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَإِنَّا لَأَجْرُ إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٦﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِهَابَهُمْ ﴿٤٧﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٩﴾ قَالَ آمِنْتُمْ لَمْ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعَالِمُونَ لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا لَا ضَيْرَ لَنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿٥١﴾ إِنَّا نَنْطَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾.

كان فرعون لعنه الله وقحاً جريئاً، فلما غلب وانقلب صاغراً عدل إلى المكابرة والعناد فقال: ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر﴾ وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، ثم توعدهم بقطع الأيدي والأرجل والصلب فقالوا: ﴿لا ضير﴾، أي: لا يضرنا ذلك ولا نبالي به: ﴿إنا إلى

ربنا منقلبون ﴿٥٢﴾، أي: المرجع إلى الله عز وجل، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا ﴿٥٣﴾ إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أن كنا أول المؤمنين ﴿٥٤﴾، أي: بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان بالله وآياته وتصديق رسله، فقتلهم كلهم.

﴿٥٥﴾ وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا أودينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴿٥٦﴾.

قوله عز وجل: ﴿٥٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِيَادِي إِنَّكَ مُتَّبَعُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْسَلْنَا فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٦٠﴾ وَلَئِنَّهُمْ لَنَالِغَابُطُونَ ﴿٦١﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ خَادِرُونَ ﴿٦٢﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٦٣﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامِرٍ كَرِيمٍ ﴿٦٤﴾ كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦٥﴾ فَاتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا تَرَاءَ الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٨﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٩﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ ﴿٧٠﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ ﴿٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧٤﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: لما طال مقام موسى عليه السلام ببلاد مصر، وأقام بها حجج الله وبراهينه على فرعون وملئه، وهم مع ذلك يكابرون ويعاندون، لم يبق لهم إلا العذاب والنكال، فأمر الله تعالى موسى عليه السلام أن يخرج بني إسرائيل ليلاً من مصر، وأن يمضي بهم حيث يؤمر، ففعل موسى عليه السلام ما أمره به ربه عز وجل.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٣٥).

وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ ليجمعوا له الجند، وقال: ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لَشُرْذِمَةٌ﴾ طائفة ﴿قَلِيلُونَ﴾ قال أبو عبيدة: كانوا ستمائة ألف وسبعين ألفاً ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾، أي: كل وقت يصل إلينا منهم ما يغيظنا ﴿وإننا لجميع حاذرون﴾، أي: مستعدون، وإنني أريد أن أهلكهم، فخرجوا في طلبهم، قال الله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّاتٍ﴾، أي: بساتين ﴿وَعُيُونٍ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ كذلك وأورثناها بني إسرائيل فأتبعوهم مشرقين، أي: لحقوهم في وقت إشراق الشمس ﴿فلما تراءى الجمعان﴾، أي: تقابلا ورأى بعضهم بعضاً: ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرَكُونَ﴾، أي: سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم ﴿قَالَ﴾ موسى ثقة بوعده الله إياه ﴿كَلَّا﴾ لن يدركونا ﴿إِنْ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ يدلني على طريق النجاة ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾ فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾، أي: انشق ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾، أي: كالجبل الكبير. قال ابن عباس: صار البحر اثني عشر طريقاً لكل سبط طريق.

وقوله تعالى: ﴿وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ﴾، أي: قربنا هنالك ﴿الْآخِرِينَ﴾ قال قتادة: هم قوم فرعون قربهم الله حتى أغرقهم في البحر ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ثم أغرقنا الآخرين ﴿قال السدي: ودنا فرعون وأصحابه من البحر بعد ما قطع موسى ببني إسرائيل البحر، فلما نظر فرعون إلى البحر منفلقاً قال: ألا ترون البحر فرق مني؟ قد تفتح لي حتى أدرك أعدائي فأقتلهم، فذلك قول الله: ﴿وَأَزَلَفْنَا ثَمَّ الْآخِرِينَ﴾ يقول: قربنا ثَمَّ الآخرين هم آل فرعون، فلما قام فرعون على الطرق وأبت خيله أن تقتحم، فنزل جبرائيل عليه السلام على مازيانة، فتشامت الحصن ريح المازيانة، فاقتحمت في أثرها، حتى إذا هم أولهم أن يخرج ودخل آخرهم، أمر البحر أن يأخذهم، فالتطم عليهم، وتفرد جبريل بمقلة من مقل البحر فجعل يدسها في فيه. وقال بكر بن عبد الله: أقبل فرعون، فلما أشرف على الماء قال أصحاب موسى: يا مكلّم الله إن القوم يتبعوننا في الطريق، فاضرب بعصاك البحر فأخلطه، فأراد موسى أن يفعل فأوحى الله إليه: أن اترك البحر رهواً إنهم جند

مغرقون، إنما أمكر بهم فإذا سلكوا طريقكم أغرقتهم، قال: فلما انتهى فرعون إلى وسط البحر أوحى الله إلى البحر: خذ عبدي الظالم وعبادي الظلمة، فتغطمطت تلك الفرق من الأمواج كأنها الجبال وضرب بعضها بعضاً ﴿فلما أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ ف قيل له: ﴿الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين فاليوم ننجيك ببذنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك﴾، أي: إنجاء المؤمنين وإهلاك الكافرين ﴿آية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾.



## الدرس الرابع والتسعون بعد المائة

﴿وَأَنذِرْ عَلَيْهِمْ نَارَ إِتْرَهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ  
أَصْنَامًا فَنُظِلُّ لَهَا مِنْكَفَرِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ  
يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ  
تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾  
الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ  
يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ  
الَّذِيبِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْجَنَّةَ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ  
صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَاعْفِرْ لِأَيُّهَا أَنَا كَانَ مِنْ  
الصَّالِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ  
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آيَنَ مَا  
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُفُّوا فِيهَا هُمْ  
وَالْفَاوُونَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لِنَفِي  
ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ تُسَوِّكَم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا  
مِنْ شَافِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ  
لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾.

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِكِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذَا قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ أي شيء تعبدون ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِكِينَ﴾، يعني: نقيم على عبادتها قال: ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ﴾، أي: هل يسمعون دعاءكم إذ تدعون قال ابن عباس: يسمعون لكم أو ينفعونكم أو يضررون إن تركتم عبادتها ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ معناه: أنها لا تسمع قولاً ولا تجلب نفعاً ولا تدفع ضرراً لكن اقتدينا بآبائنا وفيه إبطال التقليد في الدين انتهى ملخصاً.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ (٧٥) أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحَقِّقْ بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ .

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: ومعنى الكلام: أفرايتم كل معبود لكم ولآبائكم، فإني

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٣٢).

(٢) انظر «جامع البيان» (١٩/٨٤).



منه بريء لا أعبدُهُ ﴿إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي خلقني فهو يهدين ﴿لِلصَّوَابِ مِنْ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ وَيَسُدُّنِي لِلرَّشَادِ﴾ والذي هو يطعمني ويسقين ﴿يَقُولُ: وَالَّذِي يَغْذُونِي بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَيَرْزُقُنِي الْأَرْزَاقَ.﴾ وإذا مرضت فهو يشفين ﴿يَقُولُ: وَإِذَا سَقَمَ جَسْمِي وَاعْتَلَّ فَهُوَ يَبْرِئُهُ وَيَعَافِيهِ﴾ والذي يميتني ثم يحييني ﴿يَقُولُ: وَالَّذِي يَمِيتُنِي إِذَا شَاءَ ثُمَّ يَحْيِيْنِي إِذَا أَرَادَ بَعْدَ مَمَاتِي﴾ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴿فَرَّبَنِي هَذَا الَّذِي بِيَدِهِ نَفْعِي وَضَرِّي، وَلَهُ هَذِهِ الْقُدْرَةُ وَالسُّلْطَانُ، وَلَهُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ، لَا الَّذِي لَا يَسْمَعُ إِذَا دَعِيَ وَلَا يَنْفَعُ وَلَا يَضُرُّ.﴾ انتهى.

﴿رَبِّ هَبْ لِي حَكْمًا﴾ قال ابن عباس: معرفة حدود الله وأحكامه ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي اجعلني مع الصالحين في الدنيا والآخرة، كما قال النبي ﷺ عند الاحتضار: «اللهم في الرفيق الأعلى»<sup>(٢)</sup>.

وعن عكرمة قوله: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾. وقوله: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ قال: إن الله فضله بالخلة حين اتخذه خليلاً، فسأل الله فقال: ﴿وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ حتى لا تكذبني الأمم، فأعطاه الله ذلك، فإن اليهود آمنّت بموسى وكفرت بعبسى، وإن النصارى آمنّت بعبسى وكفرت بمحمد عليهم الصلاة والسلام، وكلهم يتولّى إبراهيم، قالت اليهود: وهو خليل الله وهو منا، فقطع الله ولايتهم منه بعد ما أقرّوا له بالنبوة وآمنوا به فقال: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>(٣)</sup> ثم ألحق ولايته بكم فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾<sup>(٤)</sup> فهذا خيره الذي عجل له، وهي

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٣٨).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٤٣٦ و ٤٤٣٧ و ٤٤٣٨ و ٤٤٦٣).

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٧.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٦٨.

الحسنة إذ يقول: ﴿وَاتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ وهو اللسان الصدق الذي سأل ربه.

وقوله: ﴿وَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي ممن تعطه جنة النعيم. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي أنعم عليّ في الدنيا ببقاء الذكر الجميل بعدي، وفي الآخرة بأن تجعلني من ورثة جنة النعيم.

وقوله: ﴿وَاعْفُ رَأْيِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ وهذا مما رجع عنه إبراهيم عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله: ﴿وَلَا تَخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾، أي: أجزني من الخزي يوم القيامة ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ قال قتادة: سليم من الشرك. وقال مجاهد ليس فيه شك في الحق؛ وفي الدعاء المأثور: «اللهم إني أسألك قلباً سليماً ولساناً صادقاً ونفساً مطمئنة»<sup>(٤)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٠٦﴾ وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿١٠٧﴾ وَقِيلَ لَهُمْ آتِنَا مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿١٠٨﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْصِرُونَ ﴿١٠٩﴾ فَكَبَّوْا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿١١٠﴾ وَخُنُودٌ أُولَئِكَ سَمْعُومٌ ﴿١١١﴾ قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿١١٢﴾ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١٣﴾ إِذْ تُسَوِّىكُمْ رَبُّنَا بِالْعَلَمِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمَجْرُمُونَ ﴿١١٥﴾ فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ ﴿١١٦﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١١٧﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٠﴾﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٣٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٣٣).

(٣) سورة التوبة: الآية ١١٤.

(٤) أخرجه أحمد (٤/١٢٣) و (١٢٥)، والترمذي (ح/٣٤٠٧) من حديث شداد بن أوس نحوه،

وفي سنده ضعف.

يقول تعالى: ﴿وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ﴾، أي: قُرِبَتْ وَأَدْلَيْتْ ﴿لِلْمُتَّقِينَ وَأَبْرَزَتْ الْجَحِيمَ﴾، أي: أَظْهَرَتْ ﴿لِلْغَاوِينَ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ﴾؟ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي ليست الآلهة التي عبدتموها من دُونِ اللَّهِ من تلك الأصنام والأنداد تغني عنكم اليوم شيئاً، ولا تدفع عن أنفسها، فإنكم وإياها اليوم حصب جهنم أنتم لها واردون.

وقوله تعالى: ﴿فَكَبِكُوا فِيهَا هُم وَالْغَاوُونَ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ قال الزجاج: طرح بعضهم على بعض ﴿قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نَسَوْنَكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾، أي: نعدلكم به فنعبدكم معه ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ قال الكلبي: إِلَّا أَوْلُونَا الَّذِينَ اقْتَدَيْنَا بِهِمْ ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾، أي: قريب. قال قتادة: يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا كان صالحاً نفع. وعن جابر بن عبد الله قال: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَقُولُ فِي الْجَنَّةِ: مَا فَعَلَ صَدِيقِي فَلَان؟ وَصَدِيقُهُ فِي الْجَحِيمِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَخْرِجُوا لَهُ صَدِيقَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ مَنْ بَقِيَ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾»<sup>(٢)</sup>. رواه البغوي ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾، أي: رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لأنهم يشفعون وتنفعهم الشفاعة، وأما الكفار فلا تنفعهم شفاعة الشافعين.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي أن في محاجة إبراهيم لقومه وإقامة الحجج عليهم في التوحيد، آية واضحة جليلة على أنه لا إله إلا الله ﴿وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ قال البغوي<sup>(٤)</sup>: ﴿الْعَزِيزُ﴾ الذي لَا يُغْلَبُ، فالله عزيز وهو في وصف عزته رحيم.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٣٩).

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٣/٣٣٤) بسند ضعيف.

(٣) المصدر السابق (٣/٣٤٠).

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٣٤).

## الدرس الخامس والتسعون بعد المائة

﴿ كَذَبَتْ قَوْمٌ نُّوحَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١١٠﴾ ﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حَسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنْشُوعْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كُنَّا أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا نَنْقُوتُ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۖ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِالتَّعْمِيرِ وَبَيْنَ ۖ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتْ وَعْيُونُ ﴿١٣٤﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ

لَهُمْ أَخُوهُمْ صَلَاحٌ أَلَّا نُنْفِقُونَ ﴿١٤٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٨﴾ وَمَا  
 أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٩﴾ أَتُنْكِرُونَ فِي مَا هُنَا  
 ءَامِنِينَ ﴿١٥٠﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥١﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٥٢﴾ وَتَنَحُّتُونَ  
 مِنْ أَلْجَبَالِ بُيُوتًا كَأَنَّهُنَّ الْكَوْكَبُ الدُّرِّيُّ ﴿١٥٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥٤﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥٥﴾  
 الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٦﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٧﴾ مَا أَنْتَ  
 إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٨﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ  
 وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٩﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٠﴾  
 فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَدِيمِينَ ﴿١٦١﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ  
 أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٦٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ  
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٤﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٦٥﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٧﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٨﴾ أَتَأْتُونَ  
 الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٩﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ  
 عَادُونَ ﴿١٧٠﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَهِ بِلُوطٍ لَتَكُونَ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٧١﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ  
 الْقَالِينَ ﴿١٧٢﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٣﴾ فَجَنَّبْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي  
 الْغَدِيرِ ﴿١٧٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٦﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ إِنَّ فِي  
 ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٩﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ  
 لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٨١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ  
 وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٨٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٤﴾ أَوْفُوا  
 الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٦﴾ وَلَا تَبْخَسُوا  
 النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٧﴾ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ

الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٥﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ  
الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّ  
أَعْلَمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابَ يَوْمٍ  
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ  
الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١١١﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٢﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجِرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١١٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١١٤﴾ قَالُوا أَنْتُومُنَّ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴿١١٥﴾ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَو تَشْعُرُونَ ﴿١١٧﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٩﴾ قَالُوا لَيْنَ لَمْ تَنْتَهِ يَنْبُوحْ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١٢١﴾ فَأَفْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتَحَا وَخِجْنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ فَأَجْبِئْهُمْ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَاحِ الْمَشْحُونِ ﴿١٢٣﴾ ثُمَّ اغْرَقْنَا الْبَاقِينَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٦﴾ ۞ .

قيل للحسن البصري: يا أبا سعيد أرايت قوله: ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴾ و ﴿ كَذَّبَتْ عاد المرسلين ﴾ و ﴿ كَذَّبَتْ ثمود المرسلين ﴾ ، وإنما أرسل إليهم رسول واحد؟! قال: إن الآخر جاء بما جاء به الأول، فإذا كذبوا واحداً فقد كذبوا الرسل أجمعين .

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾؟ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أخوهم في النسب لا في الدين .

وقوله تعالى: ﴿ قَالُوا أَنْتُومُنَّ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾ يعنون: السفلة ﴿ قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم،

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٣٣٥) .

(٢) المصدر السابق (٣/ ٣٣٥) .

وليس عليّ من دناءة مكاسبهم وأحوالهم شيء، إنما كلّفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم ﴿إِنْ حَسَابِهِمْ﴾ ما حسابهم ﴿إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ لو تعلمون ذلك ما عِثْمُوهم بصنائعهم. قال الزجاج: الصناعات لا تضرّ في الديانات. وعن ابن جريج قوله: ﴿إِنْ حَسَابِهِمْ﴾ إلّا على ربّي لو تشعرون قال: هو أعلم بما في نفوسهم. وعن قتادة في قوله: ﴿فافتح بيني وبينهم فتحا﴾ قال: فاقض بيني وبينهم قضاء.

وقوله تعالى: ﴿فأنجيناه ومن معه في الفلك المشحون﴾ قال ابن عباس: يعني الموقر، قال البغوي<sup>(١)</sup>: الموقر المملوء من الناس والطير والحيوان كلها. ﴿ثم أغرقنا بعد الباقين﴾ أي أغرقنا بعد إنجاء نوح وأهله من بقي من قومه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ آلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنْ لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةٌ تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَسْخَدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلَدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَمِ وَبَيْنَ ﴿١٣٣﴾ وَحَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنْ أَنْخَافَ عَلَيْكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿أَتَنْبُونَ بِكُلِّ رِيحٍ ءَايَةٌ تَعْبَثُونَ﴾ قال: بكل طريق،

(١) المصدر السابق (٣/٣٣٥).



وقال: الآية عامة. ﴿تعبثون﴾ قال: تلعبون. وعن قتادة في قوله: ﴿مصانع﴾ قال: مآخذ للماء. وعن ابن عباس قوله: ﴿لعلكم تخلدون﴾ يقول: كأنكم تخلدون.

وقوله: ﴿وإذا بطشتم﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أخذتم وسطوتم ﴿بطشتم جبارين﴾ قتلاً بالسيف وضرباً بالسوط، والجبار الذي يقتل ويضرب على الغضب.

وقوله تعالى: ﴿قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين إن هذا إلاّ خلق الأولين وما نحن بمعتدين﴾ عن ابن عباس قوله: ﴿إن هذا إلاّ خلق الأولين﴾ يقول: دين الأولين. وقال قتادة: هكذا خلقة الأولين، وهكذا كانوا يحيون ويموتون. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه لما رأى ما أحدث المسلمون في الغوطة من البنيان ونصب الشجر، قام في مسجدهم فنادى: «يا أهل دمشق، فاجتمعوا إليه فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ألا تستحيون، ألا تستحيون؟ تجمعون ما لا تأكلون، وتبنون ما لا تسكنون، وتأملون ما لا تدركون! إنه قد كانت قبلكم قرون يجمعون فيوعون، ويبنون فيوثقون، ويأملون فيطيلون، فأصبح أملهم غروراً وأصبح جمعهم بوراً وأصبحت مساكنهم قبوراً، ألا أن عاداً ما بين عدن وعمان خيلاً وركاباً، فمن يشتري مني ميراث عاد بدرهمين»<sup>(٢)</sup>؟ رواه ابن أبي حاتم.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ ﴿١٤٢﴾ أَتَتَّقُونَ ﴿١٤٣﴾ إِنَّ لَكُمْ رَسُولًا أَمِينًا ﴿١٤٤﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٤٥﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٦﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَنُتُمْ عَنْ آمَانَتِكُمْ ﴿١٤٧﴾ فِي جَنَّتِ وَعُيُونٍ ﴿١٤٨﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلَمُهَا هُضْبٌ ﴿١٤٩﴾ وَتَنْجُثُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَئُونًا ﴿١٥٠﴾ فَارْهَبُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٥١﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٥٢﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي

(١) المصدر السابق (٣/٣٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم كما عناه له ابن كثير في تفسيره (٣/٣٤١)، والبيهقي في الشعب

(٧/٣٩٨).

الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٨﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٩﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٦٠﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٦١﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦٢﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٦٣﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٥﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿ونخل طلعتها هضيم﴾ يقول: أئنع وبلغ فهو هضيم .  
وقال عكرمة: الهضيم الرطب اللين .

وقوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ قال أبو صالح: حاذقين بنحتها . وعن ابن عباس في قوله: ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾ يقول: أشرين .

وقوله تعالى: ﴿قالوا إنما أنت من المسحورين﴾ قال مجاهد: من المسحورين ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين﴾ واقترحوا عليه أن يخرج لهم ناقة عسراء من هذه الصخرة، فقام نبي الله صالح عليه السلام فصلّى ثم دعا الله عز وجل، فانفطرت تلك الصخرة عن ناقة عسراء فأمن بعضهم وكفر أكثرهم، ﴿قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ يعني تردّ ماءكم يوماً ويوماً تردونه أنتم ﴿ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب يوم عظيم فعقروها فأصبحوا نادمين فأخذهم العذاب﴾ رجفت بهم أرضهم وأخذتهم الصيحة من فوقهم فأصبحوا في ديارهم جائمين ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ .

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٠﴾ أَتَأْتُونَ الذَّكَرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٧١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ

لَكُمْ رَبِّكُمْ مِنْ أَرْزَاقِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْتَه يَنْلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لَعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَتَجِئْتَهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: لما نهاهم نبي الله عن ارتكاب الفواحش وغشيانهم الذكور، وأرشدهم إلى إتيان نسائهم اللاتي خلقهن الله لهم، ما كان جوابهم إلا أن ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ أي نفيك من بين أظهرنا، فلما رأى أنهم لا يرتدعون عما هم فيه وأنهم مستمرّون على ضلالتهم تبرأ منهم و ﴿قال إني لعملكم من القالين﴾ أي المبغضين لا أحبه ولا أرضى به، وإني بريء منكم ثم دعا الله عليهم فقال: ﴿رب نجني وأهلي مما يعملون﴾ قال الله تعالى: ﴿فتجيناها وأهله أجمعين﴾ أي كلهم ﴿إلا عجوزاً في الغابرين﴾ وهي امرأته وكانت عجوزاً سوء بقيت فهلكت مع من بقي من قومها، كما أخبر الله عنهم في سورة هود وغيرها.

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمِرْثَلَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا نُنْفِقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ أَتُوقُونَ الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجِيلَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ نَظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَاسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٤٤).

يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّكُمْ كَانَتْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ .

قال ابن عباس قوله: ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾ قال: أهل مدين، والأيكة: الملتقى من الشجر. وقال ابن زيد: الأيكة الشجر؛ بعث الله شعباً إلى قومه من أهل مدين وإلى أهل البادية. وعن مجاهد قوله: ﴿والجبل الأولين﴾ قال: الخليفة.

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله: ﴿قالوا إنما أنت من المسحّرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين قال ربي أعلم بما تعملون﴾ من نقصان الكيل والوزن، وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب إليّ، وما عليّ إلا الدعوة، فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ﴿إنه كان عذاب يوم عظيم﴾. قال ابن جريج: لما أنزل الله عليهم أول العذاب أخذهم منه حرّ شديد، فرفع الله لهم غمامة، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلّوا بها، فأصابهم منها روح وبرد وريح طيبة، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً، فذلك قوله: ﴿عذاب يوم الظلة﴾.

وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ أي ﴿العزيز﴾ في انتقامه من الظالمين ﴿الرحيم﴾ بعباده المؤمنين.

• • •

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٣٩).

## الدرس السادس والتسعون بعد المائة

﴿ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْ لَوْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَتُوهُ بَيْنَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُرُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرَبَةٍ إِلَّا هَا مُنْذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَلْبِغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّي بِرِئْسٍ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرِنَكَ مِنْ تَقْوَمٍ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبَكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى مَنْ نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ يَلْبِغُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ ۞

قوله عز وجل: ﴿وَلَنُزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٧﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٨﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴿١٩٩﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿٢٠٠﴾ وَلَنُزِيلُ لِفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٠١﴾ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٠٢﴾﴾ .

عن قتادة: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾ قال: هذا القرآن ﴿نزل به الروح الأمين﴾ قال: جبريل .

وقوله تعالى: ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾، أي: ذكر إنزال القرآن على محمد موجود في كتب الأولين الماثورة عن أنبيائهم . ﴿أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾ قال مجاهد: عبد الله بن سلام وغيره من علمائهم .

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿٢٠٣﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٠٤﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٥﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٦﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٧﴾ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ ﴿٢٠٨﴾ أَفَعِزَّذَانَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٩﴾ أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢١٠﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢١١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنِعُونَ ﴿٢١٢﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٢١٣﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢١٤﴾﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ثم قال تعالى مخبراً عن شدة كفر قريش وعنادهم لهذا القرآن: أنه لو نزل على رجل من الأعاجم ممن لا يدري من العربية كلمة، وأنزل عليه هذا الكتاب بيانه وفصاحته لا يؤمنون به، ولهذا قال: ﴿نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه﴾ قال ابن عباس: أدخلنا الشرك والتكذيب في قلوب المجرمين .

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٤٨) .

﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ؟﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي لنؤمن ونصدق، يتمنون الرجعة والنظرة. قال مقاتل: لما أوعدهم النبي ﷺ بالعذاب قالوا: إلى متى توعدنا بالعذاب، ومتى هذا العذاب؟ قال الله تعالى: ﴿أَفْعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾

وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَعُونَ﴾. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا، فإذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئاً، ويكونون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: وفي الحديث الصحيح: «يؤتى بالكافر فيغمس في النار غمسة ثم يقال له: هل رأيت خيراً قط؟ هل رأيت نعيماً قط؟ فيقول: لا والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤساً كان في الدنيا، فيصبغ في الجنة صبغة ثم يقال له: هل رأيت بؤساً قط؟ فيقول: لا والله يا رب»<sup>(٤)</sup>، أي: ما كان شيئاً كان.

ثم قال تعالى مخبراً عن عدله في خلقه: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذَرُونَ ذِكْرَى﴾ قال البغوي<sup>(٥)</sup>: أي رسل ينذرونهم تذكراً، وقيل: محلها رفع أي تلك ذكري وما كنا ظالمين في تعذيبهم، حيث قدمنا الحجة عليهم وأعذرنا إليهم.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ﴾ ﴿١١٦﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿١١٧﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿١١٨﴾ فَلَا تَنفَعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٤١).

(٢) المصدر السابق (٣/٣٤١).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٤١).

(٤) أخرجه بنحوه مسلم (ح/٢٨٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٤١).

مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٢﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٤﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٥﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْمَرْيَمَ الرَّحِيمِ ﴿٢١٦﴾ الَّتِي يَرْبِكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٧﴾ وَتَقْلَبُكَ فِي السَّجْدِينَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢١٩﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنْزَلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢٠﴾ تَنْزَلُ عَلَىٰ كُلِّ آفَاقٍ أَثِيرٍ ﴿٢٢١﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٢٢﴾ .

عن قتادة في قوله: ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾ قال: هذا القرآن.

وفي قوله: ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾ قال: عن سمع السماء.

وقوله تعالى: ﴿فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يحذر به غيره يقول: أنت أكرم الخلق عليّ، ولو اتخذت إلهاً غيري لعذبتك. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وأندِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعمّ وخصّ فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار، فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً، إلا أن لكم رَحِمًا سَابِلُهَا بِلَالُهَا»<sup>(١)</sup>. رواه مسلم وغيره.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ يقول:

لن لهم.

وقوله تعالى: ﴿فإن عصوك فقل إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾، أي: من الشرك والمعاصي. وروى ابن عساكر في ترجمة عبد الواحد الدمشقي قال: رأيت أبا الدرداء رضي الله عنه يحدث الناس ويفتيهم، وولده إلى جنبه وأهل بيته جلوس في جانب المسجد يتحدثون، فقليل له: ما بال الناس يرغبون فيما عندك من العلم، وأهل بيتك جلوس لا هين؟ فقال: لأنني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ازهد

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٠٤)، وقوله: «سابلها بِلَالُهَا»، أي: ساصلها ولن أقطعها.



الناس في الدنيا الأنبياء، وأشدّهم عليهم الأقربون»<sup>(١)</sup>، وذلك فيما أنزل الله عزّ وجلّ قال تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ إلى قوله: ﴿فقل إني بريء مما تعملون﴾.

وقوله تعالى: ﴿وتوكل على العزيز الرحيم الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين﴾، أي: المصلّين. قال عكرمة: قائماً وساجداً وراكعاً وجالساً. وقال قتادة: يراك وحدك ويراك في الجمع. وقوله تعالى: ﴿إنه هو السميع العليم﴾، أي: السميع لأقوال عباده، العليم بحركاتهم وسكناتهم، كما قال تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين؟﴾ هذا جواب قول المشركين: إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد، فقال تعالى: ﴿وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾، ثم أخبر أنهم إنما ينزلون على من يشاكلهم ويشابههم من الكهان الكذبة فقال: ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل أفك أثيم﴾، أي: كذاب فاجر. قال قتادة: هم الكهنة، تسترق الجنّ السمع ثم يأتون به إلى أوليائهم من الإنس.

وقوله تعالى: ﴿يلقون السمع وأكثرهم كاذبون﴾ قالت عائشة: الشياطين تسترق السمع، فتجيء بكلمة حق فيقذفها في أذن وليّه، ويزيد فيها أكثر من مائة كذبة.

(١) أخرجه ابن عساكر كما عناه له ابن كثير في تفسيره (٣/٣٥٢)، والسيوطي في «الدر»

(١٨٢/٥) بسند موضوع، وقع في تفسير ابن كثير: «عمرو بن سمرة»، وهو خطأ،

والصواب: عمرو بن شمر.

(٢) سورة يونس: الآية ٦١.

قوله عز وجل: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا ﴿٢٢٧﴾ وَسَيَعْلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىٰ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره: ﴿والشعراء يتبعهم﴾ أهل الغي لا أهل الرشاد والهدى. وقال مجاهد: يتبعهم الشياطين. وعن ابن عباس: ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾ يقول: في كل لغو يخوضون. وقال قتادة: يمدحون قوماً بباطل ويشتمون قوماً بباطل.

وقوله تعالى: ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي يكذبون في شعرهم، يقولون: فعلنا وفعلنا وهم كذبة. وعن ابن عباس: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً﴾ في كلامهم ﴿وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾ قال: يردون على الكفار الذين كانوا يهجون المؤمنين. وروى البغوي عن كعب بن مالك أنه قال للنبي ﷺ: إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل، فقال النبي ﷺ: «إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل»<sup>(٣)</sup>. وعن أنس أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول:

خَلَّوْا بَنِي الْكَفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ      الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ  
ضَرْباً يَزِيلُ الْهَمَامَ عَنْ مَقِيلِهِ      وَيَذْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ

فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله ﷺ، وفي حرم الله تقول الشعر؟! فقال النبي ﷺ: «خلّ عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح

(١) انظر «جامع البيان» (١٩/١٢٦).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (١٩/٣٤٤).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٧/٦) بسند صحيح.

النبل»<sup>(١)</sup>. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ كقوله تعالى: ﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾. وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظلم، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>. قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى: ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾، يعني: من الشعراء وغيرهم. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كتب أبي في وصيته سطرين: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا، حين يؤمن الكافر ويتتهي الفاجر ويصدق الكاذب، إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب، فإن يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه، وإن يجرؤ يبذل فلا أعلم الغيب» ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾»<sup>(٤)</sup>. رواه ابن أبي حاتم والله أعلم.



(١) أخرجه الترمذي (ح/٢٨٤٧) وقال: حسن صحيح، ومن طريقه البغوي في تفسيره (٣/٣٤٥)، وأخرجه النسائي (٥/٢٠٢ - ٢٠٣)، بسند صحيح. إلا أن الترمذي قال: «وروي في غير هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل مكة في عمرة القضاء، وكعب بن مالك بين يديه، وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة، وإنما كانت عمرة القضاء بعد ذلك».

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٥٥).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/٣٢٩).

## الدرس السابع والتسعون بعد المائة

### ﴿سورة النمل﴾

مكية، وهي ثلاث وتسعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسّ تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلَهُمْ فَهُمْ يَتَعَمَّهَوْنَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَشِيرٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْوَسَّى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوَسَّى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخَرِّجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ فِي تِسْعِ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدِّثُوا بِهَا وَأَسْتَيْقِنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿طَسَّ تِلْكَ أَيْتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿تلك آيات﴾، أي: هذه آيات: ﴿القرآن وكتاب مبين﴾، أي: بين واضح ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾، أي: إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقته وعمل بما فيه، وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة، وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت، والجزاء على الأعمال خيرا وشرا والجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾<sup>(٢)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لتبشّر به المتقين وتنذر به قوما لدا﴾، ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾، أي: يكذبون بها ويستبعدون وقوعها ﴿زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون﴾، أي: حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم في غيهم، فهم يتيهون في ضلالهم، وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة، كما قال تعالى: ﴿ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٥٦).

(٢) سورة فصلت: الآية ٤٤.

يعمهمون<sup>(١)</sup> ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾، أي: في الدنيا والآخرة ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾، أي: ليس يخسر أنفسهم وأهليهم سواهم من أهل الحشر.

وقوله وتعالى: ﴿وانك لتلقى القرآن﴾، أي: تؤتى القرآن ﴿من لدن حكيم عليم﴾، أي: وحياً من عند الله الحكيم في أمره ونهيه، العليم بالأمور كلها، فخبره هو الصدق وحكمه هو العدل، كما قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَأْتِيكُمْ بِهِ شِهَابٍ قَبَسَ لَمَلَكُهُ تَصَاطُوتَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا تُودِي أَنَّ بُرْكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يَمْسُوعَ إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْسُوعَ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَنْخَلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِن غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَمَجٍ ءَايَتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَافِرًا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ وَحَدَّوْا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكراً له ما كان من أمر موسى عليه السلام، كيف اصطفاه الله وكلمه وناجاه، وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة، وابتعثه إلى فرعون وملئه، فجحدها بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والانقياد له، فقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ﴾، أي: اذكر حين سار

(١) سورة الأنعام: الآية ١١٠.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

(٣) المصدر السابق (٣/٣٥٦).

موسى بأهله فأضلّ الطريق وذلك في ليل وظلام، فأنسوا من جانب الطور ناراً، أي: رأى ناراً تأجج وتضطرم فقال لأهله ﴿إني آنست ناراً سأتيكم منها بخبر﴾، أي: عن الطريق ﴿أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون﴾، أي: تستدفئون به، وكان كما قال، فإنه رجع منها بخبر عظيم واقتبس منها نوراً عظيماً، ولهذا قال تعالى: ﴿فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها﴾، أي: فلما أتاها ورأى منظراً هائلاً عظيماً، حيث انتهى إليها والنار تضطرم في شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقداً، ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة، ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء. قال ابن عباس وغيره: لم تكن ناراً، وإنما كانت نوراً يتوهج — وفي رواية عن ابن عباس: نور رب العالمين — فوقف موسى متعجباً مما رأى.

﴿فنودي أن بورك من في النار﴾ قال ابن عباس: تقدّس ﴿ومن حولها﴾، أي: من الملائكة. قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود وهو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودي عن عمرو بن مرة سمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل — زاد المسعودي — وحجابه النور أو النار، لو كشفه لأحرقت سُبحَاتُ وجهه كل شيء أدركه بصره»<sup>(١)</sup>، ثم قرأ أبو عبيدة ﴿أن بورك من في النار ومن حولها﴾ وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة.

وقوله تعالى: ﴿وسبحان الله رب العالمين﴾، أي: الذي يفعل ما يشاء، ولا يشبهه به شيء من مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٩٣)، إلا أن في آخره: «ما انتهى إليه بصره من خلقه».

المباين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الأرض والسموات، بل هو الأحد الصمد المنزه عن مماثلة المحدثات.

وقوله تعالى: ﴿يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ أعلمه أن الذي يخاطبه ويناجيه هو ربه ﴿العزيز﴾ الذي عزّ كل شيء وقهره وغلبه ﴿الحكيم﴾ في أقواله وأفعاله، ثم أمره أن يلقي عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت في الحال حية عظيمة هائلة، في غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾ والجآن ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثره اضطراباً، فلما عاين موسى ذلك ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾، أي: لم يلتفت من شدة فرقه ﴿يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيْ الْمُرْسَلِينَ﴾، أي: لا تخف مما ترى فإني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجيهاً. وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلْ حَسَنًا بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر، وذلك أنه من كان على عمل سيئ ثم أقبل عنه ورجع وتاب وأناب، فإن الله يتوب عليه، كما قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَادْخُلْ يَدُكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار، وصدق من جعل له معجزة، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده في جيب درعه، فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر، لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف.

وقوله تعالى: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾، أي: هاتان ثنتان من تسع آيات أو يدك بهن وأجعلهن برهاناً لك ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾.

(١) سورة طه: الآية ٨٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١١٠.



وقوله تعالى: ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾، أي: بيّنة واضحة ظاهرة ﴿قالوا هذا سحر مبين﴾ وأرادوا معارضته بسحرهم فغلبوا وانقلبوا صاغرين ﴿وجحدوا بها﴾، أي: في ظاهر أمرهم ﴿واستيقنتها أنفسهم﴾، أي: علموا في أنفسهم أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ﴿ظلماً وعلوا﴾، أي: ظلماً من أنفسهم سجية ملعونة ﴿وعلوا﴾، أي: استكباراً عن اتباع الحق، ولهذا قال تعالى: ﴿فانظر كيف كان عاقبة المفسدين﴾، أي: انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم، في إهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم في صبيحة واحدة؛ وفحوى الكلام يقول: احذروا أيها المكذبون لمحمد ﷺ، الجاحدون بما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم.



## الدرس الثامن والتسعون بعد المائة

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ١٥ ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَىٰئَهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴾ ١٦ ﴿ وَخُسَيْرَ لِّسُلَيْمَانَ جُنُودٌ مِّنَ الْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ١٧ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَتَىٰئُهَا النَّمْلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا يَحْطُمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ١٨ ﴿ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذْخُلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾ ١٩ ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَٰذِهِدْ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَاكِينَ ﴾ ٢٠ ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾ ٢١ ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَلٍ يَقِينٍ ﴾ ٢٢ ﴿ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ ٢٣ ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ٢٤ ﴿ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبَاءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴾ ٢٥ ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ٢٦ ﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ٢٧ ﴿ أَذْهَبَ يَكْتُمِي هَٰذَا فَالِقَهُ إِلَهُهُ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ ٢٨ ﴿ قَالَتْ يَتَىٰئَهَا الْمَلَكُوتُ إِنِّي إِلَٰهِي إِلَٰكُ كَذِبٌ كَرِيمٌ ﴾ ٢٩ ﴿ إِنَّهُمْ مِنْ

سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٦﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَىٰ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَتْ يَتَايَأُ آلُ الْمَلِكِ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٧﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلَا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَآةَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أَتِيْدُونَنِي بِمَالٍ مِّمَّا آتَيْنِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٤١﴾ أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أُذَلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤٢﴾ قَالَ يَتَايَأُ آلُ الْمَلِكِ إِلَيْكُمْ يَاتِيَنِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤٣﴾ قَالَ عَفَرْتُ مِّنَ الْحَيِّ أَنَا ءَايُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٤﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَايُكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٥﴾ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٨﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۖ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٩﴾ ۝

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ١٥ ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَتَاءَتِيهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾ ١٦ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا﴾، يعني: علم القضاء ومنطق الطير والدواب، وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال ﴿وقالوا الحمد لله الذي فضَّلنا﴾ بالنبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والإنس ﴿على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود﴾ نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده، وكان لداود تسعة عشر ابنًا، وأعطى سليمان ما أعطي داود: الملك، وزيد له تسخير الريح وتسخير الشياطين. وقال مقاتل: كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأفضى منه، وكان داود أشدَّ تعبدًا من سليمان، وكان سليمان شاكراً لنعم الله تعالى.

﴿وقال يا أيها الناس علِّمنا منطق الطير﴾ سَمَى صوت الطير منطق لحصول الفهم منه كما يُفهم من كلام الناس. روي عن كعب قال: صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: لِدُوا للموت، وابنوا للخراب. وصاح طاووس فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا، قال: فإنه يقول: كما تَدِينُ تُدان. وصاح صرد فقال: أتدرون ما يقول؟ قالوا: لا قال: فإنه يقول: استغفروا الله يا مذبذبين. وهدرت حمامة فقال: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا، قال: فإنها تقول: سبحان ربي الأعلى ملء سمائه وأرضه. قال: والغراب يدعو على العشا. والحدأة تقول: كل شيء هالك إلا الله. والقطاة تقول: من سكت سلم. والصفدعة تقول: سبحان المذكور بكل لسان.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٣٤٩ - ٣٥٠).

وقوله: ﴿وَأوتينا من كل شيء﴾ قال البغوي: من كل شيء يؤتاه الأنبياء والملوك ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾ وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿وَأوتينا من كل شيء﴾، أي: مما يحتاج إليه الملك ﴿إن هذا لهو الفضل المبين﴾، أي الظاهر البين لله علينا.

قوله عز وجل: ﴿وَحِشْرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ (١٧) حَقَّ إِذَا اتَّوَا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مِنكُمْ لَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَنَبَسَهُ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَن أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَن أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾.

عن قتادة في قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ قال: يرذ أولهم على آخرهم.

قوله عز وجل: ﴿وَتَقَفَّذَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ (٢٠) لَأَعَذَّبَنَّكَ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَأَذِجَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٥٨).

قال ابن زيد: نزل سليمان بواد فسأل الإنس عن مائه فقالوا: ما نعلم له ماء، فإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالجنّ، فدعا الجنّ فسألهم فقالوا: ما نعلم له ماء، وإن يكن أحد من جنودك يعلم له ماء فالطير، فدعا الطير فسألهم فقالوا: ما نعلم له ماء، وإن يكن أحد من جنودك يعلمه فالهدهد، فلم تجده، قال: فذاك أول ما فقد الهدهد.

وعن مجاهد: ﴿لَاعَذَّبْتَهُ عَذَاباً شَدِيداً﴾ قال: نتف ريشه كله ﴿أو لأذبحته أو ليأتيني بسلطان مبين﴾ قال وهب بن منبه: أي بحجة، عذر له في غيبته ﴿فمكث غير بعيد﴾ ثم جاء الهدهد، فقال له سليمان: ما خلّفتك؟ فقال أحطت بما لم تحط به. قال البغوي<sup>(١)</sup> يقول: علمت ما لم تعلم وجئتك من سبأ نبأ يقين. قال ابن كثير: أي بخبر صدق حق يقين، وسبأ هم حمير وهم ملوك اليمن.

﴿إني وجدت امرأة تملكهم﴾ قال الحسن: هي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ﴿وأوتيت من كل شيء﴾، يعني: من كل أمر الدنيا ﴿ولها عرش عظيم﴾ قال ابن عباس: سرير كريم. قال: حسن الصنعة. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: سرير تجلس عليه عظيم هائل، مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر والآلئ.

﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل﴾، أي: طريق الحق فهم لا يهتدون ﴿ألا يسجدوا لله الذي يُخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون﴾ قال ابن عباس: يعلم كل خبيثة في السماء والأرض.

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: وقوله ﴿الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ يقول تعالى ذكره: الله الذي لا تصلح العبادة إلا له، لا إله إلا هو لا معبود سواه، تصلح له العبادة فأخلصوا له العبادة وأفردوه بالطاعة، ولا تشركوا به شيئاً ﴿رب العرش

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٥٤).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٦٠).

(٣) «جامع البيان» (١٩/١٥٠ — ١٥١).

العظيم ﴿٢٧﴾، يعني: بذلك مالك العرش العظيم، الذي كل عرش وإن عظم فدونهُ، لا يشبهه عرش ملكة سبأ ولا غيره.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿أحطت بما لم تحط به﴾ إلى قوله: ﴿لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ هذا كله كلام الهدد.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٢٧﴾  
 أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا  
 الْمَلَأُ إِلَى إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُمْ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ  
 الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مِنْهُنَّ مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونٍ فِي أَمْرٍ مَا  
 كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ  
 فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ  
 أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ  
 الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ  
 بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِخُنُودٍ لَا فِجْلَ لَهَا وَلْنُخْرِجَنَّهُمْ  
 مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٣٧﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: فلما فرغ الهدد من كلامه قال سليمان للهدد: ﴿سننظر  
 أصدقت﴾ فيما أخبرت ﴿أم كنت من الكاذبين﴾ فدلهم الهدد على الماء،  
 فاحتضروا الركان وروى الناس والدواب، ثم كتب سليمان الكتاب وختمه بخاتمه،  
 فقال للهدد ﴿اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم﴾ تنح عنهم فكن قريباً  
 منهم ﴿فانظر ماذا يرجعون﴾ يردون من الجواب، فأخذ الهدد الكتاب فأتى به  
 بلقيس، وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام، فوافها في  
 قصرها وقد غلقت الأبواب، وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٥٥).

فوضعتها تحت رأسها، فأتاها الهدهد وهي نائمة مستلقية على قفاها، فألقى الكتاب على نحرها، هذا قول قتادة. وقال ابن منبه وابن زيد: كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع، فإذا نظرت إليها سجدت لها، فجاء الهدهد الكوة فسدها بجناحه فارتفعت الشمس ولم تعلم، فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها، فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة، فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت، لأن ملك سليمان كان في خاتمه، وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم مُلكاً، فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد، فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملاء من قومها فجاءوا وأخذوا مجالسهم، ﴿قالت﴾ لهم بلقيس ﴿يا أيها الملاء﴾ وهم أشراف الناس وكبرائهم ﴿إني ألقى إليّ كتاب كريم﴾ قيل: سمته كريماً لأنه كان مصدراً بيسم الله الرحمن الرحيم، ثم بينت الكتاب فقالت: ﴿إنه من سليمان﴾ وبيّنت المكتوب فقالت: ﴿وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعلوا عليّ واثتوني مسلمين﴾ قال ابن عباس: أي لا تتكبروا عليّ واثتوني مسلمين: مؤمنين طائعين. انتهى ملخصاً.

وقوله تعالى: ﴿قالت يا أيها الملاء أفتوني في أمري﴾، أي: أشيروا عليّ فيما عرض لي ﴿ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون﴾، أي: تحضرون ﴿قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد﴾ وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك، ثم قالوا: ﴿والأمر إليك﴾ في القتال ﴿فانظري﴾ من الرأي ﴿ماذا تأمرين﴾ فتمثل أمرك ونطيعه. قال الحسن: فوضعوا أمرهم إلى عُلجة تضطرب ثدياها ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية﴾، أي: دخلوها عنوة ﴿أفسدوها﴾ خربوها ﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾ تحذّروهم سير سليمان ودخوله بلادهم.

قال الله تعالى: ﴿وكذلك يفعلون﴾ ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة فقالت: ﴿واني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ قال قتادة: ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمت أن الهدية تقع موقعاً من الناس ﴿فلما جاء سليمان قال أتمدونن بمال فما آتاني الله﴾ من النبوة والدين والحكمة والملك ﴿خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾.



ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد: ﴿ارجع إليهم﴾ بالهدية ﴿فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها﴾، أي: من بلادهم ﴿أذلة وهم صاغرون﴾ إن لم يأتوني مسلمين. قال وهب بن منبه: فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت: قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة، فبعثت إلى سليمان أني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك، ثم أمرت بعرشها فجعل في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض، في آخر قصر من سبعة قصور لها، ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراساً يحفظونه، ثم قالت لمن خلقت على سلطانها: احتفظ بما قبلك، وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ولا يقربه حتى آتيك.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَبْنَؤُنَا أَلَمَلُوا أَيْكُم يَأْتِينِي بِعَرْشَهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ (٣٨) قَالَ عَفْرِيْتُ مَنِ الْجِنِّ أَنَا أَيْنِكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٍّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَوِيٌّ كَرِيمٌ (٤٠).

قال قتادة: لما بلغ سليمان أنها جائية، وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه، وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال: ﴿يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين قال عفريت من الجن﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: وهو المارد القوي ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ قال ابن عباس: يعني قبل أن تقوم من مجلسك ﴿وإني عليه لقوي أمين﴾، أي: قوتي على حملة أمين على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان عليه السلام: أريد أعجل من ذلك ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ وهو آصف كاتب سليمان — قال قتادة — كان مؤمناً من الإنس ﴿أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك﴾ قال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئاً، قال سليمان: هات فسجد وقال: يا ذا الجلال والإكرام، يا إلهنا وإله كل

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٥٩).

شيء إلهاً واحداً، لا إله إلا أنت، اثنتي بعرشها. قال الكلبي: فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان.

﴿فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾ نعمه ﴿أم أكفر﴾ فلا أشكرها ﴿ومن شكر فإنما يشكر لنفسه﴾، أي: يعود نفع شكره إليه ﴿ومن كفر فإن ربي غني﴾ عن شكره ﴿كريم﴾ قال ابن كثير: أي كريم في نفسه وإن لم يعبد أحد، فإن عظمته ليست مفتقرة إلى حد، وهذا كما قال موسى ﴿إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد﴾.

وقال ابن جرير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾ يقول جل ثناؤه قال الذي عنده علم من كتاب الله. وقال ابن عباس: هو آصف كاتب سليمان، قال أكثر المفسرين: وكان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ نَكِرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَنْهَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿٤١﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ ﴿٤٢﴾ ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ ﴿٤٣﴾ ﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالِ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٤٤﴾.

عن ابن عباس: فلما أتته ﴿قال نكروا لها عرشها﴾ قال: وتنكير العرش أنه زيد فيه ونقص لينظر في عقلها، فوجدت ثابتة العقل. وعن قتادة ﴿فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو﴾ قال: شبهته وكانت قد تركته خلفها. قال عكرمة: كانت حكيمة لم تقل: نعم، خوفاً من أن تكذب، ولم تقل: لا، خوفاً من التكذيب ﴿قالت كأنه هو﴾.

(١) انظر «جامع البيان» (١٩/١٦٢).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقرّ ولم تنكر.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله: ﴿وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ قال مجاهد: يقوله سليمان ﴿وصدّها ما كانت تعبد من دون الله﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: أي صدّها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله.

﴿إنها كانت من قوم كافرين﴾ قال وهب بن منبه: أمر سليمان بالصرح، وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضاً، ثم أرسل الماء تحته، ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه، وعكفت عليه الطير والجنّ والإنس، ثم قال: ﴿ادخلي الصرح﴾ ليربها ملكاً هو أعزّ من ملكها وسلطاناً هو أعظم من سلطانها ﴿فلما رآته حسبته لجة وكشفت عن ساقها﴾ لا تشكّ أنه ماء تخوضه، قيل لها: ادخلي ﴿إنه صرح ممرّد من قوارير﴾ فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وعابها في عبادتها الشمس من دون الله، فقالت بقول الزنادقة، فوقع سليمان ساجداً إعظاماً لما قالت وسجد معه الناس، وسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع، فلما رفع سليمان رأسه قال: ويحك ماذا قلت؟ قال: وأنسيّت ما قالت، فـ ﴿قالت رب إنني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ وأسلمت فحسن إسلامها. وعن عكرمة قال: لما تزوج سليمان بلقيس قالت: لم تمسني حديدة قط، قال سليمان للشياطين: انظروا ما يذهب الشعر، قالوا: النورة، فكان أول من صنع النورة. والله أعلم.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٠).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٦٥).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦١).

## الدرس التاسع والتسعون بعد المائة

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ ٤٥ قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ نَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا نَسْتَغْفِرُوكَ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ٤٦ قَالُوا أَطِيعْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ٤٧ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ شَجَاعَةٌ رَهْطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ٤٨ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ٤٩ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا مَكْرَهُمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ٥٠ فَبَلَكَ بِمُؤْتَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ٥١ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٥٢ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ ٥٣ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ۖ أَنَا تُؤْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ٥٤ أَيُنَّكُمْ لَنَا تُؤْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُونَ ٥٥ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَا تُلَوحِدُونَ قَرِيبَكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُوهَا ٥٦ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَاهَا مِنْ الْغَابِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ٥٨ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ٥٩ أَمِنْ خَلْقِ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَادِقَ دَاثَ بِهِجَةً مَا

كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنَبِّتُوا شَجَرَهَا ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ ۖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ  
 الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ  
 حَاجِزًا ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ ۖ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ  
 وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ ۖ قَلِيلًا مَّا  
 نَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ  
 بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ ۖ تَعْلَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّنْ يَبْدَأُ  
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۖ أَوَلَمْ مَعَ اللَّهِ ۖ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ  
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ  
 أَيَّانَ يَبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۖ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۖ بَلْ هُمْ مِنْهَا  
 عَمُونَ ﴿٦٦﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ (٤٥) قَالَ يَتَقَوَّمُ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَطِيعْنَا بَكَ وَيَمَن مَّعَكَ قَالَ طَاعْتَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ .

عن مجاهد في قول الله: ﴿فريقان يختصمون﴾ قول مؤمن وكافر، قولهم صالح مرسل؟ ليس بمرسل: ﴿قال يا قوم لم تستعجلون بالسَّيِّئَةِ قبل الحسنة﴾؟ قال مجاهد: بالعذاب قبل العافية.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمته؟ ولهذا قال ﴿لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون﴾ قالوا اطيعنا بك وبمن معك، أي: ما رأينا على وجهك ووجوه من أتبعك خيراً. قال مجاهد: تشاءموا بهم ﴿قال طائركم عند الله﴾ قال ابن عباس: الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم ﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾ تختبرون بالخير والشر.

قوله عز وجل: ﴿وَكَاثَ فِي الْمَدِينَةِ شِعْثَةٌ رَّهَطٌ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ (٤٨) قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَمَكْرُؤًا مَكَرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مُكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَبَلَكَ يُؤْتِيهِمْ خَاوِبَةً يَمَّا ظَلَمُوا إِنَّا فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ .

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٦٧).

عن ابن عباس قوله: ﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون﴾ هم الذين عقروا الناقة وقالوا حين عقروها: نبيت صالحاً وأهله فنقتلهم ثم نقول لأولياء صالح. ما شهدنا من هذا شيئاً وما لنا به علم، فدمرهم الله أجمعين.

وعن ابن إسحاق: قال التسعة الذين عقروا الناقة: هلّم فلنقتل صالحاً فإن كان صادقاً، يعني فيما وعدهم من العذاب بعد الثلاث عجلناه قبله، وإن كان كاذباً نكون قد ألحقناه بناقته، فأتوه ليلاً ليبيتوه في أهله فدمغتهم الملائكة بالحجارة، فلما أبطأوا على أصحابهم، أتوا منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رُضخوا بالحجارة.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿ومكروا مكراً﴾ قال: احتالوا لأمرهم واحتال الله لهم، مكروا بصالح مكراً ومكرنا بهم مكراً، وهم لا يشعرون بمكرنا وشعرنا بمكرهم.

﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرمهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ قال مجاهد: تقاسموا وتحالفوا على إهلاكه، فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين. ﴿فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا﴾، أي: بظلمهم وكفرهم ﴿إن في ذلك لآية﴾ لعبارة ﴿لقوم يعلمون وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَلَحِشَّةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٤﴾ أَيْنَكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ بِجَهْلُولٍ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلْ لَّوْطُ مِّنْ قَرِينِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَنْطَهَرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنْ الْغَايِبِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾.

عن ابن عباس في قوله: ﴿أنهم أناس يتطهرون﴾ قال: من الرجال والنساء

في أدبارهم. وقال مجاهد: من أدبار الرجال وأدبار النساء، استهزاء بهم. قال قتادة: عابوهم بغير عيب، أي: والله إنهم يتطهرون من أعمال السوء.

﴿فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا ﴿من الغابرين﴾، أي: الباقين في العذاب ﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾ وهو الحجارة ﴿فساء مطر المنذرين﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الإنذار، فخالفوا الرسول وكذبوه وهتموا بإخراجه من بينهم.

قوله عز وجل: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۚ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٥٩) ﴿أَمَنَ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِقَ ذَاتٍ بِهَجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا ۚ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ (٦٠) ﴿أَمَنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسٍ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلٌّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) ﴿أَمَنَ يُحِيبُ الْمُنْظَرُ ۖ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۚ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذْكُرُونَ﴾ (٦٢) ﴿أَمَنَ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بِشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٦٣) ﴿أَمَنَ يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ أَوَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قُلٌ هَا تَأْتُوا بَرْهَنَكُمْ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٦٤) ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ (٦٥) ﴿بَلِ أَدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا ۖ بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ (٦٦).

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٤).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٦٨).



قال مقاتل في قوله تعالى: ﴿قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى﴾ هم الأنبياء والمرسلون.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿قل الله خيرٌ أما يشركون﴾؟ استفهام، إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى؛ ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره، فقال تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾؟ انتهى. وذكر لنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — مرّ بقوم في بلاد العينية عند قبر زيد بن الخطاب وهم يقولون: يا زيد يا زيد، فقال لهم: الله خير من زيد، ثم مرّ بهم مرة أخرى وهم يدعون زيدا فقال: الله خير من زيد، ثم مرّ بهم الثالثة وهم يدعونه فقال: الله خير من زيد، فقالوا: صدق الشيخ، وتركوا دعاءه.

وقوله تعالى: ﴿أمن خلق السموات والأرض﴾؟

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: معناه آلهتكم خير أم الذي خلق السموات والأرض؟

وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: ﴿أمن﴾ في هذه الآيات كلها تقديره: أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر، لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وأنزّل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق﴾، أي: بساتين ﴿ذات بهجة﴾، أي: منظر حسن ﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾ قال ابن كثير: أي لم تكونوا تقدرّون على إنبات أشجارها، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقلّ بذلك، المنفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون ﴿ءإله مع الله﴾ يعبد وقد تبين لهم ولكل ذي لب أنه الخالق الرازق؟

(١) المصدر السابق (٣/٣٦٩).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٤).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٦٩).

وقوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ﴾، أي: يجعلون الله عدلاً ونظيراً، كما قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعِدُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: قوله: ﴿أَمْ مِنْ جَعَلِ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿أَنْهَارًا﴾ تَطَرَّدُ بالمياه ﴿وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي﴾ جبلاً ثوابت ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والمالح ﴿حَاجِزًا﴾ مانعاً لئلا يختلط أحدهما بالآخر ﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ﴾ بل أكثرهم لا يعلمون ﴿تَوْحِيدَ رَبِّهِمْ وَسُلْطَانَهُ﴾.

وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: يقول: ﴿أَمْ مِنْ جَعَلِ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾، أي: قارة ساكنة ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها وترجف بهم، وأنها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة، بل جعلهما من فضله ورحمته مهاداً بسيطاً ثابتة لا تتزلزل ولا تتحرك، كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾<sup>(٤)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَجِيبُ الْمُضْطَرُّ﴾، أي: المكروب المجهود ﴿إِذَا دَعَا وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ سَكَانَهَا يَهْلِكُ قَرْنًا وَيَنْشِئُ آخَرَ ﴿إِلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ﴾، أي: ما أَقَلَّ تَذَكُّرُكُمْ فيما يرشدكم إلى الحق، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته.

وعن ابن جريج قوله: ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ والظلمات في البر ضلالة الطريق، والبحر ضلالة طريقه وموجه. وقال ابن جرير: يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير أم الذي يهديكم في ظلمات البر والبحر إذا ضللتكم فيهما الطريق فأظلمت عليكم السبل فيهما؟

(١) سورة الأنعام: الآية ١.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٤).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٧٠).

(٤) سورة غافر: الآية ٦٤.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup> : يقول تعالى : ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ ، أي : بما خلق من الدلائل السماوية والأرضية ، كما قال تعالى : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾<sup>(٢)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾ ، أي : بعد الموت ﴿ومن يرزقكم من السماء﴾ بالمطر والأرض بالنبات ﴿ءإله مع الله قل هاتوا برهانكم﴾ حجتكم على قولكم أن مع الله إلهاً آخر ﴿إن كنتم صادقين﴾ في ذلك ، وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان ، كما قال تعالى : ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾<sup>(٣)</sup> .

وقوله تعالى : ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ . قال البغوي<sup>(٤)</sup> : نزلت في المشركين حيث سألوا رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة . ﴿وما يشعرون أيان﴾ متى ﴿يبعثون﴾ .

وقال ابن كثير<sup>(٥)</sup> : يقول تعالى آمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله عز وجل .

وقوله تعالى : ﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾ ، أي : وما يشعر الخلائق الساكنون في السموات والأرض بوقت الساعة ، كما قال تعالى : ﴿نقلت في السموات والأرض لا تأتيكم إلا بقتة﴾<sup>(٦)</sup> . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : من زعم أنه يعلم — تعني النبي ﷺ — ما يكون في غد ، فقد أعظم على الله الفرية ، لأن

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٧٢) .

(٢) سورة النحل : الآية ١٦ .

(٣) سورة المؤمنون : الآية ١١٧ .

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٥) .

(٥) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٧٢) .

(٦) سورة الأعراف : الآية ١٨٧ .

الله تعالى يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾<sup>(١)</sup>. رواه ابن أبي حاتم.

وقوله تعالى: ﴿بَلْ أَدَارِكْ عَلْمَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، أي: غاب ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾. قال ابن زيد يقول: ضلّ عملهم في الآخرة، وليس لهم فيها علم ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي في عماية وجهل كبير في أمرها وشأنها.



(١) أخرجه ابن أبي حاتم (٤/ب/٤٠٩).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٧٣).

## الدرس المائتان

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ الْمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَئِنْ لَمْ يَهْدِ رَحْمَةُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَوْ أُمَّدِيرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَخَشُّهُم مِّن كُلِّ امْتِعَةٍ فَوَجَّاهُمْ يَكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾ وَيَوْمَ يُنْفَخُ

فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ  
 دَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَقَ كُلَّ  
 شَيْءٍ إِنَّهُمْ خَيْرٌ إِمَّا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ  
 آمِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ  
 تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمَرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَمْ كُلُّ شَيْءٍ  
 وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي  
 لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلْ لِحَمْدِ اللَّهِ سَيْرِكُمْ ءَايَاتِهِ  
 فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَبْنَاءَ لَمُخْرَجُونَ﴾ (٦٧) ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٦٨) ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (٦٩) ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ (٧٠) ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٧١) ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (٧٢) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٧٣) ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ (٧٤) ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (٧٥).

يقول تعالى مخبراً عن منكري البعث من المشركين: أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد ذهابها فقالوا: ﴿أئنذا كنا تراباً وأبائنا أئنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وأبائنا من قبل﴾: أي مازلنا نسمع بهذا نحن وأبائنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً.

﴿إن هذا إلا أساطير الأولين﴾ أحاديثهم وأكاذيبهم التي كتبوها، قال الله تعالى مجيباً لهم: ﴿قل﴾ لهم يا محمد لهؤلاء ﴿سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين﴾، أي: المكذبين للرسول وبما جاءوهم به كيف حلت بهم نقمة الله، ثم قال تعالى مسلماً لنبيه ﷺ: ﴿ولا تحزن عليهم ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾، أي: في كيدك ورد ما جئت به، فإن الله مؤيدك ومظهر دينك.

﴿ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف لكم بعض الذي تستعجلون﴾. قال ابن عباس يقول: اقترب لكم. ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾ بإنعامه عليهم وتأخير العذاب عنهم مع ظلمهم لأنفسهم ﴿ولكن

أكثرهم لا يشكرون وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون ﴿١﴾ فإنه يعلم السرائر كما يعلم الظواهر.

﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾، أي: مكتوب في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٧٦)</sup> وَإِنَّهُمْ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾.

يقول تعالى: ﴿إن هذا القرآن يفضّ على بني إسرائيل﴾ وهم أهل الكتاب التوراة والإنجيل ليبين لهم ﴿أكثر الذي هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدين، قال الكلبي: إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزاباً يطعن بعضهم على بعض، فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه. ﴿وإنه﴾، يعني: القرآن ﴿لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضي بينهم بحكمه﴾ الحق ﴿وهو العزيز﴾ فلا يردّ أمره ﴿العليم﴾ بأحوالهم ﴿فتوكل على الله﴾ في جميع أمورك وبلغ رسالة ربك ﴿إنك على الحق المبين﴾ وإن خالفك من خالفك.

﴿إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين﴾ قال قتادة: الأصم إذا ولّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان.

(١) سورة الحج: الآية ٧.



قال البغوي<sup>(١)</sup>: ومعنى الآية أنهم لفرط إعراضهم عما يُدْعَوْنَ إليه، كالميت الذي لا سبيل إلى إسماعه، والأصم الذي لا يسمع ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾، أي: ما أنت بمرشد من أعمى الله قلبه عن الإيمان ﴿إن تسمع﴾ ما تسمع ﴿إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾ مخلصون فيه مصدقون بكتبه ورسله.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾.

قال ابن عباس: تخاطبهم. قال ابن عمر: وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا يُنهى عن منكر. وعن قتادة قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يقول: إذا وجب القول عليهم، والقول: الغضب ﴿أخرجنا﴾ دابة ذات زغب وريش ولها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة. وعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم عليه السلام، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب؛ ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا»<sup>(٢)</sup>. رواه أحمد وغيره.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل، ولتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقوم الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقوم الساعة وقد رفع أحدكم

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٧/٤)، وبنحوه مسلم (٤/٢٢٢٥ - ٢٢٢٦).

أكلته إلى فيه فلا يطعمها»<sup>(١)</sup>. رواه البخاري. قال الطيبي: الآيات أمارات الساعة، أما على قربها وأما على حصولها، فمن الأول: الدجال ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج والخسف؛ ومن الثاني: الدخان وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة والنار التي تحشر الناس.

وعن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيتهما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على أثرها قريباً»<sup>(٢)</sup>. رواه مسلم.

قال الحافظ ابن حجر<sup>(٣)</sup>: فالذي يترجح من مجموع الأخبار أن خروج الدجال أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينتهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المؤذنة بتغيير الأحوال العلوية، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب؛ قال: والحكمة في ذلك أن عند طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر، تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس» انتهى.

وقال عبد الله بن عمر: «لا تلبثون بعد يأجوج ومأجوج إلا قليلاً حتى تطلع الشمس من مغربها، فيناديهم مناد: يا أيها الذين آمنوا قد قبل منكم، ويا أيها الذين كفروا قد أغلق عنكم باب التوبة، وجفت الأقلام وطويت الصحف»<sup>(٤)</sup> رواه نعيم وحماد.

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٦٣٥)، ومسلم (ح/١٥٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح/٢٩٤١).

(٣) انظر «فتح الباري» (١١/٣٦١).

(٤) أخرجه نعيم بن حماد في «الفتن» (٢/٦٥٤) مرفوعاً بسند ضعيف.

وعند مسلم من حديث عبد الله بن عمرو رفعه: «يخرج الدجال في أمّتي - الحديث وفيه - فبعث الله عيسى ابن مريم فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قِبَلِ الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال حبة من خير أو إيمان إلا قبضته - وفيه - فيبقى شرار الناس في خِفة الطير وأحلام السباع، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيأمرهم بعبادة الأوثان ثم يُنفخ في الصور»<sup>(١)</sup>. وروى أحمد وغيره من حديث أنس «إن أمام الدجال سنون خداعات يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب، ويخون فيها الأمين ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلّم فيها الرويضة»<sup>(٢)</sup>. وفي حديث أبي هريرة عند ابن ماجه قيل: وما الرويضة؟ قال: «الرجل التافه يتكلّم في أمره العامة»<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: كنا قعوداً عند النبي ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها، حتى ذكر فتنة الأحلاس، قال قائل: وما فتنة الأحلاس؟ قال: «هي هَرَبٌ وَحَرْبٌ؛ ثم فتنة السراء، دَخْنُهَا من تحت قَدَمَيَّ رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، إنما أوليائي المتقون، ثم يصطليح الناس على رجل كَوَرِكَ على ضِلَعٍ؛ ثم فتنة الدُّهَيْمَاءِ، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمه، فإذا قيل: انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده»<sup>(٤)</sup>. رواه أبو داود. ولأحمد من حديث

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٩٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣/٢٢٠) بسند ضعيف، لكن يشهد له حديث أبي هريرة الآتي بعده، وهو حديث حسن.

(٣) أخرجه أحمد (٢/٢٣٨ و ٢٩١)، وابن ماجه (ح/٤٤٢)، والحاكم (٤/٤٦٥ و ٥١٢)، وصححه، ووافقه الذهبي وقلت: وهو حديث حسن، وفي (الأصل): «الرويضة»، وهو خطأ.

(٤) أخرجه أحمد (٢/١٣٣)، وأبو داود (ح/٤٢٤٢)، والحاكم (٤/٤٦٧)، وصححه، ووافقه =

عبد الله بن عمرو: «لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطه من أهل الأرض، فيبقى عجاج لا يعرفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً»<sup>(١)</sup>. وله من حديث أنس: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ <sup>(٨٣)</sup> حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٨٤)</sup> وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ <sup>(٨٥)</sup> أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنِّي فِي ذَلِكَ لِآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ <sup>(٨٦)</sup>.

عن مجاهد قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ قال: زمرة زمرة ﴿ممن يكذب بآياتنا فهم يُوزعون﴾ قال: يحبس أولهم على آخرهم. وقال ابن عباس: ﴿فهم يُوزعون﴾ يُدفعون. قال البغوي<sup>(٣)</sup>: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا، ثم يساقون إلى النار ﴿حتى إذا جاءوا﴾ يوم القيامة ﴿قال﴾ الله لهم ﴿أكذبتُم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ ولم تعرفوها حق معرفتها ﴿أم ماذا كنتم تعملون؟﴾

قال ابن كثير: أي فيستلون عن اعتقادهم وأعمالهم. ﴿ووقع القول﴾ وجب العذاب ﴿عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون﴾ قال قتادة: كيف ينطقون ولا حجة

= الذهبي، قال الخطابي: (قوله: «كورك على ضلع) مثل، ومعناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم... يريد أن هذا الرجل غير خليف لعملك، والذهبياء: تصغير الدهماء، وصغرها على مذهب المذمة لها، والقسطاط: المدينة التي يجتمع فيها الناس)، «معالم السنن بهامش سنن أبي داود» (٤/٤٤٢ و ٤٤٣).

(١) أخرجه أحمد (٢/٢١٠)، والحاكم (٤/٤٣٥)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين إن كان الحسن سمعه من عبد الله عمرو» ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه مسلم (ح/١٤٨).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٦٩).

لهم؟ ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يصدّقون فيعتبرون<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوُهُ دَاخِرِينَ﴾ <sup>(٨٧)</sup> وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ <sup>(٨٨)</sup> مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ <sup>(٨٩)</sup> وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُخْرَجُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ <sup>(٩٠)</sup>﴾.

عن أبي هريرة أنه قال: «يا رسول الله ما الصور؟ قال: قرن. قال: وكيف هو؟ قال: قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لله رب العالمين؛ يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فيفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله، ويأمره الله فيمد بها ويطولها فلا يفتر، وهي التي يقول الله: ﴿ما ينظر هؤلاء إلا صبيحة واحدة ما لها من فواق﴾<sup>(٢)</sup> فيسير الله الجبال فتكون سراباً، وترج الأرض بأهلها رجاً، وهي التي يقول الله: ﴿يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة﴾<sup>(٣)</sup> فتكون الأرض كالسفينة الموثقة في البحر تضربها الأمواج تكفاً بأهلها، أو كالقنديل المعلق بالوتر تؤرجحه الأرياح فتميد الناس على ظهرها فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولّي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله: ﴿يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٧٧).

(٢) سورة ص: الآية ١٥.

(٣) سورة النازعات: الآية ٥.

عاصم<sup>(١)</sup> ﴿فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فأرأوا أمراً عظيماً، فأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به، ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالमهل، ثم خُسف شمسها وقمرها وانتثرت نجومها، ثم كُشِطت عنهم؛ قال رسول الله ﷺ: والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك﴾ فقال أبو هريرة: يا رسول الله فمن استثنى الله حين يقول: ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾<sup>(٢)</sup>؟ قال: ﴿أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يُرزقون وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه﴾<sup>(٣)</sup>. رواه ابن جرير.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وكل أتوه داخرين﴾ يقول: صاغرين ﴿وترى الجبال X تحسبها جامدة﴾ يقول: قائمة.

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup>: ﴿وإنما قيل: ﴿وهي تمرّ مرّ السحاب﴾ لأنها تجمع ثم تسير فيحسب رائيها لكثرتها أنها واقفة، وهي تسير سيراً حثيثاً﴾ صنع الله الذي أتقن كل شيء﴾ قال ابن عباس يقول: أحكم كل شيء ﴿إنه خبير بما تفعلون﴾ فيجازيكم عليه.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿من جاء بالحسنة﴾ يقول: من جاء بلا إله إلا الله

(١) سورة غافر: الآية ٣٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٨.

(٣) أخرجه ابن جرير (١٩/٢٠)، والطبراني (٦٦/٢٥)، قال ابن كثير في تفسيره (١٤٩/٢): «هذا حديث مشهور، وهو غريب جداً، ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة، وقد اختلف فيه فمنهم من وقفه، ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد وأبي حاتم الرازي، وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه: متروك، وقال ابن عدي: أحاديث كلها فيها نظر، إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء... اهـ.

(٤) انظر «جامع البيان» (٢١/٢٠).

﴿فله خير منها﴾ قال: فمنها يصل الخير إليه ﴿ومن جاء بالسيئة﴾ وهو الشرك ﴿فكُتِبَ وجوههم في النار﴾. وقال ابن زيد في قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾ قال: أعطاه الله بالواحدة عشرًا فصاعدًا. قال البغوي<sup>(١)</sup>: وهذا حسن.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا أَمِرتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمِرتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١١﴾ وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَى فَأِنَّمَا يَهْتَدِ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ أَيْلَيْهِ فَنَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

عن مجاهد قوله: ﴿سيركم آياته فتعرفونها﴾ قال: في أنفسكم، وفي السماء والأرض والرزق. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ﴿وقل الحمد لله سيركم آياته فتعرفونها﴾، أي: الله الحمد الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه والإنذار إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿سيركم آياته فتعرفونها﴾ كما قال تعالى: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم الحق﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وما ربك بغافل عما تعملون﴾، أي: بل هو شهيد على كل شيء. وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله أنه كان ينشد هذين البيتين:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل: خلوت، ولكن قل: عليّ رقيبٌ  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ



(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٧١).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٧٨).

(٣) سورة فصلت: الآية ٥٣.

## الدرس الواحد بعد المائتين

### ﴿سورة القصص﴾

مكية، وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسّم ١﴾ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى  
وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا  
شِيْعًا يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ  
الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً  
وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرَى فِرْعَوْنَ وَهَمْعَنَ وَجُنُودَهُمَا  
مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفَتْ  
عَلَيْهِ فَكَالِقَبِ فِي إِلِيمَ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ  
الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقَطْعَةُ ءَالَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ  
وَهَمْعَنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِعِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي فِي  
وَلَكِّ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذُهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ  
أُمِّ مُوسَىٰ فَرَجًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَظُنَّا عَلَىٰ قَلْبِهَا لَئِنَّهَا لَتَكُونُ  
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتِ لِأُخْتِيهِ قُصِيَّةٍ بُصِرْتُ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا



يَسْعُرُونَ ﴿١١﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ  
يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيبٌ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ آتِيهِ كَيْ تَنْقَرَ عَيْنُهَا وَلَا  
تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿طَسَّ ۝ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ نَبَأِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَذِخُّ أبنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانَتْ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ۝ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَيْمَةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ۝﴾.

عن مجاهد ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾، أي: فرقاً: يذبح طائفة منهم، ويستحيي طائفة، ويعذب طائفة، ويستعبد طائفة. قال الله عز وجل: ﴿يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين﴾ قال السدي: كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه: أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، وأحرقت بيوت مصر، فدعا السحرة والكهنة والعافة والحازة، فسألهم عن رؤياه فقالوا له: يخرج من هذه البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه - يعنون بيت القدس - رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر ببني إسرائيل أن لا يولد لهم غلام إلا ذبحوه، ولا تولد لهم جارية إلا تركت، وقال للقبط: انظروا مملوككم الذين يعلمون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يَكُونُ تلك الأعمال القذرة، فجعل بني إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم، فذلك حين يقول: ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً﴾ يعني بني إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة.

وعن قتادة قوله: ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ قال: بنو إسرائيل ﴿ونجعلهم أئمة﴾، أي: ولاية الأمور ﴿ونجعلهم الوارثين﴾، أي: يرثون الأرض بعد فرعون وقومه: ﴿ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ شيئاً ما حذر القوم. قال: وذكر لنا أن حازياً حزاً

لعدو الله فرعون، فقال: يولد في هذا العام غلام من بني إسرائيل يسلبك ملكك، فتتبع أبناءهم ذلك العام يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم حذراً مما قال له الحازي.

قوله عز وجل: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي السَّيِّئَةِ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِ إِنَّا رَأَوُوهَ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَأَلْقَيْنَاهُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمَّرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي لِئَلَّا يَكُونَ لَكَ لَبِئْسَ أَهْلًا يَنْفَعُنَا أَوْ تَخْذَرُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ قُودًا أُمِّ مُوسَىٰ فَذَرِهَا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَيَّ قَلْبُهَا لَآتُوكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ قال: قذف في نفسها. قال السدي: أمر فرعون أن يذبح مَنْ وَلَدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ سنة ويتركوا سنة، فلما كان في السنة التي يُذبحون فيها حملت بموسى، فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه، فأوحى الله إليها ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلَيْهِ فِي السَّيِّئَةِ﴾ وهو النيل ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِ﴾ قال ابن زيد: ﴿لَا تَخَافِي﴾ عليه البحر ﴿وَلَا تَحْزَنِ﴾ لفراقه ﴿إِنَّا رَأَوُوهَ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ قال ابن إسحاق: ﴿إِنَّا رَأَوُوهَ إِلَيْكَ﴾ وباعثوه رسولاً إلى هذا الطاغية، وجاعل هلاكه ونجاة بني إسرائيل مما هم فيه على يديه.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: كانت دار أم موسى على حافة النيل، فاتخذت تابوتاً ومهدت فيه مهداً، وجعلت ترضع ولدها، فإذا دخل عليها أحد ممن تخافه ذهبت فوضعت في ذلك التابوت وسيّرت في البحر وربطته بحبل عندها، فلما كان ذات يوم دخل عليها من تخافه فذهبت فوضعت في ذلك التابوت، وأرسلته في البحر وذهلت

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٨٠).

أن تربطه، فذهب مع الماء واحتمله، حتى مرّ به على دار فرعون، فالتقطه الجوّاري فاحتملته فذهبن به إلى امرأة فرعون ولا يدرين ما فيه، فلما كشفت عنه إذا هو غلام من أحسن الخلق وأجمله وأحلاه وأبهاه، فأوقع الله محبته في قلبها حين نظرت إليه، وذلك لسعادتها وما أراد الله من كرامتها وشقاوة بعلمها، ولهذا قال: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾.

قال قتادة: ﴿عدواً﴾ لهم في دينهم ﴿وحزناً﴾ لما يأتيهم ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: عاصين آثمين.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: فلذلك كان لهم موسى عدواً وحزناً. وعن محمد بن قيس قال: ﴿قالت امرأة فرعون قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً﴾ قال فرعون: قرّة عين لك أمّا لي فلا. قال محمد بن قيس: قال رسول الله ﷺ: ﴿لو قال فرعون: قرّة عين لي ولك، لكان لهما جميعاً﴾<sup>(٣)</sup>. وعن قتادة ﴿وهم لا يشعرون﴾ قال: وهم لا يشعرون أن هلكتهم على يديه وفي زمانه.

وعن ابن عباس في قوله: ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً﴾ قال: فارغاً من كل شيء إلا من ذكر موسى ﴿إن كادت لتبدي به﴾ أن تقول: يا ابنه ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾.

قال البغوي<sup>(٤)</sup>: بالعصمة والصبر والتثبيت ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المصدّقين لوعده الله حين قال لها: ﴿إنا رادّوه إليك﴾.

وعن ابن عباس ﴿وقالت لأخته قُصِيه﴾، أي: قُصِي أثره واطلبه، هل تسمعين له ذكراً، أحيّ ابني أو قد أكلته دواب البحر وحيثانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٧٥).

(٢) انظر «جامع البيان» (٢٠/٣٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٠/٣٣) مرسلًا.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٧٥).

وقوله تعالى: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقال مجاهد: عن بُعد. قال قتادة: وهم لا يشعرون أنها أخته، قال: جعلت تنظر إليه كأنها لا تريده. قوله عز وجل: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾﴾.

عن مجاهد في قوله ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ قال: لا يقبل ثدي امرأة حتى يرجع إلى أمه. وقال السدي: أرادوا الممرضات فلم يأخذ من أحد من النساء، وجعل النساء يطلبن ذلك ليتزلن عند فرعون في الرضاع، فأبى أن يأخذ، فذلك قوله: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ﴾ أخته ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾؟ فلما جاءت أمه أخذ منها. قال ابن جريج: فعلقوها حين قالت: ﴿وهم له ناصحون﴾ قالوا: قد عرفته، قالت: إنما أردت هم للملك ناصحون. قال البغوي<sup>(١)</sup> وقيل: لما قالت: هل أدلكم على أهل بيت؟ قالوا لها: من؟ قالت: أمي، قالوا: ولأملك ابن؟ قالت: نعم هارون، وكان هارون ولد في سنة لا يُقتل فيها الولدان، قالوا: صدقت.

وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: فلما رأتهم حائرين فيمن يرضعه قالت: هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون؟ قال ابن عباس: فلما قالت ذلك أخذوها وشكّوا في أمرها وقالوا لها: وما يدريك بنصحهم له وشفقتهم عليه؟ فقالت لهم: نصحهم له وشفقتهم عليه رغبتهم في سرور الملك ورجاء منفعة، فأرسلوها، فلما قالت لهم ذلك وخلصت من أذاهم، ذهبوا معها إلى منزلهم فدخلوا به على أمه فأعطته ثديها فالتقمه، وفرحوا بذلك فرحاً شديداً، وذهب البشير إلى امرأة الملك

(١) المصدر السابق (٣/٣٧٦).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٨١ - ٣٨٢).

فاستدعت أم موسى وأحسنّت إليها وأعطتها عطاءً جزيلاً، وهي لا تعرف أنها أمه في الحقيقة، ولكن لكونه وافق ثديها، ثم سألتها آسية أن تقيم عندها فترضعه فأبت عليها وقالت: إن لي بعلًا وأولادًا ولا أقدر على المقام عندك، ولكن إن أحببت أن أرضعه في بيتي فعلت، فأجابتها امرأة فرعون إلى ذلك وأجرت عليه النفقة والصلات والكساوي والإحسان الجزيل، فرجعت أم موسى بولدها راضية مرضية، قد أبدلها الله بعد خوفها أمناً في عزّ وجاه ورزق دار؛ ولهذا جاء في الحديث: «مثل الذي يعمل ويحتسب في صنعته الخير، كمثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها»<sup>(١)</sup>؛ ولم يكن بين الشدة والفرج إلا القليل، يوم ليلة أو نحوه والله أعلم؛ فسبحان من بيده الأمر، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، الذي يجعل لمن ألقاه بعد كل هم فرجاً وبعد كل ضيق مخرجاً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فرددناه إلى أمه كي تقرّ عينها﴾، أي: به ﴿ولا تحزن﴾، أي: عليه ﴿ولتعلم أن وعد الله حق﴾، أي: فيما وعدها من ردّه إليها وجعله من المرسلين، فحينئذ تحققت برّدّه إليها أنه كائن من رسول من المرسلين، فعاملته في تربيته ما ينبغي له طبعاً وشرعاً.

قوله تعالى: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾، أي: حكم الله في أفعاله، وعواقبها المحمودّة التي هو المحمود عليها في الدنيا والآخرة، فربما يقع الأمر كريهاً إلى النفوس وعاقبته محمودّة في نفس الأمر، كما قال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿وعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل فيه خيراً كثيراً﴾. انتهى والله أعلم.

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، ويبدو لي أن ابن كثير ساق الحديث بمعناه، ولفظه: «مثل الذين يغزون من أمتي، ويأخذون الجُعل — يعني يتقون على عدوهم — مثل أم موسى ترضع ولدها، وتأخذ أجرها».

أخرجه سعيد بن منصور في سننه (ح/٢٣٦١)، ومن طريقه أبو داود في مراسيله (ح/٣٣٣)، والبيهقي في الكبرى (٩/٢٧) عن جبير بن نفير عن أبيه.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٦.

## الدرس الثاني بعد المائتين

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ

قَالَ هَٰذَا مِنَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَنِ ارَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَمُْوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَمُْوسَىٰ إِنَّكَ أَلَمَلًا يَا تَمْرُوثُ بِكَ لَيُقْتَلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنُ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا سَقَىٰ حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ ابْنِي بِدَعْوِكَ لِيُجْزَلَكَ أَجْرٌ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ

وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ  
 إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتَجْرَهُ إِبْرَاهِيمَ خَيْرٌ مِنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ  
 أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَٰئِنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا  
 فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ  
 الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ  
 وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ ءَانَيْتَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِنْ شِيعَةِ هَٰذَا وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغْنَتْهُ الَّتِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَىٰ الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ مُّبِينٌ ١٥ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ١٦ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَن أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ١٧ فَاصْبِرْ فِي الْمَدِينَةِ خَافِيًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اَسْتَنْصَرْتُم بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ لَنَوِيٌّ مُّبِينٌ ١٨ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمْوَسَىٰ أَرِيدُ أَنْ نَقْتُلَكَ كَمَا قُتِلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ١٩﴾

قال ابن إسحاق: لما بلغ موسى أشده واستوى آتاه الله حكماً وعِلماً، فكانت له من بني إسرائيل شيعه يسمعون منه ويطيعونه ويجمعون إليه، فلما استند رأيه وعرف ما هو عليه من الحق، رأى فراق فرعون وقومه على ما هم عليه حقاً في دينه، فتكلم وعادى وأنكر حتى ذكر ذلك منه، وحتى أخافوه وخافهم، حتى كان لا يدخل قرية فرعون إلا خائفاً مستخفياً، فدخلها يوماً ﴿على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته﴾ مسلم، وهذا من أهل دين فرعون كافر ﴿فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه﴾ وكان موسى قد أوتي بسطة في الخلق وشدة في البطش، فغضب بعدوَّهما فنازعه ﴿فوكزه موسى﴾ وكزة قتله منها وهو لا يريد قتله، فقال: ﴿هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ وعن مجاهد ﴿فوكزه موسى﴾ قال: بجميع كفه ﴿قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾ قال قتادة: عرف المخرج فقال: ﴿ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له﴾.

﴿قال رب بما أنعمت علي﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي بما جعلت لي من الجاه والعز والنعمة ﴿فلن أكون ظهيراً﴾ أي معيناً ﴿للمجرمين﴾ أي الكافرين بك المخالفين لأمرك.

وعن ابن عباس قال: أتى فرعون فقيلاً له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون، فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك، قال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، لا يستقيم أن نقضي بغير بيّنة ولا ثبت فاطلبوا ذلك، فبينما هم يطوفون لا يجدون شيئاً، إذ مرّ موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونياً، فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى، فغضب موسى فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني، فقال للإسرائيلي لِمَا فعل بالأمس واليوم ﴿إنك لغويّ مبين﴾ فنظر الإسرائيلي إلى موسى بعد ما قال هذا، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، فخاف الإسرائيلي أن يكون إياه أراد فحاجّه فقال: ﴿يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين﴾.

وعن قتادة ﴿إن تريد إلّا أن تكون جباراً في الأرض﴾ هكذا تقتل النفس بغير النفس. وعن ابن إسحاق ﴿وما تريد أن تكون من المصلحين﴾ أي ما هكذا يكون الإصلاح.

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّكَ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِلَىٰ لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تَلَقَّاهُ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾﴾.

قال ابن عباس: انطلق الفرعوني الذي كان يقاتل الإسرائيلي بالأمس إلى

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٨٢).

قومه، فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليّ حين يقول: ﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس؟﴾ فأرسل فرعون الذّباحين بقتل موسى، فأخذوا الطريق الأعظم وهم لا يخافون أن يفوتهم، وكان رجل من شيعة موسى في أقصى المدينة، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى فأخبره الخبر.

وعن قتادة ﴿فخرج منها خائفاً﴾ من قتله النفس ﴿يتربّ﴾ أن يأخذه الطلب. وقال ابن إسحاق: ذكر لي أنه خرج على وجهه ﴿خائفاً يتربّ﴾ ما يدري أيّ وجه يسلك، وهو يقول: ربّ نجني من القوم الظالمين، فهياً الله الطريق إلى مدين، فخرج من مصر بلا زاد ولا حذاء ولا ظهر ولا درهم. وقال ابن عباس: خرج موسى متوجّهاً نحو مدين، وليس له علم بالطريق، إلّا حسن ظنه بربه، فإنه قال: ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ آئِي يَدْعُوكَ لِجِزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَبَوْتُ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

قال سعيد بن جبیر: خرج موسى من مصر إلى مدين وبينها وبينها مسيرة ثمان، ولم يكن له طعام إلّا ورق الشجر، وخرج فما وصل إليها حتى وقع خفّ قدمه.

وقوله تعالى: ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ قال أبو مالك: تحبسان غنمهما عن الناس حتى يفرغوا ويخلوا لهم البئر.

﴿قال ما خطبكما؟﴾ قال ابن إسحاق: وجد لهما رحمة ودخلت فيهما خشية

لما رأى من ضعفهما، وغلبة الناس على الماء دونهما فقال لهم: ما خطبكما؟ أي ما شأنكما؟ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَّرَ الرِّعَاءُ﴾ امرأتان لا نستطيع أن نزاحم الرجال ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يمسّ ذلك من نفسه ولا يسقي ماشيته، ونحن ننتظر الناس حتى إذا فرغوا أسقينا ثم انصرفنا.

وقوله تعالى: ﴿نَسْقِي لَهُمَا﴾ قال ابن عباس: فجعل يغرف في الدلو ماء كثيراً، حتى كانتا أول الرعاء رياءً، فانصرفتا إلى أبيهما بغنمهما قال: وانصرف موسى إلى شجرة فاستظل بظلها ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وما يسأل الله إلا أكلة وبرد الماء، وإن خضرة البقل لثرى في بطنه من الهزال.

وعن ابن إسحاق ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ قال: واضعة يدها على جبينها. قال السدي: لما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً سألهما فأخبرتا خبر موسى، فأرسل إليه إحداهما فأته تمشي على استحياء وهو يُستحي منه ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فقام معها فمشت بين يديه فضربتها الريح فنظر إلى عجيزتها، فقال لها موسى: إمشي خلفي ودلّيني على الطريق إن أخطأت، فلما جاء الشيخ ﴿وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ﴾ قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: لَيْسَ لِفِرْعَوْنَ وَلَا لِقَوْمِهِ عَلَيْنَا سُلْطَانٌ وَلَسْنَا فِي مَمْلَكَتِهِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَتَّابِتِ اسْتَفْجِرُهُ إِبْرَاهِيمُ خَيْرٌ مِمَّنْ اسْتَفْجَرَتِ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حَبِيبٌ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾.

عن ابن عباس: ﴿قَالَتِ إِحْدَاهُمَا يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنْ خَيْرٌ مِنْ اسْتَأْجَرْتَ

القويّ الأمين ﴿ قال: فأحفظته الغيرة أن قال: وما يدريك ما قوّته وأمانته؟ قالت: أما قوّته فما رأيت من حين سقى لنا، لم أر رجلاً قط أقوى في ذلك السقي منه، وأما أمانته فإنه نظر حين أقبلت إليه وشخصت له، فلما علم إني امرأة صوّب رأسه فلم يرفعه ولم ينظر إليّ حتى بلّغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق، ولم يفعل ذلك إلّا وهو أمين، فسُرّيتي عن أبيها وصدّقها وظنّ به الذي قالت.

وقال ابن زيد: ﴿قال﴾ له ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانين حَجَجَ فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشقّ عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ قال: وأيّتهما تريد أن تنكحني؟ قال: التي دعتك، قال: لا ألا وهي بريئة مما دخل نفسك عليها، فقال: هي عندك كذلك فزوّجه.

وقال ابن إسحاق: ﴿قال﴾ موسى ﴿ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيتُ فلا عدوان عليّ﴾ قال: نعم ﴿واللّهُ على ما نقول وكيل﴾ فزوّجه وأقام معه يكفيه ويعمل له في رعاية غنمه وما يحتاج إليه منه. وقوله: ﴿أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليّ﴾ أي لا ظلم عليّ بأن أطالب بأكثر منهما. قال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيهما، إن رسول الله إذا قال فعل ﴿واللّهُ على ما نقول وكيل﴾ قال ابن عباس: شهيد. وروى ابن ماجه في سننه عن النبي ﷺ قال: «إن موسى آجر نفسه ثمانين سنين أو عشر سنين على عَقّة فرجه وطعام بطنه»<sup>(١)</sup>. والله أعلم.



(١) أخرجه ابن ماجه (ح/٢٤٤٤)، والطبراني (١٧/١٣٥) من حديث عتبة بن الندر، بسند ضعيف.

## الدرس الثالث بعد المائتين

﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ۚ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (٢٩) فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ ۚ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِي عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَّى يُعِيقُ يَمْوِسَ أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسْأَلُكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمُ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَلَّلَكَ بِرُهْنَانٍ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۚ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۖ بِأَيِّنَّا أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَكِينَتَا بِهَذَا ۖ فَيَّ أَبَايْنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُمْ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ بِأَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمِنُ عَلَى الطَّيْنِ فَأَجْعَلَ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أُطْلِعَ إِلَىٰ إِلَهٍ مُّوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي

الْأَرْضِ يَغْيِرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَخُذُمُ  
فَنَبَذْنَاهُمْ فِي آيَةٍ فَأَنْظَرَ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾  
وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْعُوثُ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾  
وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ  
الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَحْذَرٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْوِسَ وَإِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهَنِّئُ كَانَهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمْوِسُ أَقِيلٌ وَلَا تُخَفُّ إِنَّكَ مِنَ الْأَمِينِ ﴿٣١﴾ أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ فَخَرَجَ يَمْضَاءً مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَنُوكَ بُرْهَانًا مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾

عن قتادة: ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾ قال: حدث ابن عباس قال: رعى نبي الله أكثرها وأطيبها.

وقوله تعالى: ﴿وسار بأهله﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> قالوا: لأن موسى قد اشتاق إلى بلاده وأهله فعزم على زيارتهم في خفية من فرعون وقومه، فتحمل بأهله وما كان معه من الغنم التي وهبها له صهره، فسلك بهم في ليلة مطيرة باردة، فنزل منزلاً فجعل كلما أوري زنده لا يضيء شيئاً، فتعجب من ذلك، فبينما هو كذلك ﴿آنس من جانب الطور ناراً﴾، أي: رأى ناراً تضيء على بعد ﴿قال لأهله امكثوا إِنِّي آنست ناراً﴾، أي: حتى أذهب إليها ﴿لعلِّي آتيكم منها يخبر﴾ وذلك لأنه قد أضل الطريق ﴿أوجدوه من النار﴾ أي: قطعة منها ﴿لعلكم تصطلون﴾، أي: تستدفئون بها من البرد. قال

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٨٧).



الله تعالى: ﴿فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن﴾، أي: من جانب الوادي مما يلي الجبل عن يمينه من ناحية الغرب، كما قال تعالى: ﴿وما كنت بالجانب الغربي إذا قضينا إلى موسى الأمر﴾<sup>(١)</sup> والنار وجدها تضطرم في شجرة خضراء في لحف الجبل مما يلي الوادي، فوقف باهتاً في أمرها فناداه ربه ﴿من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾، أي: الذي يخاطبك ويكلّمك هو رب العالمين الفعال لما يشاء، لا إله غيره ولا رب سواه، تعالى وتقدّس وتنزه عن مماثلة المخلوقات في ذاته وصفاته وأقواله وأفعاله سبحانه.

وقوله: ﴿وأن ألق عصاك﴾، أي التي في يدك، كما قرّره على ذلك في قوله تعالى: ﴿وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي﴾، والمعنى: أما هذه عصاك التي تعرفها ألقها ﴿فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ وقال ههنا: ﴿فلما رآها تهتز﴾، أي: تضطرب ﴿كأنها جان﴾، أي في حركتها السريعة مع عظم خلقتها ﴿ولّى مدبراً ولم يعقب﴾، أي: ولم يكن يلتفت، لأن طبع البشرية ينفر من ذلك، فلما قال الله له: ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين﴾ رجع فوقف في مقامه الأول.

ثم قال الله تعالى: ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾، أي: إذا أدخلت يدك في جيب درعك ثم أخرجتها فإنها تخرج تلاًّلاً كأنها قطعة قمر في لمعان البرق، ولهذا قال: ﴿من غير سوء﴾، أي: من غير برص. انتهى ملخصاً.

وقوله تعالى: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾ قال ابن زيد: مما دخله من الفرق من الحيّة والخوف ﴿فذاذك برهانان من ربك﴾ قال السدي: العصا واليد.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> يقول: آيتان وحجتان ﴿إلى فرعون وملكه﴾ يقول: إلى

(١) سورة القصص: الآية ٤٤.

(٢) انظر «جامع البيان» (٧٣/٢٠).

فرعون وأشراف قومه، حجة عليهم ودلالة على حقيقة نبوتك يا موسى ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾.

قوله عز وجل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قُلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾ (٣٣) وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ﴾ (٣٤) قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (٣٥) فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرٍ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ (٣٦) وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ (٣٧).

عن ابن إسحاق: ﴿وأخي هارون هو أفصح مني لساناً فأرسله معي رداءً يصدقني﴾، أي: يبين لهم عني ما أكلّمهم به. وعن مجاهد: ﴿فأرسله معي رداءً يصدقني﴾ قال: عوناً. وقال ابن زيد: لأن الاثنين أخرى أن يُصدّقاً من واحد ﴿قال سنشدّ عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾ قال مجاهد: حجة ﴿فلا يصلون إليكما بآياتنا﴾. قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا.

﴿أنتم ومن اتبعكم الغالبون فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات﴾ واضحات ﴿قالوا ما هذا إلا سحر مفترى﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي مفتعل مصنوع ﴿وما سمعنا بهذا﴾ الذي تدعوننا إليه ﴿في آياتنا الأولين وقال موسى ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده﴾ وسيفصل بينو بينكم، ولهذا قال: ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾، أي: العقبى المحمودة في الدنيا والآخرة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٨٣).

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٨٩).

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأْتِيَهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَنْهَمِنَنَّ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِّي صَرْحًا لَّعَلِّي أَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَاسْتَكَبرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُم إِلَهَانَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَاُنظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَكْتُفُونَ إِلَى الْكَارِ وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ لَا يُبْصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْفَيْصَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أمر فرعون وزيره هامان أن يوقد له على الطين، يعني يتخذ له أجراً لبناء الصرح، وهو القصر المنيف الرفيع العالي، كما قال في الآية الأخرى ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل وما كيد فرعون إلا في تباب﴾<sup>(٢)</sup> وذلك لأن فرعون بنى هذا الصرح الذي لم ير في الدنيا بناء أعلى منه، وإنما أراد بهذا أن يظهر لرعيته تكذيب موسى فيما يزعمه من دعوى إله غير فرعون، ولهذا قال: ﴿وإني لأظنه من الكاذبين﴾، أي: في قوله: أن ثم ربّاً غيري.

وقوله تعالى: ﴿واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلينا لا يرجعون﴾، أي: طغوا وتجبروا وأكثروا في الأرض الفساد، واعتقدوا أنه لا قيامة ولا معاد ﴿فصبّ عليهم ريك سوط عذاب إن ريك لبالمرصاد﴾<sup>(٣)</sup> ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم﴾، أي: أغرقناهم في البحر في صبيحة واحدة فلم يبق منهم أحد.

(١) المصدر السابق (٣/ ٣٩٠).

(٢) سورة غافر: الآية ٣٧.

(٣) سورة الفجر: الآية ١٣.

﴿فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾ لمن سلك وراءهم وأخذ بطريقتهم في تكذيب الرسل وتعطيل الصانع ﴿ويوم القيامة لا ينصرون﴾، أي: فاجتمع عليهم خزي الدنيا موصولاً بذل الآخرة، كما قال تعالى: ﴿أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة﴾، أي: وشرع الله لعنتهم ولعنة ملكهم فرعون على السنة المؤمنين من عباده ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿من المقبوحين﴾ الملعونين. وقال ابن عباس: من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة العيون. وقال قتادة: لعنوا في الدنيا والآخرة، قال: هو كقوله: ﴿وأُتْبِعُوا في هذه لعنة ويوم القيامة بشس الرد المرفود﴾<sup>(٣)</sup>.



(١) سورة محمد: الآية ١٣.

(٢) انظر «معالم التنزيل»، (٣/ ٣٨٤).

(٣) سورة هود: الآية ٩٩.

## الدرس الرابع بعد المائتين

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ  
بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٣ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ  
قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ ٤٤ ﴿وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا  
فَنَطَاوَلْ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا  
وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ ٤٥ ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ  
رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤٦ ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا  
رَسُولًا فَتُنْصِتَ ءَايَاتِنَا وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٧ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا  
قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا  
سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَافِرُونَ﴾ ٤٨ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ  
أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٩ ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا  
يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ يَغْيِرْ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا  
يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ٥٠ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ٥١ ﴿الَّذِينَ  
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ ٥٢ ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ  
مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾ ٥٣ ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَبِذَرُوا  
بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ ٥٤ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ  
وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾ ٥٥ ﴿

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٤٦﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾، يعني: قوم نوح وعاداً وثمود وغيرهم، كانوا قبل موسى بصائر للناس، يعني: ليبصروا بذلك الكتاب ويهتدوا به ﴿وهدى﴾ من الضلال لمن عمل به ﴿ورحمة﴾ لمن آمن به ﴿لعلهم يتذكرون﴾ بما فيه من المواعظ والبصائر.

﴿وما كنت﴾ يا محمد ﴿بجانب الغربي﴾، يعني: بجانب الجبل الغربي. قال قتادة والسدي: قال ابن عباس: يريد حيث ناجى موسى ربه ﴿إِذَا قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ﴾، يعني: عهدنا إليه وأحكمنا الأمر معه بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ الحاضرين ذلك المقام فتذكره من ذات نفسك ﴿ولكنَّا أَنشَأْنَا قُرُونًا﴾ خلقنا أمماً من بعد موسى عليه السلام ﴿فتطاول عليهم العمر﴾، أي: طالت عليهم المهلة فنسوا عهد الله وميثاقه وتركوا أمره، وذلك أن الله تعالى قد عهد إلى موسى وقومه عهداً في محمد ﷺ والإيمان به، فلما طال عليهم العمر وخلفت القرون بعد القرون نسوا تلك العهود وتركوا الوفاء بها.

(١) المصدر السابق (٣/٣٨٤).

﴿وما كنت ثاوياً﴾ مقيماً في أهل مدين كمقام موسى وشعيب فيهم ﴿تتلو عليهم آياتنا﴾ تذكّركم بالوعد والوعيد. قال مقاتل يقول: لم تشهد أهل مدين فتقرأ على أهل مدين فتقرأ على أهل مكة خبرهم ﴿ولكنّا كنا مرسلين﴾ أي: أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار فتتلوها عليهم، ولولا ذلك لما علمتها ولم تخبرهم بها ﴿وما كنت بجانب الطور﴾ بناحية الجبل الذي كلم الله عليه موسى ﴿إذ نادينا ولكن رحمة من ربك﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي ما كنت شاهداً لشيء من ذلك، ولكن الله تعالى أوحاه إليك وأخبرك به رحمة منه بك وبالعباد بإرسالك إليهم ﴿لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مَوْسَىٰ أَوَّلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفَرٍ لَّ كَافِرُونَ﴾ ﴿١٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿١٩﴾ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢١﴾

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ عقوبة ونقمة ﴿بما قدمت أيديهم﴾ من الكفر والمعصية ﴿فيقولوا ربنا لولا﴾ هلا ﴿أرسلت إلينا رسولاً فتتبع آياتك ونكون من المؤمنين﴾ وجواب «لولا» محذوف: أي لعاجلناهم بالعقوبة،

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٣٩١).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٣٨٥).

يعني: لولا أنهم يحتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم؛ وقيل: معناه لَمَا بعثناك إليهم رسولاً، ولكن بعثناك إليهم لثلاً يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

﴿فلما جاءهم الحق من عندنا﴾، يعني: محمد ﷺ ﴿قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾ من الآيات، قال الله تعالى: ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل قالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرون﴾. قال مجاهد: يهود تأمر قريشاً أن تسأل محمداً مثل ما أوتي موسى، يقول الله لمحمد ﷺ: قل لقريش يقولوا لهم ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾.

وعن قتادة قوله: ﴿قالوا سحران تظاهرا﴾ قالت ذلك أعداء الله اليهود للإنجيل والفرقان. وعن الضحاك ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾ يعنون الإنجيل والفرقان، وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن القوم الذين لو عذبهم قبل قيام الحجة عليهم لاحتجوا بأنهم لم يأتهم رسول، أنهم لما جاءهم الحق من عنده على لسان محمد ﷺ، على وجه التعنت والعناد ﴿لولا أوتي مثل ما أوتي موسى﴾، يعنون والله أعلم: من الآيات الكثيرة ﴿أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل﴾؟، أي: أولم يكفر البشر بما أوتي موسى من تلك الآيات العظيمة؟ وقالوا: ﴿ساحران تظاهرا﴾، أي: تعاونا، ﴿وقالوا إنا بكل كافرون﴾، أي: بكل منهما كافرون؛ ولشدة التلازم والتصاحب والمقاربة بين موسى وهارون، دلّ ذكر أحدهما على الآخر. قال: وأما من قرأ: ﴿سحران تظاهرا﴾، فعن ابن عباس: يعنون التوراة والقرآن. انتهى ملخصاً.

وقوله تعالى: ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾ قال ابن زيد: هو أهدى من هذين الكتابين الذي بعث به موسى والذي بعث به محمد ﷺ.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٩٢).



وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي فإن لم يجيبوك عما قلت لهم ولم يتبعوا الحق ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُتَّبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي: بلا دليل ولا حجة ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾، أي: بغير حجة مأخوذة من كتاب الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوِي الظَّالِمِينَ﴾.

وعن قتادة: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ قال: وصل الله لهم القول في هذا القرآن يخبرهم: كيف صنع بمن مضى وكيف هو صانع ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾ وَإِذَا يُنَادِي عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٧﴾ أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغَى الْجَاهِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾.

عن مجاهد قوله: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ إلى قوله: ﴿الجاهليين﴾ قال: هم مسلمة أهل الكتاب. وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبئه ثم آمن بي، وعبد مملوك أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعتقها فترجها»<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن إسحاق: ثم قدم على رسول الله ﷺ وهو بمكة عشرون رجلاً أو قريب من ذلك من النصارى، حين بلغهم خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فجلسوا إليه وكلموه وسألوه، ورجال من قريش في أندية حول الكعبة، فلما فرغوا من مسألة رسول الله ﷺ عما أرادوا، دعاهم إلى الله تعالى وتلا عليهم

(١) المصدر السابق (٣/٣٩٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٩٧ و ٣٠١١)، ومسلم (ح/١٥٤).

القرآن، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا لله وآمنوا به وصدقوه وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا عنه اعترضهم أبو جهل بن هشام في نفر من قريش فقالوا لهم: خيبتكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم لتأتوهم بخبر الرجل فلم تطمئن مجالسكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه فيما قال؟! ما نعلم ركباً أحق منكم، أو كما قالوا لهم، فقالوا لهم: سلام عليكم لا نجاهلكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لم نأل أنفسنا خيراً، إلى أن قال: ويقال والله أعلم أن فيهم نزلت هذه الآيات ﴿والذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون﴾ إلى قوله: ﴿لانبغى الجاهلین﴾.



## الدرس الخامس بعد المائتين

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٥٦ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ تَنَخُّطُفُ مِنَّا أَرْضُنَا أَوَلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ  
حَرَمًا آمِنًا يُجِبُّ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ نَتَّبِعِ كُلَّ شَيْءٍ رِزْقًا مِن لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا  
يَعْلَمُونَ ٥٧ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِكَ مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنَالَهَا مَسْكَنُهُمْ لَمْ  
تُشْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ٥٨ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى  
حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا  
وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ٥٩ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَوةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا وَمَا عِنْدَ  
اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٦٠ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّنَعْنَاهُ  
مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ٦١ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ  
شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ٦٢ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ  
أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ٦٣ وَقِيلَ أَذْعُوا  
شُرَكَاءَكُمُ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ٦٤ وَيَوْمَ  
يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ٦٥ فَعَمِيَّتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا  
يَتَسَاءَلُونَ ٦٦ فَأَمَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَسَوْفَ أَن يَكُونُ مِنَ  
الْمُفْلِحِينَ ٦٧ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ  
اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٨ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا

يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ  
وإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ  
إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ  
عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ  
تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٦٩﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ  
لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ  
شُرَكَآئِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧١﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا  
فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٢﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ﴿٥٦﴾ .

عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عم قل: لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله»، فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، فقال رسول الله ﷺ: «والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»، فأنزل الله ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى﴾ وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير وغيره.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا إِن نَّبِيعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا مَّأْمُونًا يُمُوجُّ إِلَيْهِ ثَمَرْتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّنْ لَّدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا فَنِلَاكَ مَسْكَنَتُهُمْ لَمْ تُمْسِكْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْتَلُوا عَلَيْهِمْ مَا يَتَّبِعُكُمْ مَّهْلِكُ الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ ﴿٥٩﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿إِنْ نَّبِيعُ الْهُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ قال: هم أناس من قريش قالوا لمحمد: إِنْ نَّبِيعُكَ يَنْخِطِفُنَا النَّاسُ فَقَالَ اللَّهُ: ﴿أَوْ لَمْ نُمْكِنْ

(١) أخرجه البخاري (ح/ ١٣٦٠ و ٣٨٨٤ و ٤٦٧٥ و ٤٧٧٢)، ومسلم (ح/ ٢٤).

لهم حرماً آمناً يُجْبَى إليه ثمرات كل شيء ﴿١﴾ قال قتادة: يقول أولم يكونوا آمنين في حرهم لا يُغزَوْنَ فيه ولا يخافون ﴿يجبى إليه ثمرات كل شيء﴾ قال ابن عباس: ثمرات الأرض. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: من سائر الثمار مما حوله من الطائف وغيره، وكذلك المتاجر والأمتعة ﴿رزقاً من لدنا﴾، أي: من عندنا ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ولهذا قالوا ما قالوا.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾ قال: البطر أشر أهل الغفلة وأهل الباطل، والركوب لمعاصي الله؛ وقال: ذلك البطر في النعمة. ﴿فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلاً﴾ يقول: فتلك دور القوم الذين أهلكناهم خربت فلم يعمر منها إلا أقلها ﴿وكننا نحن الوارثين﴾.

وعن قتادة ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسلاً﴾ وأم القرى مكة، ويبعث الله إليهم رسلاً محمداً ﷺ.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: وخَصَّ الأم ببعثة الرسول فيها، لأن الرسول يبعث إلى الأشراف، والأشراف يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ما حولها. وعن ابن عباس: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ قال الله: لم يهلك قرية بإيمان، ولكنه يهلك القرى بظلم إذا ظلم أهلها.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أُوْتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿١٦﴾ أَفَمِنْ وَعْدِنَا وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ ﴿١٧﴾.

عن قتادة قوله: ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لاقيه﴾ قال: هو المؤمن

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٩٥).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٨٧).

سمع كتاب الله فصدق به وآمن بما وعد الله فيه: ﴿كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ وهو هذا الكافر ليس والله كالمؤمن ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾، أي: في عذاب الله. وقال مجاهد: أهل النار أُخْضِرُواها.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿١٦﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَهُمْ كَمَا أَغْوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ ﴿١٧﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ ﴿١٨﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ في الدنيا أنهم شركائي ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ وجب عليهم العذاب، وهم رؤوس الضلالة ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾، أي: دعوناهم إلى الغي وهم الاتباع ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا أَغْوَيْنَا﴾ أضللناهم كما ضللنا ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ بريء بعضهم من بعض وصاروا أعداء، كما قال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾<sup>(٢)</sup>.

﴿وَقِيلَ﴾ للكفار ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾، أي: الأصنام لنخلصكم من العذاب ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لم يجيبوهم ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ وجواب «لو» محذوف على تقدير: لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا ما رأوا العذاب.

وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: يقول تعالى مخبراً عما يوبخ به الكفار المشركين يوم القيامة حيث يناديهم ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾؟ يعني الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد، هل ينصرونكم أو تنصرونه؟

(١) المصدر السابق (٣/٣٨٨).

(٢) سورة الزخرف: الآية ٦٧.

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٩٧).

وهذا على سبيل التقرير والتهديد، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾<sup>(٢)</sup> فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ<sup>(٣)</sup> فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: النداء الأول عن سؤال التوحيد، وهذا فيه إثبات النبوات، ماذا كان جوابكم للمرسلين إليكم؟ وكيف كان حالكم معهم؟ وهذا كما يسأل العبد في قبره: مَنْ رَبُّكَ؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ فأما المؤمن فيشهد: أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأما الكافر فيقول: هاه هاه لا أدري، ولهذا لا جواب له يوم القيامة، لأن من كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً، ولهذا قال تعالى: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ قال مجاهد: ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ﴾ الحجج فهم لا يتساءلون بالأنساب.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ لا يجيبون. وقال قتادة: لا يحتجّون. وقيل: يسكتون لا يسأل بعضهم بعضاً. وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾، أي: في الدنيا ﴿فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾، أي: يوم القيامة، و«عسى» من الله موجبة، فإن هذا واقع بفضل الله ومنته لا محالة.

قوله عز وجل: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٥)</sup> وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ

(١) سورة الأنعام: الآية ٩٤.

(٢) المصدر السابق (٣/٣٩٧).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٨٩).



وَمَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ  
الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٩﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يخبر تعالى أنه المنفرد بالخلق والاختيار، وأنه ليس له في ذلك منازع ولا معقب. قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، أي: ما يشاء، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلها خیرها وشرها بيده ومرجعها إليه. وقوله: ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ نفى على أصح القولين، كقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

إلى أن قال: ولهذا قال: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، أي: من الأصنام والأنداد التي لا تخلق ولا تختار شيئاً؛ ثم قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: هو المنفرد بالالوهية فلا معبود سواه، كما لا رب يخلق ما يشاء ويختار سواه: ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾، أي: في جميع ما يفعله هو المحمود عليه بعدله وحكمته ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾، أي: الذي لا معقب له لقهره وغلبته وحكمته ورحمته ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: جميعكم يوم القيامة فيجزى كل عامل بعمله.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَمْ لَا تَسْمَعُونَ﴾<sup>(٦٨)</sup> قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَمْ لَا تَبْصُرُونَ﴾<sup>(٦٩)</sup> وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ .

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/٣٩٧).

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

قال في جامع البيان: ختم الأولى بقوله: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ والثانية بقوله: ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ لمناسبة قوة السامعة بالليل وقوة الباصرة بالنهار.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَّاءِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿٧٥﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وهذا أيضاً نداء ثان على سبيل التوبيخ والتفريع لمن عبد مع الله إلهاً آخر، يناديهم الرب تعالى على رؤوس الأشهاد: ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَّائِي الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾، أي: في دار الدنيا: ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ قال مجاهد: يعني رسولاً ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾، أي: على صحة ما ادّعيتموه من أن الله شركاء: ﴿فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ﴾، أي: لا إله غيره، فلم ينطقوا ولا يُخْرُوا جواباً: ﴿فَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، أي: ذهبوا فلم ينفعوهم.



(١) المصدر السابق (٣/٣٩٨).

## الدرس السادس بعد المائتين

﴿ إِن قَرْوَنَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَعَثْنَا عَلَيْهِمُ وَمَا بَيْنَهُ مِنَ الْكُتُوبِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُورُ بِالْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ دُئُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرْوَنُ إِنَّهُمْ لَذَو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الْصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَابُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ

هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَن يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ ءَايَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَرْسَلْنَا مِنْ أَلَيْهِمْ مَائِدَاتٍ مِمَّا يَنْصَحُونَ لَأَنْتُمْ بِأَعْيُنِنَا ۖ فَبَدَّلَ الْأَعْيُنُ عَنْ قُلُوبِهِمْ ۚ وَاتَّخَذَ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ حُجُورًا ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا نُوحًا كُلَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنُ أَجْرًا يُغْفَرُ لِمَنْ سَلَفَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ وَاتَّخَذَ اللَّهُ ذُنُوبَهُمْ حُجُورًا ۚ وَلَقَدْ آتَيْنَا نُوحًا كُلَّهُ وَمَنْ يُؤْمِنُ أَجْرًا يُغْفَرُ لِمَنْ سَلَفَهُ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ۝

عن قتادة: ﴿إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخي أبيه، وكان يسمى النور من حسن صوته بالتوراة، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري فأهلكه البغي، إنما بغى عليهم بكثرة ماله.

وعن مجاهد ﴿وَأَرْسَلْنَا مِنْ أَلَيْهِمْ مَائِدَاتٍ﴾ بالعبصة أولي القوة قال: مفايح من جلود كمفايح العيدان. وعن ابن عباس في قوله ﴿لَتَنْوُوا بِالْعَبْصَةِ﴾ قال: لتثقل بالعبصة. قال قتادة: ذكر لنا أن العبصة ما بين العشرة إلى الأربعين.

وعن مجاهد في قوله: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ قال: المتبذخين الأشيرين البطرين، الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم. وقال: هو فرح البغي.

وعن ابن عباس: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال: أن تعمل فيها لآخرتك. وعن قتادة: ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ قال: طلب الحلال. قال ابن

كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، أي: استعمل ما وهبك الله من هذا المال الجزيل والنعمة الطائلة في طاعة ربك، والتقرب إليه بأنواع القربات التي يحصل لك بها الثواب في الدنيا والآخرة ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾، أي: مما أباح الله فيها من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح، فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، ولزورك عليك حقاً، فأت كل ذي حق حقه ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، أي: أحسن إلى خلقه كما أحسن هو إليك ﴿وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾، أي: لا تكن همتك بما أنت فيه أن تفسد به في الأرض وتسيء إلى خلق الله ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ قال: لولا رضا الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني هذا وقرأ ﴿أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾؟ الآية. وعن مجاهد: ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ كقوله: ﴿يُعْرِفُ الْمَجْرِمُونَ بَسِيْمَاهُمْ﴾<sup>(٢)</sup> زرقاً سود الوجوه، والملائكة لا تسأل عنهم قد عرفتهم. وقال الحسن: لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقيع وتوبيخ.

قوله عز وجل: ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَبِغْتَنَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَوْمُ لُوطٍ لَئِنْ لَدَوْا حَظًّا عَظِيمًا﴾ وقال الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا بِالْكَرِّ يُوتَى ﴿٨٧﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَتْ مِنْ أَلْمَنَاتٍ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ ﴿٨٨﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٣٩٩).

(٢) سورة الرحمن: الآية ٤١.

يَقُولُونَ وَيَكَاذُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاهُ وَيَكَاذُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾ .

عن مجاهد ﴿فخرج على قومه في زيته﴾ قال: على براذين بيض عليها سروج الأرجوان عليهم المعصفرات. وعن قتادة: ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾ «ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة»<sup>(١)</sup>.

﴿فما كان له من فئة ينصرونه﴾، أي: جند ينصرونه، وما عنده منعة يمتنع بها من الله ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس يقولون ويكأن﴾ قال: ألم تر. وقال مجاهد: ألم تعلم. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: قال بعضهم: معناه ويلك اعلم وقواه، وقال: فلما خسف به أصبحوا يقولون ﴿ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر﴾، أي: ليس المال بدالاً على رضى الله عن صاحبه، فإن الله يعطي ويمنع ويضيق ويوسع يخفض ويرفع، وله الحكمة التامة والحجة البالغة؛ وهذا كما في الحديث المرفوع عن ابن مسعود: «إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم أرزاقكم، وإن الله يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب»<sup>(٣)</sup>.

﴿لولا أن من الله علينا لخسف بنا﴾، أي: لولا لطف الله بنا وإحسانه إلينا لخسف بنا كما خسف به، لأننا وددنا أن نكون مثله ﴿ويكأنه لا يفلح الكافرون﴾ يعنون أنه كان كافراً ولا يفلح الكافرون عند الله لا في الدنيا ولا في الآخرة.

(١) أخرجه ابن جرير (١١٩/٢٠)، وروي موقوفاً عن سمرة بن جندب، أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه له السيوطي في «الدار» (٢٦٣/٥).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٠٠/٣).

(٣) أخرجه أحمد (٣٨٧/١)، والدارقطني في «العلل» (٤٤٧/٢)، والحاكم (٤٤٧/٢) وصححه، ووافقه الذهبي!! وأبو نعيم في «الحلية» (١٦٦/٤)، والبغوي في «شرح السنة» (٩/٩)، وسنده ضعيف، والصواب وقفه كما رجح ذلك الدارقطني رحمه الله في «علله».

قوله عز وجل: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (٨٢) ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٨٣).

عن مسلم البطين ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوًّا في الأرض ولا فسادًا﴾ قال: العلوُّ التكبر في الأرض بغير الحق، والفساد الأخذ بغير الحق. وعن ابن جريج قوله: ﴿للذين لا يريدون علوًّا في الأرض﴾ قال: تعظيماً وتجبّراً ﴿ولا فسادًا﴾ عملاً بالمعاصي. وعن قتادة ﴿والعاقبة للمتقين﴾، أي: الجنة للمتقين.

وقوله تعالى: ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي ثواب الله خير من حسنة العبد، فكيف يضاعفه أضعافاً كثيرة؟ وهذا مقام الفضل؛ ثم قال: ﴿ومن جاء بالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهذا مقام العدل.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٌ قُلْ إِنِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (٨٤) ﴿وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنَّ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ﴾ (٨٥) ﴿وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أَنْزِلَتْ إِلَيْكَ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٨٦) ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٨٧).

عن مجاهد في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَيْنَا مَعَادٌ﴾ قال: إلى الجنة. وقال الحسن أي والله إن له لمعاداً يبعثه الله يوم القيامة ويدخله الجنة.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٠٢/٣).



وعن ابن عباس: ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ يقول: لرادك إلى الجنة، ثم سائلك عن القرآن؛ وعنه ﴿لرادك إلى معاد﴾ قال: إلى مكة.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ووجه الجمع بين هذه الأقوال أن ابن عباس فسّر ذلك تارة برجوعه إلى مكة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمانة على اقتراب أجل النبي ﷺ، إلى أن قال: ولهذا فسّر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لرادك إلى معاد﴾ بالموت، وتارة بיום القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنة التي هي جزاؤه ومصيره، على أداء رسالة الله وإبلاغها إلى الثقلين الإنس والجن.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿قل ربي أعلم من جاء بالهدى﴾، أي: يعلم من جاء بالهدى، وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي ﷺ: إنك لفي ضلال مبين، فقال الله عز وجل: ﴿قل﴾ لهم ﴿ربي أعلم من جاء بالهدى﴾، أي: يعلم من جاء بالهدى، يعني: نفسه ﴿ومن هو في ضلال مبين﴾، يعني: المشركين، والله أعلم بالفريقين.

قوله تعالى: ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾، أي: يوحى إليك القرآن ﴿إلا رحمة من ربك﴾ قال الفراء: هذا من الاستثناء المنقطع معناه: لكن ربك رحمك فأعطاك القرآن ﴿فلا تكوننّ ظهيراً للكافرين﴾، أي: معيناً لهم على دينهم. وقال مقاتل: وذلك حين دُعي إلى دين آبائه، فذكره الله نعمه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه ﴿ولا يصدّتك عن آيات الله﴾، يعني: القرآن ﴿بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك﴾ إلى معرفته وتوحيده ﴿ولا تكوننّ من المشركين﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخطاب في الظاهر للنبي ﷺ، والمراد به أهل دينه، أي: لا تظاهروا الكافرين ولا توافقوهم.

(١) المصدر السابق (٣/٤٠٢).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٩٤).

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا تليق العبادة إلا له ولا تنبغي الإلهية إلا لعظمته.

وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ إخبار بأنه الدائم ثم الباقي الحي القيوم الذي تموت الخلائق ولا يموت، كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ فعبّر بالوجه عن الذات، وهكذا قوله ههنا ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، أي: إلا إياه. وقوله: ﴿لَهُ الْحُكْمُ﴾، أي: الملك والتصرف ولا معقب لحكمه ﴿وإليه ترجعون﴾، أي يوم معادكم فيجزىكم بأعمالكم.



(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٠٣/٣).

## الدرس السابع بعد المائتين

### ﴿سورة العنكبوت﴾

مكية، وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْعَنَكَبُوتُ﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٢﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْفِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٣﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ

خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَعَ أَنْفَالِهِمْ  
وَلْيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَرُونَ ﴿١٨﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ ١ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ٢ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ٣ ﴿مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنْ أَجَلَ اللَّهُ لَكَ رَبُّهُ لَأَتِيَ بِكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَهُ مَقَرٌ وَمِنْ جَهَنَّمَ مَقَرٌ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ لَئِنْ لَغَوِيَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٤ ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ٥ ﴿

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ألم أحسب الناس﴾ أظنَّ الناس ﴿أن يُتركوا﴾ بغير اختبار ولا ابتلاء ﴿أن يقولوا﴾، أي: بأن يقولوا ﴿آمنوا وهم لا يفتنون﴾ لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم؟ كلا لنختبرنهم، لبيِّن المخلص من المنافق والصادق من الكاذب. وعن مجاهد ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ قال: ابتلينا الذين من قبلهم. وفي الحديث الصحيح: «أشدَّ الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمتل فالأمتل، يتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صلابة زيد له في البلاء»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فليعلمنَّ الله الذين صدقوا وليعلمنَّ الكاذبين﴾.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: والله أعلم بهم قبل الاختبار، ومعنى الآية: وليظهرنَّ الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه. وعن قتادة قوله: ﴿أم حسب الذين

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٠٢/٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٧٢/١) و ١٧٤ و ١٨٠ و ١٨٥، والترمذي (ح/٢٣٩٨)، وابن ماجه (ح/٤٠٢٣)، والحاكم (٤٠/١ و ٤١) من حديث سعد بن أبي وقاص، وهو حديث صحيح.

(٣) المصدر السابق (٣/٣٩٦).

يعملون السيئات»، أي: أهل الشرك ﴿أَنْ يَسْبِقُونَا﴾ قال مجاهد: أن يعجزونا ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: بشئ ما يظنون. ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾، أي: في الدار الآخرة وعمل الصالحات، ورجاً ما عند الله من الثواب الجزيل، فإن الله سيحقق له. رجاءه ويوفيه عمله كاملاً موفراً، فإن ذلك كائن لا محالة لأنه سميع الدعاء بصير بكل الكائنات، ولهذا قال تعالى: ﴿من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت وهو السميع العليم﴾.

وقوله تعالى: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾ كقوله تعالى ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾، أي: من عمل صالحاً فإنما يعود نفع عمله على نفسه، فإن الله تعالى غني عن أفعال العباد، ولو كانوا كلهم على ألقى قلب رجل منهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، ولهذا قال تعالى: ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه إن الله لغني عن العالمين﴾. قال الحسن البصري: إن الرجل ليجاهد، وما ضرب يوماً من الدهر بسيف.

ثم أخبر تعالى أنه مع غناه عن الخلائق جميعهم ومع برّه وإحسانه بهم، يجازي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أحسن الجزاء، وهو أنه يكفر عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون، فيقبل القليل من الحسنات ويثب عليها الواحدة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ويجزي على السيئة بمثلها أو يعفو ويصفح، كما قال تعالى: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾<sup>(٢)</sup>، وقال ههنا: ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٠٤).

(٢) سورة النساء: الآية ٤٠.

لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ .

عن قتادة: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ إلى قوله: ﴿فَأَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بما كنتم تعملون قال: نزلت في سعد بن أبي وقاص لما هاجر قالت أمه: والله لا يُظْلَنِي بيت حتى يرجع، فأنزل الله في ذلك أن يحسن إليهما ولا يطيعهما في الشرك. وروى مسلم وغيره عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: نزلت في أربع آيات، فذكر قصته وقال: قالت أم سعد: أليس الله قد أمرك بالبر، والله لا أطمع طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر، قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاهاً، فنزلت: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً وأنجاهاك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾ إلى مرجعكم فأنتم كنتم تعملون ﴿١﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ثم إنها مكثت يوماً وليلة لم تأكل ولم تشرب ولم تستظل، فأصبحت قد جهدت، ثم مكثت يوماً آخر وليلة لم تأكل ولم تشرب، فجاء سعد إليها فقال: يا أمّاه لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفساً نفساً، ما تركت ديني فكلي وإن شئت فلا تأكلي، فلما أيست منه أكلت وشربت، فأنزل الله تعالى هذه الآية وأمره بالبر بوالديه والإحسان إليهما وأن لا يطيعهما في الشرك، فذلك قوله عز وجل: ﴿وإنجاهاك لتشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما﴾. جاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه مسلم (٤/١٨٧٧ و ١٨٧٨).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٩٦).

(٣) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٠/٤٤) من حديث النواس بن سمعان، بسند ضعيف، لجهالة الزبيرقان لكن له شاهد من حديث عمران بن حصين، والحاكم بن عمرو رضي الله عنهما، مرفوعاً: «لا طاعة لأحد في معصية الله تبارك وتعالى»، أخرجه أحمد (٥/٦٦)، والطيالسي (ص ١١٥)، والحاكم (٢/٤٤٣)، وصححه، ووافقه الذهبي، فالحديث بهذا الشاهد حسن إن شاء الله تعالى.

ثم أوعد بالمصير إليه فقال: ﴿إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾  
أخبركم بصلح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها.

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾،  
أي: في زمرة الصالحين وهم الأنبياء والأولياء. قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى  
ذكره: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ وذاك أن يؤدوا فرائض الله  
ويجتنبوا محارمه ﴿لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ في مدخل الصالحين، وذلك الجنة.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ  
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ  
لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ  
الْمُنَافِقِينَ ﴿١٢﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ  
فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ قال: أن يرتد عن دين الله إذا أُوذِيَ في الله. وعن مجاهد  
قوله: ﴿فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ  
الْمُنَافِقِينَ﴾ قال: أناس يؤمنون بالسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الله أو مصيبة في  
أنفسهم افتتنوا، فجعلوا ذلك في الدنيا كعذاب الله في الآخرة.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا  
وَلْنَحْمِلَ خَطَايَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ  
لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْفَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا  
كَانُوا يَفْتُرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

عن مجاهد قوله: ﴿اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ﴾ قال: قول كفار قريش

(١) انظر «جامع البيان» (٢٠/١٣٢).



بمكة لمن آمن منهم، يقول قالوا: لا نبعث نحن ولا أنتم فاتبعونا إن كان عليكم شيء فهو علينا.

وعن قتادة ﴿وليحملن أثقالهم﴾، أي: أوزارهم ﴿وأثقالاً مع أثقالهم﴾ يقول: أوزار من أضلّوا. وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وليسألنّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾، أي: سؤال توبيخ وتقريع.



---

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٦٧٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

## الدرس الثامن بعد المائتين

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ (١٤) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَّغُ النَّبِيُّ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنشَأَ بِمُتَعَجِّزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَاسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَلَيَعْلَمَنَّ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا

لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَمَنْ لَمْ يُطِيعِ فَإِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ  
 وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ إِجْرًا فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ وَلَوْطَا إِذْ  
 قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الْفَاحِشَةُ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ  
 الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي كُنْتُ لَأَتُوبُ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي  
 نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَنْتِنَا بِعَذَابِ  
 اللَّهِ إِن كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ  
 الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ  
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنِّي فِيهَا لَوْطًا قَالُوا  
 نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًاكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْبِ ﴿٣٢﴾  
 وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا  
 تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُونَكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًاكَ كَانَتْ مِنَ الْغَيْبِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا  
 مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَى مَدِينِ أَخَاهُمْ  
 شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْبُوا فِي الْأَرْضِ  
 مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ  
 جِثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادَا وَثَمُودَا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكَانِهِمْ  
 وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾  
 وَقَدْ تَرَكُوا مِزَابَ وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي  
 الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ

حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ  
مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ  
يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ١٤ ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ١٥ .

عن ابن عباس قال: بعث نوح وهو لأربعين سنة، ولبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وعاش بعد الطوفان ستين عاماً حتى كثر الناس وفشوا. وعن مجاهد قال: قال لي ابن عمر: كم لبث نوح في قومه؟ قال: قلت: ألف سنة إلا خمسين عاماً، قال: فإن الناس لم يزالوا في نقصان من أعمارهم وأحلامهم وأخلاقيهم إلى يومك هذا.

وقوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ قال قتادة: أبقاها الله آية للناس بأعلى الجودي.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أو نوعها، وهذا من باب التدرج من الشخص إلى الجنس، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾<sup>(٢)</sup> أي وجعلنا نوعها رجوماً، فإن التي يرمى بها ليست هي زينة للسماء.

قوله عز وجل: ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ١٦ ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٠٧/٣).

(٢) سورة الملك: الآية ٥.

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ  
مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿وإبراهيم﴾ أي وأرسلنا إبراهيم ﴿إذ قال لقومه  
اعبدوا الله واتقوه﴾ أطيعوه وخافوه ﴿ذلكم خير إن كنتم تعلمون إنما تعبدون من  
دون الله أوثاناً﴾ أصناماً ﴿وتخلقون إفكاً﴾ تقولون كذباً، قال مقاتل: تصنعون  
أصناماً بأيديكم فتسمونها آلهة ﴿إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم  
رزقاً﴾ لا يقدر أن يرزقكم ﴿فابتغوا﴾ فاطلبوا ﴿عند الله الرزق واعبدوه  
واشكروا له إليه ترجعون وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم﴾ مثل عاد وثمود  
وغيرهم فأهلكوا ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ .

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ  
ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٦﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ  
اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَيَرْحَمُ  
مَن يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنشَأَ بِمُعْجِزَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا  
لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ  
وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَئِسُوا مِن رَّحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ .

عن قتادة في قوله: ﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾ بالبعث  
بعد الموت ﴿إن ذلك على الله يسير قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾  
خلق السموات والأرض ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾، أي: البعث بعد الموت.  
وعن ابن عباس قوله: ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾ قال: هي الحياة بعد الموت،  
وهو النشور.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٣٩٨).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿فكما لم يتعذر عليه إحداثها مبتدئاً لا يتعذر عليه إنشاؤها معيداً﴾  
﴿إن الله على كل شيء قدير يعذب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تqlبون﴾ تردون.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾  
قال: لا يعجزه أهل الأرضين في الأرضين، ولا أهل السموات في السموات، إن  
عصوه ﴿وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي ﴿من ولي﴾ يمنعكم مني ﴿ولا نصير﴾ ينصركم من  
عذابي.

وقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بآيات الله ولقائه﴾ أي بالقرآن وبالبعث  
﴿أولئك يشوا من رحمتي﴾ أي لا نصيب لهم فيها ﴿وأولئك لهم عذاب أليم﴾  
موجع وهو عذاب النار.

قوله عز وجل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ  
حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾<sup>(٢٥)</sup> وَقَالَ إِنَّمَا  
أَتَّخِذُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ  
يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَيْكُمُ النَّارُ وَمَا  
لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ<sup>(٢٥)</sup> ﴿فَعَاوَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ<sup>(٢٦)</sup> وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ  
وَالْكِتَابَ وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(٢٧)</sup>.

عن قتادة قوله: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ قوم إبراهيم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ  
حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ قال: كعب ما حرقته منه إلا وثاقه ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ  
لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

(١) المصدر السابق (٣/٣٩٩).

(٢) المصدر السابق (٣/٣٩٩).

وعن قتادة ﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودةً بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ قال: صارت كل خلّة في الدنيا عداوة على أهلها يوم القيامة إلاّ خلّة المتقين.

وعن ابن عباس قوله: ﴿فأمن له لوط﴾ قال: صدّقه لوط ﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾ قال: هو إبراهيم. وقال قتادة: هاجرا جميعاً من كوثي، وهي من سواد الكوفة إلى الشام.

وقوله تعالى: ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾. عن قتادة قوله: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾ قال: عافية وعملاً صالحاً وثناءً حسناً، فلست يلاق أحداً من الملائ إلاّ يرضى إبراهيم ويتولاه ﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَأْتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَيْتَكُمْ لَأَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾﴾.

عن عمرو بن دينار في قوله: ﴿إنكم لتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين﴾ قال: ما نزا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط. وعن أم هانئ قالت: سألت النبي ﷺ عن قوله: ﴿وتأتون في ناديكم المنكر﴾ قال: كانوا يحذفون أهل الطريق ويسخرون منهم<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير وغيره.

(١) أخرجه أحمد (٣٤١/٦ و ٤٢٤)، والترمذي (ح/٣١٩٠) وحسنه، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (ح/٢٨٢)، وابن جرير (١٤٥/٢٠)، والطبراني (٤١١/٢٤ و ٤١٢)، والحاكم =



قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ ٣١ قَالَ إِنَّكَ فِيهَا لُوطٌ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًاكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٢.

عن ابن عباس قوله: ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾ إلى قوله: ﴿نحن أعلم بمن فيها﴾ قال: فجادل إبراهيم الملائكة في قوم لوط أن يتركوا، قال فقال: أرايتم إن كان فيها عشر آيات من المسلمين أتركونهم؟ فقالت الملائكة: ليس فيها عشر آيات ولا خمسة ولا أربعة ولا ثلاثة ولا اثنان، قال: فعزن على لوط وأهل بيته فـ ﴿قال إن فيها لوطاً قالوا نحن أعلم بمن فيها لننجيئه وأهله إلا أمراته كانت من الغابرين﴾ فذلك قوله: ﴿يجادلنا في قوم لوط إن إبراهيم لحليم أواه منيب﴾<sup>(١)</sup> فقالت الملائكة: يا إبراهيم أعرض عن هذا، إنه قد جاء أمر ربك، وإنهم آتيهم عذاب غير مردود.

قوله عز وجل: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِوَىٰ بَيْتِهِمْ وَصَافَ بِهِمْ ذُرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيُكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًاكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾ ٣٣ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ ٣٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ٣٥.

= (٢/٤١٠) وصححه على شرط مسلم، وقال الذهبي: «على شرط البخاري ومسلم»!!

قلت: وفي سنده أبو صالح مولى أم هانئ وهو ضعيف، والبخاري ومسلم لم يخرجاه له فكيف يكون على شرطهما. قوله: «يخذفون» بالخاء، أي: الضرب بالعصا، وفي رواية: «يخذفون» بالحاء، أي: الرمي بالحصى أو النواة تأخذهما بين الإبهام والسبابة.

(١) سورة هود: الآية ٧٥.

عن قتادة قوله: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذُرْعًا﴾ قال: بالضيافة مخافة عليهم مما يعلم من شر قومه.

وعن مجاهد قوله: ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ قال: عبرة. وقال ابن عباس: الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة.

قوله عز وجل: ﴿وَالِإِن مَّدِينٌ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَلْقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَنِيْمٌ ﴿٣٧﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ نهاهم عن العبث في الأرض بالفساد، وهو السعي فيها والبغي على أهلها، وذلك أنهم كانوا ينقصون المكيال والميزان ويقطعون الطريق على الناس، هذا مع كفرهم بالله ورسوله، فأهلكهم الله برجفة عظيمة زلزلت عليهم بلادهم، وصيحة أخرجت القلوب من حناجرها، وعذاب يوم الظلة الذي أزهق الأرواح من مستقرها، إنه كان عذاب يوم عظيم.

قوله عز وجل: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسْكِنِهِمْ وَزَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَوَسَّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُرُورٌ وَفِرْعَوْنٌ وَهَمَانٌ ۖ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ ثُومُونَ بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٤١٢/٣).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿وعاداً وثمود﴾، أي: وأهلكنا عاداً وثمود. وعن قتادة: وكانوا متبصرين في ضلالتهم، معجبين بها، قال الفراء: كانوا عقلاء ذوي بصائر. وقوله تعالى: ﴿وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين﴾، أي: فأتين من عذابنا ﴿فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾ وهم عاد ﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾ يعني ثمود ﴿ومنهم من خسفنا به الأرض﴾ وهو قارون وأصحابه ﴿ومنهم من أغرقنا﴾ وهم فرعون وهامان وجنودهما ﴿وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٠١/٣).

## الدرس التاسع بعد المائتين

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أُولِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ  
 أَخَذَتْ يَتِيمًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَيَبْنِي الْعَنْكَبُوتُ لَوْ كَانُوا  
 يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ  
 الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَذَلِكَ الْمَثَلُ نُضْرِبُهُكَ لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا  
 الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً  
 لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ أَتَى مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ  
 تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾  
 ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ  
 وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ  
 مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ ءَانَيْتَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ  
 بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ  
 تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذْ أَلَّا رَبَّابَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ  
 ءَايَاتٌ يَبْنِي فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا  
 الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ ءَايَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ  
 اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى  
 عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ

بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥١﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾ إلى آخر الآية، قال: ذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره. وقال قتادة: هذا مثل ضربه للمشرك، مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه. وقال ابن زيد: لا يغني أولياؤهم عنهم شيئاً، كما لا يغني العنكبوت بيتها هذا.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ثم قال تعالى متوعداً لمن عبد غيره وأشرك به، أنه تعالى يعلم ما هم عليه من الأعمال، ويعلم ما يشركون به من الأنداد، وسيجزئهم وصفهم إنه حكيم عليم، ثم قال تعالى: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾، أي: وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتصلعون منه. وعن جابر أن النبي ﷺ تلا هذه الآية: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس ما يعقلها إلا العالمون﴾ قال: العالم من لم يغفل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه<sup>(٢)</sup>. رواه

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤١٤).

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٣/٤٠٢)، بسند موضوع.

البغوي وعن عمرو بن مرة قال: ما مررت بآية من كتاب الله لا أعرفها إلا أحزنتني، لأنني سمعت الله تعالى يقول: ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾.

وقوله تعالى: ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>، أي: للحق وإظهار الحق: ﴿إن في ذلك﴾ في خلقها: ﴿آية﴾ لدلالة: ﴿للمؤمنين﴾ على قدرته وتوحيده.

قوله عز وجل: ﴿آتِلْ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْنِ الصَّلَاةِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ يقول: في الصلاة منتهى ومزدجر عن معاصي الله؛ وقال: من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً.

وعن عبد الله بن ربيعة قال: قال عبد الله بن عباس: هل تدري ما قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال قلت: نعم، التسبيح والتحميد والتكبير في الصلاة، وقراءة القرآن ونحو ذلك، قال: لقد قلت قولاً عجباً وما هو كذلك، ولكنه إنما يقول: ذكر الله إياكم عندما أمر به أو نهى عنه إذا ذكرتموه، أكبر من ذكركم إياه. وعن ابن عون في قول الله: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾ والذي أنت فيه من ذكر الله أكبر. وعن ابن عباس في قوله: ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال: لها وجهان: ذكر الله أكبر مما سواه، وذكر الله إياكم أكبر من ذكركم إياه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية<sup>(٢)</sup>: والصحيح أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان،

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٠٢/٣).

(٢) انظر «الفتاوى» (٧٥٣/١٠).

أحدهما أعظم من الآخر، ولما فيها من ذكر الله أكبر من نهيها عن الفحشاء والمنكر: ﴿والله يعلم ما تصنعون﴾ فيجازيكم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾ (٤٦) وَكَذَلِكَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ الْكِتَابُ فَالَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ (٤٧) وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لِآتَابِ الْمُبْطِلُونَ (٤٨) بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ (٤٩).

قال ابن زيد في قوله: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾ قال: ليست بمنسوخة. انتهى. وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ (١).

قال ابن كثير (٢): وقوله تعالى: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾، أي: حادوا عن وجه الحق، وعموا عن واضح الحجة، وعاندوا وكابروا فحيثما ينتقل من الجدل إلى الجلال. وعن سعيد: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ قال: أهل الحرب من لا عهد له جادله بالسيف. وعن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون» (٣). رواه ابن جرير وغيره.

(١) سورة النحل: الآية ١٢٥.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح/٤٤٨٥ و ٧٣٦٢ و ٧٧٤٢).



وقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: وكذلك يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب ﴿أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾ يعني مؤمني أهل الكتاب ﴿ومن هؤلاء﴾ يعني أهل مكة: ﴿من يؤمن به﴾ وهم مؤمنو أهل مكة ﴿وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون﴾ وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبيّ، والقرآن حقّ فجحدوا. وقال قتادة: الجحود إنما يكون بعد المعرفة.

﴿وما كنت تتلو﴾ يا محمد: ﴿من قبله من كتاب ولا تخطه يمينك﴾ يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي: ﴿إذا لارتاب المبطلون﴾ قال قتادة: إذا لقالوا: إنما هذا شيء تعلّمه محمد وكتبه.

وقال الحسن في قوله: ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ القرآن: ﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾ يعني المؤمنين. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ولهذا جاء في صفة هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِيَّاكَ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةٌ وَذِكْرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيِّنًا وَبَيِّنَاتٍ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٠٤).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤١٧).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن المشركين في تعنتهم وطلبهم ﴿آيات﴾ يعنون ترشداهم إلى أن محمداً رسول الله كما أتى صالح بناقته، قال الله تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿إنما الآيات عند الله﴾، أي: إنما أمر ذلك إلى الله.

وقوله: ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾، أي: إنما بعثت نذيراً لكم، بين النذارة فعلي أن أبلغكم رسالة الله تعالى، و﴿من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً﴾<sup>(٢)</sup>.

ثم قال تعالى مبيناً كثرة جهلهم وسخافة عقولهم حيث طلبوا آيات تدلهم على صدق محمد ﷺ فيما جاءهم، وقد جاءهم بالكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الذي هو أعظم من كل معجزة، إذ عجزت الفصحاء والبلغاء عن معارضته، بل عن معارضة عشر سور من مثله، بل عن معارضة سورة منه، فقال تعالى: ﴿أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾، أي: أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك هذا الكتاب العظيم الذي فيه خبر ما قبلهم ونبا ما بعدهم وحكم ما بينهم، وأنت رجل أمي لا تقرأ ولا تكتب، ولم تخالط أحداً من أهل الكتاب، فجتتهم بأخبار ما في الصحف الأولى ببيان الصواب مما اختلفوا فيه وبالحق الواضح؟ انتهى ملخصاً. وذكر الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من الأنبياء إلا قد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»<sup>(٣)</sup>.

وقال البغوي<sup>(٤)</sup>: ﴿إن في ذلك﴾ في إنزال القرآن: ﴿لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون﴾، أي: تذكيراً وعظة لمن آمن وعمل بها: ﴿قل كفى بالله بيني وبينكم

(١) المصدر السابق (٣/٤١٨).

(٢) سورة الكهف: الآية ١٧.

(٣) أخرجه البخاري (ح/٤٩٨١ و ٧٢٧٤)، ومسلم (ح/١٥٢).

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٠٥).

شهيذا ﴿ أني رسوله وهذا القرآن كتابه ﴾ يعلم ما في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل ﴿ قال ابن عباس: بغير الله. وقال قتادة: بعبادة الشيطان: ﴾ وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون ﴿.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: في يوم القيامة سيجزيهم على ما فعلوا ويقابلهم على ما صنعوا في تكذيبهم بالحق واتباعهم الباطل، كذبوا برسول الله مع قيام الأدلة على صدقهم، وآمنوا بالطواغيت والأوثان بلا دليل، فسيجزيهم على ذلك إنه حكيم عليم.



---

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤١٨).

## الدرس العاشر بعد المائتين

﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هُرِّ الْعَذَابِ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَفْتَةٌ  
وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٣﴾ يَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ٥٤ يَوْمَ  
يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٥  
يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ ٥٦ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ  
إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا يُجْرَى  
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرَ الْعَامِلِينَ ٥٨ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ  
يَتَوَكَّلُونَ ٥٩ وَكَأَن مِّن دَآبَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ  
الْعَلِيمُ ٦٠ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ  
اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ ٦١ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ  
شَيْءٍ عَلِيمٌ ٦٢ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مِّن نَّزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَآخَبَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ  
مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٣ وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ  
الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانِ لَو كَانُوا يَعْلَمُونَ ٦٤  
فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَائِكِ دَعَوْا اللَّهَ تَخْلُصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا بَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ  
يُشْرِكُونَ ٦٥ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّوْا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ٦٦ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا  
جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُنْخَفُفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ءَافِيًا لِّبَطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ  
يَكْفُرُونَ ٦٧ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ

فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَسْتََعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هُمُ الْعَذَابِ وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتََعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَئِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن جهل المشركين في استعجالهم عذاب الله أن يقع بهم وبأس الله أن يحلّ عليهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنَا بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾<sup>(٢)</sup> وقال ههنا: ﴿وَيَسْتََعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لِّجَاءِ هُمُ الْعَذَابِ﴾، أي: لولا ما حتم الله من تأخير العذاب إلى يوم القيامة، لجاءهم العذاب قريباً سريعاً كما استعجلوه، ثم قال: ﴿وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً﴾، أي: فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ يَسْتََعَجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾، أي: يستعجلون العذاب، وهو واقع بهم لا محالة ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: يقول جلّ ثناؤه: ﴿وَيَقُولُ اللَّهُ لَهُمْ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا من معاصي الله وما يسخطه فيها.

قوله عز وجل: ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنِّي تُرِيتُكُمْ وَاسِعَةً فَإِنِّي فَاعِبُوكُمْ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَاقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا

(١) المصدر السابق (٤١٨/٣).

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

(٣) انظر «جامع البيان» (٨/٢١).

الَّذِينَ هُمْ لَنَبْوَتُهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعَمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون﴾ قال مقاتل والكلبي: نزلت في ضعفاء مسلمي مكة، يقول: إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة ﴿إن أرضي﴾، يعني: المدينة ﴿واسعة﴾ آمنة. قال مجاهد ﴿إن أرضي واسعة﴾ فهاجروا وجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبیر: إذا عمل في الأرض بالمعاصي فاخرجوا منها، فإن أرضي واسعة. وقال عطاء: إذا أمرتم بالمعاصي فاهربوا، فإن أرضي واسعة، وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا يمكنه تغيير ذلك، أن يهاجر إلى حيث تنهياً له العبادة. انتهى.

وعن أبي مجلز في هذه الآية ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم﴾ قال: من الدواب ما لا يستطيع أن يذخر لغد، فوقف رزقه كل يوم حتى يموت. وعن أبي هريرة مرفوعاً: «سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا»<sup>(٢)</sup>.

رواه أحمد. وروى البغوي بسنده عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «أيها الناس ليس من شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار، إلا وقد أمرتكم به، وليس من شيء يقربكم إلى النار ويباعدكم عن الجنة، إلا وقد نهيتكم عنه،

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٠٦/٣).

(٢) لم أقف عليه عند أحمد بهذا اللفظ، والذي عنده بلفظ: «سافروا تصحوا، واغزوا تستغنوا» أخرجه أحمد (٣٨٠/٢) من حديث أبي هريرة، بسنده ضعيف. وروي نحوه بلفظ: «سافروا تصحوا وتغنموا»، أخرجه ابن عدي (٢/٢٩٩)، والخطيب في تاريخه (٣٨٧/١٠)، والقضاعي (٣٦٤/١) من حديث ابن عمر، بسند ضعيف جداً.

وإن الروح الأمين قد نفث في روعي: إنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله، فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٦١) ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٦٢) ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ (٦٣) ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ ۚ وَلِلكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ لِهِيَ الْحَيَوةُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (٦٤).

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى مقررًا أنه لا إله إلا هو، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره، معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر، وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم واختلافها واختلاف أرزاقهم، ففاوت بينهم فمنهم الغني والفقير، وهو العليم بما يصلح كلاً منهم ومن يستحق الغنى ممن يستحق الفقر، فذكر أنه المستقل بخلق الأشياء المتفرد بتدبيرها، فإذا كان الأمر كذلك فلم يعبد غيره ولم يتوكل على غيره؟ فكما أنه الواحد في ملكه فليكن الواحد في عبادته؛ وكثيراً ما يقرر تعالى مقام الإلهية بالاعتراف بتوحيد الربوبية، وقد كان المشركون يعترفون بذلك، كما يقولون في تليبتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. انتهى.

وقوله تعالى: ﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي

(١) أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٣٠٥/١٤) بسند ضعيف، وله شاهد من حديث أبي أمامة بنحوه وسيأتي تخريجه.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٢١).



الحيوان ﴿٦٥﴾ قال مجاهد: لا موت فيها. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿لو كانوا يعلمون﴾، أي: لآثروا ما يبقى على ما يفنى.

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا بَجَّهْتُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَنَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ؕ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

ذكر ابن إسحاق عن عكرمة بن أبي جهل أنه لما فتح رسول الله ﷺ مكة ذهب فاراً منها، فلما ركب في البحر ليذهب إلى الحبشة اضطربت بهم السفينة فقال أهلها: يا قوم أخلصوا لربكم الدعاء، فإنه لا ينجي ههنا إلا هو، فقال عكرمة: والله لئن كان لا ينجي في البحر غيره فإنه لا ينجي في البر أيضاً غيره. اللهم لك عليّ عهد لئن خرجت لأذهبن فلاضعن يدي في يد محمد، فلا جدته رؤوفاً رحيماً، فكان كذلك.

وقال عكرمة: كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام، فإذا اشتدت بهم الريح ألقوها في البحر.

وقوله تعالى: ﴿فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾، أي: لا فائدة لهم في الإشراك إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة، من غير نصيب في الآخرة.

وعن قتادة في قوله: ﴿أولم يروا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُخَاطَفُ النَّاسُ مِنْ

(١) المصدر السابق (٣/٤٢١).

حولهم ﴿ قال: كان لهم في ذلك آية إن الناس يغزون ويتخطفون وهم آمنون ﴾ أفبالباطل يؤمنون ﴿، أي: بالشرك ﴿وبنعمة الله يكفرون﴾ يجحدون؟.

وقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بالحق لما جاءه﴾، أي: لا أحد أشدَّ عقوبة ممن كذب على الله أو كذب بكتابه، فالأول مفترٍ والثاني مكذب ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾.

﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.  
قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿والذين جاهدوا فينا﴾، يعني: الرسول وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين ﴿لنهديتهم سبلنا﴾، أي: طريقنا في الدنيا والآخرة. وقال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿وإن الله لمع المحسنين﴾ بالنصر والمعونة في دنياهم، وبالثواب والمغفرة في عقابهم.



(١) المصدر السابق (٣/٤٢٢).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٠٨).

## الدرس الحادي عشر بعد المائتين

### ﴿سورة الروم﴾

مكية، وهي ستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْم ١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ۚ ﴿٢﴾ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ  
سَيَقْلَبُونَ ۚ ﴿٣﴾ فِي يَضِيعُ سِنِيكَ ۖ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ  
الْمُؤْمِنُونَ ۚ ﴿٤﴾ يَنْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۚ ﴿٥﴾  
وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ  
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَنْفَكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِ  
رَبِّهِمْ لَكَفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن  
قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا  
وَحَمَلَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنْفُسَهُمْ  
يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا الشُّوْأَىٰ ۚ أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا  
يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ نَقُومُ  
السَّاعَةَ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاتٌ ۚ وَكَانُوا

بِشْرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفَرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ  
كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَنَ  
اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا  
وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ  
مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿الْعَلَمُ ۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بَضْعِ سِنِينَ ۝٤ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٥ بَنَصَرَ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ۝٦ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٧ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ۝٨﴾.

قال ابن عباس: كان المسلمون يحبون أن تغلب الروم لأنهم أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن تغلب فارس لأنهم أهل أوثان، قال فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبي ﷺ فقال: «أما إنهم سيُهْزَمُونَ»، فذكر ذلك أبو بكر للمشركين قال فقالوا: أفجعل بيننا وبينكم أجلاً؟ فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا، قال: فجعلوا بينه وبينهم أجلاً خمس سنين، قال: فمضت فلم يغلبوا، قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبي ﷺ فقال له: «أفلا جعلته دون العشر؟» قال سعيد: والبضع ما دون العشر. قال: فغلب الروم ثم غلبت، قال فذلك قوله: ﴿الْعَلَمُ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ قال: البضع ما دون العشر ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بَنَصَرَ اللَّهُ﴾ قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر. وعند الترمذي من حديث آخر: «وذلك قبل تحريم الرهان»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ، يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ عن ابن عباس قوله:

(١) أخرجه أحمد (٢٧٦/١ و ٣٠٤)، والترمذي (ح/٣١٩٣)، وقال: «حسن صحيح»، والنسائي في «الكبرى» (٤٢٦/٦)، وابن جرير (١٦/٢١)، والطبراني (٢٩/١٢)، والحاكم (٤١٠/٢)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، والبيهقي في «الدلائل» (٢٣٠/٢ - ٢٣١)، وهو حديث صحيح.

﴿ظاهراً من الحياة الدنيا﴾، يعني: الكفار يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُظِلِّمَهُمُ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَرَوْا السُّوْءَىٰ أَن كَذَّبُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقاته الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿أولم يتفكروا في أنفسهم﴾، يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي وما بينهما من المخلوقات المتنوعة والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سدى ولا باطلاً بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿وإن كثيراً من الناس بقاء ربهم لكافرون﴾.

ثم نبيههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه، بما أيدهم به من المعجزات والدلائل الواضحات، من إهلاك من كفر بهم، ونجاة من صدقهم، فقال تعالى: ﴿أولم يسيروا في الأرض﴾، أي: بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماع أخبار الماضين؟ ولهذا قال: ﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة﴾، أي: كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم قوة، أيها المبعوث

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٢٧).

إليهم محمد ﷺ، وأكثر أموالاً وأولاداً، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومكنوا في الدنيا تمكيناً لم تبلغوا إليه، وعمرؤا فيها أعماراً طوالاً فعمرؤوا أكثر منكم واستغلؤوا أكثر من استغلالكم، ومع هذا فلما جاءتهم رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا، أخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق، ولا حالت أموالهم وأولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحلّ بهم من العذاب والنكال.

﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾، أي: وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله واستهزؤوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة وتكذيبهم المتقدم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (١١) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ (١٢) وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ (١٣) وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِرُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْحَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَائِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ (١٦) فَسُبْحَنَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ (١٨) يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١٩).

يقول تعالى: ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾، أي: كما هو قادر على بداءته فهو قادر على إعادته ﴿ثم إليه ترجعون﴾، أي: يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، ثم قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يُبلس المجرمون﴾ قال ابن عباس: يئأس المجرمون، وقال مجاهد: يفتضح المجرمون، وفي رواية: يكتب المجرمون

﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء﴾، أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى بل كفروا بهم.

ثم قال تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون﴾ قال قتادة: هي والله الفرقة التي لا اجتماع بعدها، ولهذا قال تعالى: ﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يُخَبَّرُونَ﴾ قال مجاهد: ينعمون ﴿وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك في العذاب مُخَضَّرُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون﴾ هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه وتحميده في هذه الأوقات المتعاقبة. قال ابن عباس: جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة ﴿فسبحان الله حين تمسون﴾ قال: المغرب والعشاء ﴿وحين تصبحون﴾ الفجر ﴿وعشياً﴾ العصر ﴿وحين تظهرون﴾ الظهر.

وقوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ قال ابن مسعود: ويخرج النطفة من الرجل ميتة وهو حي، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة.

وقوله تعالى: ﴿ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تُخْرِجُونَ﴾ كقوله تعالى: ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت إن الذي أحيها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير﴾<sup>(١)</sup>.



(١) سورة فصلت: الآية ٣٩.



## الدرس الثاني عشر بعد المائتين

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتَكُمْ وَالْوُكُوفَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَكُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَلِيلُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مِّنْ مَّيْمِينَ إِلَىٰهٖ وَاتَّقُوْهُ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ  
الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شَبْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ  
فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾ (٢٠) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاخْتَلَفَ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوُكُوفُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (٢٢) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ﴾ (٢٣).

عن قتادة: ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ خلق آدم عليه السلام من تراب: ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ يعني ذريته. ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾ خلقها لكم من ضلع من أضلاعه ﴿وجعل بينكم مودةً ورحمة﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: وجعل بين الزوجين المودة والرحمة، فهما يتوادان ويتراحمان، وما شيء أحب إلى أحدهما من الآخر من غير رَحِمٍ بينهما: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ في عظمة الله وقدرته.

قوله: ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم واللوانكم﴾ يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما: ﴿واللوانكم﴾ أبيض وأسود وأحمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إن في ذلك لآيات للعالمين﴾ قرأ حفص بكسر اللام: ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاءكم من فضله﴾، أي: تصرفكم في طلب المعيشة: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ سماع نذير واعتبار.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤١٣).

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٢٤) ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ (٢٥) ﴿وَلَكُمْ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَمْ قَنِتُونا﴾ (٢٦) ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَتْ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (٢٧).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى: ﴿ومن آياته﴾ الدالة على عظمته أنه: ﴿يريكُم البرق خَوْفًا وَطَمَعًا﴾، أي: تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة وصواعق مقلقة، وتارة ترحبون وميضه. وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها﴾ وفي ذلك عبرة ودلالة واضحة على المعاد وقيام الساعة؛ ولهذا قال: ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون﴾.

وعن قتادة: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ قامتا بأمره من غير عَمَدٍ: ﴿ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ قال: دعاهم فخرجوا من الأرض. وقال ابن عباس: من القبور. قال ابن كثير: ثم قال تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾ كقوله تعالى: ﴿ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه﴾<sup>(٢)</sup> وقوله: ﴿إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾<sup>(٣)</sup>؛ وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال: والذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيرها إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بذلت الأرض غير الأرض والسموات

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٣٠).

(٢) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤١.

وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ وعن ابن عباس قوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ إلى ﴿كُلُّ لَه قَانْتُونَ﴾ يقول: مطيعون، يعني الحياة والنشور والموت، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة.

﴿وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ يقول: كل شيء عليه هين. وقال عكرمة: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى فتزلت: ﴿وهو الذي يبدو الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه. وعن مجاهد قوله: ﴿وهو أهون عليه﴾ قال: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هين. وعن ابن عباس قوله: ﴿وله المثل الأعلى﴾ يقول: ليس كمثله شيء. وعن قتادة: ﴿وله المثل الأعلى﴾ في السموات والأرض، قال مثله إنه لا إله إلا هو ولا رب غيره ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِّنْ نَّاصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقَمَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَوِيمُ وَلَكِن كَثُرَ الْكَاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره،

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٣١/٣).

الجاعلين له شركاء من خلقه، وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له ملك له، كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك؛ فقال تعالى: ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم﴾، أي: تشهدونه وتفهمونه ﴿من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيما نكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء﴾، أي: أيرضى أحدكم أن يكون عبده شريكاً له في ماله؟ فهو وهو فيه على السواء ﴿تخافونهم كخيفتكم أنفسكم﴾، أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال. قال أبو مجلز: إن مملوكك لا يخاف أن يقاسمك مالك وليس له، كذلك الله لا شريك له، والمعنى أن أحدكم يأنف من ذلك فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه؟

﴿كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم: ﴿بل اتبع الذين ظلموا﴾ أشركوا بالله: ﴿أهواءهم﴾ في الشرك: ﴿بغير علم﴾ جهلاً بما كتب عليهم: ﴿فمن يهدي من أضلّ الله﴾، أي: أضله الله ﴿وما لهم من ناصرين﴾ مانعين يمنعونهم من عذاب الله عز وجل. وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً﴾، أي: أخلص دينك لله حنيفاً مائلاً إلى التوحيد مستقيماً عليه. قال ابن زيد في قوله: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ قال: الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعاً يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريّتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ قال: فهذا قول الله: ﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين﴾ بعد. وعن يزيد بن أبي مريم قال: مرّ عمر بمعاذ بن جبل فقال: ما قوام هذه الأمة؟ قال معاذ: ثلاث وهنّ المنجيات: الإخلاص وهو الفطرة ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾ والصلاة وهي الملة، والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤١٥).

(٢) أخرجه ابن جرير (٢١/٤٠).

وقوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ قال مجاهد: لدين الله. وقال البخاري قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ دين الله خلق الأولين دين الأولين، الدين والفطرة الإسلام؛ ثم ذكر حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾»<sup>(١)</sup>.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: فمن حمل الفطرة على الدين قال: معناه لا تبديل لدين الله، وهو خبر بمعنى النهي، أي: لا تبدلوا دين الله. قال مجاهد وإبراهيم معنى الآية: الزموا فطرة الله، أي: دين الله، واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك: ﴿ذلك الدين القيم﴾ المستقيم ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾.

وقوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ يقول تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ أنت يا محمد ومن اتبعك ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾، أي: راجعين إليه: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ بل كونوا من الموحدين المصلين الطائعين. قال ابن جرير: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمَشْرِكِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله، بتضييعكم فرائضه وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه.

وقوله: ﴿مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدلوا دينهم وخالفوه: ﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزاباً، فرقاً كاليهود والنصارى.

وقوله: ﴿كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقت دينهم الحق، فأحدثوا البدع التي أحدثوا، ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٧٥)، ومسلم (ح/٢٦٥٨).

(٢) المصدر السابق (٣/٤١٥).

يقول: بما هم به متمسكون من المذهب ﴿فرحون﴾ مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم. انتهى ملخصاً.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضاً اختلفوا فيما بينهم على نحل كلّها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة المتمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه، كما رواه الحاكم في مستدركه، أنه سئل ﷺ عن الفرقة الناجية منهم فقال: «من كان على ما أنا عليه اليوم وأصحابي»<sup>(٢)</sup>.



(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٣٣).

(٢) أخرجه الترمذي (ح/٢٦٤١)، والحاكم (١/١٢٨ — ١٢٩)، من حديث عبد الله بن عمرو، وسنده ضعيف، لكن للحديث شاهد يتقوى به عن معاوية رضي الله عنه بنحوه: أخرجه أحمد (٤/١٠٢)، وأبو داود (ح/٤٥٩٧)، والدارمي (٢/٢٤١)، والحاكم (١/١٢٨) وصححه، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (١/١٠١ — ١٠٢)، والطبراني (١٩/٨٨٤ و ٨٨٥)، وهو حديث صحيح يشهد له ما قبله وما بعده، وشاهد آخر عند أنس — رضي الله عنه —: أخرجه أحمد (٣/١٢٠ و ١٤٥)، وابن ماجه (ح/٣٩٩٢)، واللالكائي (١/١٠٠)، وفي سنده ضعف.



## الدرس الثالث عشر بعد المائتين

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَتَابَ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَبَرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَبُّوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا ءَاتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْشُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُمْ مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُمْ مِّن شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَوْفَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ الْقَيَْمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ لَهُ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٣) ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٣٤) ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ (٣٥) ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ (٣٦) ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٣٧).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطراب يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم إذا فريق منهم في حالة الاختيار يشركون بالله ويعبدون معه غيره. وقوله تعالى: ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ هي لام العاقبة عند بعضهم، ولام التعليل عن آخرين، ولكنها تعليل لتقيض الله لهم ذلك؛ ثم توعدهم بقوله: ﴿فسوف تعلمون﴾ قال بعضهم: والله لو توعدني حارس درب لخفتُ منه، فكيف والمتوعد ههنا هو الذي يقول للشيء: كن فيكون؟

ثم قال تعالى: منكرأ على المشركين فيما اختلفوا فيه من عبادة غيره بلا دليل ولا حجة ولا برهان ﴿أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا سُلْطَانًا﴾، أي: حجة ﴿فهو يتكلم﴾، أي: ينطق بما كانوا به يشركون؟ وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن لهم شيء من ذلك. ثم قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِنْ تُصِيبَهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ هذا إنكار على الإنسان من حيث هو، إلا من عصمه الله ووفقه، فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بطر وقال: ﴿ذهب السيئات عني إنه

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٣٤).

لفرح فخور ﴿١﴾ أي يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قنط وأيس أن يحصل له بعد ذلك خير بالكلية، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: صبروا في الضراء وعملوا الصالحات في الرخاء، كما ثبت في الصحيح: «عجباً للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾، أي: هو المتصرف الفاعل لذلك بحكمته وعدله، فيوسع على قوم ويضيق على آخرين ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾<sup>(٣٨)</sup> وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْطَرُّونَ﴾<sup>(٣٩)</sup>.

عن الحسن ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ﴾ قال: هو أن توفيقهم حقهم إن كان عندك يسر، وإن لم يكن عندك ﴿فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مِّسُورًا﴾ قل لهم الخير.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضاً، يعطي الرجل الرجل العطية يريد أن يعطي أكثر منها. وقال مجاهد: هي الهدايا، وقال الضحاك في قوله: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رَّبًّا لِّتَرْبُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون، يعطي الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها، وهذا للناس عامة، وأما قوله: ﴿وَلَا

(١) سورة هود: الآية ١١.

(٢) أخرجه مسلم (ج/٢٩٩٩) من حديث صهيب رضي الله عنه.

تمنن تستكثر<sup>(١)</sup> ﴿١﴾ فهذا للذبي خاصة، لم يكن له أن يعطي إلا الله، ولم يكن يعطي ليعطي أكثر منه. وقال ابن عباس قوله: ﴿وما آتيتم من رباً ليربو في أموال الناس فلا يربو عند الله﴾ قال: هي الهبة، يهب الشيء يريد أن يثاب عليه أفضل منه، فذلك الذي ﴿لا يربو عند الله﴾ لا يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه ﴿وما آتيتم من زكاة﴾ قال: هي الصدقة ﴿تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون﴾، قال قتادة: هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها وأكثر من ذلك.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعِيْثُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكَمْ مِثْرَ شَيْءٍ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ﴿٢﴾ ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ ﴿٣﴾ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿٤﴾.

عن قتادة قوله: ﴿الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم﴾ للبعث بعد الموت ﴿هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء؟ لا والله﴾ سبحانه وتعالى عما يشركون ﴿سبح نفسه إذا قيل عليه البهتان.

وعن الحسن في قوله: ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس﴾ قال: أفسدهم الله بذنوبهم في بحر الأرض وبرها بأعمالهم الخبيثة ﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ وقال قتادة: لعل راجعاً أن يرجع، لعل تائباً أن يتوب، لعل مستعجباً أن يستعجب. وقوله تعالى: ﴿قل سيرا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ فأهلكوا بكفرهم.

(١) سورة المدثر: الآية ٦.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤١٨/٣).

قوله عز وجل: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنْفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ الإسلام ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله يومئذ يصدعون﴾ فريق في الجنة وفريق في السعير.

وقوله تعالى: ﴿من كفر فعليه كفره ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾. قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه أوزار كفره وآثام جحوده نعم ربه ﴿ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾ يقول: فلأنفسهم يستعدون ويسوون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم ولينجوا من عذابه.

﴿ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي يجازيهم مجازاة الفضل، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما يشاء الله ﴿إنه لا يحب الكافرين﴾ ومع هذا هو العادل فيهم الذي لا يجرور.

• • •

(١) انظر «جامع البيان» (٥١/٢١).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٣٦/٣).

## الدرس الرابع عشر بعد المائتين

﴿وَمَنْ آتَيْنَاهُ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ٤٦ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنكَرْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٧ ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ﴾ ٤٨ ﴿وَلِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ﴾ ٤٩ ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْآرِضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِ الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٥٠ ﴿وَلِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ ٥١ ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتِ وَلَا تَسْمِعُ الْأَنْفُسَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ ٥٢ ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ٥٣ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ ٥٤ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ٥٥ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ٥٦ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ ٥٧ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَاتٍ لَيَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا

إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾  
فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ آيَنِيهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٤٦) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَأَنْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يذكر تعالى نعمه على خلقه في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته بمجيء الغيث عقبها، ولهذا قال تعالى: ﴿وليذيقكم من رحمته﴾، أي: المطر الذي ينزله فيحيي به البلاد والعباد ﴿ولتجري الفلك بأمره﴾، أي: في البحر ﴿ولتبتغوا من فضله﴾، أي: في التجارات والمعاش والسير من إقليم إلى إقليم وقطر إلى قطر ﴿ولعلكم تشكرون﴾، أي: تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة التي لا تعد ولا تحصى.

ثم قال تعالى: ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فانتقمنا من الذين أجرموا﴾ هذه تسلية من الله تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ، بأنه وإن كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كذبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن انتقم الله ممن كذبهم وخالفهم وأنجى المؤمنين بهم ﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾، أي: هو حق أوجب على نفسه الكريمة تكراً وتفضلاً، كقوله تعالى: ﴿كتب ربكم على نفسه الرحمة﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ

(١) انظر تفسير القرآن العظيم، (٣/٤٣٦).

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٤.



كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُمْ كِسْفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَن يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانْظُرْ إِلَىٰ أَثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِن أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْأُصَمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ ۚ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ .

قال عبيد بن عمير: الرياح أربع: يبعث الله ريحاً فتقم الأرض قمأ، ثم يبعث الله الرياح الثانية فتثير سحباً فيجعله في السماء كسفاً، ثم يبعث الله الرياح الثالثة فيؤلف بينه فيجعله ركاماً، ثم يبعث الله الرياح الرابعة فتمطر. وعن قتادة ﴿ويجعله كسفاً﴾، أي: قطعاً ﴿فترى الودق﴾ قال مجاهد: القطر ﴿يخرج من خلاله﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي فترى المطر وهو القطر يخرج من بين ذلك السحاب. وقوله تعالى: ﴿فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ قال قتادة: قانطين. قال في جامع البيان ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم﴾ المطر ﴿من قبله﴾ تكرير للتأكيد، ومعنى التأكيد الدلالة على بُعد عهدهم بالمطر واستحكام بأسهم ﴿لمبلسين﴾ آيسين. وقوله تعالى: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أراد برحمة الله المطر، أي: انظر إلى حسن تأثيره في الأرض، قال مقاتل: أثر رحمة الله أي أثر نعمته وهو النبت ﴿كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير﴾. ﴿ولئن أرسلنا ريحاً﴾ باردة مضرّة فأفسدت الزرع ﴿فراوه مصفراً﴾، أي: رأوا

(١) المصدر السابق (٣/٤٣٧).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤١٩).

النبت والزرع مصفراً بعد الخضرة ﴿لَظَلُّوا﴾ لصاروا ﴿من بعده﴾، أي: من بعد اصفرار الزرع ﴿يكفرون﴾ يجحدون ما سلف من النعمة. وعن قتادة قوله: ﴿فإنك لا تسمع الموتى﴾ هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء كذلك لا يسمع الكافر ﴿ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولّوا مدبرين﴾ يقول: لو أن أصمّ ولّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع. وقال في جامع البيان: الأصمّ المقبل ربما يفطن من الكلام بمعونة مشاهدة القرائن شيئاً منه، بخلاف المدبر. ﴿وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم﴾ والكافر كمن لا عين له يضلّ الطريق، وليس بوسع أحد أن ينزع عنه العمى ويجعله بصيراً ﴿إن تسمع إلاّ من يؤمن بآياتنا﴾ ما ينفع الإسماع إلاّ لمن علم الله أنه يصدّق بآياته وما طبع على قلبه ﴿فهم مسلمون﴾ منقادون لما تأمرهم.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾ قرئ بضمة الضاد وفتحها. فالضم لغة قريش، والفتح لغة تميم. قال ابن حجر في «فتح الباري»<sup>(٢)</sup>: فالجمهور بالضم. وقرأ عاصم وحمزة بالفتح. وقال الخليل: الضعف بالضم ما كان في الجسد، والفتح ما كان في العقل. وعن قتادة قوله: ﴿الله الذي خلقكم من ضعف﴾، أي: من نطفة ﴿ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من قوة ضعفاً وشيبة﴾ الشمط ﴿يخلق ما يشاء﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: من الضعف والقوة

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤١٩).

(٢) انظر (٣٧١/٨).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٢٠).

والشباب والشيبة ﴿وهو العليم﴾ بتدبير خلقه ﴿القدير﴾ على ما يشاء.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾.

عن قتادة ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾، أي: يكذبوك في الدنيا، وإنما يعني بقوله: ﴿يؤفكون﴾ عن الصدق ويصدون عنه إلى الكذب.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضاً، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا غير ساعة واحدة في الدنيا، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم ينتظروا حتى يعذر إليهم، قال الله تعالى: ﴿كذلك كانوا يؤفكون﴾. ﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾، أي: فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة ﴿لقد لبثتم في كتاب الله﴾، أي: في كتاب الأعمال ﴿إلى يوم البعث﴾، أي: من يوم خلقتم إلى أن بعثتم ﴿ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾. قال الله تعالى: ﴿فيومئذ﴾، أي: يوم القيامة ﴿لا ينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾، أي: اعتذارهم عما فعلوا ﴿ولا هم يستعبتون﴾، أي: ولا هم يرجعون إلى الدنيا، كما قال تعالى ﴿وإن يستعبتوا فما هم من المعتبين﴾<sup>(٢)</sup>.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٤٠).

(٢) سورة فصلت: الآية ٢٤.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾ أي: قد بينّا لهم الحق ووضحناه لهم وضربنا لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه ﴿ولئن جئتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون﴾، أي لو رأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره لا يؤمنون بها ويعتقدون أنها سحر وباطل، كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه كما قال تعالى: ﴿الذين حقّت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم﴾<sup>(٢)</sup>، ولهذا قال ههنا ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون فاصبر إن وعد الله حق﴾، أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك عليهم، وجعله العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة ﴿ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون﴾، أي: بل اثبت على ما بعثك الله به فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هدى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه. قال سعيد عن قتادة: نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه وهو في صلاة الغداة فقال: ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننّ من الخاسرين﴾ فأنصت له عليّ حتى فهم ما قال، فأجابه وهو في الصلاة ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفّنك الذين لا يوقنون﴾.



(١) المصدر السابق (٣/ ٤٤٠).

(٢) سورة يونس: الآية ٩٧.

## الدرس الخامس عشر بعد المائتين

### ﴿سورة لقمان﴾

مكية، وهي أربع وثلاثون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْعَ ١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾  
الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى  
مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن  
سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ  
آيَاتُنَا وَلَمْ يُسْتَغْفِرْ لَهَا كَانَ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَسَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾  
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَآلَفَىٰ فِي الْأَرْضِ رَواسِيَ  
أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَأْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ  
كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي  
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ  
لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ  
لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّكَ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ

أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذِكُّكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿١٤﴾  
 وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي  
 الدُّنْيَا مَعْرُوفٌ وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ  
 تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي  
 السَّمَاءِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِيمِ الصَّلَاةَ  
 وَامْرُءًا بِالمَعْرُوفِ وَانْتِهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾  
 وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾  
 وَأَقِصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْآيَاتِ﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً  
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾  
أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ  
الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ  
مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ قِرَافٌ  
فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ النَّعِيمِ ﴿٨﴾  
خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ الآية، قال الكلبي  
ومقاتل: نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان يتجر فيأتي الحيرة ويشترى  
أخبار العجم، فيحدث بها قريشاً ويقول: إن محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود،  
وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة، فيستمعون حديثه ويتركون  
استماع القرآن، فأنزل الله هذه الآية. وروى ابن جرير وغيره عن أبي أمامة  
مرفوعاً: «لا يحلّ تعليم المغنيات ولا بيعهن ولا شراؤهن، وثمنهن حرام»؛ وقد  
نزل تصديق ذلك في كتاب الله ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾<sup>(٢)</sup> إلى آخر

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٢١).

(٢) أخرجه أحمد (٥/٢٥٧ - ٢٥٨) - والترمذي (ح/١٢٨٢ و ٣١٩٥)، وابن ماجه (ح/٢١٦٨)،

وابن جرير (٢١/٦٠)، بسند ضعيف، وله شاهد من حديث عمر رضي الله عنه مرفوعاً: «ثم

القينة سحت، وغناؤها حرام...»، أخرجه الطبراني (١/٧٣) بسند ضعيف.

قال ابن القيم - رحمه الله - في «إغاثة اللهفان» (١/٢٥٨) ما حاصله - معلقاً على حديث

أبي أمامة -: «وهذا الحديث وإن كان مداره على عبيد الله بن زمر، عن علي بن يزيد

الأنهائي، عن القاسم، فعبيد الله بن زمرقة، وعلي بن يزيد ضعيف؛ إلا أن للحديث

شواهد ومتابعات».

الآية. وقال قتادة: بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق، وما يضرّ على ما ينفع. وعن ابن عباس في قوله: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ قال: هو الغناء ونحوه.

وقوله تعالى: ﴿وإذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً﴾

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: هذا المقبل على اللهو واللعب والطرب إذا تليت عليه الآيات القرآنية، ولى عنها وأعرض وأدبر وتصامم وما به من صمم، كأنه ما سمعها لأنه يتأذى بسماعها إذ لا انتفاع له بها ولا أرب له فيها: ﴿فبشره بعذاب أليم﴾، أي: يوم القيامة يؤلمه كما تألم بسماع كتاب الله وآياته: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقاً وهو العزيز الحكيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَلٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ فِي رَوَاسٍ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١١﴾﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿هذا﴾ يعني الذي ذكرت مما تعينون: ﴿خلق الله فاروني ماذا خلق الذين من دونه﴾ من آلهتكم التي تعبدونها ﴿بل الظالمون في ضلال مبين﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَلَئِنْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٤٢/٣).

(٢) المصدر السابق (٤٢٣/٣).



يَعْظُمُ يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٢﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ  
بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى  
الْمَصِيرِ ﴿١٣﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا  
وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ  
فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ يَبْنِي إِنَّهَا إِنْ تَكُ مَنفَقَال حَبْرٍ مِّنْ خَرْدَلٍ  
فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٥﴾  
يَبْنِي أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرُءٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ  
ذَلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴿١٦﴾ وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا  
يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٧﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ  
الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٨﴾ .

عن مجاهد قوله: ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾ قال: الفقه والعقل والإصابة  
في القول من غير نبوة، وقال عمرو بن قيس: كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين  
مصفح القدمين، فأتاه رجل وهو في مجلس أناس يحدثهم فقال له: ألسنت الذي  
كنت ترعى معي الغنم؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق  
الحديث، والصمت عما لا يعنيني. وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه  
قال: لما نزلت: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ قلنا: يا رسول الله أينما لم  
يظلم نفسه؟ قال: «ليس كما تقولون، لم يلبسوا إيمانهم بظلم، بشرك، أو لم  
تسمعوا إلى قول لقمان: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»<sup>(١)</sup>  
وقوله تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن﴾ قال ابن  
عباس: شدة بعد شدة وخلقاً بعد خلق.

وقوله تعالى: ﴿وفصاله في عامين﴾، أي: فطامه في حولين ﴿أن اشكر لي﴾

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٣٢ و ٣٣٦٠ و ٤٧٧٦)، ومسلم (ح/ ١٢٤).

بالتوحيد ﴿ولوالديك﴾ بالبر ﴿إليّ المصير﴾ فأجازيك على عملك. قال سفيان بن عيينة: من صَلَّى الصلوات الخمس فقد شكر الله، ومن دعا لوالديه في أدبار الصلوات الخمس فقد شكرهما.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: فَإِنْ قَالَ لَنَا قَائِلٌ: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ قيل: ذلك أيضاً وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به، وإنه إنما أوصى به لقمان ابنه فكان معنى الكلام: وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم، ولا تطع في الشرك به والديك، وصاحبهما في الدنيا معروفاً، فإن الله وصى بهما؛ واستأنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته. انتهى.

وعن قتادة: قوله: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ من خير وشر ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾، أي: جبل ﴿أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنْ اللَّهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾، أي: ﴿لطيف﴾ باستخراجها: ﴿خبير﴾ بمستقرها.

وعن ابن جريج في قوله: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ﴾ من الأذى في ذلك: ﴿إِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ قال: إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور، يقول مما أمر الله به من الأمور.

وعن ابن عباس: ﴿وَلَا تَصَغَّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ يقول: ولا تتكبر فتحقر عباد الله وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك. وعن الضحاك في قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ قال: بالخيلاء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَحِبُّ كُلَّ مَخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ قال مجاهد: ﴿مختال﴾ متكبر ﴿فخور﴾. قال: يعدد ما أعطى الله وهو لا يشكر الله.

﴿واقصد في مشيك﴾ قال: التواضع ﴿واغضض من صوتك﴾ قال قتادة:

(١) انظر «جامع البيان» (٧١/٢١).

أمره بالاقتصاد في صوته ﴿إِنْ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتَ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أَوَّلُهُ زَفِيرٌ وَآخِرُهُ شَهِيْقٌ .

وقد روي عن لقمان من الحكم والمواعظ أشياء كثيرة فمنها قوله: إِنْ اللهُ إِذَا اسْتَدْعَى شَيْئاً حَفَظَهُ .

وقال: يَا بَنِيَّ إِنْ الْحِكْمَةَ أَجْلَسْتَ الْمَسَاكِينَ مَجَالِسَ الْمُلُوكِ .

وقال: الصَّمْتُ حَكْمٌ وَقَلِيلٌ فَاعِلُهُ .

وقال: يَا بَنِيَّ إِذَا أَتَيْتَ نَادِي قَوْمٍ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ الْإِسْلَامِ — يَعْنِي السَّلَامَ — ثُمَّ اجْلِسْ فِي نَاحِيَّتِهِمْ وَلَا تَنْطَقْ حَتَّى تَرَاهُمْ قَدْ نَطَقُوا، فَإِنْ أَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَأَجَلْ سَهْمَكَ مَعَهُمْ، وَإِنْ أَفَاضُوا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَتَحَوَّلْ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . وقال خالد الربيعي: كَانَ لِقْمَانُ عَبْدًا حَبْشِيًّا فَدَفَعَ مَوْلَاهُ إِلَيْهِ شَاةً وَقَالَ: اذْبَحْهَا وَائْتِنِي بِأَطْيَبِ مَضْغَتَيْنِ مِنْهَا، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ؛ ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ شَاةً أُخْرَى وَقَالَ: اذْبَحْهَا وَائْتِنِي بِأَخْبَثِ مَضْغَتَيْنِ مِنْهَا، فَأَتَاهُ بِاللِّسَانِ وَالْقَلْبِ، فَسَأَلَهُ مَوْلَاهُ فَقَالَ: لَيْسَ شَيْءٌ أَطْيَبَ مِنْهُمَا إِذَا طَابَا، وَلَا أَخْبَثَ مِنْهُمَا إِذَا خَبِثَا . وعن عمر مولى غفرة قال: وَقَفَ رَجُلٌ عَلَى لِقْمَانَ الْحَكِيمِ فَقَالَ: أَنْتَ لِقْمَانُ، أَنْتَ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ رَاعِي الْغَنَمِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَنْتَ الْأَسْوَدُ؟ قَالَ: أَمَّا سَوَادِي فَظَاهِرٌ، فَمَا الَّذِي يَعْجِبُكَ مِنْ أَمْرِي؟ قَالَ وَطءُ النَّاسِ بِسَاطِكِ وَغَشِيهِمْ بِأَبْكَ وَرِضَاهُمْ بِقَوْلِكَ! قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنْ صَغِيتَ إِلَيَّ مَا أَقُولُ لَكَ كُنْتَ كَذَلِكَ، قَالَ لِقْمَانُ: غَضَّيْ بَصْرِي، وَكَفِّ لِسَانِي، وَعَقِّ طَعْمَتِي، وَحَفْظِي فَرْجِي، وَقُولِي بِصَدْقِي، وَوَفَائِي بَعْدِي، وَتَكَرَّمْتِي ضَيْفِي، وَحَفْظِي جَارِي، وَتَرْكِي مَا لَا يَعْنِينِي، فَذَلِكَ الَّذِي صَيَّرَنِي إِلَى مَا تَرَى . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .



## الدرس السادس عشر بعد المائتين

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝٢١ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ فَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ۝٢٢ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٢٣ نُمْنِعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٥ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝٢٦ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٧ مَا خَلَقَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝٢٨ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٩ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۝٣٠ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِّنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣١ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا

يَجَنَّبْهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾  
يَتَأْتِيهَا النَّاسُ آتِفُوا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ  
عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ  
بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ  
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ  
خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَن يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنْتِهِهِمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ثُمَّ نُنْصِرُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾.

قال في جامع البيان: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات﴾ بأن جعله أسباب منافعكم ﴿وما في الأرض﴾ وأسبغ ﴿أوفى وأنتم﴾ عليكم نعمه ظاهرة ﴿محسوسة وما تعرفونه﴾ وباطنه ﴿معقولة وما لا تعرفونه﴾. وعن قتادة ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير﴾ ليس معه من الله برهان ولا كتاب.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأمّية بن خلف وأشباههم، كانوا يجادلون النبي ﷺ في الله وفي صفاته بغير علم ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آبائنا﴾ قال الله عز وجل: ﴿أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾ وجواب «لو» محذوف، ومجازه: يدعوهم فيتبعونه، يعني يتبعون الشيطان وإن ﴿كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾.

قوله تعالى: ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾ يعني الله، أي: يخلص دينه لله

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٢٥).

وفوض أمره إلى الله ﴿وهو محسن﴾ في عمله ﴿فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾، أي: اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه ﴿وإلى الله عاقبة الأمور ومن كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبتهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور﴾. ﴿نمتعهم قليلاً﴾، أي: نمهلهم ليمتعوا بنعيم الدنيا قليلاً إلى انقضاء آجالهم ﴿ثم نضطرهم﴾ ثم نلجنهم ونردهم في الآخرة ﴿إلى عذاب غليظ﴾ وهو عذاب النار.

قوله عز وجل: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَعْشَكُمُ إِلَّا كَفَّيْسٌ وَاحِدٌ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن هؤلاء المشركين أنهم يعرفون أن الله خالق السموات والأرض وحده لا شريك له، ومع هذا يعبدون معه شركاء يعترفون أنها خلق له وملك له، ولهذا قال تعالى: ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله قل الحمد لله﴾، أي: إذا قامت عليكم الحجة باعترافكم ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾.

ثم قال تعالى: ﴿الله ما في السموات والأرض﴾، أي: هو خلقه وملكه ﴿إن الله هو الغني الحميد﴾، أي: ﴿الغني﴾ عما سواه وكل شيء فقير إليه ﴿الحميد﴾ في جميع ما خلق، له الحمد في السموات والأرض على ما خلق وشرع، وهو المحمود في الأمور كلها. وعن أبي رجاء قال: سألت الحسن عن هذه الآية: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾ قال: لو جعل شجر الأرض أقلاماً وجعل

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٥١/٣).

البحور مداداً. وقال الله: إِنَّ مِنْ أَمْرِي كَذَا، وَمِنْ أَمْرِي كَذَا، لِنَفْثِ مَاءِ الْبُحُورِ وَتَكَسَّرَتْ الْأَقْلَامُ. وقال قتادة: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفذ، قال: لو كان شجر البرّ أقلاماً ومع البحر سبعة أبحر، ما كان لتنفيذ عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

وعن مجاهد قوله: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بِعَثْكُمْ إِلَّا كُنُفْسٌ وَاحِدَةٌ﴾ يقول: كن فيكون للقليل والكثير.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لما يقول هؤلاء المشركون ويفترون على ربهم، من ادعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم ﴿بَصِيرٌ﴾ بما يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفَلَكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣١) وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْنَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ (٣٢).

عن قتادة قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ نقصان الليل في زيادة النهار ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ نقصان النهار في زيادة الليل ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يقول: لذلك كله وقت معلوم لا يجاوزه ولا يعدوه.

(١) انظر «جامع البيان» (٨٣/٢١).



وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَةِ اللَّهِ لِيْرِيْكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾. عن مغيرة قال: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله، ألم تر إلى قوله: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ قال قتادة: الختار الغدار، كل غدار بذمته كفور بربه.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: والختر أسوأ الغدر: قال بعضهم: وإنما قال ههنا ﴿فمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ وقد قال فيما قبل ﴿إِذَا هُمْ يَشْرِكُونَ﴾ لأنه ذكر ههنا الموج وعظمته، ولا محالة يبقى لمثله أثر في الخيار، فيخفض شيئاً من غلو الكفر والظلم، ويتزجر بعض الانزجار.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَلْفُقُورًا رَبِّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

عن قتادة قوله: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ ذاكم الشيطان. وعن مجاهد ﴿إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن امرأتي حبلى فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا محل جذبة فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٢٧).

ولدت فأخبرني متى أموت؟ فأنزل الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾  
إلى آخر السورة<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير، وروى البخاري وغيره عن ابن عمر قال: قال  
رسول الله ﷺ: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمهنَّ إلاَّ الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ  
السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ، وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا،  
وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ، إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾»<sup>(٢)</sup>.



(١) أخرجه ابن جرير (٨٧/٢١ - ٨٨) عن مجاهد مرسلًا.

(٢) سبق تخريجه.

## الدرس السابع عشر بعد المائتين

### ﴿سورة السجدة﴾

مكية، وهي ثلاثون آية

في الصحيحين عن أبي هريرة قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ألم تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان»<sup>(١)</sup>.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْم ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ أَم يَقُولُونَ  
افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ  
يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ  
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ  
مِنْ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا  
تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ  
خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴿٨﴾  
ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا

(١) أخرجه البخاري (ح/١٠٦٨)، ومسلم (ح/٨٨٠).

تَشْكُرُونَ ﴿١﴾ وَقَالُوا أَمْ دَاخِلُنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ نَأْتِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ  
كَافِرُونَ ﴿٢﴾ قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ  
تُرْجَعُونَ ﴿٣﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا  
أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ  
هُدًىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ أَجْمَعِينَ ﴿٥﴾  
فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِيتَكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا  
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا  
بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ  
رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٨﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ  
أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا  
يَسْتَوُونَ ﴿١٠﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا  
يَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا  
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَنَذِيقَنَّ هُم مِّنَ  
الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٣﴾ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ  
بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ  
الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًىٰ لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٥﴾  
وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ  
رَبَّكَ هُوَ بِفَصْلِ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ  
كَمْ آهَلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأَفَلَا  
يَسْمَعُونَ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا

تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعُمُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ تَنَزَّلُ الْكُتُبُ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١) ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَتْهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (٢).

عن قتادة قوله: ﴿ألم تنزل الكتاب لا ريب فيه﴾ لا شك فيه، وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أنزل على محمد لا شك فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرصه محمد ﷺ، وإنما كذب جل ثناؤه بذلك قول الذين ﴿قالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً﴾ (١) وقول الذين قالوا: ﴿إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون﴾ (٢).

وقوله تعالى: ﴿أم يقولون افتراه بل هو الحق من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ قال قتادة: كانوا أمة أمية لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (١) ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾ (٢) ﴿ذَلِكَ عَلِيمُ الْغُيُوبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (٣) ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (٤) ﴿ثُمَّ جَعَلَ

(١) سورة الفرقان: الآية ٥.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٤.

ذَسَّلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

عن قتادة قوله: ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ في اليوم السابع ﴿ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي بل هو المالك لأزمة الأمور، الخالق لكل شيء، المدبّر لكل شيء، القادر على كل شيء، فلا وليّ لخلقه سواه ولا شفيع إلّا من بعد إذنه ﴿أفلا تتذكرون﴾، يعني أيها العابدون غيره المتوكلون على من عداه، تعالى وتقدس وتنزه أن يكون له نظير أو شريك أو وزير أو نديد أو عديل، لا إله إلّا هو ولا رب سواه.

وقوله تعالى: ﴿يدبّر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدّون﴾ قال مجاهد: يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، وذلك مقداره ألف سنة لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمسمائة عام.

وقوله تعالى: ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ قال مجاهد: أتقن كل شيء خلقه. وقال ابن عباس: أتقنه وأحكمه. وعن قتادة: ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ وهو خلق آدم ﴿ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين﴾ والسلالة هي الماء المهين الضعيف، قال مجاهد: نقطة الرجل.

وقوله تعالى: ﴿ثم سواه﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ثم سوى خلقه ﴿ونفخ فيه من روحه﴾. ثم عاد إلى ذرّيته فقال: ﴿وجعل لكم﴾ بعد أن كنتم نطفاً ﴿السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾، يعني: لا تشكرون رب هذه النعم فتوحّدونه.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٥٦/٣).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤٣٠/٣).

قوله عز وجل: ﴿وَقَالُوا آءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَهِيَ تَأْتِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ يَتُوفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ .

عن مجاهد ﴿أئذا ضللنا في الأرض﴾ يقول: أئذا هلكنا. وعن قتادة: ﴿وقالوا أئذا ضللنا في الأرض أئنا لفي خلق جديد﴾ قال: قالوا: أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً؟ وقال الضحاك: يكفرون بالبعث.

وعن قتادة ﴿قل يتوفاكم ملك الموت الذي وُكِّلَ بكم﴾ قال: ملك الموت يتوفاكم ومعه أعوان من الملائكة. وقال مجاهد: طويت له الأرض، فجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث شاء. وقال ابن زيد قوله: ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم﴾ قال: قد حزنوا واستحيوا. وعن قتادة: ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾ قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعاً، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴿ولكن حق القول مني﴾ حق القول عليهم.

وقوله تعالى: ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا إنا نسيناكم﴾ قال ابن عباس: تركناكم. وقال قتادة: نُسوا من كل خير، وأما الشر فلم يُنسوا منه. وعن



أنس بن مالك: إن هذه الآية ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى القمّة. وعن مجاهد قوله: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ يقومون يصلّون من الليل. وقال ابن عباس ﴿تتجافى﴾ لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله تعالى، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم، ثم يذكرون الله. وروى الإمام أحمد وغيره من حديث معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال له: «ألا أدلك على أبواب الخير؟ الصوم جنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم قرأ ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون﴾ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون»<sup>(١)</sup>. وعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر» قال أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين﴾<sup>(٢)</sup> متفق عليه.

قوله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾<sup>(١٨)</sup>  
 أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ<sup>(١٩)</sup>  
 وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيهِمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ<sup>(٢٠)</sup> وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ<sup>(٢١)</sup> وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَرَّغَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ<sup>(٢٢)</sup>.

عن ابن عباس: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى﴾ يقول: مصائب الدنيا

(١) أخرجه أحمد (٢٣١/٥ و ٢٣٣ و ٢٣٧)، والترمذي (ح/٢٦١٦)، والنسائي في الكبرى

(٤٢٨/٦)، وابن ماجه (ح/٣٩٧٣)، والطبراني (٢٠/١٣٠ - ١٣١)، والحاكم (٢/٧٦)

و (٤١٢) وصححه، ووافقه الذهبي، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٧٨٠)، ومسلم (ح/٢٨٢٤).

وأسقامها وبلاؤها مما يتبلى الله به العباد حتى يتوبوا. وعن مجاهد ﴿دون العذاب الأكبر﴾ يوم القيامة ﴿لعلهم يرجعون﴾ قال أبو العالية: يتوبون.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها﴾، أي: لا أظلم ممن ذكره الله بآياته وبينها له، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها كأنه لا يعرفها. قال قتادة: إياكم والإعراض عن ذكر الله، قال: من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز، وعظم من أعظم الذنوب، ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك ﴿إنا من المجرمين منتقمون﴾، أي: سانتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

عن ابن عباس قال: قال نبي الله ﷺ: «أُرِيتُ ليلة أُسري بي موسى بن عمران، رجلاً آدم طوالاً أبعد كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس، ورأيت مالكا خازن النار، والدجال في آيات» أراهم الله إياه. ﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾ أنه قد رأى موسى ولقي موسى ليلة أُسري به<sup>(٢)</sup>. رواه ابن جرير وغيره. وعن قتادة ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا﴾. قال: رؤساء في الخير ﴿لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ قال بعض العلماء: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٦٢/٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٥١/١ - ١٥٢)، وابن جرير (١١٢/٢١). وأخرجه البخاري (ح/٣٣٩٤) و (٣٤٣٧)، دون قوله: «ورأيت مالكا» وما بعده.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسْكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ ﴿٣٠﴾

عن ابن عباس ﴿أولم يهد لهم﴾ أولم يتبين لهم ﴿كم أهلكتنا من قبلهم من القرون﴾ قال قتادة: عاد وثمود، وأنهم إليهم لا يرجعون؟

وقوله تعالى: ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرْزِ فنخرج به زرعاً تأكل منهم أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾؟ قال قتادة: الجُرْز: المغبرة. وقال ابن عباس: الجُرْز التي لا تمطر إلا مطراً لا يغني عنها شيئاً، إلا ما يأتيها من السيول.

وقوله تعالى: ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾، أي: متى تُنْصَرُونَ علينا ﴿إن كنتم صادقين﴾؟ ﴿قل﴾ لهم يا محمد ﴿يوم الفتح﴾، أي: إذا حلّ بكم العذاب ﴿لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم يُنْظَرُونَ فأعرض عنهم﴾ ولا تبال بكلامهم ﴿وانتظر﴾ موعد النصر ﴿إنهم منتظرون﴾ حوادث الزمان عليك، وسترى عاقبة صبرك. قال تعالى: ﴿أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون قل تربصوا فإنني معكم من المتربصين﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم قل انتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقاً علينا ننجي المؤمنين﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) سورة الطور: الآية ٣١.

(٢) سورة يونس: الآية ١٠٣.

## الدرس الثامن عشر بعد المائتين

### ﴿سورة الأحزاب﴾

مدنية، وهي ثلاث وسبعون آية

عن زر قال: «قال أبي بن كعب: كم تعدّون سورة الأحزاب؟ قلت: ثلاثاً وسبعين آية، قال: فوالذي يحلف به أبي بن كعب، إن كانت لتعدل سورة البقرة وأطول، ولقد قرأنا منها: آية الرجم: الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما»<sup>(١)</sup>.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ النَّسَىٰ تُظَاهِرُونَ مِنهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤﴾ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ ۚ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ

(١) أخرجه الطيالسي (ص ٧٣)، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (١٣٢/٥)، والنسائي في

«الكبرى» (٢٧١/٦)، والحاكم (٣٥٩/٤)، وصححه ووافقه الذهبي، والضياء في

المختارة (٣٧٠/٣ و ٣٧١).

وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِيَسْتَلِ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ آتَى اللَّهِ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَأَتَّبِعْ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هذا تنبيه بالأعلى على الأدنى، فإنه تعالى إذا كان يأمر عبده ورسوله بهذا، فلأن ياتمر منْ دونه بذلك بطريق الأولى والأخرى؛ وقد قال طلق بن حبيب: التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله مخافة عذاب الله .

وعن قتادة: ﴿واتبع ما يوحى إليك من ربك﴾، أي: هذا القرآن ﴿إن الله كان بما تعملون خبيراً وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً﴾ . قال البغوي<sup>(٢)</sup>: حافظاً لك .

قوله عز وجل: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۖ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۖ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝٤ ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ ۖ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝٥﴾ .

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: يقول تعالى موثقاً قبل المقصود المعنوي أمراً معروفاً حسباً

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٦٥/٣) .

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤٣٥/٣) .

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤٦٥/٣) .

وهو أنه كما لا يكون للشخص الواحد قلبان في جوفه، ولا تصير زوجته التي يظهر منها بقوله: أنت عليّ كظهر أمي أمّا له، كذلك لا يصير الدعيّ ولدًا للرجل إذا تبناه فدعاه ابنًا له، فقال: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهنّ أمهاتكم﴾ كقوله عز وجل: ﴿ما هنّ أمهاتهم إن أمهاتهم إلّا اللائي ولدنهم﴾<sup>(١)</sup> الآية.

قوله تعالى: ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ هذا هو المقصود بالنفي، فإنها نزلت في شأن زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup> رضي الله عنه مولى النبي ﷺ كان النبي ﷺ قد تبناه قبل النبوة فكان يقال له: زيد بن محمد، فأراد الله أن يقطع هذا الإلحاق وهذه النسبة بقوله تعالى: ﴿وما جعل أديعاءكم أبناءكم﴾ كما قال تعالى في أثناء السورة: ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّن وكان الله بكل شيء عليماً﴾ وقال ههنا: ﴿ذلكم قولكم بأفواهكم﴾ يعني تبنيكم لهم قولاً لا يقتضي أن يكون ابنًا حقيقيًا، فإنه مخلوق من صلب رجل آخر، فما يمكن أن يكون له أبوان، كما لا يمكن أن يكون للبشر الواحد قلبان ﴿والله يقول الحق وهو يهدي السبيل﴾ انتهى.

وعن قتادة ﴿ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم﴾ فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك ﴿وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به﴾ يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه وأنت ترى أنه كذلك ﴿ولكن ما تعمّدت قلوبكم﴾ يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمّدًا، أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ولكن يؤاخذكم بما تعمّدت قلوبكم. قال مجاهد: فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره. وعن أبي بكره رضي الله عنه قال:

(١) سورة المجادلة: الآية ٢.

(٢) كما أخرجه البخاري (ح/٤٧٨٢)، ومسلم (ح/٢٤٢٥) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه فالجنة عليه حرام»<sup>(١)</sup>. رواه البغوي وغيره.

قوله عز وجل: ﴿الَّتِي أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُمْ أَمْهَنَهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾<sup>(٦)</sup>.

قال ابن زيد: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز كما كلما قضيت على عبدك جاز. وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأيا مؤمن ترك مالا فليرثه عصبه من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه»<sup>(٢)</sup>. رواه البخاري وغيره. وعن قتادة: «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم» يعظم بذلك حقهن، وفي بعض القراءة: وهو أب لهم. وقال ابن زيد في قوله: «وأزواجه أمهاتهم» محرمات عليهم. وعن قتادة: «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين» لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة، والأعرابي المسلم لا يرث من المهاجرين شيئاً، فأنزل الله هذه الآية فخلط المؤمنين بعضهم ببعض فصارت الموارث بالملل.

وعن مجاهد قوله: «إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً» قال: حلفاؤكم الذين والى بينهم النبى ﷺ من المهاجرين والأنصار إمساك بالمعروف والعقل

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٣٢٦ و ٤٣٢٧)، ومسلم (ح/٦٣) من حديث سعد بن أبي وقاص، وأبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٧٨١)، وينحوه مسلم (ح/١٦١٩).



والنصر بينهم. قال ابن كثير<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَى أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا﴾، أي: ذهب الميراث، وبقي النصر والبر والصلة والإحسان والوصية.

وقوله تعالى: ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾، أي: هذا الحكم وهو: أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض، حكم من الله مقدّر مكتوب في الكتاب الأول الذي لا يبدل ولا يغير، قاله مجاهد وغير واحد؛ وإن كان تعالى قد شرع خلافه في وقت لما له في ذلك من الحكمة البالغة، وهو يعلم أنه ينسخه إلى ما هو جارٍ في قدره الأزلي وقضائه القدري الشرعي. والله أعلم انتهى.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ۖ لَيْسَ لِلصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ۝﴾.

عن مجاهد: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ﴾ قال: في ظهر آدم. وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ﴾ على الوفاء بما حملوا، وأن يصدق بعضهم بعضاً ويبشّر بعضهم ببعض. قال مقاتل: أخذ ميثاقهم على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم ﴿ومِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولي العزم من الرسل. انتهى.

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: فبدأ في هذه الآية بالخاتم لشرفه صلوات الله عليه، ثم رتبهم بحسب وجودهم صلوات الله عليهم. وقال في قوله: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوحينا إليك وما وصىنا به إبراهيم وموسى وعيسى أن

(١) المصدر السابق (٣/٤٦٨).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٣٨).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٦٩).

أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿ فذكر الطرفين والوسط الفاتح ومن بينهما على الترتيب. وعن ابن عباس قوله: ﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾ قال: الميثاق الغليظ العهد. وعن مجاهد: ﴿ليسأل الصادقين عن صدقهم﴾ قال: الرسل المؤيدين المبلغين.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿وأعدّ للكافرين عذاباً أليماً﴾، أي: موجعاً. فنحن نشهد أن الرسل قد بلغوا رسالات ربهم ونصحوا الأمم، وإن كذبهم من كذبهم من الجهلة والمعاندين، فما جاءت به الرسل هو الحق، ومن خالفهم فهو على الضلال، كما يقول أهل الجنة: ﴿لقد جاءت رسلنا بالحق﴾.



(١) المصدر السابق (٣/٤٦٩).

## الدرس التاسع عشر بعد المائتين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَبْأُهلُ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَعِذُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُوكَ إِلَّا ذَبْرًا وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهْمٍ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ ينظرونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَلَئِنْ بَأَتِ الْأَحْزَابُ يَدُودًا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُوكَ

عَنْ أَنْبَاءِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ  
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى  
الْمُؤْمِنُونَ الْآحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ  
إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ  
قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ  
وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ  
اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ  
قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبِيهِمْ وَقَدَفَ  
فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ  
وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۖ إِذْ جَاءَ وَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ۚ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝﴾ .

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان في قول الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاء تكم جنود فأرسلنا عليهم ريحاً وجنوداً لم تروها﴾ والجنود: قریش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح الملائكة. وعن مجاهد ﴿إذا جاء وكم من فوقكم﴾ قال: عيينة بن بدر في أهل نجد ﴿ومن أسفل منكم﴾ قال أبو سفيان قال: وواجهتهم قريظة. وعن قتادة ﴿وإذا زاغت الأبصار﴾ شخصت. وعن عكرمة ﴿وبلغت القلوب الحناجر﴾ قال: من الفزع. وعن الحسن ﴿وتظنون بالله الظنونا﴾ قال: ظنوناً مختلفة؛ ظن المنافقون أن محمداً وأصحابه يستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

وعن مجاهد قوله: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾ قال: مُحْصُوا.

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون﴾، أي: عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال، ليتبين المخلص من المنافق ﴿وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ حُرِّكُوا حركة شديدة.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٤٥).

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوَهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلَّفُوكَ إِلَّا ذَبْرًا وَلَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ أَنْ تُقَاتِلُوا فِي سَبِيلِهِ فَارْجِعُوا إِلَى اللَّهِ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فَإِذَا هُمْ مُنْتَضِبُونَ (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِن أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) .

عن قتادة قوله: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ قال: قال ذلك أناس من المنافقين: قد كان محمد يعدنا فتح فارس والروم، وقد حصرنا ههنا حتى ما يستطيع أحدنا أن يبرز لحاجته ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ قال البغوي: وهم أوس بن قطيبي وأصحابه: يا أهل يثرب — يعني المدينة. قال أبو عبيدة: يثرب اسم أرض، ومدينة الرسول ﷺ في ناحية منها. وفي بعض الأخبار أن النبي ﷺ نهى أن تسمى المدينة يثرب، وقال: «هي طابة»<sup>(١)</sup>، كأنه كره هذا اللفظ — لا مقام لكم فارجعوا إلى منازلكم، ويستأذن فريق منهم النبي يقولون: إن بيوتنا عورة. قال ابن عباس قالوا: بيوتنا مخفية نخشى عليها السرق ﴿وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

وعن قتادة: ﴿وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا﴾، أي: لو دخل عليهم من نواحي المدينة ﴿ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ﴾، أي: الشرك ﴿لَآتَوَهَا﴾ يقول: لأعطوها ﴿وَمَا

(١) ورد ذلك بلفظ: «من سمي المدينة يثرب فليستغفر الله، هي طابة، هي طابة، هي طابة»، أخرجه أحمد (٢٨٥/٤)، وابن شبه في «تاريخ المدينة» (١/١٦٥) بسند ضعيف.

تَلَبَّتُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١﴾ يقول: إِلَّا أَعْطَوْهُ طَيِّبَةً بِهِ أَنْفُسُهُمْ مَا يَحْتَسِبُونَهُ، ﴿٢﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿٣﴾ قَالَ: كَانَ أَنَاسٌ غَابُوا عَنْ وَقْعَةِ بَدْرٍ وَرَأَوْا. مَا أَعْطَى اللَّهُ أَصْحَابَ بَدْرٍ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْفَضِيلَةِ فَقَالُوا: لَشَنَ أَشْهَدُنَا اللَّهَ تَعَالَى قِتَالًا لِنَقَاتِلَنَ، فَسَاقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ حَتَّى كَانَ فِي نَاحِيَةِ الْمَدِينَةِ. ﴿٤﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥﴾ وَإِنَّمَا الدُّنْيَا كُلُّهَا قَلِيلٌ.

وقوله تعالى: ﴿١﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ ﴿٢﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يَمْنَعُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ ﴿٣﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٤﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أَي لَيْسَ لَهُمْ وَلَا لغيرِهِمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مُجِيرٌ وَلَا مُغِيثٌ.

قوله عز وجل: ﴿١﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْحَةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُوا فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قُنْتُلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾.

وعن قتادة قوله: ﴿١﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ﴿٢﴾ قَالَ: هَؤُلَاءِ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمْ: مَا مُحَمَّدٌ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا آكَلَةُ رَأْسٍ، وَلَوْ كَانُوا لِحِمَاً لَاتَّهَمَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ، دَعَا

(١) المصدر السابق (٤٤٦/٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٣/٣).

هذا الرجل فإنه هالك. قال ابن إسحاق: حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعُوقِينَ مِنْكُمْ﴾، أَي: أَهْلُ النِّفَاقِ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، أَي: إِلَّا دَفْعًا وَتَعْذِيرًا ﴿أَشْحَةً عَلَيْكُمْ﴾، أَي: لِلضَّغْنِ الَّذِي فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾، أَي: إِعْظَامًا وَفَرَقًا مِنْهُ ﴿فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسَّيْفِ حَدَادًا﴾ قَالَ قَتَادَةُ: أَمَا عِنْدَ الْقِسْمَةِ فَأَشْخَ قَوْمٌ وَأَسْوَأُ مَقَاسِمَةٍ: أَعْطَوْنَا فَإِنَّا قَدْ شَهِدْنَا مَعَكُمْ، وَأَمَا عِنْدَ الْبَاسِ فَأَجَبْنِ قَوْمٌ وَأَخَذْلَهُ لِلْحَقِّ.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أَي لَيْسَ فِيهِمْ خَيْرٌ، قَدْ جَمَعُوا الْجَبِينَ وَالْكَذِبَ وَقَلَّةَ الْخَيْرِ، فَهَمَّ كَمَا قَالَ فِي أَمْثَالِهِمُ الشَّاعِرُ:

أَفِي السَّلْمِ أَعْيَارُ جَفَاءٍ وَغِلْظَةٍ      وَفِي الْحَرْبِ أَمْثَالُ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ  
ولهذا قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَصْبِرُوا أَفَحَبِطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ إِنْ كَانُوا عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.

وقوله تعالى: ﴿يَحْسِبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾ قَالَ الْبَغَوِيُّ<sup>(٢)</sup>: ﴿يَحْسِبُونَ﴾، يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ﴿الْأَحْزَابَ﴾، يَعْنِي: قَرِيشًا وَغُطَفَانَ وَالْيَهُودَ ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ لَمْ يَنْصَرَفُوا عَنْ قِتَالِهِمْ جَبْنًا وَفَرَقًا، وَقَدْ انْصَرَفُوا ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾، أَي: يَرْجِعُوا إِلَيْهِمْ لِلْقِتَالِ بَعْدَ الذَّهَابِ ﴿يُودُّوْا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾، أَي: يَتَمَنَّوْنَ لَوْ كَانُوا فِي بَادِيَةِ مَعَ الْأَعْرَابِ، مِنَ الْخَوْفِ وَالْجَبَنِ ﴿يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَاءِكُمْ﴾ أَخْبَارَكُمْ وَمَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُكُمْ ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾، يَعْنِي: هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ ﴿فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ تَعْذِيرًا أَيْ يَقَاتِلُونَ قَلِيلًا يَقِيمُونَ بِهِ عِذْرَهُمْ فَيَقُولُونَ: قَدْ قَاتَلْنَا.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۖ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا

(١) المصدر السابق (٣/٤٧٤).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٤٧).



وَعَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢١﴾  
 الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ  
 وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٢﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن  
 شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾

قال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان قال: ثم أقبل على المؤمنين فقال: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ولا عن مكان هو به ﴿وذكر الله كثيراً﴾ يقول: وأكثر ذكر الله في الخوف والشدة والرخاء.

وعن ابن عباس قوله: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ قال: ذلك أن الله قال لهم في سورة البقرة ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾<sup>(١)</sup> قال: فلما مستهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق، تأول المؤمنون ذلك ولم يزدتهم ذلك إلا إيماناً وتسليماً.

وقال ابن إسحاق: حدثني يزيد بن رومان ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾، أي: وفوا الله بما عاهدوه عليه ﴿فمنهم من قضىٰ نحبه﴾، أي: فزع من عمله ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أحد ﴿ومنهم من ينتظر﴾ ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضىٰ عليه الصحابة ﴿وما بدّلوا تبديلاً﴾ قال قتادة يقول: ما شكّوا وما تردّدوا في دينهم ولا استبدّلوا به غيره ﴿ليجزىٰ الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم﴾ يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان ﴿إن الله كان غفوراً رحيمًا﴾.

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

قوله عز وجل: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَلَهُرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ۝٢٦ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ۝٢٧﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً﴾ وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب، رد الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم ﴿لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال﴾ بالجنود من عنده والريح التي بعث عليهم. وعن أبي سعيد الخدري قال: حُسِنَ يوم الخندق عن الصلاة فلم نصل الظهر ولا العصر ولا المغرب ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهوي كُفِينَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالاً فأقام الصلاة، وصلى الظهر فأحسن صلاتها كما كان يصليها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب كذلك، ثم صلى العشاء كذلك، جعل لكل صلاة إقامة وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف ﴿فإن خفتم فرجالاً أو ركباناً﴾<sup>(١)</sup> رواه ابن جرير.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ورجع رسول الله ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً، ووضع الناس السلاح، فبينما رسول الله ﷺ يغتسل من وعشاء تلك المرابطة في بيت أم سلمة رضي الله عنها، إذ تبدى له جبريل عليه الصلاة والسلام معتجراً بعمامة من إستبرق على بغلة عليها قطيفة من ديباج، فقال له: وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال ﷺ: «نعم»، قال: لكن الملائكة لم تضع أسلحتها، وهذا الآن رجوعي من طلب القوم، ثم قال: إن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة.

(١) أخرجه أحمد (٢٥/٣ و ٤٩ و ٦٧ و ٦٨)، والدارمي (٣٥٨/١)، وابن جرير (١٤٩/٢١).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٧٧/٣)، والقصة هذه أخرجه ابن جرير (١٥٠/٢١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ﴾،  
أي: حصونهم، وهم بنو قريظة ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرِّيبَ فَرِيقًا تَمُوتُونَ وَفَرِيقًا  
يَحْيَا﴾ قال ابن إسحاق: حَدَّثَنِي يَزِيدُ بْنُ رُومَانَ ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾،  
أي: قتل الرجال وسبي الذراري والنساء ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ  
وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ قال ابن زيد في قوله:  
﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ﴾ قال: قريظة والنضير أهل الكتاب ﴿وَأَرْضًا لَمْ  
تَطَّوُّوها﴾ يومئذ قال: خير. وقال الحسن: هي الروم وفارس وما فتح الله عليهم.  
وقال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يجوز أن يكون الجميع مراداً ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ  
قَدِيرًا﴾.



(١) انظر «جامع البيان» (١٥٥/٢١).

Σ 9 Σ

ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ إِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنْتَهَا فَمَعَالِينِ أُمْتِعْكُمْ وَأُسْرِحْكُمْ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَلَئِن كُنْتُنَّ تُحِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْدارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾.

روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنهما «أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمره الله تعالى أن يختير أزواجه قالت: فبدأ بي رسول الله ﷺ فقال: إني ذاك لك أمراً فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمرني أبويك؛ وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: إن الله تعالى قال: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله تعالى ورسوله والدار الآخرة»<sup>(١)</sup>؛ وفي رواية: «خيرنا رسول الله ﷺ فلم يعدّها علينا شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

وروى مسلم وغيره عن جابر رضي الله عنه قال: أقبل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ، والناس ببابه جلوس، والنبي ﷺ جالس، فلم يؤذن له، ثم أقبل عمر رضي الله عنه فاستأذن فلم يؤذن له، ثم أذن لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فدخلا، والنبي ﷺ جالس وحوله نساؤه، وهو ﷺ ساكت، فقال عمر رضي الله عنه: لأكلمن النبي ﷺ لعله يضحك، فقال عمر: يا رسول الله لو رأيت ابنة زيد - امرأة عمر - سألتني النفقة آنفاً فوجأت عنقها، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه وقال: «هنّ حولي يسألنني النفقة» فقام أبو بكر إلى عائشة ليضربها، وقام عمر إلى حفصة، كلاهما يقولان: تسألان النبي ﷺ ما ليس عنده؟ فنهأ رسول الله ﷺ، فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ بعد هذا المجلس ما

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٨٥ و٤٧٨٦)، ومسلم (ح/١٤٧٥).

(٢) أخرجه مسلم (٢/١١٠٤).

ليس عنده؛ قال: وأنزل الله عز وجل الخيار، فبدأ بعائشة رضي الله عنها<sup>(١)</sup> الحديث.

قال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال: ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءَ مِنْ بَعْدِ وَلَا أَنْ تَبْدَلَ بِهِنَ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حَسَنَهُنَّ﴾ فقصره الله عليهن. قال عكرمة: وكان تحته يومئذ تسع نسوة: خمس من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية، وكانت تحته: صفية ابنة حي الخبيرية وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش الأسدية وجويرية بنت الحارث من بني المصطلق. وقال ابن زيد: فاخترن الله ورسوله، إلا امرأة واحدة جويرية ذهبت.

قوله عز وجل: ﴿يَنْسَاءَ الَّتِي مَن يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مَّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ ﴿٣٠﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعَمَلَ صَالِحًا تُوْتَاهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ ﴿٣١﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى واعظاً نساء النبي ﷺ اللاتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، واستقرارهن تحت رسول الله ﷺ، فناسب أن يخبرهن بحكمهن وتخصيصهن دون سائر النساء، بأن من يأت منهن بفاحشة مبينة. قال ابن عباس رضي الله عنهما: وهو النشوز وسوء الخلق، وعلى كل تقدير فهو شرط، والشرط لا يقتضي الوقوع، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَ لِيَجْطُنَّ عَمَلَكُ﴾<sup>(٣)</sup> فلما كانت محاسنهن رفيعة ناسب أن يجعل الذنب لو وقع منهن مغلظاً، صيانة لجنابهن وحجابهن الرفيع، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ يَأْتِ

(١) أخرجه مسلم (ح/١٤٧٨).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٨١).

(٣) سورة الزمر: الآية ٦٥.

منكنّ بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين ﴿٣٢﴾ قال مالك عن زيد بن أسلم ﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾ قال: في الدنيا والآخرة: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾ أي سهلاً هيناً.

ثم ذكر عدله وفضله في قوله: ﴿ومن يقنت منكنّ لله ورسوله﴾ أي تطع الله ورسوله وتستجب ﴿نؤتها أجرها مرتين وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾ أي في الجنة، فإنهن في منازل رسول الله ﷺ في أعلى عليين فوق منازل جميع الخلائق، في الوسيلة التي هي أقرب منازل الجنة إلى العرش.

قوله عز وجل: ﴿يَسَاءَ النَّبِيِّ لَسَنًا كَأَاحِدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ ﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرْتُ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء﴾ قال ابن عباس: يريد ليس قدركنّ عندي مثل قدر غيركنّ من النساء الصالحات، أنتنّ أكرم عليّ وثوابكنّ أعظم لديّ ﴿إن اتقيتنّ﴾ الله أطعته ﴿فلا تخضعن بالقول﴾ لا تُلنّ بالقول للرجال ولا ترققن الكلام ﴿فيطمع الذي في قلبه مرض﴾ أي فجور وشهوة، والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المواجهة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع معهم ﴿وقلن قولاً معروفاً﴾ يوجهه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup> وقوله تعالى: ﴿وقرن في بيوتكن﴾ أي إلزمن بيوتكن فلا

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٤٥٤ — ٤٥٥).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ٤٨٢).



تخرجن لغير حاجة. وعن قتادة ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ أي إذا خرجتن من بيوتكن؛ قال: كانت لهنّ مشية وتكسر وتغنج، يعني بذلك الجاهلية الأولى، فنهاهنّ الله عن ذلك. وقال ابن زيد في قوله: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾ يقول: التي كانت قبل الإسلام؛ قال: وفي الإسلام جاهلية. وقال مقاتل: والتبرج أنها تلقي الخمار على رأسها ولا تشده فيواري فلائدها وقرطها وعنقها، ويبدو ذلك كله منها وذلك التبرج، ثم عمّت نساء المؤمنين في التبرج.

وقوله تعالى: ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ قال قتادة: فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup> وقوله تعالى: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ نص في دخول أزواج النبي ﷺ في أهل البيت ههنا، لأنهنّ سبب نزول هذه الآية. وروى مسلم وغيره عن عائشة رضي الله عنهما قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن رضي الله عنه فأدخلها معه، ثم جاء الحسين فأدخله معه، ثم جاء عليّ رضي الله عنه فأدخله معه، ثم جاءت فاطمة رضي الله عنها فأدخلها معه، ثم جاء عليّ رضي الله عنه فأدخله معه، ثم قال رسول الله ﷺ: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾<sup>(٢)</sup>. وعن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى خمّاً، بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله عز وجل

(١) المصدر السابق (٣/٤٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (ح/٢٤٢٤).

ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي ثلاثاً؛ فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِّم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم. قال: كل هؤلاء حُرِّم الصدقة بعده؟ قال: نعم<sup>(١)</sup> رواه مسلم.

وعن قتادة في قوله: ﴿واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة إن الله كان لطيفاً خبيراً﴾، أي السنة. قال: يَمْتَنُّ عليهن بذلك. ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّاتِمِينَ وَالصَّاتِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

عن قتادة قال: دخل نساء على نساء النبي ﷺ فقلن: قد ذكركن الله في القرآن ولم نذكر بشيء! أما فينا ما يُذكر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ﴾<sup>(٢)</sup> أي المطيعين والمطيعات ﴿وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ﴾ أي الخائفين والخائفات ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٤٠٨).

(٢) روي مرفوعاً من حديث أم سلمة رضي الله عنها ولفظه: «يا نبي الله، ما أسمع الرجال يذكرون في القرآن، والنساء، يذكرون، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ...﴾ الآية، أخرجه أحمد (٦/٣٠١ و ٣٠٥)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٣١)، وابن جرير (٢٢/٨)، والطبراني (٢٣/٢٦٣ و ٢٩٣ و ٢٩٨)، والحاكم (٢/٤١٦)، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو صحيح.

مغفرة ﴿لذُنُوبِهِمْ﴾ وَأَجْراً عَظِيماً ﴿فِي الْجَنَّةِ﴾. وعن مجاهد قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله يُذكر الرجال ولا تُذكر! فنزلت ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ الآية.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِينًا﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش، وأمها أميمة بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ، خطب النبي ﷺ لمولاه زيد بن حارثة، وكان رسول الله ﷺ اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبّاه، فلما خطب رسول الله ﷺ زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه، فلما علمت أنه يخطبها لزيد أبت وقالت: أنا ابنة عمتك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسي، وكانت بيضاء جميلة فيها حدة، وكذلك كره أخوها ذلك<sup>(٢)</sup>، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يعني عبد الله بن جحش ﴿وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ يعني أخته زينب ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا﴾ أي إذا أراد الله ورسوله أمراً، وهو نكاح زينب لزيد، ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ قال: والخيرة الاختيار؛ والمعنى: أن يريد غير ما أراد الله أو يمتنع مما أمر الله ورسوله به. قال ابن كثير: فهذه الآية عامة في جميع الأمور، وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد ههنا ولا رأي ولا قول، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يَحْكُمَوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾<sup>(٣)</sup>. وفي الحديث: «والذين نفسي

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٥٧/٣).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١/٢٢) عن ابن عباس بسندٍ ضعيف، وأخرجه أيضاً (١١/٢٢) عن قتادة مرسلًا.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٥.

بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا شدد في خلاف ذلك فقال: ﴿ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالاً مبيناً﴾ كقوله تعالى: ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

عن قتادة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ أعتقه رسول الله ﷺ ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال: وكان يخفي في نفسه: ودّ أنه طلقها. قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشدّ عليه منها، قوله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ ولو كان نبي الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ قال: خشي نبي الله ﷺ مقالة الناس. وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما: كان الله تعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها قال: ﴿اتق الله وأمسك عليك زوجك﴾. قال الله: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم (ح/١٥)، والخطيب في تاريخه (٤/٣٦٩)، والبغوي في شرح

السنة (١/٢١٣)، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه بسند ضعيف.

(٢) سورة النور: الآية ٦٣.

وعن أنس رضي الله عنه قال: لما انقضت عدة زينب قال رسول الله ﷺ لزيد بن حارثة: «اذهب فاذكرها عليّ» فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها قال: فلما رأيتهما عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها، وأقول: إن رسول الله ﷺ ذكرها، فولّيتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت: يا زينب أبشري، أرسلني رسول الله ﷺ يذكرك، قالت: ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي عز وجل، فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير إذن<sup>(١)</sup>.

وروى البخاري وغيره أن زينب بنت جحش رضي الله عنها كانت تفخر على أزواج النبي ﷺ فتقول: «زوّجكنّ أهاليكنّ وزوّجني الله تعالى من فوق سبع سموات»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً﴾.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: أي حاجة من نكاحها ﴿زوّجناكها﴾ وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبنّى تحلّ بعد الدخول وعن قتادة قوله: ﴿لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهنّ وطراً﴾ يقول: إذا طلقوهنّ؛ وكان رسول الله ﷺ تبنى زيد بن حارثة ﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾.

قال البغوي<sup>(٤)</sup>: أي كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً، وقد قضى في زينب أن يتزوّجها رسول الله ﷺ.

وقوله تعالى: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾.

قال ابن كثير<sup>(٥)</sup>: أي فيما أحلّ الله له وأمره به من تزويج زينب التي طلقها

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٩٥ — ١٩٦)، وبنحوه مطولاً مسلم (ح/ ١٤٢٨). قوله: «فاذكرها

عليّ»، أي: أخطبها لي من نفسها.

(٢) أخرجه البخاري (ح/ ٤٧٢٠).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٤٥٨).

(٤) المصدر السابق (٣/ ٤٥٩).

(٥) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٤٩٢).

زيد بن حارثة ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ أي هذا حكم الله تعالى في الأنبياء قبله، لم يكن ليأمرهم بشيء وعليهم في ذلك حرج، وهذا ردّ على من توهم من المنافقين نقصاً في تزويجه امرأة زيد مولاه، ودعيته الذي كان قد تبّاه ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ أي وكان أمره الذي يقدره كائناً لا محالة وواقعاً لا محيد عنه ولا معدل، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

وقوله تعالى: ﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله ﴿ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله﴾ أي لا يخشون قالة الناس ولائمتهم فيما أحلّ الله لهم وفرض عليهم ﴿وكفى بالله حسيباً﴾ حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم.

ثم إن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: إن محمداً تزوج امرأة ابنه، فأنزل الله عز وجل ﴿ما كان محمد أباً أحد من رجالكم﴾ يعني زيد بن حارثة<sup>(٢)</sup>، أي ليس أباً أحد من رجالكم الذين لم يلدهم، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها ﴿ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ ختم الله به النبوة. وعن ابن عباس أن الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده، لم يعطه ولداً ذكراً يصير رجلاً ﴿وكان الله بكل شيء عليم﴾. وعن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «مثلي ومثل الأنبياء كمثلي رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها، إلّا موضع لبنة، فكان من دخلها فنظر إليها قال: ما أحسنها إلّا موضع هذه اللبنة، فإنا موضع اللبنة، ختم بي الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»<sup>(٣)</sup>. متفق عليه.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٥٩).

(٢) أخرجه بنحوه ابن جرير (٢٢/٤٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح/٣٥٣٤)، ومسلم (ح/٢٢٨٧).

## الدرس الحادي والعشرون بعد المائتين

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ فَتَتَّبِعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمِكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ تَرْجَى مِنْ نَّشَاءٍ مِنْهُنَّ وَتَقْوَى إِلَيْكَ مِنْ نَّشَاءٍ وَمِنْ ابْتِغَاءٍ مِّمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ

النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ مِنْ أَنْزَلِجَ وَلَوْ أَعَجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ  
يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ  
إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبْظِرِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا  
طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيُّ فَيَسْتَعِجِي  
مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعِجِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ  
حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ  
اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾  
إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خَفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَ فِي  
ءَابَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ  
وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَآتَيْنَ اللَّهُ إِلَهُ اللَّهِ كَاتِبًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ  
اللَّهِ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا  
تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ۖ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۚ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ نَحْيَتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾.

عن ابن عباس في قوله: ﴿اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها جزاء معلوماً، ثم عذر أهلها في حال عذر غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه، ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله قال: ﴿اذكروا الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبكم﴾ بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال، فقال: ﴿سبحوه بكرة وأصيلًا﴾ فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته، قال الله عز وجل: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ هذا تهيج إلى الذكر، أي: أنه سبحانه يذكركم فاذكروه أنتم، كقوله عز وجل: ﴿كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون﴾<sup>(٢)</sup> وقال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه»<sup>(٣)</sup>. «والصلاة من الله تعالى ثناؤه على العبد

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٤٩٥).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٢.

(٣) أخرجه البخاري (ح/٧٤٠٥)، ومسلم (ح/٢٦٧٥ و ٢٠٦٨).

عند الملائكة». حكاه البخاري عن أبي العالية<sup>(١)</sup>، ورواه أبو جعفر الرازي عن الربيع بن أنس عنه؛ وقال غيره: الصلاة من الله عز وجل الرحمة؛ وقد يقال: لا منافاة بين القولين والله أعلم انتهى.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿هُوَ الَّذِي يَصْلِي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ قال: من الضلالة إلى الهدى. وعن قتادة قوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ قال: تحية أهل الجنة السلام: ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾، أي: الجنة.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ الظاهر أن المراد — والله أعلم — ﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾، أي: من الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾، أي: يسلم عليهم، كما قال عز وجل: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>. قال: وقد يستدل لقول قتادة بقوله تعالى: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾<sup>(٤٥)</sup> وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا<sup>(٤٦)</sup> وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ فَضْلًا كَبِيرًا<sup>(٤٧)</sup> وَلَا تَطْعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا<sup>(٤٨)</sup>.

عن قتادة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك بالبلاغ ﴿ومبشراً﴾ بالجنة ﴿ونذيراً﴾ بالنار ﴿وداعياً إلى الله﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله ﴿بإذنه﴾، قال ابن جرير: بأمره ﴿وسراجاً منيراً﴾ يقول: وضياء لخلقه ﴿وبشّر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع﴾

(١) انظر (٨/٣٩٢ — مع الفتح).

(٢) المصدر السابق (٢/٤٩٦).

(٣) سورة يس: الآية ٥٨..

أَذَاهُمْ ﴿٤٩﴾ قَالَ قَتَادَةُ، أَيُّ: اصبر على أذاهم: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّونَهَا فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ (٤٩).

عن ابن عباس قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّونَهَا﴾ فهذا في الرجل يتزوج المرأة ثم يطلقها من قبل أن يمسيها، فإذا طلقها واحدة بانت منه ولا عدة عليها تتزوج من شاءت، ثم قرأ: ﴿فَمَتَّعُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ يقول: إن كان سمي لها صداقاً فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمي لها صداقاً متعها على قدر عسره ويسره، وهو السراح الجميل؛ قال أكثر أهل العلم: إذا قال: كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق. وروي عن ابن مسعود: أنه يقع. وقال ابن عباس: كذبوا على ابن مسعود، إن كان قالها فزلة من عالم؛ في الرجل يقول: إن تزوجت فلانة فهي طالق، يقول الله تعالى: ﴿إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ﴾ ولم يقل: إذا طَلَقْتُمُوهُنَّ ثُمَّ نَكَحْتُمُوهُنَّ.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنْآَ أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عِمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكِ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٠).

تَشَاءُ وَمِنْ أَتْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَخْزَيْنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥٢﴾ .

عن مجاهد قوله: ﴿أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ قال: صدقاتهن. وقال ابن زيد: كان كل امرأة آتاها مهرًا فقد أحلها الله له. وعن أم هانئ قالت: خطبني النبي ﷺ فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه: ﴿إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ إلى قوله: ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ قالت: فلم أحل له، لم أهاجر معه كنت من الطلقاء»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: وكان النكاح ينعقد في حقه ﷺ بمعنى الهبة، من غير ولي ولا شهود ولا مهر، وكان ذلك من خصائصه في النكاح، لقوله تعالى: ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ كالزيادة على الأربع، ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لا مشاركة لأحد معه فيه. وعن مجاهد قوله: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ بغير صداق، فلم يكن يفعل ذلك، وأحل الله له خاصة من دون المؤمنين.

وعن قتادة في قول الله: ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ قال: كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوج امرأة إلا بولي وصداق عند شاهدي عدل، ولا

(١) أخرجه الترمذي (ح/٣٢١٤) وقال: «حسن صحيح»، وابن جرير (٢٢/٢١)، والحاكم (٢/٤٢٠)، وصححه، ووافقه الذهبي، قلت: وفيه أبو صالح مولى أم هانئ، وهو ضعيف.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٦٢).

يحلّ لهم من النساء إلّا أربع وما ملكت أيماهم. وقوله تعالى: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: وهذا يرجع إلى أول الآية، أي: أحللنا لك أزواجك، وما ملكت يمينك، والموهوبة لك: ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ وضيق ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾. وعن ابن عباس قوله: ﴿ترجي من تشاء منهم﴾ يقول: تؤخّر. وقال مجاهد: تعزل بغير طلاق من أزواجك ﴿من تشاء وتؤوي إليك من تشاء﴾ قال: تردّها إليك. قال قتادة: فجعله الله في حلّ من ذلك، أن يدع من يشاء منهم بغير قسم، وكان نبي الله يقسم ﴿ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزنّ ويرضين بما آتينهنّ كلّهنّ﴾ قال: إذا علمن أن هذا جاء من الله كان أطيب لأنفسهنّ وأقلّ لحزنهنّ ﴿والله يعلم ما في قلوبكم﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: من أمر النساء والميل إلى بعضهنّ ﴿وكان الله عليماً حليماً﴾.

وعن ابن عباس قوله: ﴿لا يحلّ لك النساء من بعد ولا أن تبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسنهنّ إلّا ما ملكت يمينك﴾. قال: نهى رسول الله ﷺ أن يتزوج بعد نسائه الأول شيئاً<sup>(٣)</sup>. قال قتادة: وهنّ التسع اللاتي اخترن الله ورسوله. قال ابن جرير: ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى. وعن قتادة: ﴿وكان الله على كل شيء رقيباً﴾، أي: حفيظاً.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَبِظِينَ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ

(١) المصدر السابق (٣/٤٦٣).

(٢) المصدر السابق (٣/٤٦٤).

(٣) أخرجه ابن جرير (٢٢/٢٨) بسند ضعيف.

فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَقْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَلُّوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾  
 إِنْ تَبَدُّوا شَيْئًا أَوْ خِفْتُمْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِي آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ وَلَا أُمَّهَاتِهِمْ وَلَا أَسْرَائِهِمْ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾

عن مجاهد في قول الله: ﴿إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ قال: متحيين نضجه. وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، فإذا هو يتهيأ للقيام فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا فانطلقوا، فجئت فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتى دخل فذهبت أدخل فالتقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فإذا طعمتم فانتشروا﴾<sup>(١)</sup> الآية.

وعن عمر بن الخطاب قال قلت: «يا رسول الله لو حجبت عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخل عليك البر والفاجر، فترلت آية الحجاب»<sup>(٢)</sup>. رواه ابن جرير وغيره.

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٩١)، ومسلم (٢/١٠٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٧٩٠).

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً﴾ قال: ربما بلغ النبي ﷺ أن الرجل يقول: لو أن النبي ﷺ توفي تزوجت فلانة بعده، قال: فكان ذلك يؤذي النبي ﷺ، فنزل القرآن: ﴿وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله﴾ الآية.

وقوله تعالى: ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبناهن﴾ الآية.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: لما أمر تبارك وتعالى النساء بالحجاب من الأجانب، بين أن هؤلاء الأقارب لا يجب الاحتجاب منهم، كما استثناهم في سورة النور عند قوله: ﴿ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبناهن أو أبناء بعولتهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾. انتهى. قال بعض المفسرين: لم يذكر العم والخال لأنهما يجريان مجرى الوالدين.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قال أبو العالية: صلاة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء. وقال ابن عباس: ﴿يصلُّون﴾ يركعون. وقال سفيان بن عيينة وغيره: صلاة الرب الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار؛ وقد قال تعالى: ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة﴾. وعن كعب بن عجرة قال: «لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قلنا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك؟ قال قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٠٦/٣).

إبراهيم إنك حميد مجيد»<sup>(١)</sup>. متفق عليه واللفظ للبخاري. وعن أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه «أن رسول الله ﷺ جاء ذات يوم والسرور يُرى في وجهه فقالوا: يا رسول الله إنا لنرى السرور في وجهك! فقال: «إنه أتاني الملك فقال: يا محمد أما يرضيك أن ربك عز وجل يقول: أنه لا يصلي عليك أحد من أمتك إلاَّ صلَّيت عليه عشراً، ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلاَّ سلَّمت عليه عشراً؟ قال: بلى»<sup>(٢)</sup>. رواه أحمد وغيره.



(١) أخرجه البخاري (ح/٤٧٩٧)، ومسلم (ح/٤٠٦).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/٤ و ٣٠)، والنسائي (٤٤/٣ و ٥٠)، والدارمي (٣١٧/٢)، والحاكم

(٢/٤٢٠)، وصححه، ووافقه الذهبي!! وللحديث شاهد من حديث أنس، ومالك بن

أوس، وعمر، وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهم، وهو حديث صحيح.



## الدرس الثاني والعشرون بعد المائتين

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ٥٧ ﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ٥٨ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِيكَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْفَعْ أَنْ يُعْرِضَ فَلََّا يُؤْذِينَ ٥٩ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٦٠ لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ٦١ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقُفُوا أُخْذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا ٦٢ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لَسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ٦٣ يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ٦٤ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ٦٥ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجْدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ٦٦ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَلَيْتَنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ٦٧ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَ ٦٨ رَبَّنَا إِنَّا أَتَيْنَاكَ بِكُفْرٍ كَثِيرٍ وَلَعَنَكَ اللَّهُ وَأَنَّى عَلَمًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا ٦٩ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجْهًا ٧٠ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ٧١ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ٧٢ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ

ظَلُّومًا جَهُولًا ﴿٧٦﴾ لِّعَذَابِ اللَّهِ الْمُتَفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ  
وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا  
رَّحِيمًا ﴿٧٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ۝ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ۝﴾.

قال عكرمة: ﴿الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هم أصحاب المقادير. وقال قتادة سبحانه الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم. وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر، أقلب ليله ونهاره»<sup>(١)</sup>. وعن عبد الله بن المغفل قال: قال رسول الله ﷺ: «[الله] الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»<sup>(٢)</sup>. وعن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أي الربا أربى عند الله؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أربى الربا عند الله استحلال عرض امرئ مسلم، ثم قرأ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾»<sup>(٣)</sup>. قال قتادة: فإياكم وأذى المؤمن، فإن الله يحوطه ويغضب له.

قوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلِيبِهِنَّ ذَلِكَ ادْفَعْ أَنْ يُعْرِفَنَ فَلَا يُؤْذِينَ ۖ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أحمد (٨٧/٤ و ٥٤/٥ و ٥٧)، والترمذي (ح/٣٨٦١)، وحسنه، وابن حبان (ح/٢٢٨٤)، والبغوي (٧٠/١٤ - ٧١) بسند فيه ضعف.

(٣) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٢٩٨/٥)، بسند ضعيف. وله شاهد بنحوه من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعاً: «من أربى الربى الاستطالة في عرض مسلم بغير حق»، أخرجه أحمد (١٩٠/١)، وأبو داود (ح/٤٨٧٦)، والبخاري (ح/١٢٦٤)، الشاشي (٢٤٦/١)، والطبراني في الكبير (١١٧/١)، وهو صحيح.

رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَّيْنٌ لَّمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيهن﴾ أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدن عينا واحدة، وقال قتادة: أخذ الله عليهن إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ﴿ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين﴾ وقد كانت المملوكة إذا مرت تناولوها بالإيذاء، فهي الله الحرائر يتشبهن بالإماء.

وعن عكرمة في قوله: ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ قال: هم الزناة. ﴿والمرجفون في المدينة﴾ قال قتادة: الإرجاف الكذب، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدة. ﴿لنغريَنَّك بهم﴾، أي: لنحملنك عليهم، لنحرشك بهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً﴾، أي: بالمدينة ﴿ملعونين﴾ على كل حال ﴿أينما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا﴾ إذا هم أظهروا النفاق ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ ﴿٦٨﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً لرسوله ﷺ أنه لا علم له بالساعة وإن سأله الناس عن ذلك، وأرشدته أنه يردّ علمها إلى الله عز وجل.

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿وما يدريك﴾، أي شيء يعلمك أمر الساعة، ومتى يكون قيامها؟، أي: أنت لا تعرفه ﴿لعل الساعة تكون قريباً﴾.

وقال ابن جرير<sup>(٣)</sup>: يقول تعالى ذكره: ﴿يسألك الناس﴾ يا محمد ﴿عن الساعة﴾ متى هي قائمة؟ قل لهم: إنما علم الساعة عند الله لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾ يقول: وما يشعرك يا محمد لعل قيام الساعة يكون منك قريباً، قد قرب وقت قيامها ودنا حين مجيئها. وقوله تعالى: ﴿إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيراً خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾ يوم تقلّب وجوههم في النار يقولون: يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسول وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا قال قتادة: أي رؤوسنا في الشرّ والشرك ﴿فأضلّونا السبيلا ربنا آتاهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً﴾.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوْا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً ۝٦٩ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ ءَعْمَلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً ۝٧١﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن موسى عليه السلام كان رجلاً حياً ستيراً، لا يرى من جلده شيء استحياء منه، فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا: ما يستتر هذا التستر إلا من عيب في جلده، إما برص وإما أدرّة وإما آفة، وإن الله عز وجل أراد أن يبرّته مما قالوا، فخلا يوماً وحده فخلع ثيابه

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥١٩).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٦٩).

(٣) انظر «جامع البيان» (٢٢/٤٩).

على حجر ثم اغتسل، فلما فرغ أقبل على ثيابه ليأخذها، وإن الحجر عدا بثوبه، فأخذ موسى عصاه وطلب الحجر فجعل يقول: ثوبي حجر ثوبي حجر، حتى انتهى إلى ملاء من بني إسرائيل فأرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله عز وجل، وأبرأه مما يقولون، وقام الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطفق بالحجر ضرباً بعصاه، فوالله إن بالحجر لندباً من أثر ضربه ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً، قال: ذلك قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ اللَّهُ وَجِيهًا﴾<sup>(١)</sup>.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله ﴿فَبَرَأَ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون عليه السلام فقال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام: أنت قتلت. كان ألين لنا منك وأشدّ حياءً، فأذوه من ذلك، فأمره الله الملائكة فحملته فمروا به على مجالس بني إسرائيل فتكلمت بموته.

وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قسم رسول الله ﷺ ذات يوم قسماً فقال رجل من الأنصار: إن هذه القسمة ما أُريدَ بها وجهُ الله، فقلت: يا عدوّ الله أما لأخبرنّ رسول الله ﷺ بما قلت، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فاحمر وجهه ثم قال: «رحمة الله على موسى، لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر»<sup>(٢)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾، أي: عدلاً. قال قتادة: يعني به في منطقته وعمله كله، والسديد: الصدق. قال ابن عباس: مَنْ سرّه أن يكون أكرم الناس فليتق الله.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾<sup>(٧٢)</sup> لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا<sup>(٧٣)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (ح/٣٤٠٤ و ٤٧٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٣٣٥ و ٤٣٣٦ و ٦٠٥٩)، ومسلم (ح/١٠٦٢).

قال ابن عباس: الأمانة الفرائض التي افترضها الله على العباد. وقال الضحاك عن ابن عباس في قوله: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها﴾ قال: «فلما عُرِضَتْ على آدم قال: أي رب وما الأمانة؟ قال قيل: إن أديتها جُزيت، وإن ضيعتها عوقبت، قال: أي رب حملتها بما فيها، قال: فما مكث في الجنة إلاَّ قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية فأخرج منها»<sup>(١)</sup>.

وعن الضحاك في قوله: ﴿وحملها الإنسان﴾ قال: آدم ﴿إنه كان ظلوماً جهولاً﴾ قال: ﴿ظلوماً﴾ لنفسه ﴿جهولاً﴾ فيما احتمل فيما بينه وبين ربه. وعن قتادة ﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات﴾ هذان اللذان خاناهما ﴿ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾ هذان اللذان أدياها ﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾ وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليفة، وعفة طعمة»<sup>(٢)</sup>. رواه الإمام أحمد.



(١) أخرجه ابن جرير (٥٤/٢٢) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧/٢)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٤١/١)، والحاكم (٣١٤/٤) وسكت عنه، وكذا الذهبي، والبيهقي في «الشعب» (٢٠٥/٤ و ٥٢٥٨)، بسند حسن.

## الدرس الثالث والعشرون بعد المائتين

﴿سورة سبأ﴾

وآياتها أربع وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ  
الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ  
وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى  
وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي  
الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لَيَجْزِيَ  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾  
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجَزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى الَّذِينَ  
أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ  
الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَى رَجُلٍ يَتَّبِعُكُمْ إِذَا مَرِضْتُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ  
إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ  
بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ  
مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنًا خَفِيفٌ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تُسْقَطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِّنَ  
السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞



قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَمَأْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ  
الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا  
يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق في الدنيا  
والآخرة، لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة، المالك لجميع ذلك،  
الحاكم في جميع ذلك، كما قال تعالى: ﴿وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في  
الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون﴾<sup>(٢)</sup> ولهذا قال تعالى ههنا: ﴿الحمد لله  
الذي له ما في السموات وما في الأرض﴾، أي: الجميع ملكه وعبيده وتحت  
تصرفه وقهره، كما قال تعالى: ﴿وإن لنا للآخرة والأولى﴾<sup>(٣)</sup>؛ ثم قال عز وجل:  
﴿له الحمد في الآخرة﴾ فهو المعبود أبداً المحمود على طول المدى. وقوله  
تعالى: ﴿وهو الحكيم﴾، أي: في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ﴿الخبير﴾ الذي  
لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شيء.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي  
لَتَأْتِيََنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا  
أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٣﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا  
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا  
فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزٍ أَلِيمٍ ﴿٥﴾ وَيَرَىٰ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٢٤ - ٥٢٥).

(٢) سورة القصص: الآية ٧٠.

(٣) سورة الليل: الآية ١٣.

الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هذه إحدى الآيات الثلاث التي لا رابع لهنّ، مما أمر الله تعالى رسول الله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد، لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهنّ في سورة يونس عليه السلام وهي قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾<sup>(٢)</sup>، والثانية هذه: ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربّي لتأتينكم﴾، والثالثة في سورة التغابن<sup>(٣)</sup>، وهي قوله تعالى: ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربّي لتبعثنّ ثم لتنبؤنّ بما عملتم وذلك على الله يسير﴾ فقال تعالى: ﴿قل بلى وربّي لتأتينكم﴾ ثم وصفه بما يؤكّد ذلك ويقرّره فقال: ﴿عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلّا في كتاب مبين﴾.

قال مجاهد وقتادة: ﴿لا يعزب عنه﴾ لا يغيب عنه، أي: الجميع متدرّج تحت علمه فلا يخفى عليه شيء، فالعظام وإن تلاشت وتفرّقت وتمزّقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرّقت، ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فإنه بكل شيء عليم؛ ثم بيّن حكمته في إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى: ﴿ليجزّي الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم﴾.

﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين﴾، أي: سعوا في الصّدّ عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله ﴿أولئك لهم عذاب من رجز أليم﴾، أي: لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين، كما قال عز وجل: ﴿لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: أم نجعل

(١) المصدر السابق (٣/٥٢٥).

(٢) سورة يونس: الآية ٥٣.

(٣) سورة سبأ: الآية ٥٣.

(٤) سورة الحشر: الآية ٢٠.

الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار.

وقوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ هذه حكمة أخرى معطوفة على التي قبلها، وهي أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار، بالذي كانوا قد علموه من كتب الله تعالى في الدنيا، رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضاً ﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾<sup>(١)</sup> ويقال أيضاً: ﴿هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾<sup>(٢)</sup>، ﴿لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث﴾<sup>(٣)</sup> ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾، ﴿العزيز﴾ هو المنيع الجنب الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد قهر كل شيء وغلبه ﴿الحميد﴾ في جميع أقواله وأفعاله وشرعه، وقدره، وهو المحمود في ذلك كله جلّ وعلا.

وقال البغوي<sup>(٤)</sup>: قوله تعالى: ﴿ويرى الذين أوتوا العلم﴾، يعني: مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه. وقال قتادة: هم أصحاب محمد ﷺ الذي أنزل إليك من ربك، يعني: القرآن ﴿هو الحق﴾، يعني: أنه من عند الله ويهدي، يعني: القرآن ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾ وهو الإسلام.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنٰتِيكُمْ إِذَا مَرَّكُمْ كُلُّ مُمْرِقٍ إِنَّكُمْ لَعِنَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾<sup>(٥)</sup> أَفَرَأَيْتَ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ<sup>(٦)</sup> أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

(١) سورة الأعراف: الآية ٤٣.

(٢) سورة يس: الآية ٥٢.

(٣) سورة الروم: الآية ٥٦.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٧٥).

وَمَا خَلَفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِن شَأْ خَفِيفٌ بِهِمُ الْأَرْضُ أَوْ تُسْقَطَ عَلَيْهِمْ  
كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿١﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة، واستهزائهم بالرسول ﷺ في إخباره بذلك ﴿وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا قرئتم كل ممزق﴾، أي: تفرقت أجسادكم في الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق ﴿إنكم﴾، أي: بعد هذا الحال ﴿لفي خلق جديد﴾، أي: تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك، وهو في هذا الإخبار لا يخلو أمره من قسمين: إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك، أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون، ولهذا قالوا: ﴿أفترى على الله كذباً أم به جنة﴾؟ قال الله عز وجل راداً عليهم ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾، أي: ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه، بل محمد ﷺ هو الصادق البارّ الراشد الذي جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغنياء، ﴿في العذاب﴾، أي: الكفر المفضي بهم إلى عذاب الله تعالى ﴿والضلال البعيد﴾ من الحق في الدنيا.

ثم قال تعالى منبهاً على قدرته في خلق السموات والأرض فقال تعالى: ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾، أي: حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مطلة عليهم والأرض تحتهم، كما قال عز وجل: ﴿والسماء بنيناها بأيدٍ وإنّا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون﴾<sup>(٢)</sup>. قال عبد بن حميد: أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ﴿أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾ قال: إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك، أو من بين يديك أو من خلفك، رأيت السماء والأرض.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٢٦).

(٢) سورة الذاريات: الآية ٤٨.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُخَسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَسْقُطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾، أي: لو شئنا لفعَلنا بِهِم ذلكَ لظلمهم وقدرتنا عليهم، ولكن نؤخِّر ذلكَ لحلمنا وعفونا؛ ثم قال: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنبِئٍ﴾ قال معمر عن قتادة: منيب تائب. وقال سفيان عن قتادة: المنيب المقبل إلى الله تعالى، أي أن في النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن ليب رجاء إلى الله، على قدرة الله على بعث الأجساد ووقوع المعاد، لأن من قدر على خلق هذه السموات في ارتفاعها واتساعها، وهذه الأرضين في انخفاضها وأطوالها وأعراضها، إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.



(١) سورة يس: الآية ٨١.

(٢) سورة غافر: الآية ٥٧.

## الدرس الرابع والعشرون بعد المائتين

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوِيٍّ مَعَهُ وَالطِّيرُ وَآلْنَا لَهُ  
 الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلْ سَبِغَتٍ وَقَدِرَ فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ  
 بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْلِمْنَا الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَوْاحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمَنْ  
 الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرْغَبْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ  
 السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ  
 رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ  
 الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ  
 أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي  
 مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ  
 طَيِّبَةً وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ  
 ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَقِوْا مِن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا  
 وَهَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى  
 ظَهْرَهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالٍ وَأَيَّامًا ءَامِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ  
 بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ  
 لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ .

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ  
وَالطَّيْرُ وَالنَّالَةُ الْحَدِيدِ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ سَبْعِينَ وَقَدْرًا فِي السَّرْدِ وَأَعْمَلُوا صَليحًا إِنِّي  
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿يا جبال أوبى معه﴾ يقول: سبّحي معه.  
قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: التأويب في اللغة هو الترجيع، فأمرت الجبال والطير أن  
ترجع معه بأصواتها. وعن قتادة: ﴿وَالنَّالَةُ الْحَدِيدِ﴾ يسخر له الحديد بغير نار ﴿أَنْ  
أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ﴾ دروع، وكان أول من صنعها داود، إنما كان قبل ذلك صفائح  
﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ قال: كان يجعلها بغير نار ولا يقرعها بحديد ثم يسردها،  
والسرد المسامير التي في الحلق. وعن مجاهد في قوله: ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ﴾ قال:  
لا تصغر المسامير وتعظم الحلقة فتسلس، ولا تعظم المسامير وتصغر الحلقة فيفصم  
المسامير.

قوله عز وجل: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوها شَهْرٌ وَرَواحُها شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ  
عَيْنَ الْقَظِيرِ وَمَنْ آلَجْنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذِقْهُ  
مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبَ وَتَمْثِيلَ وَحِفَانٍ كَالْجَوَابِ  
وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَلْ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِ ﴿١٣﴾﴾.

قال ابن زيد في قوله: ﴿ولسليمان الرّيح غدوها شهر ورواحها شهر﴾ قال:  
كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت تركب فيه  
الجنّ والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب هم والعصار،

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٢٧/٣).

فإذا ارتفع أتت الريح الرخاء فسارت به وساروا معه؛ يُقِيل عند قوم بينه وبينهم شهر، ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش والجنود. وقال الحسن: كان يغدو فيقِيل في إصطخر، ثم يروح منها فيكون رَواحها بكابل.

وعن ابن عباس قوله: ﴿وَأَسْلَمْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾، يعني: عين النحاس أُسِلت. وقال قتادة: كانت بأرض اليمن.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجَنِّ مَن يَدْعُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغُ مِنْهُمْ عَن أَمْرِنَا﴾ قال قتادة: أي يعدل منهم عن أمرنا، عما أمره به سليمان ﴿نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ وقيل: إن الله عز وجل وكلّ بهم ملكاً بيده سوط من نار، فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقتة. قال الحسن: الجنّ ولد إبليس، والإنس ولد آدم، ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء شركاؤهم في الثواب والعقاب، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمناً فهو وليّ الله تعالى، ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافراً فهو شيطان.

وعن مجاهد في قوله: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾ قال: بنيان دون القصور ﴿وَتَمَاثِيلٍ﴾ قال: من نحاس ﴿وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ﴾ قال الحسن: كالحياض ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ قال قتادة: عظام ثابتات في الأرض لا يزلن عن أمكتهنّ.

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ﴾، أي: المساجد والأبنية المرتفعة ﴿وَتَمَاثِيلٍ﴾، أي: صوراً من نحاس وصفر وشبه وزجاج ورخام، قال: ولعلّها كانت مباحة في شريعتهم، كما أن عيسى كان يتخذ صوراً من الطين فينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله ﴿وَجَفَانٍ﴾، أي: قصاع، واحدها جفنة ﴿كَالْجَوَابِ﴾ كالحياض التي يجبى فيها الماء، واحدها جابية ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تحركن عن أماكنها لعظمتنّ، ولا يزلن ولا يقلعن، وكان يصعد

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٧٦/٣).



عليها بالسلام. ﴿اعملوا آل داود شكراً﴾، أي: وقلنا: اعملوا آل داود شكراً، مجازة: اعملوا يا آل داود بطاعة الله، شكراً لله على نعمه ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾، أي: العامل بطاعتي شكراً لنعمتي. انتهى ملخصاً.

قوله عز وجل: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ يقول: الأرض تأكل عصاه. وقال قتادة: كانت الجن تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مستخرون تلك السنة يعملون دائبين.

قوله عز وجل: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُمْ بَلَدَهُ طَيِّبَةً وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَجَرٍ مِّنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَى إِلَّا الْكَفُورُ ﴿١٧﴾﴾.

عن ابن عباس قال: إن رجلين سألا رسول الله ﷺ عن سبأ، ما هو أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال ﷺ: «بل هو رجل ولد له عشرة، فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة، فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون، وأنمار، وحِمير، وأما الشامية: فلخم، وجذام، وعاملة، وغسان»<sup>(١)</sup>. رواه أحمد وغيره.

(١) أخرجه أحمد (٣١٦/١)، والحاكم (٤٢٣/٢)، وصححه ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث فروة بن مسيك المرادي بنحوه، أخرجه الترمذي (ح/٣٢٢٢) وحسنه، والحاكم (٤٢٤/٢)، وصححه، وسكت عنه الذهبي، قلت: وفيه ضعف، إلا أن ما قبله يشهد له، فهو حسن والله أعلم.

وقال قتادة في قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ قال: كانت جنتان بين جبلين، فكانت المرأة تخرج مكنها على رأسها فتمشي بين جبلين فيمتلىء مكنها وما مسّت يدها، فلما طغوا بعث الله عليهم دابة يقال لها جرذ، فنقبت عليهم ففرقتهم فما بقي لهم إلا أثل وشيء من سدر قليل. وقال المغيرة بن حكيم: لما ملكت بلقيس جعل قومها يقتلون على ماء واديهم، قال: فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها، فتركت ملكها وانطلقت إلى قصر لها وتركتهم، فلما كثر الشر بينهم وندموا أتوها فأرادوها على أن ترجع إلى ملكها فأبت، فقالوا: لترجعن أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعوني وليست لكم عقول ولا تطيعوني، قالوا: فإننا نطيعك، وإننا لم نجد فينا خيراً بعدك، فجاءت قال: فسدت ما بين الجبلين فحبست الماء من وراء السد، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنّت من دونه بركة ضخمة، فجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدّة أنهارهم، فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السد، فأمرت بالباب الأعلى ففتّح فجرى ماؤه في البركة، وأمرت بالبر فألقي فيها فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار وترسل البعر في الماء حتى خرج جميعاً معاً، فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأن سليمان وشأنها ما كان.

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: والعزم — جمع عزمة — وهي المسكر الذي يحبس به الماء. قال قتادة: لما ترك القوم أمر الله بعث الله عليهم جرذاً يسمى «الخلد» فنقبه من أسفله حتى غرق به جنتيهم، وخرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم. وقال ابن عباس: أبدلهم الله مكان جنتيهم ﴿جنتين ذواتي أكل حَمِطٍ﴾ والخمط الأراك. قال قتادة: وأكله بريرة.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَافُورَ؟﴾ قال مقاتل: هل يكافأ بعمله السيئ إلا الكفور لله في نعمه؟

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٧٨).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿وشيء من سدر قليل﴾ لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر، قال: ﴿شيء من سدر قليل﴾ فهذا الذي صار أمر تينك الجنتين إليه بعد الثمار النضيجة، والمناظر الحسنة والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء، والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله، وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل، ولهذا قال تعالى: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (١٩).

عن مجاهد: ﴿القرى التي باركنا فيها﴾ قال: الشام. وقال الحسن في قوله: ﴿وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة﴾ قال: قرى متواصلة؛ كان أحدهم يغدو فيقيم في قرية، ويروح فيأوي إلى قرية أخرى. وعن مجاهد قوله: ﴿قرى ظاهرة﴾ قال: السروات.

وقوله تعالى: ﴿وقدّرنا فيها السير﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي قدّرنا مسيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار ﴿سيروا فيها ليالي وأياماً آمنين﴾ قال قتادة: لا يخالفون ظلماً ولا جوعاً ﴿فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم﴾ قال ابن عباس: فإنهم بطروا عيشهم وقالوا: لو كان جنى جناتنا أبعد مما هي، كان أجدر أن نشتهي، فمزّقوا بين الشام وسبأ، وبذلوا بجنتيهم ﴿جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل﴾. عن قتادة: ﴿فجعلناهم

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٣٣).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٧٩).

أحاديث ومزقناهم كل ممزق ﴿ قال: قال عامر الشعبي: أما غسان فقد لحقوا بالشام، وأما الأنصار فلحقوا بيثرب، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعمان، فمزقهم الله كل ممزق؛ وقال الأعشى ميمون بن قيس:

وفي ذاك للمؤتي أسوة      ومأرب عفا عليها العرم  
رخام بنته لهم حمير      إذا ما نأى ماؤهم لم يرم  
فأروى الزروع وأعنا بها      على سعة ماؤهم إذ قسم  
صاروا أيادي ما يقدر      ن منه على شرب طفل فطم

وعن قتادة قوله: ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ كان مطرف يقول:

نعم العبد الصبار الشكور، الذي إذا أعطي شكر وإذا ابتلي صبر. وفي الصحيحين عن النبي ﷺ: «عجبا للمؤمن، لا يقضي الله تعالى له قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»<sup>(١)</sup>.



## الدرس الخامس والعشرون بعد المائتين

﴿ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٢٠ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيطٌ ﴿ ٢١ ﴾ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمَا فِي شَيْءٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿ ٢٢ ﴾ وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿ ٢٣ ﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ ٢٤ ﴾ قُلْ لَا تُشْكِرُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُشْكِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿ ٢٥ ﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿ ٢٦ ﴾ قُلِ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ ٢٧ ﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ ٢٨ ﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿ ٢٩ ﴾ قُلْ لَّكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَجِيزُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿ ٣٠ ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿ ٣١ ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ

أَلْهَدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ بَلْ كُنْتُمْ تُجْرِمِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَىٰ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَايَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٢٦﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتُولَاءِ إِنَّا كُنَّا نَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِسْنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُّؤْمِنُونَ ﴿٢٩﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٣٠﴾

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢٠) وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُّؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِیْظٌ ﴿٢١﴾ .

عن مجاهد: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ قال: ظن ظناً فاتبعوا ظنه. وقال ابن زيد في قوله: ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه﴾ قال: أرأيت هؤلاء الذين كرمتهم عليّ وفضلتهم وشرفتهم، لا تجد أكثرهم شاكرين، وكان ذلك ظناً منه بغير علم، فقال الله: ﴿فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين وما كان له عليهم من سلطان﴾ قال الحسن: والله ما ضربهم بعضاً ولا سيف ولا سوط، إلا أمانيّ وغروراً دعاهم إليها. وعن قتادة قوله: ﴿إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك﴾ قال: وإنما كان بلاء ليعلم الله الكافر من المؤمن.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: وأراد علم الوقوع والظهور، وقد كان معلوماً عنده بالغيب ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ رقيب.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍَ وَمَا لَهُم مِّنْهُمْ مِّن ظَهِيرٍ﴾ (٢٢) وَلَا نَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَن أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ .

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا نظير له ولا شريك، بل هو المستقلّ بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، فقال: ﴿قل ادعوا الذين زعتم من دون الله﴾، أي: من

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/ ٤٨٠).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٣٦).

الآلهة التي عبدت من دونه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾، أي: لا يملكون شيئاً استقلالاً ولا على سبيل الشراكة ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾، أي: وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به في الأمور، بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه. قال قتادة في قوله عز وجل: ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ من عون يعينه بشيء.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، أي: لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجتري أحد أن يشفع عنده تعالى، إلا بعد إذنه له في الشفاعة، كما قال عز وجل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(٢)</sup> وقال جلّ وعلا: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مَنْ يَأْذِنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾<sup>(٣)</sup> وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾<sup>(٤)</sup>. ولهذا ثبت في الصحيحين من غير وجه عن النبي ﷺ، — وهو سيد ولد آدم وأكرم شافع عند الله تعالى — ، أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع في الخلق كلهم، أن يأتي لفصل القضاء، قال: «فأسجد لله تعالى، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ويفتح عليّ بمحامد لا أحصيها الآن، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تَشْفَعُ»<sup>(٥)</sup> الحديث بتمامه.

وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ أَذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ﴾ وهذا أيضاً مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فيسمع أهل

(١) سورة فاطر: الآية ١٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٥.

(٣) سورة النجم: الآية ٢٦.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

(٥) سبق تخريجه تحت حديث الشفاعة الطويل.



السموات كلامه، أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قال ابن مسعود رضي الله عنه ومسروق وغيرهما: ﴿حتى إذا فُزِعَ عن قلوبهم﴾، أي: زال الفزع عنها ﴿قالوا ماذا قال ربكم؟﴾ سأل بعضهم بعضاً: ماذا قال ربكم؟ فيخبر بذلك حملة العرش الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم لمن تحتهم، حتى ينتهي الخبر إلى أهل السماء الدنيا؟ ولهذا قال تعالى: ﴿قالوا الحق﴾، أي: أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان ﴿وهو العليّ الكبير﴾. وروى البغوي وغيره عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أراد الله أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي، فإذا تكلم أخذت السموات منه رجفة — أو قال: رعدة شديدة — خوفاً من الله تعالى، فإذا سمع بذلك أهل السموات صُعِقُوا وَخَرُّوا لَهِجَةً، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه الله من وحيه بما أراد، ثم يمرّ جبريل على الملائكة، كلما مرّ بسماء يسأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: ﴿قال الحق وهو العليّ الكبير﴾ قال: فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله<sup>(١)</sup>. وروى البخاري وغيره عن أبي هريرة أن نبي الله ﷺ قال: «إذا قضى الله تعالى الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان: ﴿فإذا فُزِعَ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا﴾ للذي قال: ﴿الحق وهو العليّ الكبير﴾»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا تُنْشِئُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَلْحَقْتُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢٤٨/١)، وابن أبي عاصم (ح/٥١٥)، وابن جرير

(٩١/٢٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢١/١)، بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٨٠٠).

الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ .

عن قتادة: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ قال: قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إن أحد الفريقين لمهتد. وقال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿قل من يرزقكم من السموات والأرض؟ فالرزق من السموات المطر، ومن الأرض النبات﴾ قل الله، أي: إن لم يقولوا: رازقنا الله، فقل أنت: إن رازقكم هو الله ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ ليس هذا على طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج، كما يقول القائل للآخر: أهدنا كاذب، وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب.

وعن قتادة: ﴿قل يجمع بيننا ربنا يوم القيامة ثم يفتح بيننا﴾، أي: يقضي بيننا. وعن ابن عباس قوله: ﴿وهو الفتح العليم﴾ يقول: القاضي ﴿قل أروني الذين ألحقتم به شركاء﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>، أي: أعلموني الذين ألحقتموهم به، أي: بالله، شركاء في العبادة معه، هل يخلقون؟ وهل يرزقون؟ ﴿كلا﴾ لا يخلقون ولا يرزقون بل هو الله ﴿العزیز﴾ الغالب على أمره ﴿الحكيم﴾ في تدبيره لخلقه؛ فأني يكون له شريك في ملكه؟ وعن قتادة قوله: ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ قال: أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم، فأكرمهم على الله أطوعهم له. ذكر لنا أن نبي الله ﷺ قال: «أنا سابق العرب، وصهيب سابق الروم، وبلال سابق الحبشة، وسلمان سابق فارس»<sup>(٣)</sup>.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٨١).

(٢) المصدر السابق (٣/٤٨٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٩٦/٢٢) مرسلًا. وروي مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه =

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَحْضِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغْنُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ تُخْرِجُونَ مِنَ الْإِيمَانِ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَوْنَا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْنَا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قال: قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه من الكتاب والأنبياء.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ يقول: بل مكركم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء: ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: نظراء وآلهة معه، وتقيموا لنا شبيهاً وأشياء من المحال تضلّون بها ﴿وَأَسْرَوْنَا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْنَا الْعَذَابَ﴾، أي: الجميع من السادة والأتباع، كل ندم على ما سلف منه ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ (٣٢) وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾

= الطبراني (٣٤/٨)، وفيه ضعف لكنه شاهد من حديث أبي أمامة: أخرجه الطبراني

(١٣١/٨)، قال الهيثمي في «المجمع» (٣٠٥/٩): «وإسناده حسن».

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٣٩/٣).

قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَابِلَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ قال: هم رؤوسهم وقادتهم في الشر.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً﴾ قال: وهذا قول المشركين لرسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضياً لم يعطنا هذا، كما قال قارون لولا أن الله رضي بي وبحالي ما أعطاني هذا. قال: ﴿أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً﴾<sup>(١)</sup> قال قتادة: لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، لكن الكافر قد يعطى المال وربما حُبس عن المؤمن، وعن سعيد بن جبير: ﴿وما أنفقتم من شيء فهو يُخْلِفُهُ﴾ قال: ما كان في غير إسراف ولا تقتير. وروى البغوي وغيره من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَكَةِ أَهْتَوْلَاءِ إِنَّا كُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾<sup>(٣)</sup> قَالُوا سُبْحَنكَ أَنْتَ وَلَيْسْنَا مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ آلَ حِثٍّ

(١) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٢) أخرجه البخاري (ح/١٤٤٢)، ومسلم (ح/١٠١٠).

أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ .

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعاً، ثم تقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتراهم منهم الملائكة ﴿٤١﴾ قالوا سبحانك ربنا ﴿٤٢﴾ تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء الشركاء والأنداد ﴿٤٣﴾ أنت وليتنا من دونهم ﴿٤٤﴾ لا نتخذ ولياً دونك ﴿٤٥﴾ بل كانوا يعبدون الجن ﴿٤٦﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: فإن قيل: هم كانوا يعبدون الملائكة فكيف وجه قوله ﴿يعبدون الجن﴾ قيل: أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة، فهم كانوا يطيعون الشياطين في عبادة الملائكة؛ فقله: ﴿يعبدون الجن﴾، أي: يطيعون الجن: ﴿أكثرهم بهم مؤمنون﴾ يعني مصدقون للشياطين.

ثم يقول الله: ﴿فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعا﴾ بالشفاعة ﴿ولا ضراً﴾ بالعذاب، يريد أنهم عاجزون لا نفع عندهم ولا ضرر. وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>، أي: لا يقع لكم نفع مما كنتم ترجون نفعه من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم اليوم، لا يملكون لكم نفعاً ولا ضرراً. ﴿ونقول للذين ظلموا﴾ وهم المشركون ﴿ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون﴾، أي: يقال لهم ذلك تقریباً وتوبيخاً.



(١) انظر «جامع البيان» (١٠٢/٢٢).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤٨٤/٣).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٤٢/٣).

## الدرس السادس والعشرون بعد المائتين

﴿ وَإِذَا نُنْتَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ  
 يَعْبُدُونَ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ  
 هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّؤْتَيْنِ ﴿٤٣﴾ وَمَا ءَانَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ  
 مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا ءَانَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي  
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ خِيَلِكُمْ وَقَدْ جَاءَكُمْ  
 مِنْ رَبِّكُمْ نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ  
 شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
 شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ  
 وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي  
 إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَرَغُوا فَلَا قُوَّةَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾  
 وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ  
 قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ  
 بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾ .

\* \* \*

عن قتادة: ﴿وما آتيناكم من كتب يدرسونها﴾ أي يقرؤونها ﴿وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾ ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ﷺ ﴿وكذب الذين من قبلهم وما بلغوا معشار ما آتيناكم﴾ يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم من القوة وغير ذلك ﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكير﴾.

قوله عز وجل : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ  
وَفَرَدَيْ ثُمَّ تَنَفَّكُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ  
عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى  
كُلِّ شَيْءٍ شهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رِئِي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَٰمِ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبَدِّلُ  
الْبَاطِلَ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ  
إِلَيَّ رِئِي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾ .

०४०

عن قتادة قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً﴾ وتلك الواحدة ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى﴾ رجلاً ورجلين.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين إنك مجنون: ﴿إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةً﴾، أي: إنما أمركم بواحدة، وهي ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى﴾ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة، أي: تقوموا قياماً خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضاً: هل بمحمد من جنون؟ فينصح بعضكم بعضاً، ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ أي ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ، ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر في ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرَادَى﴾ ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ روى الإمام أحمد من حديث بريدة أن رسول الله ﷺ قال: «إنما مثلي ومثلكم مثل قوم خافوا عدواً يأتيهم، فبعثوا رجلاً يترأى لهم، فبينما هو كذلك أبصر العدو، فأقبل لينذرهم وخشي أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه، فأهوى بثوبه: أيها الناس أُنْتِمْ، أيها الناس أُنْتِمْ، ثلاث مرات»<sup>(٢)</sup>؛ وقال ﷺ: «بعثت أنا والساعة جميعاً، إن كادت لتسبقني»<sup>(٣)</sup>.

وعن قتادة قوله: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾، أي: جُعل ﴿فهو لكم﴾ يقول: لم أسألكم على الإسلام جُعللاً ﴿إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ بالوحي ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾ قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: وقوله عز وجل: ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ﴾ أي: بالوحي ﴿عَلَامُ الْغُيُوبِ﴾

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٤٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٤٨/٥) بسند فيه ضعف.

(٣) أخرجه أحمد (٣٤٨/٥) بسند فيه ضعف، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

(٤) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٤٤).



كقوله تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾<sup>(١)</sup>، أي: يرسل الملك على من يشاء من عبادته من أهل الأرض، وهو علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يَعِيدُ﴾، أي: جاء الحق من الله والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحَلَّ، كقوله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾<sup>(٢)</sup> ولهذا لما دخل رسول الله ﷺ المسجد الحرام يوم الفتح، ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة، جعل يطعن الصنم منها بسنّ قوسه ويقول: ﴿وقل جاء زهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً﴾، ﴿قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يَعِيدُ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ قال البغوي<sup>(٤)</sup>: وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له: إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضَلُّ عَلَى نَفْسِي﴾، أي: إثم ضلّالتي على نفسي ﴿وإن اهتديت فيما يوحى إليّ ربّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إنه سميع قريب﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِ ۖ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ ۖ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ ۖ﴾.

(١) سورة غافر: الآية ١٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٨.

(٣) أخرجه البخاري (٢٤٧٨/٢ و ٤٢٨٧ و ٤٧٢٠)، ومسلم (ح/١٧٨١) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٨٥).

عن قتادة عن الحسن قوله: ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾ قال: فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم. وقال قتادة: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب﴾ حين عاينوا عذاب الله. قال البغوي<sup>(١)</sup>: وفي الآية حذف تقديره: لرأيت أمراً تعتبر به.

وعن مجاهد قوله: ﴿وقالوا آمنا به﴾ قالوا: آمنا بالله. وقال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله ﴿آمنا به﴾ يعني آمنا بالله وبكتابه ورسوله.

وعن ابن عباس ﴿وأتى لهم التناوش﴾ قال: يسألون الردّ وليس بحين ردّ. وعن سعيد ﴿وأتى لهم التناوش﴾ قال: التناول. وعن مجاهد قوله: ﴿من مكان بعيد﴾ من الآخرة إلى الدنيا. وعن قتادة ﴿وقد كفروا به من قبل﴾، أي: بالإيمان في الدنيا.

﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾، أي: يرحمون بالظنّ يقولون: لا بعث ولا جنة ولا نار. وعن مجاهد في قوله: ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ قال قولهم: ساحر، بل هو كاهن، بل هو شاعر. ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون﴾ قال: من مال أو ولد أو زهرة ﴿كما فعل بأشياعهم من قبل﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: يعني بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار، أي لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس ﴿إنهم كانوا في شك﴾ من البعث ونزول العذاب بهم ﴿مريب﴾ موقع لهم الريبة والتهمة. قال قتادة: إياكم والشك والريبة، فإن من مات على شك بُعث عليه، ومن مات على يقين بُعث عليه.



(١) المصدر السابق (٣/٤٨٥).

(٢) انظر «جامع البيان» (١٠٩/٢٢).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٣/١١٠).

## الدرس السابع والعشرون بعد المائتين

### ﴿سورة فاطر﴾

وآياتها خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّى  
وَتِلْكَ وَرُبِعٌ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ  
رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ بَيَّأَتْهَا  
النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا  
إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنبِئُوا بِتُفَكُّوتِ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ  
تَرْجِعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ بَيَّأَتْهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ  
بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنَ  
أَحْصَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ  
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَنْ زُينَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنْ أَلَّ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ  
وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَاللَّهُ  
الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّتَنَّى فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ  
النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْغَزَا فَلِلَّهِ الْغَزَا جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ

الْصَّالِحِينَ يَرْفَعُهُمْ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ  
يَبُورُ ﴿١١﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى  
وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ  
عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٢﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ  
أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَاكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ  
فِيهِ مَوَازِيرَ لِيَتَنَبَّهُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولُجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ  
وَيُولُجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى  
ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ  
فِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ  
الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ لَوْلَا يَنْبَثُكُمْ مِثْلُ خَيْرٍ ﴿١٥﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا  
أُولَىٰ أَجْنَحَةٍ مَّتَنَّىٰ وَثَلَّثَ وَرَبَّعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَا  
يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ  
الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

قال ابن عباس: ﴿فاطر السموات والأرض﴾، أي: بديع السموات والأرض؛ وقال: كنت لا أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر، فقال أحدهما لصاحبه: أنا فطرتها، أي بدأتها. ﴿جاعل الملائكة رسلاً أولىٰ أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ قال قتادة: بعضهم له جناحان وبعضهم ثلاثة وبعضهم أربعة ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ قال السدي: يزيد في أجنحتهم ما يشاء؛ وفي الحديث أن «رسول الله ﷺ رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح، بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب»<sup>(١)</sup>. وعن قتادة: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾، أي: من خير ﴿فلا ممسك لها﴾ فلا يستطيع أحد حبسها ﴿وما يمسك فلا مرسل له من بعده﴾ وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ كان يقول دبر كل صلاة مكتوبة: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»<sup>(٢)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَذْكَرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ

(١) سبق تخريجه عند حديث الإسراء الطويل.

(٢) سبق تخريجه.

فَقَدْ كَذَبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُفْرٌ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِن أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَ اللَّهُ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبَ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ .

عن قتادة: ﴿وإن يكذبوك فقد كُذِّبَ رسل من قبلك﴾ يعزي نبيّه كما تسمعون. وعن ابن عباس في قوله: ﴿ولا يغرتكم بالله الغرور﴾ يقول: الشيطان. وعن قتادة قوله: ﴿إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدوًّا﴾ فإنه حقّ على كل مسلم عداوته، وعداوته أن يعاديه بطاعة الله ﴿إنما يدعو حزبه﴾ وحزبه أولياؤه ﴿ليكونوا من أصحاب السعير﴾، أي: ليسوقهم إلى النار فهذه عداوته.

وقوله تعالى: ﴿أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسناً﴾ قال الحسن: الشيطان زَيَّنَ لهم. ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾، أي: لا يحزنك ذلك عليهم ﴿فإن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾. وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿أفمن زُيِّنَ له سوء عمله فرآه حسناً﴾، يعني: الكفار والفجار يعملون أعمالاً سيئة، وهم في ذلك يعتقدون ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، أي: أفمن كان هكذا قد أضلّه الله، ألك فيه حيلة؟ لا حيلة لك فيه ﴿فإن الله يضلّ من يشاء ويهدي من يشاء﴾، أي: بقدره كان ذلك ﴿فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾، أي: لا تأسف على ذلك فإن الله حكيم في قدره، إنما يُضِلّ من يُضِلّ ويهدي من يهدي، لما له في ذلك من الحجة البالغة والعلم التام، ولهذا قال تعالى: ﴿إن الله عليم بما يصنعون﴾.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٤٨).

قوله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَمُقَدِّمَهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ۝٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ ۝١٠ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝١١ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمَنْ كُلَّ لَوْحًا طَرِيفًا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۝١٢ يُوَلِّجُ الْآبِلَ فِي النَّهَارِ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ فِي الْآبِلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ .

عن قتادة قوله: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً﴾ قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة. ﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً﴾ يقول: فليعزز بطاعة الله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ لا يقبل الله قولاً إلا بعمل، مَنْ قَالَ وَأَحْسَنَ الْعَمَلِ قَبْلَ اللَّهِ مِنْهُ. وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال: «إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله تعالى: إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن، حتى يجيء

بهنّ وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير.

وقوله تعالى: ﴿والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد﴾.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى ذكره: والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنّم.

وقوله: ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ يقول: وعمل هؤلاء المشركين يبور، فيبطل فيذهب لأنه لم يكن لله فلم ينفع عامله.

وعن قتادة: ﴿والله خلقكم من تراب﴾، يعني: آدم ﴿ثم من نطفة﴾، يعني: ذريته ﴿ثم جعلكم أزواجاً﴾ فزوج بعضهم بعضاً. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وما يعمر من معمر ولا يُنقص من عمره إلا في كتاب﴾ قال: ألا ترى الإنسان يعيش مائة سنة، وآخر حين يولد؟

وقوله تعالى: ﴿وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج﴾ قال قتادة: والأجاج المرّ. ﴿ومن كلّ تأكلون لحماً طرياً﴾، أي: منهما جميعاً ﴿وتستخرجون حلية تلبسوها﴾ هذا اللؤلؤ ﴿وترى الفلك فيه مواخر﴾ فيه السفن مقبلة ومدبرة بريح واحدة؛ قيل: نسب اللؤلؤ إليهما لأنه يكون في البحر الأجاج عيون عذبة، فيكون اللؤلؤ من بين ذلك.

وعن قتادة: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا. ﴿وسخر الشمس والقمر كلّ يجري لأجل مسمى﴾ لأجل معلوم وحدّ لا يقصر دونه ولا يتعداه ﴿ذلكم الله ربكم له الملك﴾.

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٠/٢٢)، والطبراني (٢٦٦/٩)، والحاكم (٤٢٥/٢)، وصححه

ووافقه الذهبي قلت: وفيه عبد الله بن المخارق وهو مجهول.

(٢) انظر «جامع البيان» (١٢١/٢٢).



قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: وقوله: ﴿ذلِكُمُ الله ربكم﴾ الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم - أيها الناس - الذي لا تصلح العبادة إلا له، وهو الله ربكم.

وقوله: ﴿له الملك﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التام الذي لا شيء إلا وهو في ملكه وسلطانه.

وقوله: ﴿والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون - أيها الناس - من دون ربكم - الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات صفته - ﴿ما يملكون من قطمير﴾ يقول: ما يملكون قشر نواة فما فوقها. وعن قتادة قوله: ﴿إن تدعوهم لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم﴾، أي: ما قبلوا ذلك عنكم ولا نفعوكم فيه ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ إياهم ولا يرضون ولا يقرّون به. ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة. انتهى.

وقد قال تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حُشِر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى: ﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله

(١) المصدر السابق (٢٢/١٢٤).

(٢) سورة الأحقاف: الآية ٥.

(٣) سورة سبأ: الآية ٢٣.

(٤) سورة سبأ: الآية ٤٠.

قال سبحانه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق<sup>(١)</sup>، وقال تعالى: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلّوا السبيل قالوا سبحانه ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ولكن متّعهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً﴾<sup>(٣)</sup>.



---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

(٢) سورة يونس: الآية ٢٩.

(٣) سورة الفرقان: الآية ١٨.

## الدرس الثامن والعشرون بعد المائتين

﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يُمْحَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا نُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْوَانٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ كَذَلِكَ ۚ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ

إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمَوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ

نَصِيرٍ ﴿٣٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ۝١٥ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ۝١٨ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۝١٩ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ۝٢٠ وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ ۝٢١ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ۝٢٢ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ ۝٢٥ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ۝٢٦ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٧﴾ .

عن ابن عباس قوله: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى﴾ يقول: يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً. وعن قتادة قوله: ﴿ومن تزكى فإنما يترقى لنفسه﴾، أي: من يعمل صالحاً فإنما يعمل لنفسه.

وقوله تعالى: ﴿وما يستوي الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾ قال ابن زيد: هذا مثل ضربه الله، فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظل ولا الحرور ولا الأحياء ولا الأموات. وقال ابن عباس: هو مثل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية، يقول: وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور ولا الأموات، فهو مثل

أهل المعصية، ولا يستوي البصير ولا النور ولا الظل والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة. وعن قتادة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع. وقال البغوي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشَاءُ﴾ حتى يتعظ ويعجب: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا: ﴿إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار.

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ﴾ ما من أمة فيما مضى ﴿إِلَّا﴾ خلا ﴿سَلَفٍ﴾ فيها نذير ﴿نَبِيٍّ﴾ منذر ﴿وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر ﴿وَبِالْكِتَابِ﴾ وبالكتاب المنير ﴿الوَاضِحِ﴾ كرر ذلك الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد. ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: إنكاري. وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: ومع هذا كله كذب أولئك رسلهم فيما جاؤوهم به، فأخذتهم، أي: بالعقاب والنكال: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾، أي: فكيف رأيت إنكاري عليهم عظيماً شديداً بليغاً؟ والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

عن قتادة في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا﴾ ألوانها ﴿أَحْمَرٌ وَأَخْضَرٌ وَأَصْفَرٌ﴾: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيَضٌ﴾، أي: طرائق بيض: ﴿وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾، أي: جبال حمرة وبيضاء: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ هو الأسود، يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدواب والأنعام كذلك.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٥٣).

وعن ابن عباس قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ قال: الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير. وقال قتادة: كان يقال: كفى بالرهبة علماً. وقال ابن مسعود: ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية. وقال سعيد ابن جبير: الخشية هي التي تحول بينك وبين معصية الله عز وجل. وقال ابن عباس: العالم بالرحمن من عباده، من لم يشرك به شيئاً، وأحلّ حلاله وحرّم حرامه، وحفظ وصيته، وأيقن أنه ملاقيه ومحاسب بعمله.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾.

عن قتادة قال: كان مطرف إذا مرّ بهذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾ يقول: هذه آية القراء: ﴿لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾. وعن قتادة: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسانتهم.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَهْلَنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ الكتب التي خلت قبله.

وعن ابن عباس قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ﴾ إلى قوله: ﴿الْفَضْلَ الْكَبِيرَ﴾ هم أمة محمد ﷺ، ورثهم الله كل كتاب أنزله. وقال ابن مسعود: «هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام، إلا أنهم لم يشركوا بك، فيقول الرب: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي؛ وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾»<sup>(١)</sup>. وعن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ ذكر هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾. فأما السابق بالخيرات فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغم والحزن، فذلك قوله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَا الْحَزْنَ﴾»<sup>(٢)</sup>. رواه ابن جرير وغيره. قال الزجاج: أذهب الله عن أهل الجنة كل الأحزان، ما كان منها لمعاش أو لمعاد.

وعن قتادة: ﴿الَّذِي أَحْلَلْنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أقاموا فلا يتحولون: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾، أي: وجع: ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ قال ابن عباس: اللغوب العناء.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾<sup>(٣٦)</sup> وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصِيرٍ﴾<sup>(٣٧)</sup>.

عن قتادة: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت: ﴿فَيَمُوتُوا﴾ لأنهم لو ماتوا لاستراحوا: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾. وروى ابن

(١) أخرجه ابن جرير (١٣٤/٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٩٨/٥)، وابن جرير (١٣٧/٢٢)، والحاكم (٤٢٦/١).



جرير وغيره عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، لكن ناساً — أو كما قال — تصيبهم النار بذنوبهم — أو قال: بخطاياهم — فيميتهم إماتة، حتى إذا صاروا فحماً أدن في الشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أهل الجنة فقال: يا أهل الجنة: أفيضوا عليهم، فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل»<sup>(١)</sup>. فقال رجل من القوم: حينئذ كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

قوله تعالى: ﴿وهم يصطرخون﴾، أي: يصيحون: ﴿فيها يقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذي كنا نعمل﴾ فيقول الله لهم توبيخاً: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾ قال ابن عباس: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم أربعون سنة. قال مسروق: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة فليأخذ حذره من الله. وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذر الله عز وجل إلى امرئ آخر عمره حتى بلغ ستين سنة»<sup>(٢)</sup>. رواه البخاري وغيره. وقال قتادة: اعلّموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعيّر بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر﴾ وإن فيهم لابن ثمانين عشرة سنة. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وجاءكم النذير﴾ قال: النذير النبوي، وقرأ: ﴿هذا نذير من النذر الأولى﴾.

قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: وقوله تعالى: ﴿فذوقوا فما للظالمين من نصير﴾، أي: ﴿فذوقوا عذاب النار﴾ جزاء على مخالفتكم للأنبياء في مدة أعماركم، فما لكم اليوم ناصر ينقذكم.



(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٦٤١٩).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٦٠).

## الدرس التاسع والعشرون بعد المائتين

﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُ عَلٰى مِثْقَالِ الْحَبَّةِ الْكَافُورَةِ ۖ إِذَا نَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَافَوْنَ بِالْهَلَكِ أَهْلَهُ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ۖ فَتَبَارَكَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَلِيمُ ۝٣٨﴾  
 ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٣٩﴾  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٤٠﴾  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٤١﴾  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٤٢﴾  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٤٣﴾  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٤٤﴾  
 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُّشْرِكَةٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَكُونُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكَ فِي الْأَرْضِ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُسَبِّحُونَ ۝٤٥﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (٣٨) هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ (٣٩).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يخبر تعالى بعلم غيب السموات والأرض، وأنه يعلم ما تكنه السرائر وما تنطوي عليه الضمائر، وسيجازي كل بعمله؛ ثم قال عز وجل: ﴿هو الذي جعلكم خلائف في الأرض﴾، أي: يخلف قوم لآخرين قبلهم وجيل لجيل قبلهم ﴿فمن كفر فعليه كفره﴾، أي: فإنما يعود وبال ذلك على نفسه دون غيره ﴿ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقتًا﴾، أي: كلما استمروا على كفرهم أبغضهم الله تعالى، وكلما استمروا فيه خسروا أنفسهم وأهلهم يوم القيامة، بخلاف المؤمنين فإنهم كلما طال عمر أحدهم وحسن عمله ارتفعت درجته ومنزلته في الجنة وأحبه خالقه.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ (٤٠) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَا إِن أَرَمَسَكُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنْ بَعْدِهِ إِنَّهُمْ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ (٤١).

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله﴾، أي: من الأصنام والأنداد ﴿أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾، أي: ألهم شيء من ذلك؟ ما

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٦٠).

(٢) المصدر السابق (٣/٥٦١).

يملكون من قطمير. وقوله: ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾، أي: أم أنزلنا عليهم كتاباً بما يقولونه من الشرك والكفر؟ ليس الأمر كذلك ﴿بل إن يعد الظالمون بعضهم بعضاً إلاّ غروراً﴾، أي: بل إنما اتّبِعُوا في ذلك أهواءهم وآراءهم وأمانيتهم التي تمنّوها لأنفسهم، وهي غرور وباطل وزور.

ثم أخبر تعالى عن قدرته العظيمة التي بها تقوم السماء والأرض عند أمره، وما جعل فيهما من القوة الماسكة لهما فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾، أي: أن تضطربا عن أماكنهما، كما قال عز وجل: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾<sup>(١)</sup> وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾<sup>(٢)</sup>؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ إِنْ أَمْسَكُنَّاهُ مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾، أي: لا يقدر على قوامهما وإبقائهما إلاّ هو، وهو مع ذلك حلیم غفور، أي: يرى عباده وهم يكفرون به ويعصونه وهو يحلم فيؤخر ويُنْظِرُ، ويؤجل ولا يعجل، ويستتر آخرين ويغفر، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ قال: وثبت في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ يَخْفُضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ النَّهَارِ وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النَّورُ أَوْ النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»<sup>(٣)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾<sup>(٤)</sup> أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الحج: الآية ٦٥.

(٢) سورة الروم: الآية ٢٥.

(٣) سبق تخريجه.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾، يعني: كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا: لعن الله اليهود والنصارى اتهم الرسل فكذبوهم، وأقسموا بالله وقالوا: لو أتانا رسول الله لنكوننّ أهدي ديناً منهم، وذلك قبل مبعث النبي ﷺ، فلما بُعث محمد كذبوه فأنزل الله عز وجل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿ليكوننّ أهدي من إحدى الأمم﴾ يعني من اليهود والنصارى ﴿ولما جاءهم نذير﴾ محمد ﷺ ﴿ما زادهم إلّا نفوراً﴾، أي: ما زادهم مجيئه إلّا تباعداً عن الهدى ﴿استكباراً في الأرض﴾ نَصَبَ «استكباراً» على البدل من «النفور». ﴿ومكر السيئ﴾، يعني: العمل القبيح، أضيف المكر إلى صفته؛ قال الكلبي: هو اجتماعهم على الشرك، وقتل النبي ﷺ. ﴿ولا يحق المكر السيئ﴾، أي: لا يحل ولا يحيط المكر السيئ ﴿إلّا بأهله﴾ فقتلوا يوم بدر. وقال ابن عباس: عاقبة الشرك لا تحل إلّا بمن أشرك، والمعنى: أن وبال مكرهم راجع عليهم ﴿فهل ينظرون إلّا سنة الأولين﴾ إلّا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار؟ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقال محمد بن كعب القرظي: ثلاث من فعلهنّ لم ينج حتى ينزل به: مَنْ مَكَرَ أَوْ بَغَى أَوْ نَكَثَ وتصديقها في كتاب الله ﴿ولا يحق المكر السيئ إلّا بأهله﴾ ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ ﴿ومن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾.

وقوله تعالى: ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً﴾ قال بعضهم: والتبديل تغيير الصورة مع بقاء المادة، والتحويل نقل الشيء من مكان إلى مكان آخر. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: وقوله عز وجل: ﴿فهل ينظرون إلّا سنة الأولين﴾، يعني: عقوبة الله لهم على تكذيبهم رسله ومخالفتهم أمره ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً﴾، أي: لا تغير ولا تبدل بل هي جارية كذلك في كل مكذب ﴿ولن تجد

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤٩٥).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/٥٦٢).

(٣) المصدر السابق (٣/٥٦٢).

لَسَنَّهُ اللَّهُ تَحْوِيلًا ﴿٤٤﴾، أي: وإذا أراد بقوم سوء أ فلا مردّ له ولا يكشف ذلك عنهم ويحوّله عنهم أحد. والله أعلم.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٥﴾ وَلَوْ يُوَازِخُذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٦﴾﴾.

عن قتادة: ﴿وكانوا أشدّ منهم قوة﴾ يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم. ﴿وما كان الله ليعجزه﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي ليفوت عنه ﴿من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان علماً قديراً﴾. ﴿ولو يواخذ الله الناس بما كسبوا﴾ من الجرائم ﴿ما ترك على ظهرها﴾، يعني: على ظهر الأرض، كناية عن غير مذكور ﴿من دابة﴾ كما كان في زمان نوح، أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح.

﴿ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أهل طاعته وأهل معصيته. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ﴿ولكن يؤخّرهم إلى أجل مسمّى﴾، أي: ولكن يُنظّرهم إلى يوم القيامة فيحاسبهم يومئذ، ويوفي كل عامل بعمله، فيجازي بالثواب أهل الطاعة وبالعقاب أهل المعصية، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً﴾.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٤٩٦/٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٦٢/٣).

## الدرس الثلاثون بعد المائتين

### ﴿سورة يس﴾

مكية وهي ثلاث وثمانون آية

روى البزار وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء قلباً، وقلب القرآن يس»<sup>(١)</sup>. وعن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله عز وجل غفر له»<sup>(٢)</sup>. رواه ابن حبان في صحيحه.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَس ١﴾ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ نَزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا

(١) أخرجه البزار كما في «مختصر زوائد البزار» (ح/١٥٤٩) بسند ضعيف. وبنحوه مرفوعاً من حديث أنس رضي الله عنه، أخرجه الترمذي (ح/٢٨٨٧) والقضاعي (ح/١٠٣٥)، قال أبو حاتم: «حديث باطل لا أصل له» انظر «العلل» (٢/٥٦). قال الترمذي «وفي الباب عن أبي بكر الصديق ولا يصح من قبل إسناده، إسناده ضعيف».

(٢) أخرجه ابن حبان (ح/٢٥٦٥) كما في «الإحسان»، بسند ضعيف، وأخرجه الطبراني في «الصغير» (ح/٤٠٩)، والبيهقي في الشعب (٢/٤٨٠)، بسند ضعيف من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا نُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخِشَى الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴿١٢﴾ وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اتْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا نَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرْنَا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْفَوِرُ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْتَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً إِن يَرِدْني الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنَّي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْ تَأْمَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَنْحَسِرُونَ عَلَى أَعْيُنِنَا مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنْ كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدُنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿يَسَّ ١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣﴾ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَنْعِقِهِمْ أَغْلَلاً فَهِىَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاتَاهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ١٢﴾ .

عن قتادة ﴿والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ فسم، كما تسمعون ﴿إنك لمن المرسلين على صراط مستقيم﴾، أي: على الإسلام ﴿تنزيل العزيز الرحيم﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: قرأ ابن عامر وحمة والكسائي وحفص «تنزيل» بنصب اللام، كأن قال: نزل تنزيلاً؛ وقرأ الآخرون بالرفع، أي: هو تنزيل العزيز الرحيم.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون﴾ يعني بهم العرب، فإنه ما أتاهم من نذير من قبله، وذكرهم وحدهم لا ينفي من عداهم، كما أن ذكر بعض الأفراد لا ينفي العموم، وقد تقدم ذكر الآيات والأحاديث المتواترة الدالة على عموم بعثته ﷺ عند قوله تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٣/٤).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٦٣/٣).

وقال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿لقد حقّ﴾ وجب العذاب ﴿على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ هذا كقوله: ﴿ولكن حقّت كلمة العذاب على الكافرين﴾. وعن قتادة قوله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون﴾، أي: فهم مضللون عن كل خير ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً﴾ قال: ضلالات ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ هدى ولا ينتفعون به. وعن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلنّ ولأفعلنّ، فأنزلت ﴿إنا جعلنا في أعناقهم﴾ إلى ﴿فهم لا يبصرون﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد فيقول: أين هو، أين هو؟ لا يبصر.

وقوله تعالى: ﴿سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشّره بمغفرة وأجر كريم﴾ قال قتادة: واتباع الذكر اتباع القرآن. وقوله تعالى: ﴿إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا﴾ قال قتادة: من عمل. وعن مجاهد ﴿ما قدموا﴾ أعمالهم وآثارهم، قال: خطاهم بأرجلهم. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «يا بني سلمة، دياركم تُكتب آثاركم»<sup>(٢)</sup>. رواه مسلم وغيره. وعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من سنّ في الإسلام سنّة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنّة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»<sup>(٣)</sup>. وعن قتادة قوله: ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ محصى عند الله في كتاب.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٤).

(٢) أخرجه مسلم (ح/٦٦٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح/١٠١٧).

قوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطِيرُنَا بِكُمْ لَيْنَ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجِمَنَّكُمْ وَلِنَمَسِّنَّكُمْ مِمَّا عَذَابُ آيَةٍ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾.

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه قال: كان بمدينة أنطاكية فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس، يعبد الأصنام صاحب شرك، فبعث الله المرسلين وهم ثلاثة: صادق ومصدق وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته اثنان فكذبوهما ثم عزز الله بثالث، فلما دعت الرسل ونادته بأمر الله وصدعت بالذي أمرت به وعابت دينه وما هم عليه، قال لهم ﴿إنا تطيرنا بكم لنن لهم لنتنهموا لندرجنكم وليمسنكم منا عذاب آليم﴾ قالت لهم الرسل ﴿طائركم معكم﴾، أي: أعمالكم معكم. وعن قتادة ﴿أئن ذكركم﴾، أي: إن ذكرناكم الله تطيرتم بنا؟ ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقَوِرَ أَنْبَعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَنْبَعُوا مَنْ لَا يَسْتَلْكُمُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَلَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنْئِي إِذَا لَفِيَ ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنْئِي أَمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله عز وجل: ﴿وَجَاءَهُ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾ وهو حبيب النجار. وقال السدي: كان قصّاراً. وقال وهب: كان رجلاً يعمل الحرير وكان سقيماً قد أسرع فيه الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفاً لعياله ويتصدق بنصفه، فلما بلغه أن قومه قد قصدوا قتل المرسلين جاءهم ﴿قال يا قوم اتَّبِعُوا المرسلين اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مِهْتَدُونَ﴾ قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد الله، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون على هذا أجراً؟ قالوا: لا. فأقبل على قومه: ف ﴿قال يا قوم اتَّبِعُوا المرسلين اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مِهْتَدُونَ﴾ فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن باللههم؟ فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾؟

وقال ابن إسحاق فيما بلغه: ناداهم بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضره غيره فقال: ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون أأخذ من دونه آلهة﴾؟ ثم عابها فقال: ﴿إن يردن الرحمن بضر﴾ وشدة ﴿لا تغن عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون إني آمنت بربكم﴾ الذي كفرتم به ﴿فاسمعون﴾ قال: فوثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه، واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه ﴿قيل ادخل الجنة﴾ قال ابن مسعود: قال الله له: ادخل الجنة، فدخلها حياً يرزق فيها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصّبها، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته وكرامته ﴿قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾ قال قتادة: فلا تلقى المؤمن إلا ناصحاً ولا تلقاه غاشاً.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ (٢٨) إِنَّ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ (٢٩) يَحْسَرَةُ عَلَى

(١) انظر «معالم التنزيل» (٧/٤).

الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٠﴾ .

قال ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن مسعود قال: غضب الله له — يعني لهذا المؤمن لاستضعافهم إياه — غصبة لم تُبْقِ من القوم شيئاً، فعجل لهم النعمة بما استحلوا منه وقال: ﴿وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين﴾ يقول: ما كثرناهم بالجموع، أي الأمر أيسر علينا من ذلك ﴿إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم خامدون﴾ فأهلك الله ذلك الملك وأهل أنطاكية، فبادوا عن وجه الأرض فلم تبق منهم باقية.

وعن قتادة ﴿يا حسرة على العباد﴾، أي: يا حسرة العباد على أنفسهم على ما ضيعت من أمر الله وفرطت في جنب الله ﴿ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون﴾ قال مجاهد: كانت حسرة عليهم استهزاؤهم بالرسول. وعن قتادة ﴿ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون﴾ قال: عاد وثمود وقارون وقرون بين ذلك كثير ﴿وإن كل لَمَّا جميع لدينا محضرون﴾، أي: يوم القيامة.



## الدرس الواحد والثلاثون بعد المائتين

﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي تَحْيِيهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾  
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا  
مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ  
كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ الَّتِي  
نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ  
تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا  
الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا الَّتِي سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ  
يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَيُّ لَّهُمُ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ  
مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَلِنْ نُنْفِزْهُمْ فَلَا يَصْرِحُوا لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا  
وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾  
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ انْفِقُوا  
مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطَعِمُكُمْ مِنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ  
أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٧﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ الْأَرْضُ الَّتِي أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ .

يقول تعالى: ﴿وَأَيُّ لَهُمْ﴾، أي: دلالة واضحة على وحدانية الله تعالى وقدرته التامة وإحيائه الموتى ﴿الارض الميتة أحييناها﴾ بالمطر: ﴿وأخرجنا منها حبا﴾ يعني الحنطة وغيرها ﴿فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات﴾ بساتين ﴿من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره﴾، أي: من ثمر المذكور ﴿وما عملته أيديهم﴾، أي: لم تعمل الثمر. وقال في جامع البيان: ﴿وما عملته أيديهم﴾، أي: الثمر لم عمله أيدي الناس، بل خلق الله، ولهذا قال: ﴿أفلا يشكرون؟﴾ وعن بعض: أن «ما» موصولة، عطف على ثمره، والمراد ما يتخذ منه كالذبس. ﴿سبحان الذي خلق الأزواج﴾ الأنواع ﴿كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم﴾ الذكر والأنثى: ﴿ومما لا يعلمون﴾ من مخلوقات شتى.

قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيرِ ﴿٣٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ .

قوله تعالى: ﴿وَأَيَّاهُمْ الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: وذلك أن الأصل هي الظلمة، والنهار دَخَلٌ، فإذا غربت الشمس سلخ النهار من الليل فتظهر الظلمة. وعن قتادة قوله: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها﴾ قال: وقت واحد لا تعدوه. وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال ﷺ: «يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾»<sup>(٢)</sup>. رواه البخاري وغيره. وفي رواية أحمد: «فإنها تذهب حتى تسجد بين يدي ربها عز وجل، فتستأذن في الرجوع فيؤذن لها، وكأنها قد قيل لها: ارجعي من حيث جئت، فترجع إلى مطلعها، وذلك مستقرّها، ثم قرأ: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها﴾». وفي رواية البغوي: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿والشمس تجري لمستقرّ لها﴾»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن جرير<sup>(٤)</sup>: وقوله: ﴿ذلك تقدير العزيز العليم﴾ يقول: هذا الذي وصفنا من جري الشمس لمستقرّ لها، تقدير العزيز في انتقامه من أعدائه، العليم بمصالح خلقه وغير ذلك من الأشياء كلها، لا تخفى عليه خافية.

وعن الحسن في قوله: ﴿والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم﴾ قال: كعذق النخلة إذا قدم فأنحنى.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٩/٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (ح/٣١٩٩)، وأحمد (٥/١٥٢ و ١٧٧)، والبغوي في «تفسيره» (٩/٤) — (١٠).

(٤) انظر «جامع البيان» (٦/٢٣).



وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ثم قال جل وعلا: ﴿والقمر قدرناه منازل﴾، أي: جعلناه يسير سيراً آخر يُستدلّ به على مضيّ الشهور، كما أن الشمس يُعرف بها الليل والنهار، كما قال عز وجل: ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾<sup>(٢)</sup>، وقال تعالى: ﴿هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك إلاّ بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون﴾<sup>(٣)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾ قال مجاهد: لكل منهما حدّ لا يعدوه ولا يقصّر دونه، إذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا، وإذا ذهب سلطان هذا جاء سلطان هذا ﴿ولا الليل سابق النهار﴾ قال الضحاك: لا يذهب الليل من ههنا حتى يجيء النهار من ههنا: ﴿وكلّ في فلّك يسبحون﴾ قال ابن عباس: يجرون في فلّكة كفلكة المغزل. وقال مجاهد: الفلّك كحديدة الرّحى أو كفلكة المغزل لا يدور المغزل إلاّ بها، ولا تدور إلاّ به.

قوله عز وجل: ﴿وَأَيُّ لَٰهُمۡ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي الْفُلۡكِ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُمۡ مِنۡ مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِنۡ نَّشَأۡ نُغْرِقَهُمۡ فَلَا صَرِيحَ لَهُمۡ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾.

قال البغوي<sup>(٤)</sup>: والمراد بالذرية الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد: ﴿في الفلّك المشحون﴾، أي: المملوء، وأراد سفينة نوح، وهؤلاء من نسل من حُمل مع نوح وكانوا في أصلابهم. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: تدرون ما ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾؟ قلنا: لا، قال: هي

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٥٧٢).

(٢) سورة البقرة: الآية ١٨٩.

(٣) سورة يونس: الآية ٥.

(٤) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ١٠).

السفن جعلت لهم من بعد سفينة نوح على مثلها. وقال السدي: ألا ترى أنه قال: ﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون﴾؟ قال قتادة: أي لا مُغيث لهم: ﴿إلا رحمة منا ومتاعاً إلى حين﴾، أي: إلى الموت.

قال البغوي: يعني إلا أن يرحمهم ويمتّعهم إلى حين آجالهم.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا الَّذِي كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْظِعِم مِّنْ لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾ قال ابن عباس: ﴿ما بين أيديكم﴾ يعني الآخرة فاعملوا لها ﴿وما خلفكم﴾ يعني الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها. وقيل: ﴿ما بين أيديكم﴾ وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم: ﴿وما خلفكم﴾ عذاب الآخرة، وهو قول قتادة ومقاتل. ﴿لعلكم تُرحمون﴾ والجواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عن دليله ما بعده: ﴿وما تأتيتهم من آية من آيات ربهم﴾، أي: دلالة على صدق محمد ﷺ ﴿إلا كانوا عنها معرضين﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ أعطاكم الله ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم﴾ أنرزق ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾؟ وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوه لله من حروثهم وأنعامهم قالوا: ﴿أنطعم﴾ أنرزق: ﴿من لو يشاء الله أطعمه﴾ رزقه ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نطعم من لم يطعمه الله، وهذا إنما يتمسك به البخلاء يقولون: لا نعطي من حرمه الله؛ وهذا الذي يزعمون باطل لأن

(١) المصدر السابق (٤/١١).

الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاءً، فمَنع الدنيا من الفقير لا بُخْلاً، وأمر الغنيّ بالإنفاق لا حاجةً إلى ماله ولكن ليبلو الغنيّ بالفقير فيما أمر وفرض له في مال الغنيّ، ولا اعتراض على مشيئة الله وحكمه في خلقه ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ يقول الكفار للمؤمنين: ما أنتم إِلَّا في خطأ بَيِّن في اتباعكم محمداً وترك ما نحن عليه. انتهى والله أعلم.



## الدرس الثاني والثلاثون بعد المائتين

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ٤٨ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ٥٠ وَيُنْفِخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ٥١ قَالُوا يَتَوَلَّانا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ٥٢ إِنْ كُنَّا إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ ٥٣ فَالْيَوْمَ لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٥٤ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهُونَ ٥٥ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّلٍ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَكِفُونَ ٥٦ لَهُمْ فِيهَا فَكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ٥٨ وَأَمْتَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ٥٩ أَلَمْ نَعْهِدْ إِلَىٰكُمْ يَبْنَىٰءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٠ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ٦٢ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ٦٤ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ٦٥ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ٦٦ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَائَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ٦٧ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ٦٨ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَلْبِغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ٦٩ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ

الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِنَّا عَمَلَتْ أَيْدِيَنَا أَنْعَمًا فَهُمْ  
لَهَا مَلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ  
وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّهُمْ  
يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُنْحَضُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ  
قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ  
نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُنحِي  
الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ  
عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْشَأْتُمُوهُ تُوَفَّدُونَ ﴿٨٠﴾  
أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ  
الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ  
الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَهُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ٤٨ ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ ٤٩ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ ٥٠.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾، أي: القيامة والبعث ﴿إن كنتم صادقين﴾. قال الله تعالى: ﴿ما ينظرون﴾، أي: ينتظرون ﴿إلا صيحة واحدة﴾ قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى ﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾، يعني: يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق. قال: وروينا أن النبي ﷺ قال: «لتقوم الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد رفع الرجل أكلته إلى فيه فلا يطعمها»<sup>(٢)</sup>. وعن قتادة: ﴿فلا يستطيعون توصية﴾، أي: فيما في أيديهم ﴿ولا إلى أهلهم يرجعون﴾ قال: أعجلوا عن ذلك.

قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ ٥١ ﴿قَالُوا يَا بَنِيَّائِنَا مِنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ ٥٢ ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ ٥٣ ﴿فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ٥٤.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿ونفخ في الصور﴾ وهي النفخة الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة.

(١) انظر «معالم التنزيل» (١١/٤).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (١٢/٤).

وعن قتادة: ﴿فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾، أي: القبور. ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يقول: يخرجون ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ قال: هذا قول أهل الضلالة والرقدة ما بين النفختين ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ قال: أهل الهدى ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾. قال البغوي: وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها، صار عذاب القبر في جنبها كالنوم ﴿فَقَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾، يعني: النفخة الأخيرة ﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾.

عن ابن عباس: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَهُونٍ﴾ قال: افتضاض الأبقار ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ﴾ قال: هي السرر في الحجال ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ قال البغوي: يتمنون ويشتهون ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ أي يسلم الله عليهم ﴿قَوْلًا﴾، أي: يقول الله لهم قولاً. ثم روى بسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «بيننا أهل الجنة في نعيمهم، إذ سطع لهم نور، فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾ فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم فيبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (ح/١٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٨/٦ و ٢٠٩)، والبخاري (ح/٢٢٥٣)، والبغوي في «تفسيره» (١٣/٤)، بسند ضعيف.

قوله عز وجل: ﴿وَأَمَّا نَزْوِئُ الْيَوْمِ أُتِيهَا الْمَجرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ يَعْهَدُوا لِيَوْمِ هَذَا يَسْبِقَ أَعْدَمُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِجَلًا كَثِيرًا أَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامة، أمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان﴾ الآية. إلى قوله: «هذه جهنم التي كنتم توعدون» ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ فيتميز الناس ويبحثون، وهي قول الله ﴿وترى كل أمة جاثية﴾ الآية<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير. وقوله تعالى: ﴿ألم أعهد إليكم يا بني آدم﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: «ألم أمركم يا بني آدم ﴿أن لا تعبدوا الشيطان﴾، أي: لا تطيعوا الشيطان في معصية الله؟ ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ ظاهر العداوة ﴿وأن اعبدوني﴾ أطيعوني ووحّدوني ﴿هذا صراط مستقيم﴾. «ولقد أضلّ منكم جبلاً كثيراً»، أي: خلقاً كثيراً ﴿ألم تكونوا تعقلون﴾ ما أتاكم من هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس؟ ويقال لهم لما دنوا من النار ﴿هذه جهنم التي كنتم توعدون﴾ بها في الدنيا ﴿اصلوها﴾ ادخلوها ﴿اليوم بما كنتم تكفرون اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾ هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل بقولهم: ما كنا مشركين، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم. انتهى.

(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/٢٢) بسند ضعيف.

(٢) المصدر السابق (٤/١٣).



وروى مسلم وغيره في حديث أبي هريرة (الطويل): «ثم يلقي الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك آمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع، قال فيقال له: ألا نبعث عليك شاهداً؟ فيفكر في نفسه: من الذي يشهد عليه؟ فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي، قال: فتنتطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق ليعذر من نفسه، وذلك الذي يسخط الله تعالى عليه»<sup>(١)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ﴾ (١٦) ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ (١٧) ﴿وَمَنْ نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ (١٨) ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ (١٩) ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (٢٠).

عن قتادة قوله: ﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط﴾، أي: الطريق ﴿فأنى يبصرون﴾ يقول: لو شئنا لتركناهم عمياً يترددون ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم﴾، أي: لأفعدناهم على أرجلهم ﴿فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ فلم يستطيعوا أن يتقدموا ولا يتأخروا ﴿ومن نعمه ننكسه في الخلق﴾ يقول: من نمذ له في العمر ننكسه في الخلق ﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾، يعني: الهرم ﴿أفلا يعقلون﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الناس يقدر على البعث بعد الموت. وعن قتادة قوله: ﴿وما علمناه الشعر وما ينبغي له﴾ قال: قيل لعائشة: هل كان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: «كان أبغض الحديث إليه، غير أنه كان يتمثل بيت أخيه بني قيس، فيجعل آخره أوله وأوله آخره، فقال أبو بكر: إنه ليس

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٩٦٨).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/١٥).

هكذا، فقال نبي الله: «إني والله ما أنا بشاعر، ولا ينبغي لي»<sup>(١)</sup>، والبيت المشار إليه قول طرفة:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿إِنْ هُوَ﴾، يعني: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ في الفرائض والحدود والأحكام ﴿لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾، يعني: مؤمناً حي القلب، لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر. ﴿وَيُحَقِّقُ الْقَوْلَ﴾ وتجب حجة العذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ قال ابن كثير: أي هو رحمة للمؤمنين وحجة على الكافرين.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَصَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزَنُونَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ تولّينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد ﴿أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون قاهرون، أي: لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرّون على ضبطها بل هي مسخرة لهم،

(١) أخرجه ابن جرير (٢٧/٢٣) بسند ضعيف. وينحوه عند أحمد (٣١/٦ و ١٤٦) عنها: «كان إذا استراحت الخبر تمثل فيه بيت طرفة: ويأتيك بالأخبار من لم تزود». وفيه انقطاع، وينحوه عند أحمد (١٣٨/٦ و ١٥٦ و ٢٢)، والترمذي (ح/٢٨٤٨) وفيه: «هل كان ﴿يُحَقِّقُ﴾ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل بشعر ابن رواحة...»، وسنده ضعيف، لكن قال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) المصدر السابق (١٥/٤).

(٣) المصدر السابق (١٦/٤).

وهو قوله: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا لِهَمٍّ﴾ سَخَرْنَاهَا لِهَمٍّ ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾، أي: ما يركبون وهي الإبل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ لِحِمَانِهَا ﴿وَلِهَمٍّ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾، أي: من أصوافها وأوبارها ونسلها ومشارب من ألبانها ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ رب هذه النعم؟ وقال ابن جرير<sup>(١)</sup> يقول: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمتي هذه وإحساني إليهم بطاعتي، وإفراد الألوهية لي والعبادة، وترك طاعة الشيطان وعبادة الأصنام؟

وقوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يَنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى منكراً على المشركين في اتخاذهم الأنداد آلهة مع الله، يبتغون بذلك أن تنصرهم تلك الآلهة وترزقهم وتقربهم إلى الله زلفى، قال الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، أي: لا تقدر الآلهة على نصر عابديها، بل هي أضعف من ذلك وأقل وأذل وأحق وأدحر، بل لا تقدر على الانتصار لأنفسها ولا الانتقام ممن أرادها بسوء، لأنها جماد لا تسمع ولا تعقل.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ قال مجاهد: يعني عند الحساب، يريد أن هذه الأصنام محشورة مجموعة يوم القيامة محضرة عند حساب عابديها، ليكون ذلك أبلغ في حزنهم وأدلّ عليهم في إقامة الحجة عليهم. وقال قتادة: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ﴾، يعني: الآلهة ﴿وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحْضَرُونَ﴾ والمشركون يغضبون للآلهة في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً ولا تدفع عنهم شراً. وقوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾، أي: تكذيبهم لك وكفرهم بالله ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يَسْرُونَ وَمَا يَعْلَنُونَ﴾ وسنجازيهم على أعمالهم.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ نُطْفَةً فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُعْزِي الْعَظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ

(١) انظر «جامع البيان» (٢٩/٢٣).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٨٠/٣).

الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِنْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا  
أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ  
وَالِإِيَّاهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ .

قال مجاهد وغيره: جاء أبي بن خلف — لعنه الله — إلى رسول الله ﷺ وفي  
يده عظم رميم، وهو يفتنه ويدروه في الهواء وهو يقول: يا محمد أتزعم أن الله  
يبعث هذا؟ قال ﷺ: «نعم. يُميتك الله تعالى ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار»  
ونزلت هذه الآيات من آخر سورة يس ﴿أولم ير الإنسان أن خلقناه من نطفة﴾ إلى  
آخرهن<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿فإذا هو خصيم مبين﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: جدل بالباطل بين  
الخصومة، يعني: أنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدو خلقه  
حتى يدع الخصومة! ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾ بدء أمره ﴿قال من يحيي  
العظام وهي رميم﴾ بالية؟ ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم.  
الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا﴾ قال ابن عباس: هما شجرتان يقال  
لإحدهما: المرخ والأخرى العفار، فمن أراد منهم النار قطع منهما غصنين مثل  
السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فتخرج  
منهما النار بإذن الله عز وجل؛ تقول العرب: في كل شجر نار، واستمجد المرخ  
والعفار. ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ تقدحون وتوقدون النار في ذلك الشجر. ثم ذكر  
ما هو أعظم من خلق الإنسان فقال: ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر  
على أن يخلق مثلهم بلى﴾، أي قل: بل هو قادر على ذلك ﴿وهو الخلاق﴾ يخلق

(١) أخرجه ابن جرير (٣٠/٢٣) مرسلًا، وروي مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنه: أخرجه

ابن جرير (٣١/٢٣) بسند ضعيف.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (١٦/٤).

خلفاً بعد خلق ﴿العليم﴾ بجميع ما خلق ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده الملكوت﴾ ملك ﴿كل شيء وإليه ترجعون﴾ وعن حذيفة رضي الله عنه قال: «قمت مع رسول الله ﷺ ذات ليلة فقرأ السبع الطوال في سبع ركعات، وكان ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال: سمع الله لمن حمده ثم قال: الحمد لله ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة؛ وكان ركوعه مثل قيامه، وسجوده مثل ركوعه، فانصرف وقد كادت تنكسر رجلاي»<sup>(١)</sup>. رواه أحمد. وفي حديث عوف بن مالك عند أبي داود: «ثم ركع بقدر قيامه يقول في ركوعه: سبحان ذي الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة؛ ثم سجد بقدر قيامه، ثم قال في سجوده مثل ذلك»<sup>(٢)</sup>. وعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرأوا على موتاكم سورة يس»<sup>(٣)</sup>. رواه البغوي وغيره. والله أعلم.



(١) أخرجه أحمد (٣٨٨/٥) بسند حسن، وبنحوه من حديث عوف بن مالك، وسيأتي تخريجه، وبنحوه عن حذيفة — أيضاً — أنه صلى مع رسوله ﷺ من الليل فلما دخل في الصلاة قال: «الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة». أخرجه أحمد (٣٩٨/٥)، وأبو داود (ح/٨٧٤)، والترمذي في الشمائل (ح/٢٧٦)، والنسائي (٢/١٩٩)، وابن ماجه (ح/٨٩٧)، والحاكم (١/٢٧١ و ٣٢١) وصححه ووافقه الذهبي، وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤/٦)، وأبو داود (ح/٨٧٣)، والترمذي في الشمائل (ح/٣١٤)، والنسائي (٢/١٩١)، وله شاهد من حديث حذيفة السابق، فهو حديث حسن.

(٣) سبق تخريجه، وهو حديث ضعيف.

## الدرس الثالث والثلاثون بعد المائتين

### ﴿سورة الصافات﴾

مكية، وهي مائة وثمانون آية

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف ويؤمنا بالصافات»<sup>(١)</sup>. رواه النسائي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١﴾ فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۝٢﴾ فَالَّتِيلَتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ  
لَوَاحِدٌ ۝٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۝٥﴾ إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا  
بِزِينَةِ الْكَوْكَبِ ۝٦﴾ وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۝٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى  
وَيُقَدِّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ۝٨﴾ دُخُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ  
شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ فَاسْتَفْنِهِمْ أَهْمٌ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَّنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّنْ طِينٍ  
لَّازِبٍ ۝١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً  
يَسْتَسْخَرُونَ ۝١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ أَوَدَا مِنَّا وَكُنَّا نُرَابًا وَعِظْمًا أَوَدَا

(١) أخرجه أحمد (٢٦/٢ و ٤٠)، وعنه ابنه قراءة عليه (١٥٧/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٤٠/٦)، وأبو يعلى (٣٣٤/٩)، والطبراني (٢٠٦/١٢)، والبيهقي (١١٨/٣)، وهو حديث حسن.

لَتَبْعُوهُنَّ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَالِعِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَنْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَايُونَ ﴿٣٢﴾ فَأَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَهَ هَٰذَا لَشَاعِرٍ يُجْنُونَ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ مَكْرُمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّتِ النَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْفَوْنَ ﴿٤٧﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهَٰذَا لَمِنْ الْمَصْدِقِينَ ﴿٥٢﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا إِهْنَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأَطْلَعَ قَرَاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا رِجْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُمْ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَمَا نَحْنُ بِمَبْتَلِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوَلَّتْنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِيُنْزِلَ هَٰذَا فَلْيَعْمَلَ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَدْلَاكَ خَيْرٌ تَزُولُ أَمْ شَجَرَةٌ الزُّقُومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ

الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا قَمَارٌ مِنْهَا  
الْبُطُونِ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾  
إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ ❖

\* \* \*



قوله عز وجل: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۖ﴾ ١ ﴿فَالزَّجَرَاتِ زَجْرًا ۖ﴾ ٢ ﴿فَالثَّلِيلَاتِ ۖ﴾ ٣ ﴿ذِكْرًا ۖ﴾ ٤ ﴿إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ ۖ﴾ ٥ ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ ۖ﴾ ٦ ﴿الْمَشْرِقِ ۖ﴾ ٧ .

عن قتادة ﴿والصافات صفا﴾ قال: قَسَمٌ، أقسم الله بخلقي ثم خلقي، ﴿والصافات﴾ الملائكة صفوفاً في السماء. وعن مجاهد في قوله: ﴿فالزاجرات زجراً﴾ قال: الملائكة ﴿فالثليات ذكراً﴾ قال: الملائكة. وعن قتادة ﴿إن إلهكم لواحد﴾ وقع القسم على هذا ﴿إن إلهكم لواحد﴾. ﴿رب السموات والأرض وما بينهما ورب المشارق﴾ قال: مشارق الشمس في الشتاء والصيف.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا زَيْنَا السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرِيزَةِ الْكَوْكَبِ ۖ﴾ ٨ ﴿وَحِفْظًا مِّنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۖ﴾ ٩ ﴿لَّا يَسْمَعُونَ إِلَى الْأَعْلَىٰ وَيُقَذَّفُونَ مِّنْ كُلِّ جَانِبٍ ۖ﴾ ١٠ ﴿دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۖ﴾ ١١ ﴿إِلَّا مَن خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۖ﴾ ١٢ .

عن قتادة قوله: ﴿وحفظاً من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملاء الأعلى﴾ قال: مُنِعُواها ﴿ويُقذفون من كل جانب دحوراً﴾ قذفاً قذفاً بالشهب ﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي دائم ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب﴾ من نار، وثقوبه ضوؤه. قال ابن عباس: لا يقتلون بشهاب ولا يموتون، ولكنهم تحرقهم من غير قتل وتخلل وتجرح.

قوله عز وجل: ﴿فَأَسْتَفْهِمُ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا ۖ أَمْ مَن خَلَقْنَا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ۖ﴾ ١٣ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۖ﴾ ١٤ ﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۖ﴾ ١٥ ﴿وَإِذَا رَأَوْا آيَةً ۖ﴾ ١٦

يَسْتَخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَوَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَوَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ أَبَاؤُنَا أَوَّلُونا ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَوَيْلَنَا هَذَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿٢١﴾ احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ أَلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ .

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: ﴿فاستفتهم﴾ يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: فاستفت يا محمد هؤلاء المشركين الذين ينكرون البعث بعد الممات والنشور بعد البلاء، يقول: فسلمهم ﴿أهم أشد خلقاً﴾ يقول: أخلقهم أشد خلقاً أم من عددنا خلقه من الملائكة والشياطين والسموات والأرض؟ وعن ابن عباس قوله: ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ قال: هو الطين الحرّ الجيد اللزق.

وعن قتادة ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ قال: عجب محمد عليه السلام من هذا القرآن حين أعطيه وسخر منه أهل الضلالة ﴿وإذا ذُكروا لا يذكرون﴾، أي: لا يتفعلون ولا يبصرون ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ يسخرون منها ويستزهنون ﴿وقالوا إن هذا إلا سحر مبين إذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمبعوثون أو أبأونا الأولون﴾ تكذيباً بالبعث ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾، أي: صاغرون ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ قال السدي: هي النفخة ﴿فإذا هم ينظرون وقالوا يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ قال قتادة: يدين الله فيه العباد بأعمالهم ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ يعني يوم القيامة.

وعن ابن عباس قوله: ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ يعني أتباعهم ومن أتبعهم من الظلمة ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ قال قتادة:

(١) انظر «جامع البيان» (٢٣/٤١).

الأصنام ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ قال ابن عباس يقول: وجَّهوهم. وقال ابن مسعود: وليس أحد من الخلق كان يعبد من دون الله شيئاً إلا وهو مرفوع له يتبعه، قال: فَيَلْقَى اليهود فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد عزيزاً؟ فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم. فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم قرأ: ﴿إنا عرضنا جهنم للكافرين عرضاً﴾ قال: ثم يَلْقَى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: المسيح، فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون: نعم. فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب، ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئاً، ثم قرأ عبد الله ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾.

وعن قتادة قوله: ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ لا والله لا يتناصرون ولا يدفع بعضهم عن بعض ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ في عذاب الله.

قوله عز وجل: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ<sup>(٢٧)</sup> قَالُوا إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ<sup>(٢٨)</sup> قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ<sup>(٢٩)</sup> وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ<sup>(٣٠)</sup> فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا<sup>(٣١)</sup> إِنَّا لَذَٰبِقُونَ<sup>(٣٢)</sup> فَاعْوِذْكُمْ إِنَّا كُنَّا غٰوِينَ<sup>(٣٣)</sup> فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ<sup>(٣٤)</sup> إِنَّا كَذٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ<sup>(٣٥)</sup> إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ<sup>(٣٦)</sup> وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نَرٰكَوْءَ الْهَيْتَنَا لِشَاعِرٍ<sup>(٣٧)</sup> تَجْحُنُومِ<sup>(٣٨)</sup> بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ<sup>(٣٩)</sup>﴾.

عن ابن عباس ﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ يقولون: كنتم تقهرونا بالقدرة منكم علينا، لأننا كنا أذلاء وكنتم أعزاء. وقال مجاهد: يعني عن الحق، والكفار تقولون للشياطين ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: تقول القادة من الجن والإنس للأتباع: ما الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥/٤).

للإيمان قابلة للكفر والعصيان ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾، أي: من حجة على صحة ما دعوناكم إليه.

﴿بل كنتم قوماً طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ يقول الكبراء للمستضعفين: حقت علينا كلمة الله، إنا كنا من الأشقياء الذائقين للعذاب يوم القيامة ﴿فأغويناكم﴾، أي: دعوناكم إلى الضلالة ﴿إنا كنا غاوين﴾ أي فدعوناكم إلى ما نحن فيه فاستجبتم لنا؛ قال الله تبارك وتعالى: ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾، أي: الجميع في النار كل بحسبه ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا﴾، أي: في الدنيا ﴿إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾، أي: أن يقولوها كما يقولها المؤمنون. وعن قتادة ﴿ويقولون أننا لتركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ يعنون محمداً ﷺ ﴿بل جاء بالحق﴾ بالقرآن ﴿وصدق المرسلين﴾ أي صدق من كان قبله من المرسلين. قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي أنه أتى بما أتى به المرسلون قبله.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ (٣٨) ﴿وَمَا تَجْزُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (٣٩) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٤٠) ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ﴾ (٤١) ﴿فَوَكَّهٌ وَهُمْ مَكْرُمُونَ﴾ (٤٢) ﴿فِي جَنَّاتٍ النَّعِيمِ﴾ (٤٣) ﴿عَلَى سُرُرٍ مُنْقَلَبِينَ﴾ (٤٤) ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّنْ مَّعِينٍ﴾ (٤٥) ﴿بَيضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ﴾ (٤٦) ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ﴾ (٤٧) ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ﴾ (٤٨) ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ (٤٩).

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى مخاطباً للناس: ﴿إنكم لذائقوا العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ ثم استثنى من ذلك عباده المخلصين، كما قال

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٢٢).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٦/٤).

تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خَسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن قتادة ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ قال: هذه ثنية الله ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ في الجنة ﴿فواكه وهم مكرمون. في جنات النعيم. على سرر متقابلين. يطاف عليهم بكأس من معين﴾ قال قتادة: كأس من خمر جارية، والمعين هي الجارية ﴿بيضاء لذة للشاربين لا فيها غَوْلٌ﴾ قال مجاهد: وجع بطن ﴿ولا هم عنها يتزفون﴾ قال قتادة يقول: ليس فيها وجع بطن ولا صداع رأس. وقال السدي: لا تنزف عقولهم.

وعن قتادة ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ قال: قصر طرفهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم. وعن السدي في قوله ﴿عين﴾ قال: عظام العين ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال: البيض حين يقشر قبل أن تمسه الأيدي.

قوله عز وجل: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَأَتَكَ لِمَنِ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ إِذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْمًا أَوْنَا لَمَذِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّظْلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ قَرَاءَهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٥٧﴾ أَمْ أَفَأَنخُنَّ بِمِيتَتَيْنِ ﴿٥٨﴾ وَلَا مَوْلَانَا أَوَّلَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾.

عن قتادة ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون﴾ قال: أهل الجنة. وعن ابن عباس قوله: ﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين يقول أئتتك لمن المصدقين﴾ قال: هو الرجل المشرك يكون له الصاحب في الدنيا من أهل الإيمان، فيقول له المشرك: إنك لتصدق بأنك مبعوث من بعد الموت ﴿إذا كنا

تراباً؟ فلما أن صاروا إلى الآخرة وأدخل المؤمن الجنة، وأدخل المشرك النار.

﴿فاطلع﴾ المؤمن فرأى صاحبه ﴿في سواء الجحيم﴾ وسطها ﴿قال تالله إن كدت لتردين. ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾. قال قتادة: أي في عذاب الله، ﴿أفما نحن بميتين. إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: هذا من كلام المؤمن، مغتبطاً بما أعطاه الله تعالى من الخلد في الجنة والإقامة في دار الكرامة، بلا موت فيها ولا عذاب، ولهذا قال عز وجل ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ وعن قتادة قوله: ﴿أفما نحن بميتين﴾ إلى قوله: ﴿الفوز العظيم﴾ قال: هذا قول أهل الجنة.

قوله عز وجل: ﴿لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ ﴿٦١﴾ ﴿أَذَلَّكَ خَيْرٌ نَزْلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ ﴿٦٢﴾ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ ﴿٦٣﴾ ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٤﴾ ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رِئُوسُ الشَّيْطَانِ﴾ ﴿٦٥﴾ ﴿فَأَنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا فَمَا لَوْ أَنَّ مِنَ الْبُطُونِ﴾ ﴿٦٦﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ ﴿٦٧﴾ ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ ﴿٦٨﴾ ﴿إِنَّهُمْ أَفْقَاءٌ أَبَاءَ هُمْ ضَالِّينَ﴾ ﴿٦٩﴾ ﴿فَهُمْ عَلَىٰ أَثَرِهِمْ يَنرَعُونَ﴾ ﴿٧٠﴾.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى ذكره: ﴿لمثل هذا﴾ الذي أعطيت هؤلاء المؤمنين من الكرامة في الآخرة ﴿فليعمل﴾ في الدنيا لأنفسهم ﴿العاملون﴾ ليدركوا ما أدرك هؤلاء بطاعة ربهم.

وعن قتادة ﴿أذلك خير نزلاً أم شجرة الزقوم؟﴾ حتى بلغ ﴿في أصل الجحيم﴾ قال: لما ذكر شجرة الزقوم افتتن الظلمة فقالوا: يبتئكم صاحبكم هذا أن في النار شجرة، والنار تأكل الشجرة، فأنزل الله ما تسمعون ﴿إنها شجرة تخرج في

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٨/٤).

(٢) انظر «جامع البيان» (٦٢/٢٣).

أصل الجحيم ﴿غُذِّيتْ بِالنَّارِ وَمِنْهَا خُلِقَتْ﴾ ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ ﴿شَبَّهَهُ بِذَلِكَ﴾ ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يَكُلُونَ مِنْهَا فَمَا لَثَوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ قال ابن عباس: يعني شرب الحميم على الزقوم، وقال السدي: الشوب الخلط وهو المزج.

وعن قتادة قوله: ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ مَرْجَعُهُمْ لِإِلَى الْجَحِيمِ﴾ فهم في عناء وعذاب من نار جهنم، وتلا هذه الآية ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آناً﴾ إنهم ألفوا آباءهم ضالِّين فهم على آثارهم يُهْرَعُونَ ﴿قال مجاهد: أي يسرعون إسراعاً في ذلك﴾.



## الدرس الرابع والثلاثون بعد المائتين

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٧٤) ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَبَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (٧٨) ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوْحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١) ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخِرِينَ﴾ (٨٢) ﴿وَإِن مِّن شَيْعَةٍ لَّيَبْرِهِيمَ﴾ (٨٣) ﴿إِذْ جَاءَ رَبُّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٨٤) ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ (٨٥) ﴿أَفِضْكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ (٨٦) ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (٨٧) ﴿فَنَظَرَةٌ فِي النَّجُومِ﴾ (٨٨) ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ (٨٩) ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ (٩٠) ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِنَّهْمُ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ (٩١) ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ (٩٢) ﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ﴾ (٩٣) ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزِفُونَ﴾ (٩٤) ﴿قَالَ اتَّعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ﴾ (٩٥) ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٩٦) ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْفُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾ (٩٧) ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٩٨) ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (٩٩) ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٠٠) ﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِيمٍ حَلِيمٍ﴾ (١٠١) ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ (١٠٢) ﴿قَالَ يَتَابَتِ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١٠٣) ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٤) ﴿وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابَرِهِيمَ﴾ (١٠٥) ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٦) ﴿إِن كُنتُمْ هَٰؤُلَاءُ لَتَّابِلُونَ﴾ (١٠٧) ﴿وَقَدْ بَيَّنَّاهُ بِدَنِيحٍ عَظِيمٍ﴾ (١٠٨) ﴿وَوَكَّلْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ (١٠٩) ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ



إِبْرَاهِيمَ ﴿١١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّكُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ  
بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ  
وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١٢٣﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٧١) ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ (٧٢) ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ (٧٣) ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٧٤).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾، أي: من الأمم الخالية ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنْذِرِينَ﴾ الكافرين، أي: كان عاقبتهم العذاب ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ قال السدي: الذين استخلصهم الله. قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: واستثنى عباد الله من المنذرين لأن معنى الكلام: فانظر كيف أهلكنا المنذرين إلا عباد الله المؤمنين، فلذلك حسن استثناءهم منهم.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ (٧٥) ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (٧٦) ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ﴾ (٧٧) ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ سَلَامٌ﴾ (٧٨) ﴿عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٧٩) ﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨٠) ﴿إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨١) ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ (٨٢).

عن قتادة: ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾ قال: أجابه الله. وعن السدي: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ قال: من الغرق. وعن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمُ الْبَاقِينَ﴾ قال: «سام وحام ويافث»<sup>(٢)</sup> قال قتادة: فالناس كلهم من ذرية نوح. وعن ابن عباس قوله: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ يقول: يُذَكَّرُ بخير ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ إنا كذلك

(١) انظر «جامع البيان» (٦٦/٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (ح/ ٣٢٣٠) وحسنه، وابن جرير (٦٧/٢٣) بسند ضعيف.

نجزي المحسنين ﴿ قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين. وعن قتادة: ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾ قال: أنجاه الله ومن معه في السفينة وأغرق بقية قومه.

قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَكُن مِّنْ شَائِعِيهِ إِذْ يَنهَىٰ عَنِ الْفَحْشَىٰ وَالْمُنكَرِ ۚ إِنِّي فَتَوِّضُ عَنْهُمْ وَهُمْ يُنْهَوْنَ ۚ﴾ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبُّكَ بِقَلْبِ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَفَكَاةً إِلَٰهَةٌ دُونَ اللَّهِ تَرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمِ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ صَرْبًا بِأَلْيَمِينَ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا ابْنُوا لَنَا قُلُوبًا قَالُوا قُلُوبُهُمْ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿وان من شيعته لإبراهيم﴾ يقول: من أهل دينه. وقال مجاهد: على منهاجه وسنته. وعن قتادة: ﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾ واللّه من الشرك ﴿إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أثفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أنكر عليهم عبادة الأصنام والأنداد ولهذا قال: ﴿أثفكاً آلهة دون الله تريدون فما ظنكم برب العالمين﴾ قال قتادة يعني: ما ظنكم أنه فاعل بكم إذا لقيتموه وقد عبدتم معه غيره؟

وقال البغوي<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم، فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع، وكانوا يدخلون على أصنامهم ويفرشون لهم

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/١٢).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/٢٦).

الفراش ويضعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم زعموا التبرك عليه، فإذا انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج غداً معنا إلى عيدنا؟ فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم. قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون فراراً عظيماً: ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾ إلى عيدهم فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها، كما قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إِلَى آلِهِتِهِمْ﴾ مال إليها ميلاً في خفية، فقال استهزاء بها: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني الطعام الذي بين أيديكم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ فراغ عليهم ضرباً باليمين، أي: كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال ﴿فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ﴾ يسرعون، وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بالهتيم فأسرعوا إليه ليأخذوه، قال لهم إبراهيم على وجه الحجاج ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحَتُونَ﴾ بأيديكم ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ بأيديكم من الأصنام: ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بَنِيَانًا فَاُلْقُوهُ فِي الْحَجِيمِ﴾ قال مقاتل: بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً وعرضه عشرون ذراعاً، وملأوه من الحطب وأوقدوا فيه النار فطرحوه فيها ﴿فَارَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ شراً، وهو أن يحرقوه ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَسْفَلِينَ﴾، أي: المقهورين، حيث سلم الله تعالى إبراهيم وردّ كيدهم. انتهى ملخصاً.

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم عليه الصلاة والسلام غير ثلاث كذبات: اثنتين في ذات الله تعالى قوله: إني سقيم، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا، وقوله في سارة: هي أختي»<sup>(١)</sup>. متفق عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٢١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَؤُا بَنِيَّ أَرَىٰ فِي السَّمَاءِ أَنَّىٰ أُذْجَبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَكْتَابُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٢٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنِ يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٢٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ

(١) أخرجه البخاري (ح/ ٣٣٥٧ و ٣٣٥٨)، ومسلم (ح/ ٢٣٧١).

عَظِيمٌ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن دُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن خليله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: أنه بعدما نصره الله تعالى على قومه وأيس من إيمانهم بعدما شاهدوا من الآيات العظيمة، هاجر من بين أظهرهم: ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين، رب هب لي من الصالحين﴾ يعني أولاداً مطيعين يكونون عوضاً من قومه وعشيرته الذين فارقه، قال الله تعالى: ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ وهذا الغلام هو إسماعيل عليه السلام، فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم، وهو أكبر من إسحاق، باتفاق المسلمين وأهل الكتاب.

وعن ابن عباس: ﴿فلما بلغ معه السعي﴾ لما شت حتى بلغ سعيه، سعي إبراهيم. قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا أصمعي، أين ذهب عقلك؟ متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه. وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه: يا بني خذ الحبل والمدية نطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثبير أخبره بما أمر: ﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾.

﴿فلما أسلما﴾ انقادا وخضعا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه ﴿وتلّه للجبين﴾ قال ابن عباس: أضجعه على جبينه على الأرض. وعن قتادة: ﴿وتلّه للجبين﴾، أي: وكتبه لفيه وأخذ الشفرة: ﴿وناديه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا﴾ حتى بلغ: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (١٤/٤).

وقوله تعالى: ﴿إنا كذلك نجزي المحسنين﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: هكذا نصرف عمن أطاعنا المكاره والشدائد ونجعل لهم من أمرهم فرجاً ومخرجاً ﴿إن هذا لهو البلاء المبين﴾، أي: الاختبار الواضح الجلي حيث أمر بذبح ولده فسارع إلى ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وفديناه بذبح عظيم﴾ قال مجاهد: سمّاه عظيماً لأنه متقبّل. قال ابن عباس: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قرّبه ابن آدم. وقال ابن زيد في قوله: ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ قال: سأل إبراهيم فقال: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾ قال: فترك الله عليه الثناء الحسن في الآخرين، كما ترك اللسان السوء على فرعون وأشباهه، كذلك ترك اللسان الصدق والثناء الصالح على هؤلاء.

﴿سلام على إبراهيم كذلك نجزي المحسنين، إنه من عبادنا المؤمنين، وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: لما تقدّمت البشارة بالذبيح وهو إسماعيل، عطف بذكر البشارة بأخيه إسحاق، وقد ذكرت في سورتي هود والحجر. وقوله تعالى: ﴿وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين﴾ كقوله تعالى: ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾.



(١) المصدر السابق (١٦/٤).

(٢) المصدر السابق (١٨/٤).

## الدرس الخامس والثلاثون بعد المائتين

﴿ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ  
 الْعَظِيمِ ﴿١١٦﴾ وَنَصَرْنَاهُمُ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ  
 مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا  
 الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَأَنْتُمْ أَكْفَرُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُونَ  
 بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾  
 فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾  
 سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾  
 وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ جَعَلْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾  
 ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِالْأَيْلَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾  
 وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ  
 الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾  
 لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَبَدَّلْنَاهُ بِالْعُرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ  
 شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُوكَ ﴿١٤٧﴾ فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ  
 إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ .

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٨﴾ وَجَعَلْنَاهُمَا قَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٩﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَاكْنُؤُوا هُمُ الْفَٰلِقِينَ ﴿١٢٠﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١٢١﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٢٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٣﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٥﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ .

وعن قتادة: ﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾، أي: من آل فرعون ﴿وآتيناها الكتاب المستبين﴾ التوراة ﴿وهديناهما الصراط المستقيم﴾ الإسلام.

قوله عز وجل: ﴿وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٧﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ تَنَافُوتَ ﴿١٢٨﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَلْقِينَ ﴿١٢٩﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ مُحْضَرُونَ ﴿١٣١﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٣٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٣٣﴾ سَلَّمْنَا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣٤﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ .

عن مجاهد في قوله: ﴿أتدعون بعلاً﴾ قال: رباً. وقال ابن زيد: بعل صنم كانوا يعبدونه، كانوا يعبلك وهم وراء دمشق وكان بها البعل الذي كانوا يعبدون. وقال ابن إسحاق عن وهب بن منبه: أن الله قبض حزقيل وعظمت في بني إسرائيل أحداث، ونسوا ما كان من عهد الله إليهم، حتى نصبوا الأوثان وعبدوها دون الله، فبعث الله إليهم إلياس بن ياسين<sup>(١)</sup> بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران

(١) في (الأصل): «نسبي»، وفي تفسير ابن كثير: «نسي»، وفي تفسير البغوي: «بشر»، =



نبيّاً، وإنما كانت الأنبياء من بني إسرائيل بعد موسى يُبعثون إليهم بتجديد ما نسوا من التوراة، فكان إلياس مع ملك من ملوك بني إسرائيل يقال له أحاب، وكان اسم امرأته أربل وكان يسمع منه ويصدقّه، وكان إلياس يقيم له أمره، وكان سائر بني إسرائيل قد اتخذوا صنماً يعبدونه من دون الله يقال له بعل. قال ابن إسحاق: وقد سمعت بعض أهل العلم يقول: ما كان بعل إلا امرأة يعبدونها من دون الله.

يقول الله لمحمد: ﴿وإن إلياس لمن المرسلين إذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلاً وتذرون أحسن الخالقين الله ربك ورب آبائكم الأولين﴾ فجعل إلياس يدعوهم إلى الله وجعلوا لا يسمعون منه شيئاً، إلا ما كان من ذلك الملك، والملوك متفرقة بالشام، كل ملك له ناحية منها يأكلها، فقال ذلك الملك — الذي كان إلياس معه يقوم له أمره ويراه على هدى من بين أصحابه — يوماً: يا إلياس، والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً، والله ما أرى فلاناً وفلاناً بعد، وملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله، إلا على مثل ما نحن عليه، يأكلون ويشربون وينعمون مملكين، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل، فيزعمون والله أعلم أن إلياس استرجع، وقام شعر رأسه وجلده، ثم رفضه وخرج عنه، ففعل ذلك الملك فعل أصحابه، عبد الأوثان وصنع ما يصنعون، فقال إلياس: اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا أن يكفروا بك والعبادة لغيرك، فغير ما بهم من نعمتك، أو كما قال.

وقوله تعالى: ﴿فكذبوه فإنهم لمحضرون إلا عباد الله المخلصين﴾ قال ابن جرير<sup>(١)</sup> يقول: فإنهم لمحضرون في عذاب الله فيشهدونه، إلا عباد الله الذين

= والمثبت من تفسير ابن جرير (٩٢/٢٣)، وتاريخه (٢٧٣/١)، والكامل لابن الأثير

(١١٨/١)، والبداية والنهاية (٣٣٧/١).

(١) انظر «جامع البيان» (٩٤/٢٣).

أخلصهم من العذاب. ﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾ يقول: وأبقينا عليه الثناء الحسن في الآخرين من الأمم بعده. وعن السدي: ﴿سلام على إلياسين﴾ قال: إلياس.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ لَوْطًا لَّمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٣ ﴿إِذْ بَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ﴾ ١٣٤ ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَدِيرِ﴾ ١٣٥ ﴿ثُمَّ دَمَرْنَا الْأَخْرِينَ﴾ ١٣٦ ﴿وَوَائِكُمْ لَتَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾ ١٣٧ ﴿وَبِالْأَيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ١٣٨.

عن قتادة: ﴿وإنكم لتمرّون عليهم مصبحين﴾ قال: نعم والله، صباح ومساء يطؤونها وطأ. من أخذ من المدينة إلى الشام، أخذ على سدوم قرية قوم لوط.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿أفلا تعقلون﴾ قال: أفلا تفكرون ما أصابهم في معاصي الله أن يصيبكم ما أصابهم؟.

قوله عز وجل: ﴿وَلَوْ يُؤُسُّ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ ١٣٩ ﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ ١٤٠ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ﴾ ١٤١ ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحَوْتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ١٤٢ ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ﴾ ١٤٣ ﴿لَلِثَّ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ١٤٤ ﴿فَبَدَّنَهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ١٤٥ ﴿وَأَبْلَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ ١٤٦ ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ ١٤٧ ﴿فَتَأَمَّلُوا مَتَعْنَهُمْ إِلَى حِينٍ﴾ ١٤٨.

عن قتادة في قوله: ﴿إلى الفلك المشحون﴾ كنا نحدث أنه الموقر. ﴿فساهم﴾ فكان من المدحضين. قال: فاحتبست السفينة فعلم القوم أنها احتبست من حدث أحدثوه، فتساهموا ففرع يونس فرمى بنفسه ﴿فالتقمه الحوت وهو ملِيمٌ﴾، أي: في ضعة. قال ابن زيد: والمليم المذنب.

وعن ابن عباس قوله: ﴿فكان من المدحضين﴾ يقول: من المقروعين. وقال البغوي<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿وإن يونس لمن المرسلين﴾، أي: من جملة رسل الله

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٣٦).

﴿إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾، يعني: هرب. قال ابن عباس ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمتواري منهم، فقصد البحر فركب السفينة فاحتبست السفينة، فقال الملاحون: ههنا عبد أبق من سيده فاقترعوا ثلاثاً فوقعت القرعة على يونس، فقال يونس: أنا الآبق، وزج نفسه في الماء.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿فساهم﴾، أي: قارع ﴿فكان من المدحضين﴾، أي: المغلوبين؛ وذلك أن السفينة تلعب بها الأمواج من كل جانب وأشرفوا على الغرق، فساهموا على من تقع عليه القرعة يلقي في البحر لتخف بهم السفينة، فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه الصلاة والسلام ثلاث مرات، وهم يضمنون به أن يلقي من بينهم، فتجرد من ثيابه ليلقي نفسه وهم يأبون عليه ذلك، وأمر الله تعالى حوتاً من البحر الأخضر أن يشق البحار وأن يلتقم يونس عليه السلام، فلا يهشم له لحماً ولا يكسر له عظماً، فجاء ذلك الحوت وألقى يونس نفسه فالتقمه الحوت وذهب به فطاف به البحار كلها، ولما استقر يونس في بطن الحوت حسب أنه قد مات، ثم حرك رأسه ورجليه وأطرافه فإذا هو حي، فقام فصلّى في بطن الحوت، وكان من جملة دعائه: يا رب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يبلغه أحد من الناس. وعن قتادة: ﴿فلولا أنه كان من المستبحين﴾ كان كثير الصلاة في الرخاء فنجاه الله بذلك. قال: وقد كان يقال في الحكمة: إن العمل الصالح يرفع صاحبه إذا ما عثر، فإذا صرع وجد مُكِّئاً. وعن أنس مرفوعاً: «أن يونس النبي حين بدا له أن يدعو الله بالكلمات، حين ناداه وهو في بطن الحوت فقال: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فأقبلت الدعوة تحت العرش، فقالت الملائكة: يا رب هذا صوت ضعيف معروف في بلاد غريبة، قال: أما تعرفون ذلك؟ قالوا: يا رب ومن هو؟ قال: ذلك عبدي يونس. قالوا: عبدك يونس الذي لم يزل يُرفع له عمل متقبّل ودعوة مستجابة! قالوا: يا رب أو لا يُرحم

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٠/٤).

بما كان يصنع في الرخاء فتنجيهِ من البلاء؟! قال: بلى. فأمر الحوت فطرحه بالعراء<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير.

وعن قتادة قوله: ﴿اللبث في بطنه إلى يوم يبعثون﴾ لصار له بطن الحوت قبراً إلى يوم القيامة. ﴿فنبذناه بالعراء﴾ قال: بأرض ليس فيها شيء ولا نبات. وعن ابن عباس قال: خرج به — يعني الحوت — حتى لفظه في ساحل البحر، فطرحه مثل الصبي المنغوس لم ينقص من خلقه شيء. وعن السدي ﴿وهو سقيم﴾ كهيئة الصبي. وعن سعيد ابن جبير في قوله: ﴿وأنبثنا عليه شجرة من يقطين﴾ قال: كل شيء ينبت على وجه الأرض ليس له ساق. قال قتادة: كنا نحدث أنها الدباء — هذا القرع الذي رأيت — أنبتها الله عليه يأكل منها. وعن ابن عباس في قوله: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ قال: بل يزيدون كانوا مائة ألف وثلاثين ألفاً. قال قتادة: أرسل إلى أهل نينوى من أهل الموصل، قال: قال الحسن: بعثه الله قبل أن يصيبه ما أصابه ﴿فآمنوا فمّتناهم إلى حين﴾ الموت.



(١) أخرجه ابن جرير (٢٣/١٠٠) بسند ضعيف.

## الدرس السادس والثلاثون بعد المائتين

﴿ فَاسْتَفْتِهِم أَرَبَّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴾ ١٤٩ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ  
 إِنْسًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ١٥٠ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهِمْ يَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ اللَّهِ وَإِنَّهُمْ  
 لَكَاذِبُونَ ١٥٢ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥  
 أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ١٥٦ فَأَنُوتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٥٧ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ  
 نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٥٨ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ١٥٩ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ١٦٠ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ١٦١ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ  
 الْجَحِيمِ ١٦٣ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحْنُ  
 الْمُسَبِّحُونَ ١٦٦ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ  
 الْمُخْلَصِينَ ١٦٩ فَكْفَرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ١٧٠ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ١٧١  
 إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ١٧٤ وَأَبْصُرْهُمْ  
 فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ١٧٥ أَفَعَذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ١٧٦ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِبِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ١٧٧  
 وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ ١٧٨ وَأَبْصُرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ١٧٩ سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا  
 يَصِفُونَ ١٨٠ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ١٨١ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٨٢ ﴿

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿فَاسْتَفْتِهِم أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأَتُوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلُصِينَ ﴿١٦٠﴾ .

عن قتادة: ﴿فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون﴾ يعني مشركي قريش. قال ابن زيد: سلمهم. وقال السدي: كانوا يعبدون الملائكة. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تبارك وتعالى: ﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾، أي: كيف حكموا على الملائكة أنهم إناث وما شاهدوا خلقهم؟! كقوله جلّ وعلا: ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتب شهادتهم ويسألون﴾.

وعن قتادة: ﴿ألا إنهم من إفكهم﴾ يقول: من كذبهم: ﴿ليقولون ولَدَ الله وإنهم لكاذبون، أصطفى البنات على البنين ما لكم كيف تحكمون﴾؟ يقول: كيف يجعل لكم البنين ولنفسه البنات؟ ﴿أفلا تذكرون أم لكم سلطان مبين﴾، أي: عذر بين؟ وعن السدي في قوله: ﴿سلطان مبين﴾ قال: حجة: ﴿فأتوا بكتابكم إن كنتم صادقين﴾. ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ قال مجاهد: قال كفار قريش: الملائكة بنات الله فسأل أبو بكر: من أمهاتهن؟ فقالوا: بنات سروات الجن: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ إنها ستحضر الحساب. وقال السدي: إن هؤلاء الذين قالوا هذا: ﴿لمحضرون﴾ لمعذبون.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٢٢/٤).

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله جلّت عظمتة: ﴿سبحان الله عما يصفون﴾، أي: تعالى وتقدس وتنزه عن أن يكون له ولد، وعما يصفه به الظالمون الملحدون علواً كبيراً.

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ﴾ استثناء منقطع، وهو من مثبت إلا أن يكون الضمير في قوله تعالى: ﴿عما يصفون﴾ عائداً إلى الناس جميعهم، ثم استثنى منهم المخلصين وهم المتبعون للحق المنزل.

قوله عز وجل: ﴿فَإِن كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ مَا أَشْرَعْتُمْ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ۖ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ۚ وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۚ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ ۚ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ۚ وَإِن كَانُوا لَيَقُولُونَ ۖ لَوْ أَنَّا عِدْنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ ۖ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمَخْلَصِينَ ۖ فَكُفِّرُوا بِنِيعَةٍ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين إلا من هو صال الجحيم﴾ يقول: ما أنتم بفاتنين على أوثانكم أحداً إلا من قد سبق له أنه صال الجحيم. وقال الحسن: ما أنتم عليه بمضلين إلا من كان في علم الله أنه سيصلى الجحيم. وعن السدي في قوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ قال الملائكة. وعن عائشة قالت: قال نبي الله ﷺ: «ما في سماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم فذلك قول الملائكة: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم وإنا نحن الصافون وإنا نحن المسبحون﴾»<sup>(٢)</sup>. رواه ابن جرير.

وعن قتادة قوله: ﴿وإن كانوا ليقولون لو أن عندنا ذكراً من الأولين لكنا عباد الله المخلصين﴾ قال: قد قالت هذه الأمة ذاك قبل أن يبعث محمد ﷺ: لو كان

(١) المصدر السابق (٢٣/٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (١١٢/٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (ح/٥٠٨) بسند ضعيف، لكن له شاهد من حديث أبي ذر — وهو صحيح — وحكيم بن حزام رضي الله عنهما، وقد سبق تخريجهما.

عندنا ذكر من الأولين لكننا عباد الله المخلصين، فلما جاءهم محمد كفروا به: ﴿فسوف يعلمون﴾ وقال ابن عباس: لما جاء المشركين من أهل مكة ذكر الأولين وعلم الآخرين كفروا بالكتاب: ﴿فسوف يعلمون﴾ يقول: قد جاءكم محمد بذلك فكفروا بالقرآن، وبما جاء به محمد.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَعِذَابُنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصَرَهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾﴾.

عن قتادة: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون﴾ قال: سبق هذا من الله لهم أن ينصرهم. وعن السدي في قوله: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون﴾ يقول: بالحجج: ﴿فتول عنهم حتى حين﴾ قال: حتى يوم بدر.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾ يقول: أنظرهم فسوف يبصرون ما لهم بعد اليوم، يقول: يبصرون يوم القيامة ما ضيعوا من أمر الله، وكفرهم بالله ورسوله وكتابه؛ قال: «فأبصرهم» «وأبصر» واحد. وقال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿وأبصرهم﴾ إذا أنزل بهم العذاب: ﴿فسوف يبصرون﴾ فقالوا: متى هذا العذاب؟ فقال الله عز وجل: ﴿أفعبادنا يستعجلون فإذا نزل بساحتهم فساء صباح المنذرين﴾ قال: وذكر قول النبي ﷺ حين صبح أهل خيبر «الله أكبر، خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»<sup>(٢)</sup>؛ ثم كرر ما ذكر تأكيداً لوعيد العذاب، فقال: ﴿وتول عنهم حتى حين وأبصر﴾ العذاب إذا نزل بهم: ﴿فسوف يبصرون﴾.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤١٩٨)، ومسلم (٣/١٤٢٦ - ١٤٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه.



قوله عز وجل: ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾ .

عن قتادة: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون﴾، أي: عما يكذبون، يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان: ﴿وسلام على المرسلين﴾ قال رسول الله ﷺ: «إذا سلمتم عليّ فسلموا على المرسلين، فإنما أنا رسول من المرسلين»<sup>(١)</sup>. وعن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه قال: من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه في مجلسه: ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾<sup>(٢)</sup>.

• • •

(١) أخرجه ابن جرير (١١٦/٢٣) عن قتادة مرسلًا، وروي موصولًا من حديث أبي طلحة رضي الله عنه مرفوعًا، أخرجه ابن أبي حاتم كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٢٥/٤)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٤٠/٤) بسند ضعيف جدًا.

## الدرس السابع والثلاثون بعد المائتين

### ﴿سورة ص﴾

مكية، وهي ثمان وثمانون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۝١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ۝٢ كَرَاهَلِكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَوْلَا تَحِيُّنُ الْمَوْتِ ۝٣ وَجِئُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ ۝٤ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ آمَسُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهِتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِ اللَّهِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ ۝٧ أَمْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩ أَمْ لَهُمْ مِثْلُكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۝١٠ جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۝١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ۝١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ۝١٣ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرَّسُولَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مِمَّا لَهَا مِنْ فَوَاقِ ۝١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ۝١٦ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ۝١٧ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ۝١٨ وَالطَّيْرِ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ۝١٩﴾

وَشَدَدْنَا مُلْكَكُمْ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ  
سُورُوا الْمِحْرَابِ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَحْزَنْ خَصِمَانِ بَعَثْنَا  
عَلَى بَعْضِ فَأَحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ  
تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَجَّةً وَلِي نَجَّةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ  
ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَجِيكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ  
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا  
وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّثَابٍ ﴿٢٥﴾ يٰدَاوُدُ إِنَّا  
جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ  
اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَّا نُسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا  
خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ  
النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ  
الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو  
الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾

\* \* \*

قوله عز وجل : ﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ۚ﴾ ١ ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ وَشِقَاقِي ۖ﴾ ٢ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحِثْ عَلَيْنَا ۖ وَتَعِجُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ۖ﴾ ٣ ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۖ﴾ ٤ ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۖ﴾ ٥ ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آلِئِمَّةٍ الْآخِرَةِ إِن هَذَا إِلَّا أُخْلَقُ ۖ﴾ ٦ ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا ۚ بَلْ فِي شَاكٍ مِنْ ذِكْرِي ۚ بَلْ لَمَّا يَبْذُوقُوا عَذَابِ ۖ﴾ ٧ ﴿أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۖ﴾ ٨ ﴿أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ۖ﴾ ٩ ﴿جُنْدٌ مَاهُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ ۖ﴾ ١٠

عن ابن عباس ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ ذي الشرف. وعن قتادة ﴿ذي الذكر﴾ أي ما ذكر فيه. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ولا منافاة بين القولين، فإنه كتاب شريف مشتمل على التذكير والإعذار والإنذار. وعن قتادة ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق﴾، أي: في حمية وفراق؛ قال: وهنا وقع القَسَم.

وقوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَلَا تَحْنِمْهُمْ﴾ قال ابن عباس: ليس بحين تَرَوْهُ ولا فرار، ضَبَطَ القوم. وقال قتادة: نادى القوم على غير حين نداء، وأرادوا التوبة حين عاينوا عذاب الله، فلم يقبل منهم ذلك.

وقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ قال قتادة: يعني محمداً ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَافِرِينَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ قال: عجب المشركون أن دُعوا إلى الله وحده وقالوا: يسمع لحاجتنا جميعاً إله

(۱) انظر «تفسير القرآن العظيم» (۴/۲۶).

واحد؟ ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾. وعن ابن عباس قال: لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا ويفعل ويفعل، ويقول ويقول، فلو بعثت إليه فنهيته، فبعثت إليه، فجاء النبي ﷺ فدخل البيت، وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل، فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرفق له عليه، فوثب فجلس في ذلك المجلس، ولم يجد رسول الله ﷺ مجلساً قرب عمه فجلس عند الباب، فقال له أبو طالب: أي ابن أخي ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم وتقول وتقول قال: فأكثرُوا عليه من القول، وتكلم رسول الله ﷺ فقال: «يا عم، إني أريدكم على كلمة واحدة يقولونها تدين لهم بها العرب وتؤدي إليهم بها العجم الجزية!» ففرعوا لكلمته ولقوله، فقال القوم: كلمة واحدة! «نعم، وأبيك عشراً»، فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأي كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: «لا إله إلا الله». قال: فقاموا فزعين ينفضون ثيابهم وهم يقولون: ﴿أجعل الآلهة آلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب﴾! قال: ونزلت من هذا الموضع إلى قوله: ﴿لَمَّا يذوقوا عذاب﴾<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: أي انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب، ويقول بعضهم لبعض ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم﴾، أي: اثبتوا على عبادة آلهتكم ﴿إن هذا لشيء يُراد﴾، أي: الأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة لمكانة قالوا: إن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد لشيء يُراد بنا. وعن

(١) أخرجه أحمد (٢٧٧/١)، والترمذي (ح/٣٢٣٢) وحسنه، والنسائي في الكبرى (٤٤٢/٦)، وابن جرير (١٢٥/٢٣)، والحاكم (٤٣٢/٢) وصححه، ووافقه الذهبي!! قلت: وفيه يحيى بن عمار وهو مجهول، ووقع عند أحمد - كما سيأتي تخريجه - أن اسمه: «عباد جعفر»، أخرجه أحمد (٣٦٢/٢)، والنسائي في الكبرى (٤٤٢/٦)، وابن جرير (١٢٥/٢٣)، فالحديث بهذين الطريقتين حسن إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤٢/٤).

ابن عباس قوله: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾ يعني النصرانية، فقالوا: لو كان هذا القرآن حقاً أخبرتنا به النصارى، وعن قتادة ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة﴾، أي: في ديننا هذا ولا في زماننا قط ﴿إن هذا إلا اختلاق﴾ إلا شيء تخلقه. وقال ابن زيد قالوا: إن هذا إلا كذب.

﴿أنزل عليه الذكر﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: القرآن ﴿من بيننا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؟ يقوله أهل مكة؛ قال الله عز وجل: ﴿بل هم في شك من ذكري﴾، أي: وحبي وما أنزلت ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾، أي: لم يذوقوا عذابي، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ يعني نعمة ربك، يعني مفاتيح النبوة يعطونها من شاءوا؟ ونظيره ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾، أي: نبوة ربك؟ ﴿العزیز الوهاب﴾ العزيز في ملكه، الوهاب وهب النبوة لمحمد ﷺ ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما﴾، أي: ليس لهم ذلك ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾، أي: إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء، فليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون. قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توبيخ وتعجيز.

﴿جند ما هنالك﴾، أي: هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند هنالك، «وما» صلة ﴿مهزوم﴾ مغلوب ﴿من الأحزاب﴾، أي: من جملة الأجناد، يعني قريشاً. قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزم جند المشركين وقال: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾ فجاء تأويلها يوم بدر، وهنالك إشارة إلى بدر ومصارعهم ﴿من الأحزاب﴾، أي: من جملة الأحزاب أي هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالكذب، فقهروا وأهلكوا. انتهى.

(١) المصدر السابق (٤٣/٤).

قوله عز وجل: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿١٦﴾ أَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ .

عن ابن عباس: ﴿وفرعون ذو الأوتاد﴾ قال: كانت ملاعب يلعب له تحتها. وقال مجاهد: كان يمدّ الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشدّ يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد، وعن قتادة ﴿إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابُ﴾ قال: هؤلاء كلهم قد كذبوا الرسل فحقّ عليهم العذاب ﴿وما ينظر هؤلاء إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ يعني أمة محمد ﴿ما لها مِنْ فَوَاقٍ﴾ يعني الساعة ما لها من رجوع ولا ارتداد ﴿وقالوا رَبَّنَا عَجِّلْ لَنَا قِطْنَا﴾، أي: نصيبنا، حظنا من العذاب قبل يوم القيامة، قال: قد قال ذلك أبو جهل: اللهم إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأُمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

وقوله تعالى: ﴿أصبر على ما يقولون وادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ يقول تعالى: اصبر يا محمد على ما يقول قومك، فإن الرفعة والعاقبة لك، كما كانت للرسل قبلك. وعن مجاهد قوله: ﴿ذَا الْأَيْدِ﴾ قال: ذا القوة في طاعة الله ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إنه رجّاع عن الذنوب. وقال قتادة: كان مطيعاً لله كثير الصلاة ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ قال: يسبحن مع داود إذا سبّح بالعشي والإشراق ﴿وَالطَّيْرَ مُحْشُورَةً﴾ مستخرة ﴿كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾، أي: مطيع ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُمْ﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي جعلنا له ملكاً كاملاً من جميع ما يحتاج إليه

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣٠/٤).

الملوك. وقال السدي: كان يحرسه كل يوم ليلة أربعة آلاف ﴿وَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾ قال: النبوة ﴿وفصل الخطاب﴾ قال مجاهد: إصابة القضاء وفهمه.

قوله عز وجل: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (٢١) إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ بَعَثْنَا عَلَى بِعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (٢٢) إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةً وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (٢٣) قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَقِلَّ مَا هُمْ وَظَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَنَا عِنْدَنَا لُزْغَفَى وَحُسْنَ مَّثَابٍ﴾ (٢٥) يٰدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٢٦).

عن قتادة ﴿ولا تشطط﴾، أي: لا تمل ﴿واهدنا إلى سواء الصراط﴾ إلى عدله وخيره. وعن وهب بن منبه ﴿إن هذا أخي﴾، أي: على ديني ﴿له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾ قال ابن زيد: أعطينها، طلقها لي أنكحها وخل سبيلها ﴿وعزني في الخطاب﴾ قال: قهربي<sup>(١)</sup>. وعن ابن عباس قوله: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ قال: إن داود قال: يا رب قد أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب من الذكر ما لوددت أنك أعطيتني مثله، قال: إني ابتليتهم بما لم أبتلك به، فإن شئت أبتليتك بمثل ما ابتليتهم به وأعطيتك كما أعطيتهم قال: نعم. قال له: اعمل حتى أرى بلاءك، فكان ما شاء الله أن يكون، وطال ذلك عليه فكاد أن ينساه، فبينا هو في محرابه إذ وقعت عليه حمامة من ذهب فأراد أن يأخذها، فطارت إلى كوة المحراب فذهب ليأخذها فطارت، فاطلع من

(١) في (الأصل): «فهدني»، وهو خطأ.



الكوّة فرأى امرأة تغتسل فنزل نبيّ الله ﷺ من المحراب فأرسل إليها فجاءته، فسألها عن زوجها وعن شأنها، فأخبرته أن زوجها غائب، فكتب إلى أمير تلك السرية أن يؤمّره على السرايا ليهلك زوجها، ففعل، فكان يصاب أصحابه وينجو وربما نُصروا، وإن الله عز وجل لما رأى الذي وقع فيه داود أراد أن يستنقذه، فبينما داود ذات يوم في محرابه إذ تسوّر عليه الخصمان من قِبَل وجهه، فلما رآهما وهو يقرأ فزع وسكت وقال: لقد استضعفت في ملكي حتى أن الناس يتسوّرون عليّ محرابي، قالوا له: ﴿لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض﴾ ولم يكن لنا بدّ من أن نأتيك فاسمع منا. قال أحدهما: ﴿إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة﴾ أنثى ﴿ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها﴾ يريد أن يتمّ بها مائة ويتركني ليس لي شيء ﴿وعزّني في الخطاب﴾ قال: إن دعوتُ ودعا كان أكثر، وإن بطشتُ وبطش كان أشدّ مني، فذلك قوله: ﴿وعزّني في الخطاب﴾ قال له داود: أنت كنت أحوج إلى نعجتك منه ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾ إلى قوله: ﴿وقليل ما هم﴾ ونسي نفسه ﷺ. فنظر المَلَكَان أحدهما إلى الآخر، فرآه داود وظنّ أنما فُتن ﴿فاستغفر ربّه وخرّ راکعاً وأتاب﴾<sup>(١)</sup>. وعن عكرمة عن ابن عباس أنه قال في السجدة في ص: «ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها»<sup>(٢)</sup>. رواه البخاري وغيره.

وعن قتادة ﴿فغفرنا له ذلك﴾ الذنب ﴿وإنّ له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾، أي: حسن مصير. قال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي وإنّ له يوم القيامة لقربة يقربه الله عز وجل بها وحسن مرجع، وهو الدرجات العالية في الجنة لنبوّته وعدله التامّ في ملكه، كما جاء في الصحيح: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه

(١) أخرجه ابن جرير (١٤٦/٢٣) بسند ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري (ح/١٠٦٩).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣٢/٤).

يمين، الذين يقسطون في أهليهم وما ولّوا»<sup>(١)</sup>. وعن السدي: ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ ملكه في الأرض ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ يعني بالعدل والإنصاف ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾ إن الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب، أي: لهم عذاب شديد بما تركوا أن يعملوا ليوم الحساب.

قوله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ يَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ يَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾﴾.

عن ابن عباس ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا﴾ قال: لا لثواب ولا لعقاب ﴿ذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من النار﴾. وقال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين: إنا نعطي في الآخرة من الخير مثل ما تعطون، فترلت هذه الآية ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾؟

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: ولما كان القرآن يرشد إلى المقاصد الصحيحة والمآخذ العقلية الصريحة، قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولوا الأبواب﴾، أي: ذوو العقول. قال الحسن البصري: والله ما تدبّره بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله، ما يرى له القرآن في خلق ولا عمل.



(١) أخرجه مسلم (ح/١٨٢٧) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٣٣).

## الدرس الثامن والثلاثون بعد المائتين

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ  
 الصَّافِنَاتُ الْإِلْيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ  
 بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ  
 وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ  
 مِنِّي بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾  
 وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ  
 أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِن لَّمْ يَكُنْ لَّنَا لَزْلَةٌ وَلَقَدْ زَلَّتْ سُبُوحُ رَبِّكَ وَنَبَّهْتَ  
 بَيْنَ يَدَيْهِ وَجِئْنَا بِهَذَا كِتَابًا مَّا تَوْفَى الْوَسْطَى ﴿٤٠﴾﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَوَهَبْنَا لِذَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ٣٠ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ٣١ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَفُطِفَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ٣٣ .

عن ابن عباس ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ قال: الأواب المسبّح. وقال قتادة: كان مطيعاً لله كثير الصلاة. وعن قتادة ﴿إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد﴾، يعني: الخيل. قال ابن زيد: والصفن أن تقوم على ثلاث وترفع رجلاً واحدة حتى يكون طرف الحافر على الأرض. قال البغوي<sup>(١)</sup>: والجياد الخيار السراع واحدها جواد. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الخيل السوابق.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾، أي: آثرت حب الخير، وأراد بالخير الخيل، وسميت الخيل خيراً لأنه معقود بنواصيها الخير: الأجر والمغرم. قال مقاتل: ﴿حب الخير﴾، يعني: المال، فهي الخيل التي عرضت عليه، ﴿عن ذكر ربّي﴾، يعني: عن الصلاة، وهي صلاة العصر ﴿حتى توارت بالحجاب﴾، أي: توارت الشمس بالحجاب، أي: استترت بما يحجبها عن الأبصار ﴿رُدُّوها عليّ﴾، أي: رُدُّوا الخيل عليّ، ﴿فُطِفَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾. انتهى. قال إبراهيم التيمي: كانت الخيل التي شغلت سليمان عليه الصلاة والسلام عشرين ألف فرس فعقرها. وقال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله خيراً منها وأسرع، وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ ٣٤ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكاً لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ٣٥ فَسَخَّرْنَا لَهُ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٥١).

الرَّيْحَ تَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهٖ رُحًىٰ حَيْثُ أَصَابَ ۚ وَالشَّيْطَانُ كُلُّ بَنَاءٍ وَعَوَاصٍ ۚ وَآخِرِينَ مُقَرَّنِينَ  
فِي الْأَصْفَادِ ۚ هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۚ وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ  
مَّكَابٍ ۚ ﴿٣٨﴾

عن السدي في قوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ قال: لقد ابتلينا ﴿وألقينا على كرسیه جسدا﴾ قال: الشيطان حين جلس على كرسیه أربعين يوماً قال: كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جراحة، وهي أبر نساءه عنده وآمنهن عنده، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ولم يأت من عليه أحداً من الناس غيرها، فجاءته يوماً من الأيام فقالت: إن أخي بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك فقال لها: نعم، ولم يفعل، فابتلي وأعطاه خاتمه ودخل المخرج، فخرج الشيطان في صورته فقال: هاتي الخاتم، فأعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان بعد، فسألها أن تعطيه خاتمه، فقالت: ألم تأخذه من قبل؟ قال: لا، وخرج من مكانه تائهاً، قال: ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً، فأنكر الناس أحكامه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم فجاءوا حتى دخلوا على نساءه فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان قد ذهب عقله وأنكرنا أحكامه، قال: فبكى النساء عند ذلك قال: فأقبلوا يمشون حتى أتوه فأحذقوا به ثم نشروا التوراة فقرأوا، فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفته والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر فوق الخاتم منه في البحر فابتلعه حوت من حيتان البحر، قال: وأقبل سليمان في حالته التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر، وهو جائع، وقد اشتد جوعه فاستطعمه من صيدهم، قال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجّه، فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه فقالوا: بش ما صنعت حيث ضربته، قال: إنه زعم أنه سليمان، فأعطوه سمكتين مما قد مذر<sup>(١)</sup> عندهم، ولم

(١) مذر، أي: فسد.

يشغله ما كان به من الضرر حتى قام إلى شطّ البحر، فشقّ بطونهما فجعل يغسل، فوجد خاتمه في بطن إحداهما فأخذه فلبسه فردّ عليه بهاؤه وملكه، وجاءت الطير حتى حامت عليه، فعرف القوم أنه سليمان، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا فقال: ما أحمدكم على عذرکم ولا ألومکم على ما كان منکم، كان هذا الأمر لا بدّ منه. قال: فجاء حتى أتى ملكه، فأرسل إلى الشيطان فجاء به، وسخّر له الريح والشياطين يومئذ ولم تكن سُخِّرَتْ له قبل ذلك، وهو قوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ قال: وبعث إلى الشيطان فأتى به فأمر به فجعل في صندوق من حديد ثم أطبق عليه فأقفل عليه بقل، وختم عليه بخاتمه، ثم أمر به فألقي في البحر، فهو فيه حتى تقوم الساعة.

وقوله تعالى: ﴿ثم أناب﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً، فلما رجع ﴿قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾. وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجنّ تفلّت عليّ البارحة — أو كلمة نحوها — ليقطع عليّ الصلاة، فأمكنني الله تبارك وتعالى منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلّكم، فذكرت قول أخي سليمان عليه السلام: ﴿رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾»<sup>(٢)</sup>. قال روح: فردّه خاسئاً. متفق عليه. وفي رواية أحمد من حديث أبي سعيد: «ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطاً بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فمن استطاع منكم أن لا يحول بينه وبين القبلة أحد فليفعل»<sup>(٣)</sup>.

وقال الضحاك في قوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾ فإنه دعا يوم دعا ولم يكن في ملكه الريح وكل بناء وغواص من الشياطين، فدعا ربه عند

(١) المصدر السابق (٤/٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٨٠٨)، ومسلم (ح/٥٤١).

(٣) أخرجه أحمد (٣/٨٢ — ٨٣)، وأبو داود (ح/٦٩٩)، مختصراً، وهو حديث صحيح.

توبته واستغفاره، فوهب الله له ما سأل فتّم ملكه. وعن قتادة ﴿فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب﴾ قال: سريعة طيبة، ليست بعاصفة ولا بطيئة. وقال ابن زيد: الرخاء اللينة. وعن ابن عباس: ﴿تجري بأمره رخاء﴾ قال: يعني بالرخاء المطيعة ﴿حيث أصاب﴾ يقول: حيث أراد. انتهى عليها. وعن قتادة ﴿والشياطين كلّ بناء وغواص﴾ قال: يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ﴿وغواص﴾ يستخرجون الحليّ من البحر ﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾ قال: مرده الشياطين في الأغلال.

وعن الحسن في قوله: ﴿هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب﴾ قال: المُلْك الذي أعطيناك، فأعط ما شئت وامنع ما شئت، فليس عليك تبعة ولا حساب ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: لما ذكر تبارك وتعالى ما أعطى سليمان عليه الصلاة والسلام في الدنيا، نبّه تعالى على أنه ذو حظ عظيم عند الله يوم القيامة أيضاً، فقال تعالى: ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾، أي: في الدار الآخرة.



(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٣٩/٤).

## الدرس التاسع والثلاثون بعد المائتين

﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسْنَى الشَّيْطَانُ يَصْبِرْ وَعَذَابِي ٤١﴾ أَزْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ٤٢ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْتًا قَاصِرًا وَلَا تَتَحَنَّنْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ٤٤ ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ٤٦ ﴿وَأَنَّهُمْ عِندَنَا لِمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ٤٨ ﴿هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَنَاقِبٍ ٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مِّنْ فَتْحَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ٥٠ ﴿مُتَّكِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ الْأَرْبَابُ ٥٢ ﴿هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَكُمْ مِنْ نَفَادٍ ٥٤ ﴿هَذَا وَلِئَلَّكَ لِلطَّالِعِينَ لَشَرٌّ مِّنَ آبٍ ٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنَسُوا الْإِهَادُ ٥٦ ﴿هَذَا فَلْيَذوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ٥٧﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِمْ أَزْوَاجٌ ٥٨ ﴿هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْجَا بِهِمْ إِنَّمَا صَلَّوْا النَّارَ ٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْجَا بِكُمْ أَنتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَنَسُوا الْفَرَارُ ٦٠ ﴿قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ٦١﴾ وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ٦٢ ﴿أَتَخَذْتَهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ٦٤ ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ٦٥﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقْرُ ٦٦ ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ٦٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ٦٨ ﴿مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّامِ الْأَعْلَىٰ إِذْ



يَخْضَعُونَ ﴿٦٩﴾ إِنْ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُمْ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَبْنَٰٓئِلِسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي ۖ اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتُهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَٰجِعٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَا أُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن يَتَّبِعُكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِن أَجْرٍ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾ ﴿٨٨﴾

\* \* \*

قوله عز وجل : ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ۚ﴾ ﴿٤١﴾ أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ ۖ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ .

عن قتادة ﴿واذكر عبدنا أيوب﴾ حتى بلغ ﴿بُنُصْبٍ وعذاب﴾، ذهاب المال والأهل والضر الذي أصابه في جسده، قال: ابتلي سبع سنين وأشهرًا مُلْقَى على كُنَاسَة لبني إسرائيل تختلف الدواب في جسده، ففرج الله عنه وعظم له الأجر وأحسن عليه الثناء. ﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ قال: ضرب برجله الأرض فإذا عينان تنبعان، فشرب من إحداهما واغتسل من الأخرى؛ قال وهب: فأذهب الله عنه كل ما كان به من البلاء.

وعن قتادة ﴿ووهبنا له أهله ومثلهم معهم﴾ قال: قال الحسن فأحياهم الله بأعيانهم، وزادهم مثلهم ﴿رحمة منا وذكرى لأولي الألباب﴾. وعن مجاهد قيل له: إن شئت أحييناك لك، وإن شئت كانوا لك في الآخرة، وتعطى مثلهم في الدين، فاختر أن يكونوا في الآخرة. ومثلهم في الدين. وعن قتادة: ﴿وخذ بيدك ضغثًا فاضرب به ولا تحنث﴾ قال: كانت امرأته قد عرضت له بأمر، وأرادها إبليس على شيء فقال: لو تكلمت بكذا وكذا — وإنما حملها عليها الجزع — فحلف نبي الله: لئن شفاه الله ليجلدنّها مائة جلدة قال: فأمر بغصن فيه تسعة وتسعون قضيباً، والأصل تكملة المائة فضربها ضربة واحدة، فأبرّ نبي الله وخفف الله عن أمته، والله رحيم. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: وهذا من الفرج والمخرج

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٠/٤).

لمن اتقى الله تعالى وأتاب إليه، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُتَكِّينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أُنْثَىٰ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ ﴿٥٢﴾ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَكُم مِّن نَّفَاقٍ ﴿٥٤﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿أولي الأيدي والأبصار﴾ يقول: أولي القوة في العبادة، ﴿والأبصار﴾ يقول: الفقه في الدين. وقال مجاهد ﴿الأيدي﴾ القوة في أمر الله ﴿والأبصار﴾ العقول. وقال السدي: ﴿الأيدي﴾ القوة في طاعة الله ﴿والأبصار﴾ البصر بقولهم. وعن قتادة ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ قال: بهذه أخلصهم الله، كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله.

وقوله تعالى: ﴿هذا ذكر﴾، أي: شرف وذكر جميل يُذكرون به أبداً. وعن السدي: ﴿هذا ذكر﴾ قال: القرآن. ﴿وإن للمتقين لحسن مآب﴾ قال الحسن: منقلب ﴿جَنَّاتٍ عَدْنٍ مُمْنَعَةٍ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ قال الحسن: أبواب تكلم، فتكلم: انفتحي انغلقي. وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، إلا أفتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»<sup>(١)</sup>. رواه مسلم ﴿متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب وعندهم قاصرات الطرف أُنثَىٰ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ﴾ قال قتادة: قصرن طرفهن على

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٣٤).

أزواجهنّ فلا يردن غيرهم ﴿أتراب﴾ قال: سنّ واحدة ﴿هذا ما توعدون ليوم الحساب﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي هذا الذي من صفة الجنة التي وعدها لعباده المتّقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار. وعن قتادة: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾، أي: ما له انقطاع.

قوله عز وجل: ﴿هَذَا وَابْنُ الطَّيْنِ لَشَرِّ مَتَابٍ ۖ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيُتْسَبَّحُ لَهُمُ فِيهَا رَبُّكَ كُلَّ نَفَسٍ فَهَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ۖ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ۖ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَصِمٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَأَ بِهِمْ لِمُنَّامٍ صَالُوا النَّارَ ۖ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَأَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمُّوهُ لَنَا فَيُتْسَبَّحُ لَهُمُ الْفَرَارُ ۖ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ۖ قَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ۖ أَخَذَتْهُمْ سَخِرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ۖ إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۖ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِّنْ إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۖ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْفَقْرُ ۖ﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: ﴿هذا﴾، أي: الأمر هذا ﴿وإن للطاغين﴾ الكافرين ﴿لشرّ مآب﴾ مرجع ﴿جهنّم يصلونها﴾ يدخلونها ﴿فبئس المهاد﴾. ﴿هذا﴾، أي: هذا العذاب ﴿فليذوقوه حميم وغساق﴾ قال الفراء: أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميم: الماء الحارّ الذي انتهى حرّه. وقال ابن عباس: الغساق الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرّها. وقال قتادة: هو ما يغسق، أي: يسيل من القيح والصدید من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة ﴿وآخر من شكله﴾ مثله، أي: مثل الحميم والغساق ﴿أزواج﴾، أي: أصناف آخر من العذاب.

(١) المصدر السابق (٤/٤١).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/٥٧).

﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾ قال ابن عباس: ﴿هذا﴾ هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للكفار ﴿هذا﴾، يعني: الأتباع ﴿فوج﴾ جماعة ﴿مقتحم معكم﴾ النار، أي: داخلوها كما أنتم دخلتموها. قال الكلبي: إنهم يُضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفاً من تلك المقامع فقالت القادة ﴿لا مرحباً بهم﴾ يعني: بالأتباع ﴿إنهم صالوا النار﴾ أي داخلوها كما صلينا ﴿قالوا﴾ فقال الأتباع للقادة ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدّمتموه لنا﴾ يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتم بالكفر قبلنا وشرعتم وستتموه لنا ﴿فبئس القرار﴾، أي: فبئس دار القرار جهنم ﴿قالوا﴾، يعني: الأتباع ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾، أي: شرعه وسنه لنا ﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾، أي: ضعف عليه العذاب. قال ابن مسعود: يعني حيات وأفاعي.

وقالوا وهم في النار ﴿ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم﴾ في الدنيا ﴿من الأشرار﴾، يعنون: فقراء المؤمنين. ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء فقالوا: ﴿أتخذناهم سخرية﴾؟ قال الفراء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب ﴿أم زاغت﴾، أي: مالت ﴿عنهم الأبصار﴾؟ ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرية لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم حين دخلوا؟ ﴿إن ذلك لحقّ تخاصم أهل النار﴾، أي: تخاصم أهل النار في النار لحقّ. ﴿قل﴾ يا محمد لمشركي مكة ﴿إنما أنا منذر﴾ مخوف ﴿وما من إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار﴾. انتهى ملخصاً.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ١٧﴾ ﴿أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ١٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ١٩﴾ ﴿إِنَّ يُوحَىٰ إِلَىٰ إِلَٰهٍ أَمَّا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٢٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُم سٰٓجِدِينَ ٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ السَّٰغِيِينَ

الْكَافِرِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ يَبْنَيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيدِي أَسْتَكَبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْنَاهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٨﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَحِيمٌ ﴿٧٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٨٠﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٨١﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٤﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٦﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ بَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ .

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ﴿قل هو نبا عظيم﴾، أي: خبر عظيم وشأن بليغ، وهو إرسال الله تعالى إياي إليكم ﴿أنتم عنه معرضون﴾، أي: غافلون. قال مجاهد وشريح القاضي والسدي في قوله عز وجل ﴿قل هو نبا عظيم﴾، يعني: القرآن. وقوله تعالى: ﴿ما كان لي من علم بالملا الأعلى إذ يختصمون﴾، أي: لولا الوحي من أين كنت أدري باختلاف الملا الأعلى في شأن آدم، وامتناع إبليس من السجود له ومحاجته ربه في تفضيله عليه؟ انتهى. وعن قتادة قوله: ﴿ما كان لي من علم بالملا الأعلى﴾ قال: هم الملائكة، كانت خصومتهم في شأن آدم حين قال ربك للملائكة ﴿إني خالق بشرأ من طين﴾ حتى بلغ ﴿ساجدين﴾ وحين قال: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ حتى بلغ ﴿ويسفك الدماء﴾ ففي هذا اختصم الملا الأعلى. وفي حديث معاذ الطويل عند الإمام أحمد قال — يعني رسول الله ﷺ —: «إني قمت من الليل فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي حتى استيقظت، فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة، فقال: يا محمد أتدري فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب؟ أعادها ثلاثاً، فرأيت وضع كفه بين كتفي حتى وجدت برد أنامله بين صدري، فتجلى لي كل شيء وعرفت، فقال: يا محمد فيم يختصم الملا الأعلى؟ قلت: في الكفارات. قال: وما الكفارات؟ قلت: نقل الأقدام

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٢ — ٤٣).

إلى الجماعات، والجلوس في المساجد بعد الصلوات»<sup>(١)</sup>. الحديث.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وليس هذا الاختصاص هو الاختصاص المذكور في القرآن، فإن هذا قد فُسر، وأما الاختصاص الذي في القرآن، فقد فُسر بعد هذا، وهو قوله: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ﴾ إلى آخر القصة. وعن ابن عمر قال: «خلق الله أربعة بيده: العرش وعدن والقلم وآدم، ثم قال لكل شيء: كن فكان»<sup>(٣)</sup>. رواه ابن جرير. وعن قتادة قال ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغَوِّيَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قال: علم عدو الله أنه ليست له عزة. وعن مجاهد ﴿فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ يقول الله: الحق مني وأقول الحق. قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾<sup>(٨٦)</sup> إِنَّهُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾.

قال ابن زيد في قوله: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ قل: لا أسألكم على القرآن أجراً تعطوني شيئاً ﴿وما أنا من المتكلفين﴾ أتخصر

(١) أخرجه أحمد (٢/٤٤٣)، والترمذي (ح/٣٢٣٥)، وقال: «حسن صحيح، وسألت محمد بن إسماعيل — أي البخاري — عن هذا الحديث فقال: حسن صحيح»، والطبراني (١٠٩/٢٠)، وبنحوه عن ابن عباس مرفوعاً أخرجه الترمذي (ح/٣٢٣٤)، والآجري في «الشرعة» (ص ٤٩٦)، وابن أبي عاصم (١/٣٠٤)، وهو حديث صحيح، وفي الباب عن أبي أمامة، وجابر بن سمرة وثوبان، وعبد الرحمن بن عائش رضي الله عنهم.

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٣).

(٣) أخرجه الدارمي في الرد على بشر المريسي (ص ١٧٢)، والآجري في الشرعة (ص ٣٠٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٢/٤٢٩)، وأبو الشيخ في العظمة (ح/٢١٣)، والحاكم (٢/٣١٩) وصححه، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٤) المصدر السابق (٤/٤٤).

(٥) سورة السجدة: الآية ١٣.

وأتكَلَّف ما لم يأمرني الله به. وعن مسروق قال: أتينا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم؛ فإن الله عز وجل قال لنبئه ﷺ: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، يعني: القرآن ذكر لجميع المكلفين من الإنس والجنّ، قاله ابن عباس رضي الله عنهما. ﴿وَلَتَعْلَمَنَّ نَبَأَهُ﴾ خبره وصدقه ﴿بعد حين﴾ قال عكرمة: يعني يوم القيامة. وقال الكلبي: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومن مات علمه بعد موته. قال الحسن بن آدم: عند الموت يأتيك الخبر اليقين.





## الدرس الأربعون بعد المائتين

### ﴿سورة الزمر﴾

مكية، وهي خمس وسبعون آية

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان يقرأ في كل ليلة بني إسرائيل والزمر»<sup>(١)</sup>. رواه النسائي.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ أَلَا

(١) أخرجه أحمد (٤٣٤/٢)، والترمذي (ح/٢٩٢٠ و ٣٤٠٥)، وقال: «حسن غريب»، والنسائي في الكبرى (٤٤٤/٦)، وأيضاً في المجتبى (١١٩/٤)، والحاكم (٤٣٤/٢)، وسكت عليه هو والذهبي، قلت: وهو حديث صحيح.

هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ ثَمِينَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَائِمٌ تُصِرُّونَ ﴿٦﴾ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلٍ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴿٩﴾ أَمَنْ هُوَ قَتَيْتُ أُنَاءَ الْبَيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾ قُلْ يَبْعَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفَقُوا رِبَكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١١﴾ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٢﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٣﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٤﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴿١٥﴾ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانِ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ لَهُمْ مِنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادُهُمْ يَعْبَادُوهُ فَاتَّقُوا ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿٢٠﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَنْفَقُوا رِبَهُمْ لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ قَوْفِهَا عُرْفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنَ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢١﴾ .

قوله عز وجل: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ بِالْحَقِّ فَاغْبُذْ اللَّهُ تَخْلَصَ لَهُ الدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٤ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۚ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝٥ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَّةً ۚ أَنْزَلَ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَئِ تَضَرَّعُونَ ۝٦ إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝٧﴾ .

عن قتادة: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ شهادة أن لا إله إلا الله . وعن مجاهد في قوله: ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قال: قريش تقول للأوثان، ومن قبلهم تقول للملائكة ولعيسى ابن مريم ولعزير .

وعن قتادة قوله: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى﴾ قالوا: ما نعبد هؤلاء: ﴿إلا ليقربونا﴾ إلا ليشفعوا لنا عند الله . قال ابن كثير<sup>(١)</sup>:

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٥) .

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه. وعن قتادة: ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بَطُونٍ أَمْهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم عظاماً ثم لحماً ثم أنبت الشعر؛ أطوار الخلق في ظلمات ثلاث: المشيمة والرحم والبطن.

﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ قال ابن كثير، أي: هذا الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وخلقكم وخلق آباءكم، هو الرب ﴿لَهُ الْمُلْكُ﴾ والمتصرف في جميع ذلك: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: الذي لا تنبغي العبادة إلا له وحده لا شريك له ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ فكيف تعبدون معه غيره؟ أين يذهب بعقولكم؟

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾، أي: لا يحبّه ولا يأمر به ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ قال السدي: إن تطيعوا يرضه لكم. وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>، أي: يحبه لكم ويزدكم من فضله: ﴿وَلَا تَزِرْ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ قال السدي: لا يؤخذ أحد بذنب أحد. وقال ابن كثير، أي: لا تحمل نفس عن نفس شيئاً، بل كل مطالب بأمر نفسه. ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾، أي: فلا تخفى عليه خافية.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوًا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۖ أَمْنَ هُوَ فَتَنَّا أَنْتَاءَ آلِيلٍ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۖ﴾.

عن قتادة: ﴿وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ﴾ قال: الوجد والبلاء والشدة ﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ قال: مستغيثاً به ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ قال السدي: إذا أصابته عافية

(١) المصدر السابق (٤/٤٦).

أو خير ﴿نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾ قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول: ترك دعاءه الذي كان يدعو الله من قبل أن يكشف ما كان به من ضرر: ﴿وجعل الله أنداداً﴾ يعني شركاء ﴿ليضلّ عن سبيله﴾ يقول: ليزيل من أراد أن يوحد الله ويؤمن به عن توحيده: ﴿قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾، أي: من أهل النار الماكثين فيها. انتهى ملخصاً.

وعن قتادة قوله: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً﴾ أوله وأوسطه وآخره. وقال ابن عباس: يعني بالقنوت الطاعة. وعن ابن عمر أنه كان إذا سئل عن القنوت قال: لا أعلم القنوت إلاّ قراءة القرآن وطول القيام وقرأ: ﴿أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً﴾ وعن ابن عباس في قوله: ﴿يحذر الآخرة﴾ قال: يحذر عقاب الآخرة ﴿ويرجو رحمة ربه﴾ يقول: ويرجو أن يرحمه الله فيدخله الجنة. وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول عز وجل: أمن هذه صفته كمن أشرك بالله وجعل له أنداداً؟ لا يستون عند الله.

وقوله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾، أي: هل يستوي هذا والذي قبله ممن جعل الله أنداداً ليضلّ عن سبيله؟ ﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّادِقُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ۚ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۚ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۚ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَّهُ دِينِي ۚ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۚ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ

(١) انظر «جامع البيان» (٢٣/١٩٩).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٧).

الْخَسْرَانِ الْمَيِّنَ ﴿١٥﴾ لَهُمْ مِّنْ قَوْفِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَعْبَادُونَ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿١٦﴾ .

قال مقاتل في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يعني الجنة.

قلت: وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وعن مجاهد قوله ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا واعتزلوا الأوثان. وعن قتادة ﴿إِنَّمَا يُوقَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ لا والله ما هناكم مكيال ولا ميزان ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: مخلصاً له التوحيد لا أشرك به شيئاً ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة. ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ وعبدت غيره ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذا حين دعي إلى دين آبائه. ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ أمر توبيخ وتهديد وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: يقول تعالى: قل يا محمد - وأنت رسول الله - ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهو يوم القيامة - وهذا شرط - ومعناه: التعريض بغيره بطريق الأولى والأحرى.

وعن ابن عباس قوله: ﴿قُلْ إِنْ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ قال: هم الكفار الذين خلقهم الله للنار وخلق النار لهم، فزالت عنهم الدنيا وحرمت عليهم الجنة. وقال ابن زيد: هؤلاء أهل النار خسروا أنفسهم في الدنيا وخسروا الأهل، فلم يجدوا في النار أهلاً وقد كان لهم في الدنيا أهل ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمَيِّنَ﴾.

(١) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٦٤/٤).

(٣) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤٨/٤).

وقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظِلٌّ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظِلٌّ﴾ كقوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٌ ذَلِكَ يَخَوْفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾<sup>(١)</sup> قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي إنما يقصّ خبر هذا الكائن لا محالة ليخوف به عباده، لينزحوا عن المحارم والمآثم.

قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۖ﴾<sup>(١٧)</sup> ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ﴾<sup>(١٨)</sup> ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ۚ﴾<sup>(١٩)</sup> ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقُوا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ۖ﴾<sup>(٢٠)</sup>.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾ الأوثان: ﴿أن يعبدوها وأنابوا إلى الله﴾ رجعوا إلى عبادة الله ﴿لهم البشري﴾ في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وعن قتادة ﴿فبشّر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾ وأحسنه طاعة الله ﴿أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾.

﴿أفمن حقّ عليه كلمة العذاب﴾ بكفره ﴿أفأنت تنقذ من في النار﴾ قال ابن كثير<sup>(٤)</sup>: يقول تعالى: أفمن كتب الله أنه شقيّ تنقذه مما هو فيه من الضلال والهلاك؟ أي لا يهديه أحد من بعد الله، لأنه من يضلّل الله فلا هادي له ومن يهده فلا مضلّ له؛ ثم أخبر عزّ وجلّ عن عباده السعداء أن لهم غرفاً في الجنة، وهي القصور الشاهقة ﴿من فوقها غرف مبنية﴾ طباق فوق طباق، مزخرفات عاليات ﴿تجري من تحتها الأنهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد﴾. وعن علي رضي الله عنه

(١) سورة الزمر: الآية ٦١.

(٢) المصدر السابق (٤/٤٨).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/٦٥).

(٤) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٤/٤٩).

قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يُرى بطونها من ظهورها، وظهورها من بطونها، فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام»<sup>(١)</sup>. رواه أحمد وغيره.



---

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٥٦/١) — وليس كما توهمه المؤلف رحمه الله، حيث وهم أن أحمد أخرجه في مسنده — والترمذي (ح/١٩٨٥ و ٢٥٢٩)، والبخاري (ح/٧٠٢)، وابن عدي في «الكامل» (٤/١٦١٣ — ١٦١٤) بسند ضعيف. ولكن له شاهد من حديث أبي مالك الأشعري: أخرجه أحمد (٥/٣٤٣)، وابن حبان — كما في الإحسان — (١/٣٦٣)، والبيهقي في «شرح السنة» (٤/٤٠)، وشاهد آخر من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أخرجه أحمد (٢/١٧٣)، والحاكم (١/٣٢١)، وصححه ووافقه الذهبي، قلت: فيه ابن لهيعة، إلا أن حديثه لا بأس به في المتابعات والشواهد. فالحديث أقل أحوال أنه حسن، والله أعلم.



## الدرس الحادي والأربعون بعد المائتين

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾ اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَبِهًا مَثَانِيَ نَقَشِعُرْ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَنْقُي بَوَجهَهُ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَنْذَكُرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانَا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيَجُ فَتَرْتَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٢﴾

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه﴾ أدخل ذلك الماء ﴿ينابيع﴾ عيوناً وركايا في الأرض. قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن السماء. ﴿ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه﴾ أحمر وأصفر وأخضر ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه﴾ بعد خضرته ونضرتة ﴿مصفراً﴾ ثم يجعله حطاماً ﴿فتاتاً متكسراً﴾ إن في ذلك لذكرى لأولي الأبواب. ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام﴾ وسعه لقبول الحق ﴿فهو على نور من ربه﴾ كمن قسى الله قلبه ﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ قال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب، وما غضب الله عز وجل على قوم إلا نزع متهم الرحمة.

وعن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه. قلنا: يا رسول الله كيف انشراح صدره؟ قال: إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح! قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود. والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت»<sup>(٢)</sup>. رواه البغوي وغيره.

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٦٥).

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٤/٦٦) بسند ضعيف.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانًى تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْتَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَاذْقَاهُمُ اللَّهُ لَذًى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً﴾ الآية تشبه الآية، والحرف يشبه الحرف. وقال سعيد بن جبیر: يشبه بعضه بعضاً، ويصدق بعضه بعضاً، ويدل بعضه على بعض. وعن ابن عباس قوله: ﴿مثنائي﴾ قال: كتاب الله مثنائي، ثنى فيه الأمر مراراً. وقال قتادة: ثنى الله فيه الفرائض والقضاء والحدود. وقال ابن زيد ﴿مثنائي﴾ مردد، ردّد ذكر موسى في القرآن وصالح وهود والأنبياء. وقال معمر: تلا قتادة — رحمه الله — ﴿تقشعرّ منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾ قال: هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله عز وجل بأن تقشعرّ جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئنّ قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا من أهل البدع، وهذا من الشيطان.

وقوله تعالى: ﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلّل الله فما له من هادٍ﴾. ﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾، أي: شدّته يوم القيامة. قال مجاهد: يجزّ على وجهه في النار؛ ومجاز الآية<sup>(١)</sup>: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو

(١) لعل مراد المؤلف — رحمه الله — يقوله: «مجاز الآية» أي: ما يعبر به عن الآية، كما هي طريقة أبي عبيدة معمر بن المثنى (الإيمان لابن تيمية ص ٧٣)، واعلم — وفقني الله وإياك — أن تقسيم ألفاظ اللغة إلى حقيقة ومجاز، هو اصطلاح حادث لم يكن عليه سلف الأمة من القرون الثلاثة المفضلة، فلم يتكلم به الصحابة ولا التابعون لهم بإحسان، ولا أحد الأئمة المشهورين في العلم كمالك، والثوري، والأوزاعي، والشافعي، بل ولا تكلم =

آمن من العذاب؟ وقيل: يعني تقول الخزنة للظالمين ﴿ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾، أي: وباله. ﴿كذب الذين من قبلهم﴾ من قبل كفار مكة، كذبوا الرسل ﴿فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾، يعني: وهم آمنون غافلون عن العذاب ﴿فأذاقهم الله الخزي﴾ العذاب والهوان ﴿في الحياة الدنيا وللعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ ﴿٢٧﴾ ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿٢٨﴾ ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٢٩﴾ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلَهُمْ مَمِيتٌ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ ﴿٣١﴾.

عن مجاهد ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ غير ذي لبس. وقال ابن عباس: غير مختلف.

وقال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾، أي: بيتاً للناس فيه بضرب الأمثال ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فإن المثل يقرب المعنى إلى الأذهان. وقوله جلّ وعلا: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾، أي: هو قرآن

= به أئمة اللغة والنحو كالخليل، وسيبويه، وأبي عمرو بن العلاء ونحوهم، وسائر الأئمة — رحمهم الله — لم يقل أحد منهم: إن في القرآن مجازاً، فتقسيم الألفاظ إلى حقيقة ومجاز لم يشتهر إلا في المائة الرابعة، وهو تقسيم مبتدع مخترع لم ينطق به السلف. اهـ. ملخصاً من كلام ابن تيمية — رحمه الله — وقد شن ابن تيمية — رحمه الله — الغارة على القائلين بالمجاز في القرآن، واللغة أيضاً في كتابه القيم «الإيمان» من (ص ٧٢ — ٩٩) ط / المكتب الإسلامي فراجع له لزماً، لتنجلي عنك — بإذن الله تعالى — الشبه الواردة في هذا الباب.

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/ ٥٢).

بلسان عربيّ مبين لا اعوجاج فيه ولا انحراف ولا لُبْس، بل هو بيان ووضوح وبرهان؛ وإنما جعله الله تعالى كذلك وأنزله بذلك ﴿لعلهم يتقون﴾، أي: يحذرون ما فيه من الوعيد ويعملون بما فيه من الوعد.

وعن قتادة قوله: ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ قال: هذا المشرك يتنازع الشياطين، ﴿ورجلاً سَلَمًا لرجل﴾ قال: هو المؤمن أخلص الدعوة لله والعبادة. وقال ابن زيد: رأيت الرجل الذي فيه شركاء متشاكسون؟ كلهم سيئء الخلق، ليس منهم واحد إلاّ تلقاه آخذاً بطرف من مال لاستخدامه أسوأهم والذي لا يملكه إلاّ واحد، فإنما هذا مثل ضربه الله لهؤلاء الذين يعبدون الآلهة وجعلوا لها في أعناقهم حقوقاً، فضربه الله مثلاً لهم وللذي يعبد وحده ﴿هل يستويان مثلاً الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾. قال البغوي<sup>(١)</sup>: وهذا استفهام إنكار، أي: لا يستويان، ثم قال: ﴿الحمد لله﴾، أي: الله الحمد كلّه دون غيره من المعبودين ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ما يصيرون إليه.

﴿إنك ميت﴾، أي: ستموت ﴿وإنهم ميتون﴾، أي: سيموتون ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ قال ابن عباس: يعني، المعقّ والمبطل والظالم والمظلوم. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: وقوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ هذه الآية من الآيات التي استشهد بها الصديق رضي الله عنه عند موت رسول الله ﷺ، حتى تحقق الناس موته، مع قوله عزّ وجل: ﴿وما محمد إلاّ رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضرّ الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين﴾.



(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٦٨).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٥٣).

## الدرس الثاني والأربعون بعد المائتين

﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ۖ ﴾ ٣٢ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ۖ ﴾ ٣٣ لَّهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ۖ ﴾ ٣٤ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ ﴾ ٣٥ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۖ ﴾ ٣٦ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ ۚ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ۖ ﴾ ٣٧ وَلَٰئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرُّهُ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُنْسِكَةٌ رَّحْمَتَهُ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ۖ ﴾ ٣٨ قُلْ يَلْقَوهُمْ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۖ ﴾ ٣٩ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۖ ﴾ ٤٠ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ بِوَكِيلٍ ۖ ﴾ ٤١ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۖ ﴾ ٤٢ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقُولُونَ ۖ ﴾ ٤٣ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ

جَمِيعًا لَّكُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٢٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ (٣٢) ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (٣٣) ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٣٤) ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٣٥).

قال البغوي<sup>(١)</sup>: قوله عز وجل: ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ فرغم أن له ولداً أو شريكاً ﴿وكذب بالصدق﴾ بالقرآن ﴿إذ جاءه أليس في جهنم مثوى﴾ منزل ومقام ﴿للكافرين﴾؟ استفهام بمعنى التقرير. وعن قتادة: ﴿والذي جاء بالصدق﴾ قال: هذا رسول الله ﷺ جاء بالقرآن: ﴿وصدق به﴾ المؤمنون. وقال مجاهد: هم أهل القرآن يجيئون به يوم القيامة يقولون: هذا الذي أعطينا فاتبنا ما فيه. وعن ابن عباس: ﴿أولئك هم المتقون﴾ يقول: اتقوا الشرك. وقال ابن زيد ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ ألهم ذنوب؟ أي رب، نعم ﴿لهم فيها ما يشاءون عند ربهم﴾ ذلك جزاء المحسنين ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا ويجزيهم أجرهم بأحسن الذي كانوا يعملون، وقرأ: ﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾ إلى أن بلغ ﴿ومغفرة﴾ لثلاً يئأس من له الذنوب أن لا يكونوا منهم ﴿ورزق كريم﴾، وقرأ: ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى آخر الآية.

قوله عز وجل: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۚ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ﴾

(١) انظر «معالم التنزيل»، (٤/٦٩).



أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضَرْرَهُ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَنْقُومِ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ .

عن السدي: ﴿أليس الله بكاف عبده﴾؟ يقول: محمد ﷺ ﴿يخوفونك بالذين من دونه﴾ يقول: بالهتَم التي كانوا يعبدون. وعن قتادة ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله﴾ حتى بلغ ﴿كاشفات ضره﴾ يعني الأصنام ﴿أو أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ بِرَحْمَتِهِ﴾؟ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: كانوا يعترفون أن الله عزَّ وجلَّ هو الخالق للأشياء كلها، ومع هذا يعبدون معه غيره. وعن ابن عباس مرفوعاً: «من أحب أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله، ومن أحب أن يكون أغنى الناس فليكن بما في يد الله عزَّ وجلَّ أوثق منه بما في يديه، ومن أحب أن يكون أكرم الناس فليتنق الله عزَّ وجلَّ»<sup>(٢)</sup>. وعن مجاهد: ﴿قل يا قوم اعملوا على مكانتكم﴾ على ناحيتكم. وقال ابن كثير<sup>(٣)</sup>: أي على طريقكم؛ وهذا تهديد ووعد ﴿إني عامل فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلَّ عليه عذاب مقيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَكَيْتْ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٥٤/٤).

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم — كما عزاه له ابن كثير في تفسيره — (٥٤/٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢١٨/٣ — ٢١٩)، والقضاعي (ح/٣٦٧ و ٣٦٨) بسند ضعيف جداً.

(٣) المصدر السابق (٥٤/٤).

فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ  
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَٰئِكَ  
كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۚ لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ  
قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ  
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٤﴾ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ  
تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي  
الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۚ وَبَدَأَ لَهُمْ مِنْ  
اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٦﴾ وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتِ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا  
بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٧﴾ .

عن سعيد بن جبير في قوله: ﴿اللَّهُ يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم  
تمت في منامها﴾ قال: يجمع بين أرواح الأحياء وأرواح الأموات، فيتعارف  
منها ما شاء الله أن يتعارف ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى﴾  
إلى أجسادها. قال ابن زيد: فالنوم وفاة ﴿فيمسك التي قضى عليها الموت  
ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى﴾ قال السدي: إلى بقية آجالها. وعن قتادة:  
﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ الآية: ﴿قل أو لو كانوا لا يملكون شيئاً﴾  
الشفاعة. وعن مجاهد قوله: ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ قال: لا يشفع عنده أحد  
إلا بإذنه.

وعن قتادة قوله: ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون  
بالآخرة﴾: أي كفرت قلوبهم واستكبرت: ﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾ الآية: ﴿إذا  
هم يستبشرون﴾ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا قام من  
الليل افتتح صلاته: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات

والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون. اهدني لما اختلف فيه من الحق يا ذك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم<sup>(١)</sup>. رواه مسلم وغيره.

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا ما لم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. قال السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات. قال البغوي<sup>(٢)</sup>: والمعنى أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون ﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾، أي: مساوئ أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله ﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَحْمُ إِذَا حَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنِّي أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿ثم إذا حولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾، أي: على خبر عندي ﴿بل هي فتنة﴾، أي: بلاء ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾. وعن السدي: ﴿قد قالها الذين من قبلهم﴾ الأمم الماضية ﴿والذين ظلموا من هؤلاء﴾ قال: من أمة محمد ﷺ.

(١) أخرجه مسلم (ح/ ٧٧٠).

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٤/ ٧١).

وقوله تعالى: ﴿أَو لَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى ذكره: أَوَلَمْ يَعْلَم — يا محمد — هؤلاء الذين كشفنا ضرهم فقالوا: إنما أوتيناه على علم منا، أن الشدة والرخاء والسعة والضيق والبلاء بيد الله دون كل من سواه؟ ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ﴾ فيوسعه عليه ﴿وَيَقْدِرُ﴾ ذلك على من يشاء من عباده فيضيقه، وأن ذلك من حُجج الله على عباده ليعتبروا به ويتذكروا ويعلموا أن الرغبة إليه والرغبة دون الآلهة والأنداد؟ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.



(١) انظر «جامع البيان» (١٣/٢٤).

## الدرس الثالث والأربعون بعد المائتين

﴿ قُلْ يَعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ٥٣ ﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفْسٌ بِأَحْسَرْتَنِي عَلَىٰ مَا قَرَرْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ ٥٦ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ٥٧ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ٥٨ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تَكَرُّبًا إِلَيْنَا فَكَذَّبْتُم بِهَا وَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُم مِّنَ الْكَافِرِينَ ٥٩ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ٦٠ وَسُجِّي لِلَّهِ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦١ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ٦٢ لَّهُمْ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَايَةِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ٦٣ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ٦٤ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٦٥ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ٦٦ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يِّمِينَةً ٦٧ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ٦٨ وَتُفِخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي

السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ  
يَنْظُرُونَ ﴿٣٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّاصِيَةِ  
وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ  
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُرَّارًا ۚ إِذَا جَاءُوهَا  
فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ  
رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى  
الْكَافِرِينَ ﴿٤١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِمَا كَفَرْتُمْ  
مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٤٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُرَّارًا ۚ إِذَا  
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا  
خَالِدِينَ ﴿٤٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ  
الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٤٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ  
الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ  
الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴿٧٥﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَنْبِئُوا أَحْسَنَ مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ بِحَسْرَتٍ عَلَىٰ مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّادِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَ تِلْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمِقَارَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمْ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ .

عن ابن عباس: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ وذلك أن أهل مكة قالوا: يزعم محمد أنه من عبد الأوثان ودعا مع الله إلهاً آخر، وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، فكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا الآلهة وقتلنا النفس التي حرم الله ونحن أهل الشرك؟ فأنزل الله ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ يقول: لا تيأسوا من رحمتي ﴿إن الله يغفر الذنوب جميعاً﴾، قال: ﴿وأنبيوا إلى ربكم وأسلموا له﴾ وإنما يعاتب الله أولي الألباب، وإنما الحلال والحرام لأهل الإيمان، فإياهم عاتب وإياهم أمر إن أسرف أحدهم على نفسه أن لا يقنط من رحمة الله، وأن ينيب ولا

يطلب بالتوبة من ذلك الإسراف والذنب الذي عمله؛ وقد ذكر الله في سورة آل عمران أن المؤمنين حين سألوا الله المغفرة فقالوا ﴿ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا﴾ فينبغي أن يعلم أنهم قد كانوا يصيبون الإسراف فأمرهم بالتوبة من إسرافهم<sup>(١)</sup>.

وعن القرظي أنه قال في هذه الآية ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾ قال: هي للناس أجمعين. وعن قتادة قوله ﴿وأنيبوا إلى ربكم﴾، أي: أقبلوا إلى ربكم. وقال ابن زيد: الإنابة الرجوع إلى الطاعة والتزوع عما كانوا عليه، ألا تراه يقول: ﴿منيبين إليه واتقوه﴾ وعن السدي ﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾ يقول: ما أمرتم به في الكتاب ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله﴾ قال: تركت من أمر الله ﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾ يقول: من المستهزئين. قال قتادة: فلم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعة الله، هذا قول صنف منهم ﴿أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين﴾ هذا قول صنف آخر ﴿أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرامة رجعة إلى الدنيا﴾ فأكون من المحسنين ﴿قال: هذا صنف آخر؛ يقول الله ردًا لقولهم﴾ بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين ﴿.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم﴾ قال: بأعمالهم، والآخرين ﴿يحملون أوزارهم يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون﴾.

قوله عز وجل: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِعَاقِبَةِ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ

(١) أخرجه ابن جرير (١٤/٢٤) بسند ضعيف.



الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَغْفِرَ اللَّهُ تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ .

قال البغوي: ﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾، أي: الأشياء كلها موكولة إليه، فهو القائم بحفظها ﴿له مقاليد السموات والأرض﴾، أي: مفاتيح خزائن السموات والأرض. ﴿والذين كفروا بآيات الله أولئك هم الخاسرون﴾. ﴿قل أغفر الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون﴾ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائهم ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك﴾، أي: الذي عملته قبل الشرك، وهذا خطاب مع رسول الله ﷺ والمراد من غيره، وقيل: هذا أدب من الله لنبية وتهديد لغيره، لأن الله تعالى عصمه من الشرك ﴿ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ لإنعامه عليك ﴿وما قدرُوا الله حقَّ قدره﴾ ما عظموه حقَّ عظمتهم حين أشركوا به غيره. ثم أخبر عن عظمتهم فقال ﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾. انتهى ملخصاً.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك؟ أين ملوك الأرض؟»<sup>(١)</sup> متفق عليه.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين

(١) أخرجه البخاري (ج/٤٨١٢)، ومسلم (ج/٢٧٨٧).

على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(١)</sup> متفق عليه.

قوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ ۖ وَأُشْرِقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> وَوُفِّيتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ينفخ في الصور ثلاث نفخات: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين تبارك وتعالى، يأمر الله إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول: انفخ نفخة الفزع، فتفزع أهل السموات وأهل الأرض إلا من شاء الله». قال أبو هريرة: يا رسول الله فمن استثنى حين يقول: ﴿ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾؟ قال: «أولئك الشهداء، وإنما يصل الفزع إلى الأحياء، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وأمنهم؛ ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله فإذا هم خامدون؛ ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار تبارك وتعالى فيقول: يا رب، قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول له — وهو أعلم — : فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت، وبقي حملة عرشك، وبقي جبريل وميكائيل. فيقول الله: فليمت جبريل وميكائيل. فيقول: يا رب يموت جبريل وميكائيل! فيقول الله له: اسكت إني كتبت الموت على من كان تحت عرشي؛ ثم يأتي ملك الموت فيقول: يا رب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول الله — وهو أعلم — : فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٨١١)، ومسلم (ح/٢٧٨٦).

الذي لا تموت، وبقي حملة عرشك وبقيت أنا. فيقول الله: فليمت حملة العرش، فيموتون، ويأمر الله العرش فيقبض الصور فيقول: أي رب قد مات حملة عرشك. فيقول — وهو أعلم — : فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا. فيقول الله: أنت من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت لا تحيي. فيموت<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير.

وعن قتادة ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾ قال نبي الله: «بين النفختين أربعون»<sup>(٢)</sup> قال: قال أصحابه: فما سألناه عن ذلك؛ ولا زادنا على ذلك؛ غير أنهم كانوا يرون من رأيهم أنها أربعون سنة. وذكر لنا أنه يبعث في ذلك الأربعون مطر يقال له: مطر الحياة، حتى تطيب الأرض وتهتز وتنبث أجساد الناس نبات البقل، ثم ينفخ فيه الثانية فإذا هم قيام ينظرون. وعن الحسن قال: قال النبي ﷺ: «كأنني أنفص رأسي من التراب أول خارج، فالتفت فلا أرى أحداً إلا موسى متعلقاً بالعرش، فلا أدري أضمن استثنى الله لا تصيبه النفخة لعلمه الصعقة أو بُعث قبلي»<sup>(٣)</sup>.

وعن قتادة قوله: ﴿وأشرقت الأرض بنور ربها﴾ قال: فما يتضارون في نوره إلا كما يتضارون في الشمس في اليوم الصحو الذي لا دخن فيه ﴿ووضع الكتاب﴾ قال: كتاب أعمالهم ﴿وجيء بالنبئين﴾ قال ابن كثير: قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم ﴿والشهداء﴾ أي: الشهداء من الملائكة، الحفظة على أعمال العباد من خير وشر ﴿وقضي بينهم بالحق﴾، أي: بالعدل ﴿وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون﴾ قال عطاء: يريد: أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

(١) سبق تخريجه، وسنده ضعيف.

(٢) روي مرفوعاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في الصحيحين، وقد سبق تخريجه.

(٣) أخرجه ابن جرير (٣١/٢٤) عن الحسن مرسلاً.

قوله عز وجل: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

عن قتادة قوله: ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ قال: جماعات حتى إذا جاءوها فتحت أبوابها﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي بمجرد وصولهم إليها فتحت لهم أبوابها سريعاً ﴿وقال لهم خزنتها﴾ — على وجه التقرير والتوبيخ — ﴿ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين﴾، أي: ولكن كذبناهم وخالفناهم لما سبق لنا من الشقوة ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾.

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ في الصحيحين من حديث جرير قال: قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أضواء كوكب دري، لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون،

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٦٥).

أمشاطهم الذهب وورشحهم المسك ومجامرهم الإلوة وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء»<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى: ﴿حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا أول شفيع، وأنا أول من يقرع باب الجنة»<sup>(٢)</sup>. رواه مسلم. وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ حتى إذا انتهوا إلى بابها إذا هم بشجرة يخرج من أصلها عINAN، فعمدوا إلى إحداها فشربوا منها كأنما أمروا بها، فخرج ما في بطونهم من قدر أو أذى أو قذى، ثم عمدوا إلى الأخرى فتوضأوا منها كأنما أمروا بها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلن تشعث رؤوسهم بعدها أبداً ولن تبلى ثيابهم بعدها، ثم دخلوا الجنة فتلقتهم الولدان كأنهم اللؤلؤ المكنون فيقولون: أبشر، أعد الله لك كذا، وأعد لك كذا وكذا، ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه: جندل اللؤلؤ الأحمر والأصفر والأخضر يتلأ كأنه البرق، فلولا أن الله قضى أن لا يذهب بصره لذهب، ثم يأتي بعضهم إلى بعض أزواجه فيقول: أبشري، قد قدم فلان ابن فلان، فيسميه باسمه واسم أبيه، فتقول: أنت رأيته، أنت رأيته؟! فيستخفها الفرح حتى تقوم فتجلس على أسكفة بابها فيدخل فيتكى على سريره ويقرأ هذه الآية ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ وعن مجاهد قوله: ﴿طبتم﴾ قال: كنتم طيبين في طاعة الله.

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وأورثنا الأرض﴾ قال: أرض الجنة وقرأ: ﴿أن

(١) ليس الحديث في الصحيحين من حديث جرير، إنما هو من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وقد سبق تخريجه، فلعله وهم من المؤلف — رحمه الله — أو سبق قلم من الناسخ، أو أن المؤلف تابع ابن كثير على ذلك كما في تفسيره (٦٦/٤) حيث قال: «وأخرجاه من حديث جرير!!».

(٢) أخرجه مسلم (١/١٨٨).

الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴿١﴾ وعن السدي ﴿نتبوا من الجنة حيث نشاء﴾ ننزل منها حيث نشاء. وعن قتادة ﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم﴾، أي: بين الخلائق ﴿بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ قال: فتح أول الخلق بالحمد فقال: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾ وختم بالحمد فقال ﴿وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.



## الدرس الرابع والأربعون بعد المائتين

### ﴿سورة المؤمن﴾

مكية، وهي خمسة وثمانون آية

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمرّ بأثر غيث، فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات فقال: عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب، فقبل له: إن مثل الغيث الأول مثل عظم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل آل حم في القرآن»<sup>(١)</sup>. وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «لكل شيء لباب، وللباب القرآن الحواميم»<sup>(٢)</sup>.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمْدٌ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْزِرَكَ تَلَوُّهُمْ فِي الْإِلْدَادِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَدَلُوا

(١) أخرجه حميد بن زنجويه كما عزاه له ابن كثير في تفسيره (٦٩/٤)، ومن طريقه البغوي في تفسيره (٧٩/٤).

(٢) أخرجه البغوي في تفسيره (٧٩/٤) بسند ضعيف.

يَا بَاطِلٍ لِيَدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابُ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَتَيْنَا أَثْلَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ يُؤْمِنُوا فَالْمُلْكُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُم ءَايَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرُوعٌ لَا تَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْءًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَانَارًا



فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ  
كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ سَدِيدُ  
الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿حَمَّ ۝١ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۝٣ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ۝٤ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرَكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْأَلْبَدِ ۝٥ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٦ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۝٧﴾.

عن أبي إسحاق قال: جاء رجل إلى عمر فقال: إني قتلت فهل لي من توبة؟ قال: نعم، اعمل لا تيأس. ثم قرأ: ﴿حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب﴾. وعن ابن عباس قوله: ﴿ذي الطول﴾ يقول: ذي السعة والغنى. وقال ثابت البناني: كنت مع مصعب بن الزبير في سواد الكوفة، فدخلت حائطاً أصلي ركعتين، فافتحت حم المؤمن، حتى بلغت ﴿لا إله إلا هو إليه المصير﴾ فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء، عليه مقطعات يمنية فقال: إذا قلت ﴿غافر الذنب﴾ فقل: يا غافر الذنب اغفر لي ذنبي، وإذا قلت ﴿قابل التوب﴾ فقل: يا قابل التوب اقبل توبتي، وإذا قلت ﴿شديد العقاب﴾ فقل: يا شديد العقاب لا تعاقبني، قال: فالتفت فلم أر أحداً.

وقوله تعالى: ﴿ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾ قال قتادة: أسفارهم فيها ومجيئهم وذهابهم ﴿كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾ قال: الكفار ﴿وهمت كل أمة برسولهم لياخذوه﴾ ليقتلوه ﴿وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فأخذتهم فكيف كان عقاب﴾ قال: شديد والله، ﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يعني كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة، حقت على الذين كفروا من قومك ﴿أنهم أصحاب النار﴾.

قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتُمْ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾.

قال البغوي<sup>(٢)</sup>: قوله عز وجل: ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾ حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام، ويروى أن أقدامهم في تخوم الأرض، والأرضون والسموات إلى حُجُزهم، وهم يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سُبُوح قُدُوس، رب الملائكة والروح. قال وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش، ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقيه مسيرة سبعمائة عام»<sup>(٣)</sup>.

وعن قتادة: ﴿فاغفر للذين تابوا من الشرك واتَّبَعُوا سَبِيلَكَ﴾، أي: طاعتك

(١) انظر «معالم التنزيل» (٨٠/٤).

(٢) المصدر السابق (٨٠/٤).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧/ح)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٦/ح)، والطبراني في الأوسط كما في «مجمع البحرين» (٦٧/ح)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤٢/٢)، وهو حديث صحيح.

﴿وقهم عذاب الجحيم﴾ قال مطرف: وجدنا: أغشّ عباد الله لعباد الله الشياطين، ووجدنا: أنصح عباد الله لعباد الله الملائكة.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ يَافِكُمْ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾.

عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَّقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ يقول: لمقت الله أهل الضلالة حين عرض عليهم الإيمان في الدنيا فتركوه وأبوا أن يقبلوا، أكبر مما مقتوا أنفسهم حين عاينوا عذاب الله يوم القيامة. ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأُحْيَيْتَنَا أَثْنَتَيْنِ فَأَعْرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾؟ قال قتادة: كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما حياتان وموتتان.

﴿فهل إلى خروج من سبيل﴾ قال: فهل إلى كرة إلى الدنيا؟ قال البغوي<sup>(١)</sup>: أي من خروج من النار فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك؟ قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ وفيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازة: فأجيئوا: أن لا سبيل إلى ذلك.

قوله عز وجل: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ آيَاتِهِ وَيُرْسِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ﴾ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٨٢/٤).

عِبَادِهِ لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٣﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٤﴾ الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٥﴾ وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَّاءٍ لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١٦﴾ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٨﴾ .

عن السدي: ﴿إِلَّا مِنْ يَنْبِ﴾ قال: من يُقبل إلى طاعة الله .

وقوله تعالى: ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ﴾ قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: يقول تعالى مخبراً عن عظمته وكبريائه وارتفاع عرشه العظيم العالي على جميع مخلوقاته كالسقف لها، كما قال تعالى: ﴿مَنْ اللَّهُ ذِي الْمَعَارِجِ تَعْرَجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾<sup>(٢)</sup> . وعن قتادة قوله: ﴿يَلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ﴾ قال: الوحي ﴿مَنْ أَمْرُهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾ قال: يوم تلتقي فيه أهل السماء وأهل الأرض والخالق والمخلوق .

وقال ابن زيد في قوله: ﴿وَأَنذَرَهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ﴾ قال: يوم القيامة، وقرأ ﴿أَزَفَتِ الْآزِفَةُ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾<sup>(٣)</sup> .

﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ﴾ قال قتادة: قد وقعت القلوب في الحناجر من المخافة، فلا هي تخرج ولا تعود إلى أمكتها . وعن السدي: ﴿إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ﴾ قال: شخصت أفئدتهم عن أمكتها، فنشبت في حلوقهم فلم تخرج من أجوافهم فيموتوا، ولم ترجع إلى أمكتها فتستقر . ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ﴾ قال: من يعنيه أمرهم ولا شفيع لهم .

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٧٣/٤) .

(٢) سورة المعارج: الآية ٤ .

(٣) سورة النجم: الآية ٥٨ .

وقال ابن كثير: وقوله سبحانه وتعالى: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾<sup>(١)</sup>، أي: ليس للذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ إذا نظرت إليها - يريد الخيانة - أم لا ﴿وما تخفي الصدور﴾ إذا قدرت عليها - أتزني بها - أم لا.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾، أي: بالعدل ﴿والذين يدعون من دونه﴾ من الأصنام والأوثان والأنداد ﴿لا يقضون بشيء﴾، أي: لا يملكون شيئاً ولا يحكمون بشيء ﴿إن الله هو السميع البصير﴾.

قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يُذَوِّبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

عن قتادة: ﴿وما كان لهم من الله من واق﴾ يقيهم ولا ينفعهم.



## الدرس الخامس والأربعون بعد المائتين

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَقَتَرُونَ فَقَالُوا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ ﴿٢٨﴾ يَقُولُ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَضُرُّنَا مِنْ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَقُولُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ الْبَيِّنَاتِ قَدْ رَلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَقٌّ إِذَا هَلَاكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ

مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ  
كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ  
مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمْنُنِي أَنِّي لِى صَرْحًا لَعَلِّى أَتْلُعُ ۖ أَلَسَبَبُ ﴿٣٦﴾  
أَسَبَبُ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّى لَآتُفُّهُ كَذِبًا ۖ وَكَذَلِكَ زُيِّنَ  
لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ ۖ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ ۖ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾  
وَقَالَ الَّذِى ءَامَنَ يَقُومِ اتَّبِعُونِى أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَقُومُ إِنَّمَا  
هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِىَ دَارُ الْفَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً  
فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَتَتْهُ ۖ وَهُوَ مُؤْمِنٌ  
فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْفَعُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۖ وَيَقُومُ مَا لَىٰ  
أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِى إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونِى لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ  
بِهِ ۖ مَا لَيْسَ لى بِهِ عِلْمٌ ۖ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَا  
تَدْعُونِى إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِى الدُّنْيَا وَلَا فِى الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدًّا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ  
الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذَكَّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِى  
إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِصِيرِ الْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوْقَهُ اللَّهُ سَيِّغَاتِ مَا مَكُرُوا وَحَاقَ  
بِنَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ  
السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ وَإِذْ يَتَحَايَجُونَ فِى النَّارِ فَيَقُولُ  
الضُّعْفَتَوُا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا ۖ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ ۖ عَنَّا  
نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِىهَا إِذْ قَالَ اللَّهُ قَدْ  
حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِى النَّارِ لِيُخْرِجَنَا جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ  
عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ۖ قَالُوا



بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا مَا دُعُوا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا  
وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ  
مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى  
وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾  
فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ  
وَالْإِبْكَرِ ﴿٥٥﴾ .

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ٢٣﴾  
إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَمْلَانَ وَقَتُّوهُ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ٢٤ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ  
مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا  
كَيدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ٢٥ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ  
رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ٢٦ وَقَالَ  
مُوسَىٰ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ  
الْحِسَابِ ٢٧﴾.

عن قتادة: ﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾، أي: أمركم الذي أنتم عليه ﴿أو  
أن يظهر في الأرض الفساد﴾ والفساد عنده أن يعمل بطاعة الله.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ٢٨﴾  
أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۚ وَإِنْ يَكُ  
كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۖ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ  
لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ٢٩ يَقَوْمِ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ  
فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنَ بَاسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا  
أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ٣٠ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ  
الْأَحْزَابِ ٣١ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظَلْمًا  
لِلْعِبَادِ ٣٢ وَيَقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّارِ ٣٣ يَوْمَ تُؤَلَّفُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ  
مِنْ عَاصِمٍ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ٣٤ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ  
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ

مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٍ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ .

عن السدي: ﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون﴾ قال: هو ابن عم فرعون: ﴿أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم﴾؟ قال ابن إسحاق: بعصاه وبيده. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذه بمنكيه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: أنقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم؟<sup>(١)</sup> رواه البخاري.

وقوله: ﴿إني أخاف عليكم يوم التناد﴾، أي: يوم القيامة. وفي حديث الصور: «فتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار فتلقاها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولي الناس مدبرين ينادي بعضهم بعضاً، وهو الذي يقول الله: ﴿يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم﴾»<sup>(٢)</sup>.

وعن السدي: ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ قال موسى: ﴿من قبل﴾ بالبينات. قال البغوي<sup>(٣)</sup>: يعني قوله: ﴿أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾<sup>(٤)</sup> «فما زلت في شك مما جاءكم به» قال ابن عباس: من عبادة الله وحده لا شريك له ﴿حتى إذا هلك﴾ مات ﴿قلتم لن يبعث الله من بعده رسولا﴾ كذلك

(١) أخرجه البخاري (ح/٤٨١٥).

(٢) سبق تخريجه، وسنده ضعيف.

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٤/٨٦).

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٩.

يضلّ الله من هو مسرف ﴿مرتأب﴾ شاكّ. ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ قال الزجاج: هذا تفسير للمسرف المرتأب، يعني: ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾، أي: في إبطالها بالتكذيب: ﴿بغير سلطان﴾ حجة: ﴿أنهم﴾ من الله ﴿كبر مقتاً﴾، أي: كبر ذلك الجدال مقتاً ﴿عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار﴾ قال قتادة: آية الجبابة القتل بغير حق.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِي لِي صَرَخًا لَعَلِّي آتِلُغُ الْأَسْبَابَ ۖ ۝٣٦ أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلَعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَى وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا ۖ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ۖ ۝٣٧﴾.

عن قتادة: ﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرخاً﴾ وكان أول من بنى بهذا الآجر وطبخه، ﴿لعلّي أبلغ الأسباب أسباب السموات﴾، أي: أبواب السموات ﴿فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: يقول: وإني لأظنّ موسى كاذباً فيما يقول ويدّعي من أن له في السماء ربّاً أرسله إلينا. ﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله وصدّ عن السبيل﴾ قال قتادة: فعل ذلك به: زين له سوء عمله، وصدّ عن السبيل ﴿وما كيد فرعون إلا في تباب﴾، أي: في ضلال وخسار.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَنْقُومِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ۖ ۝٣٨ يَنْقُومِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ۖ ۝٣٩ مَن عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجَزَّئِ إِلَّا مِثْلُهَا وَمَن عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنفَقَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۖ ۝٤٠ وَيَنْقُومُ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَى وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ ۖ ۝٤١ تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَىٰ

(١) انظر «جامع البيان» (٢٤/٦٤).

الْعَزِيزِ الْفَقْرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي  
الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾  
فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولَ لَكُمْ وَأَفَؤُصْ أَمَرْتُ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ  
بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَّعَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ  
الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ  
فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ .

عن قتادة: ﴿وإن الآخرة هي دار القرار﴾ استقرت الجنة بأهلها واستقرت  
النار بأهلها. ﴿من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها، ومن عمل صالحاً من ذكر  
أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب﴾ قال قتادة: لا  
والله ما هناك مكيال ولا ميزان. وعن مجاهد قوله ﴿ما لي أدعوكم إلى النجاة﴾  
قال: الإيمان بالله ﴿وتدعونني إلى النار﴾؟ قال ابن زيد: هذا مؤمن آل فرعون  
يدعونه إلى دينهم والإقامة معهم ﴿تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم  
وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾. ﴿لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في  
الدنيا ولا في الآخرة﴾ قال قتادة، أي: لا ينفع ولا يضر: ﴿وأن المسرفين هم  
أصحاب النار﴾، أي: المشركون. وقال ابن وهب: قال ابن زيد في قوله:  
﴿فستذكرون ما أقول لكم﴾ فقلت له: أو ذلك في الآخرة؟ قال: نعم. وعن  
السدي: ﴿وأفؤص أمرى إلى الله﴾ قال: أجعل أمري إلى الله ﴿إن الله بصير  
العباد﴾. وعن قتادة: ﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا﴾ قال: كان قبطياً من قوم  
فرعون، فنجى مع موسى ﴿وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾ قال السدي: قوم  
فرعون: ﴿النار يعرضون عليها غدوًّا وعشيًّا﴾ قال: بلغني أن أرواح قوم فرعون في  
أجواف طير سود، تعرض على النار غدوًّا وعشيًّا حتى تقوم الساعة ﴿ويوم تقوم  
الساعة أدخلوا آل فرعون أشدَّ العذاب﴾ قال ابن عباس: يريد ألوان العذاب، غير  
الذي كانوا يعذبون به منذ أغرقوا.

قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ۖ﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۖ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ۖ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَأَدْعُوا وَمَا دُعَاؤُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ۖ ﴿٥٠﴾

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿وَإِذْ يَتَحَاوَرُونَ فِي النَّارِ﴾، أي: اذكر يا محمد لقومك، إذ يختصمون يعني أهل النار في النار ﴿فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ في الدنيا ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي قسطاً تتحملونه عنا ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾، أي: قسم بيننا العذاب بقدر ما يستحقه كل منا.

قال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ﴾ حين اشتد عليهم العذاب ﴿لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ﴾. ﴿قَالُوا﴾ يعني خزنة جهنم لهم ﴿أَو لَمْ تَكُ تَأْتِيكُمُ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فادْعُوا﴾ أنتم إذا ربكم، أي: إنا لا ندعوا لكم، لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾، أي: يبطل ويضل ولا ينفعهم.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۖ﴾ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۖ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾

(١) انظر «معالم التنزيل» (٨٨/٤٠).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٨٣/٤).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٨٨/٤٠).

هُدًى وَذِكْرَى لَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥١﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ  
لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٢﴾ .

عن السدي قول الله: ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾ قد كانت الأنبياء المؤمنون يُقتلون في الدنيا وهم منصورون، وذلك أن تلك الأمة التي تفعل ذلك بالأنبياء والمؤمنين لا تذهب حتى يبعث الله قوماً فينتصر بهم لأولئك الذين قتلوهم. وعن قتادة: ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ من ملائكة الله وأنبيائه والمؤمنين به.

وقوله تعالى: ﴿ولقد آتينا موسى الهدى﴾ قال مقاتل: الهدى من الضلالة يعني التوراة: ﴿وأورثنا بني إسرائيل الكتاب هدى وذكرى لأولي الألباب﴾، أي: العقول السليمة: ﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذى قومك ﴿إن وعد الله حق﴾ وسينصرك عليهم ويظهر دينه ﴿واستغفر لذنبك﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: هذا تعبد من الله، ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده ﴿وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار﴾.

• • •

(١) المصدر السابق (٨٩/٤٠).

## الدرس السادس والأربعون بعد المائتين

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِّغِيهِ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّكَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرَ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّبَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِيَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَئِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانَُوا بِتَايَنَاتِ اللَّهِ يَمْجِدُونَ ﴿٦٢﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٣﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَ فِي الْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَرَأَى مِنْ نَفْسِهِ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ



يُتَوَقَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَحْسَدُونَ فِي ءَايَةِ اللَّهِ أَنَّىٰ يَصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَمِمَّا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْطُلُ فِي أَغْنَقِيهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ أَذْهَبُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئَلَسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا تُرِيدُكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَقَّعُكَ فَإِلَيْنَا يَرْجِعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِشَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَتُزَيِّجُكُمْ ءَايَتِنَا فَأَيَّ ءَايَةِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَ تَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمْ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكْ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَلَّ اللَّهُ الْبَقَىٰ قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادَةٍ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ  
سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ  
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى  
وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسَوِّءُ قَلِيلًا مَّا  
تَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيُّمٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا  
يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾.

عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَتْهُمْ﴾ لم  
يأتهم بذلك سلطان ﴿إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ قال ابن عباس ما يحملهم على  
تكذيبك إلا ما في صدورهم من الكبر والعظمة ﴿مَّا هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ قال مجاهد ﴿مَّا  
هُمْ بِبَالِغِيهِ﴾ مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عز وجل مُدِلُّهُمْ ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ  
السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مع عظمهما ﴿أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ  
النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ قال البغوي<sup>(١)</sup>: حيث لا يستدلون بذلك على  
توحيد خالقها؛ وقال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى منبهاً على أنه يعيد الخلائق يوم  
القيامة، وأن ذلك سهل عليه يسير لديه، بأنه خلق السموات والأرض وخلقها أكبر  
من خلق الناس بدءاً وإعادة، فمن قدر على ذلك فهو قادر على ما دونه بطريق

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/٨٩).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٤/٨٥).

الأولى والأخرى، كما قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْزِ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى بَلَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءَ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ﴾، أي: ما أقل ما يتذكر كثير من الناس. ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾، أي: لكائنة وواقعة ﴿لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ ﴿٦١﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَرَبِّكُمْ مِنْ ثَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُنَوِّقُ مِنْ قَبْلِ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلَ مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾.

عن ابن عباس قوله: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾ يقول: وحدوني أغفر

لكم. وعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «الدعاء هو العبادة، وقرأ رسول الله ﷺ: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾»<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير. وعن السدي: ﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾ قال: عن دعائي ﴿سيدخلون جهنم داخرين﴾ قال: صاغرين.

وقوله تعالى: ﴿ذلكم الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو فأنى تؤفكون﴾، أي: كيف تعبدون معه غيره؟ وعن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله، فليقل على إثرها: الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله: ﴿فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾.

وقوله تعالى: ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله لما جاءني البينات من ربِّي وأمرت أن أسلم لرب العالمين﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: يقول تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين: إن الله عز وجل ينهى أن يعبد أحد سواه من الأصنام والأنداد والأوثان، وقد بين تبارك وتعالى أنه لا يستحق العبادة أحد سواه في قوله — جلّت عظمتة —: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً﴾، أي: هو الذي يخلقكم في هذه الأطوار كلها وحده لا شريك له، وعن أمره وتدييره وتقديره يكون ذلك كله.

وقوله تعالى: ﴿ومنكم من يتوفَّى من قبل﴾ قال البغوي<sup>(٣)</sup>: من قبل أن يصير شيخاً ﴿ولتبلغوا﴾ جميعاً ﴿أجلاً مسمى﴾ وقتاً معلوماً محدوداً لا تجاوزونه، يريد

(١) حديث صحيح، وقد خرجته في «كشف ما ألغاه إبليس من البهرج والتليس على قلب داود بن جرجيس».

(٢) المصدر السابق (٨٧/٤).

(٣) انظر «معالم التنزيل» (٩٢/٤).

أجل الحياة إلى الموت ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾، أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته.

قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: ثم قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يَحْيِي وَيَمِيتُ﴾، أي: هو المتفرد بذلك لا يقدر على ذلك أحد سواه ﴿فَإِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾، أي: لا يخالف ولا يمانع، بل ما شاء كان لا محالة.

قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَاجِدُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصَرَّفُونَ﴾ <sup>٦٩</sup> ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ <sup>٧٠</sup> ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَعْتَقِهِمْ وَالسَّلاْسِلُ يُسْحَبُونَ﴾ <sup>٧١</sup> ﴿فِي الْعَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ <sup>٧٢</sup> ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ <sup>٧٣</sup> ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ <sup>٧٤</sup> ﴿ذَلِكَ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ <sup>٧٥</sup> ﴿أَدْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِيمَا فَتَسَى مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ <sup>٧٦</sup>.

قال ابن زيد في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يَصْرَفُونَ﴾ قال: عن الحق، قال: هؤلاء المشركون. وعن مجاهد في قوله: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ قال: يوقد بهم النار.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

قال ابن جرير<sup>(٢)</sup> يقول: ثم قيل: أين الذين كنتم تشركون بعبادتكم إياها من دون الله من آلهتكم وأوثانكم، حتى يغيثوكم فينقذوكم مما أنتم فيه من البلاء والعذاب؟ فإن المعبود يغيث من عبده وخدمه، وإنما يقال هذا لهم توبيخاً وتقريعاً

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٨٧/٤).

(٢) انظر «جامع البيان» (٨٥/٢٤).

على ما كان منهم في الدنيا من الكفر بالله وطاعة الشيطان، فأجاب المساكين عند ذلك فقالوا: ﴿ضَلُّوا عَنَا﴾ يقول: عدلوا عنا، فأخذوا غير طريقنا وتركونا في هذا البلاء، بل ما ضلُّوا عنا ولكننا لم نكن ندعوا من قبل في الدنيا شيئاً، أي: لم نكن نعبد شيئاً؛ يقول الله تعالى ذكره: ﴿كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾ يقول: كما أضل هؤلاء الذين ضلَّ عنهم في جهنم ما كانوا يعبدون في الدنيا، من دون الله من الآلهة والأوثان آلهتهم وأوثانهم، كذلك يضلُّ الله أهل الكفر به عنه وعن رحمته وعبادته، فلا يرحمهم فينجيهم من النار، ولا يغنيهم فيخفف عنهم ما هم فيه من البلاء.

وعن مجاهد ﴿ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون﴾ قال: تبطرون وتأشرون ﴿ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَيْمَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّيَنَّكَ فَإِنَّا نُرْجِعُونَ﴾ ٧٧ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِتَايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ٧٨ ﴿اللَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِيَرَكُوبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ ٧٩ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ٨٠ ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾ ٨١ ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَانَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ٨٢ ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ٨٣ ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُمُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ٨٤ ﴿فَلَمَّا يَكُ يَنْفَعُهُمْ

إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَاسًا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ  
الْكَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿فاصبر إن وعد الله﴾ بنصرك ﴿حق فإما نريتك بعض الذي  
نعدهم﴾ من العذاب في حياتك ﴿أو نتوفيتك﴾ قبل أن يحلّ بهم ﴿فإلينا يرجعون﴾  
قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي، فنذيقهم العذاب الشديد في الآخرة. ثم قال تعالى: مسلماً له  
﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص  
عليك﴾ وهم أكثر ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾، أي: ولم يكن  
لواحد من الرسل أن يأتي قومه بخارق للعادات إلا أن يأذن الله له في ذلك ﴿فإذا  
جاء أمر الله﴾ وهو عذابه ﴿قضي بالحق﴾ فينجي المؤمنين ويهلك الكافرين، ولهذا  
قال عز وجل: ﴿وخسر هنالك المبطلون﴾ .

وقوله تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون ولكم  
فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون ويريك  
آياته فأي آيات الله تنكرون﴾ قال ابن كثير: ﴿ويريك آياته﴾، أي: حججه وبراهينه  
في الآفاق، وفي أنفسكم ﴿فأي آيات الله تنكرون؟﴾، أي: لا تقدرون على إنكار  
شيء من آياته إلا أن تعاندوا وتكابروا. وقال البغوي<sup>(٣)</sup>: ﴿أفلم يسيروا في الأرض  
فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في  
الأرض﴾، يعني: مصانعهم وقصورهم ﴿فما أغنى عنهم﴾ لم ينفعهم ﴿ما كانوا  
يكسبون﴾ . ﴿فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا﴾ رضوا بما عندهم من العلم.  
قال مجاهد: هو قولهم: نحن أعلم، لن نبعث ولن نعدب، سمى ذلك علماً على  
ما يدعونه ويزعمونه، وهو في الحقيقة جهل. ﴿وحاق بهم ما كانوا به  
يستهزون﴾ .

(١) انظر «معالم التنزيل» (٩٣/٤).

(٢) انظر «تفسير القرآن العظيم» (٨٨/٤).

(٣) المصدر السابق (٩٤/٤).

﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين﴾، يعني: تبرأنا مما كنا نعدل بالله ﴿فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾ عذابنا. ﴿سنة الله التي قد خلت في عباده﴾ وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب ﴿وخسر هنالك الكافرون﴾ بذهاب نعيم الدارين. قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنهم تبين لهم خسرتهم إذا رأوا العذاب.





## الدرس السابع والأربعون بعد المائتين

### ﴿سورة فصلت﴾

مكية، وهي أربع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حَمْدٌ ۝١ نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَتَكُمْ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٤ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَرِ مِمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدًا فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۝٦ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٨ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٩﴾ قُلْ أَيْنَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءُتْدَادًا ۝١٠ ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝١١ وَجَعَلَ فِيهَا رُوسَىٰ مِّن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِيلِينَ ۝١٢ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۝١٣ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ۝١٤ وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ۝١٥ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝١٦ فَإِنِ اعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ۝١٧ إِذْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ

أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿١١﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَابٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٣﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَنْقُونَ ﴿١٥﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿حَمْدٌ ۙ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٢ كِتَابٌ فُصِّلَتْ ۝٣ آيَاتُهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٤ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٥ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِي ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّا عَمِلُونَ ۝٦ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَٰهُ وَاحِدٌ فَاستَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۚ وَذِلَّ لِلْمُشْرِكِينَ ۝٧ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٨ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٩﴾ .

قال ابن إسحاق في السيرة: حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي قال: حدثت أن عتبة بن ربيعة - وكان سيداً - قال يوماً وهو جالس في نادي قریش، ورسول الله ﷺ جالس في المسجد وحده: يا معشر قریش، ألا أقوم إلى محمد فأكلّمه وأعرض عليه أموراً لعله أن يقبل بعضها فنعطيه أيها شاء ويكف عنا؟ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون. فقالوا: بلى يا أبا الوليد، فقم إليه فكلّمه. فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، وسفّهت به أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم، وكفّرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها؟ قال: فقال له رسول الله ﷺ: «قل يا أبا الوليد أسمع» قال: يا ابن أخي. إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد به شرفاً سوّدناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثياً تراه لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الأطباء وبذلنا فيه أموالنا حتى نبترئك منه، فإنه ربما غلب التابع

على الرجل حتى يداوى منه - أو كما قال له - حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله ﷺ يستمع منه قال: «أفرغت يا أبا الوليد؟» قال: نعم. قال: «فاستمع مني». قال: أفعل. قال: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حم﴾ تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً لقوم يعلمون بشيراً ونذيراً فأعرض أكثرهم فهم لا يسمعون﴾»، ثم مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه، فلما سمع عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: «قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك».

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبا الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: ورائي أني سمعت قولاً والله ما سمعت مثله قط، والله ما هو بالسحر، ولا بالشعر، ولا بالكهانة، يا معشر قريش، أطيعوني واجعلوها بي، خلّوا بين الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه، فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت نبأ، فإن تصبه العرب فقد كفّتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم، وعزه عزكم، وكنتم أسعد الناس به. قالوا: سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه! قال: هذا رأيي فاصنعوا ما بدا لكم<sup>(١)</sup>.

وفي رواية البغوي من حديث جابر رضي الله عنه: «قال عتبة: ولكنّي أتيتهم وقصصت عليه القصّة فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكفّ، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٠٤ - ٢٠٣) مرسلًا عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/٢٠٢ - ٢٠٣)، والبغوي في تفسيره (٤/٩٧ -

وقوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ﴾ قال السدي: بُيِّنَتْ آيَاتُهُ. وعن مجاهد في قوله: ﴿قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ﴾ قال: عليها أغطية كالجمعة للنبل: ﴿وفي آذاننا وقر﴾ قال السدي: صمم.

وعن قتادة قوله: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾ قال: لا يقرّون بها، وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك، وقد كان أهل الردّة بعد نبيّ الله قالوا: أما الصلاة فنصلّي، وأما الزكاة فوالله لا نُغصب أموالنا. فقال أبو بكر: «والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه، والله لو منعوني عقلاً مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه»<sup>(١)</sup>. وعن السدي: ﴿وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة﴾، أي: لا يدينون بالزكاة، وقال: لو زكّوا وهم مشركون لم ينفعهم. وعن ابن عباس: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾ يقول: غير منقوص.

قوله عز وجل: ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَنَى فِيهَا قَدْرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلْسَائِلِينَ ﴿٢﴾ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿٣﴾ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْنُوعٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٤﴾﴾.

قال ابن عباس: خلق الله الأرض في يومين، ثم خلق السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ في يومين آخرين، ثم دحى الأرض، ودحيتها أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والرمال والجماد والآكام في يومين آخرين، فذلك قوله

(١) أخرجه ابن جرير (٩٣/٢٤)، وفيه انقطاع.

تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾<sup>(١)</sup>. وعن قتادة: ﴿سواء للسائلين﴾ قال: من سأل فهو كما قال الله.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَالْأَرْضُ انثيا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>، أي: انثيا ما أمركما، أي: افعلاه: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾. وعن مجاهد في قوله: ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ قال: ما أمر الله به وأراد. وعن السدي: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ قال: ثم زين السماء. بالكواكب فجعلها زينة ﴿وَحَفِظْنَا﴾ من الشياطين ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

قوله عز وجل: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودَ﴾<sup>(١٣)</sup> إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾<sup>(١٤)</sup> فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ﴾<sup>(١٥)</sup> فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَذيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾<sup>(١٦)</sup> وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(١٧)</sup> وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَنْقُوتُونَ﴾<sup>(١٨)</sup>.

عن قتادة في قوله: ﴿صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثُمُودٍ﴾ قال يقول: أنذرتكم وقية مثل وقية عاد وثمود، قال: عذاب مثل عذاب عاد وثمود: ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ قال ابن عباس: الرسل التي كانت قبل هود، والرسل الذين كانوا بعده، بعث الله قبله رسلاً، وبعث من بعده رسلاً.

(١) سورة النازعات: الآية ٣٠.

(٢) انظر «معالم التنزيل» (٩٧/٤).

وعن مجاهد في قوله: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ قال: شديدة: ﴿في أيام نحسات﴾ مشائم. قال قتادة: ﴿في أيام نحسات﴾ والله كانت مشئومات على القوم: ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ يبتأ لهم سبيل الخير والشر: ﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾ قال ابن زيد: استحبوا الضلالة على الهدى. وعن السدي: ﴿فأخذتهم صاعقة العذاب الهون﴾ قال: الهوان ﴿بما كانوا يكسبون﴾ ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون.



## الدرس الثامن والأربعون بعد المائتين

﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ ١٩ ﴿ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَ مَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٢٠ ﴿ وَقَالُوا لِمَ جُلِدْنَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَئِيهِ تَرْجَعُونَ ﴾ ٢١ ﴿ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ ٢٢ ﴿ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ أَنْ تُصَبِّحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ٢٣ ﴿ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَتَوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴾ ٢٤ ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ ٢٥ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٢٦ ﴿ فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَثْوَىٰ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ٢٧ ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ ٢٨ ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذِينَ أُضْلَلْنَا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لِنَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ ﴾ ٢٩ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ ٣٠ ﴿ مَن أُولِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ ٣١ ﴿ تَرْلَا مِنْ عَفْوَيرَ رَحِيمٍ ﴾ ٣٢ ﴿



قوله عز وجل: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا لِمَ جُودِدَ لَنَا لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلَإِيَّاهُ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَلِكَ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾ .

عن قتادة ﴿فهم يوزعون﴾ قال: عليهم وزعة تردّ أولاهم على أخراهم. قال في جامع البيان ﴿حتى إذا ما جاءوها﴾ «ما» مزيدة لتأكيد ظرفيته للشهادة، أي: إنما تقع فيه البتة ﴿شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون﴾ من المعاصي. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ضحك رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «ألا تسألوني من أي شيء ضحكت؟» قالوا: يا رسول الله من أي شيء ضحكت؟ قال: «عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة! يقول: أي رب، أليس وعدتني أن لا تظلمني؟ قال: بلى. فيقول: فإني لا أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي. فيقول الله تبارك وتعالى: أليس كفى بي شهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيردّ هذا الكلام مراراً قال: فيختم على فيه وتكلم أركانه بما كان يعمل فيقول: بعداً لكنّ وسحقاً، عنك كنت أجادل»<sup>(١)</sup> رواه مسلم وغيره. وعن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «تجيئون يوم القيامة على أفواهكم الفِدام، وإن أول ما

(١) أخرجه مسلم (ح/٢٩٦٩).

يتكلم من الآدمي فخذوه وكفه»<sup>(١)</sup>. رواه ابن جرير وغيره.

وعن السدي ﴿وما كنتم تستترون﴾، أي: تستخفون منها. وعن قتادة ﴿وما كنتم تستترون﴾ يقول: وما كنتم تظنون ﴿أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ حتى بلغ ﴿كثيراً مما كنتم تعملون﴾، واللّه إنّ عليك يا ابن آدم لشهوداً غير متهمة من بدنك، فراقبهم وأتق الله في سرّ أمرك وعلايتك، فإنه لا يخفى عليه خافية، الظلمة عنده ضوء، والسرّ عنده علانية، فمن استطاع أن يموت وهو بالله حسن الظنّ فليفعل، ولا قوة إلاّ بالله وعن عبد الله بن مسعود قال: إني لمستّر بأستار الكعبة، إذ دخل ثلاثة نفر: ثقيف وخثاعة قرشيان، قليل فقه قلوبهما، كثير شحوم بطونهما، فتحدثوا بينهم بحديث فقال أحدهم: أترى الله يسمع ما قلنا؟ فقال الآخر: إنه يسمع إذا رفّعنا، ولا يسمع إذا خفّضنا. وقال الآخر: إذا كان يسمع منه شيئاً فهو يسمعه كلّه. قال: فأتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له، فنزلت هذه الآية ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾<sup>(٢)</sup> رواه ابن جرير وغيره.

وعن معمر قال: تلا الحسن ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ فقال: إنما عمل الناس على قدر ظنونهم بربهم، فأما المؤمن فأحسن بالله الظنّ، فأحسن العمل. وأما الكافر والمنافق فأساء الظنّ، فأساء العمل. وعن قتادة قال: الظنّ ظنان: ظنّ مُنْجٍ، وظنّ مُرْدٍ قال ﴿الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم﴾ قال ﴿إني ظننت أنّي ملاق حساييه﴾ وهذا الظنّ المنجي ظناً يقيناً، وقال ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم﴾ هذا ظنّ مُرْدٍ، وقال الكافرون ﴿إنّ نظنّ إلاّ ظناً وما نحن بمستيقنين﴾؛ وذكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول — ويروي ذلك عن ربه — :

(١) أخرجه أحمد (٥/٣ و ٥/٤)، والنسائي في الكبرى (٦/٤٥١)، وابن جرير (٢٤/١٠٧)، وهو حديث حسن.

(٢) أخرجه البخاري (ح/٤٨١٦ و ٤٨١٧ و ٧٥٢١)، ومسلم (ح/٢٧٧٥).

«عبدني غير ظنه بي، وأنا معه إذا دعاني»<sup>(١)</sup>. وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتَبُوا فَهُمْ مِنَ الْمَعْتَبِينَ﴾ قال البغوي ﴿وإن يستعتبوا﴾ يسترضوا ويطلبوا العتبي ﴿فما هم من المعتبين﴾ المرضيين، والمعتب: الذي قبل اعتابه وأجيب إلى ما سأل.

قوله عز وجل: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾ (٢٥) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَبُونَ (٢٦) فَلَنَذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٧) ذَلِكَ جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللَّهِ النَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَمْحَدُونَ (٢٨) وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرْنَا الَّذِينَ ضَلَّوْنَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ نَجْعَلُهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ (٢٩).

عن مجاهد ﴿وقيضنا لهم قرناء﴾ قال: شياطين ﴿فزيتوا لهم ما بين أيديهم﴾ قال السدي: من أمر الدنيا ﴿وما خلفهم﴾ من أمر الآخرة ﴿وحق عليهم القول﴾ قال: العذاب ﴿في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ وعن ابن عباس قوله ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ قال: هذا قول المشركين قالوا: لا تتبعوا هذا القرآن والهوا عنه. وعن مجاهد ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ قال: المكاء والتفسير، وتخليط من القول على رسول الله ﷺ إذا قرأ، قرش تفعله.

﴿فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ قال البغوي<sup>(٢)</sup>: وهو الشرك بالله. وعن علي رضي الله عنه في قوله: ﴿ربنا أرننا﴾

(١) سبق تخريجه مرفوعاً بلفظ: «إذا ذكرني في نفسه...».

(٢) انظر «معالم التنزيل» (١٠١/٤).

اللذين أضلّنا من الجنّ والإنس ﴿٣٠﴾ قال: إبليس وابن آدم الذي قتل أخاه ﴿٣١﴾ نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿٣٢﴾ قال ابن عباس: ليكونا أشدّ عذاباً منا.

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ ﴿٣٢﴾ ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ ﴿٣٣﴾ ﴿ثُمَّ لَا مَنَعَ غَوْرٍ رَحِيمٍ﴾ ﴿٣٤﴾.

عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قرأ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: قد قالها الناس ثم كفر أكثرهم، فمن مات عليها فهو ممن استقام<sup>(١)</sup>. وقال عكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله. وعن مجاهد ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: أسلموا ثم لم يشركوا به حتى لحقوا به. وعن الزهري قال: تلا عمر رضي الله عنه على المنبر ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ قال: استقاموا والله بطاعته، ولم يروغوا ووغان الثعالب. وقال قتادة: استقاموا على طاعة الله. وكان الحسن إذا تلاها قال: اللهم فأنت ربنا فارزقنا الاستقامة. وعن مجاهد ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنْ لَا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ قال: ﴿لَا تَخَافُوا﴾ ما تقدّمون عليه من أمر الآخرة ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من دنياكم، فإننا نخلفكم في ذلك كلّهُ ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

وعن السدي ﴿نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ﴾ قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي مهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم

(١) أخرجه الترمذي (ح/٣٢٥٠)، وقال: حسن غريب، والنسائي في الكبرى (٤٥٢/٦)،

وابن جرير (١١٤/٢٤)، بسند ضعيف.

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (٩٩/٤).

﴿نَزَلَ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ﴾، أي: ضيافة وعطاء وإنعاماً من غفور لذنوبكم ﴿رَحِيمٍ﴾ بكم. وفي الصحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه». قلنا: يا رسول الله كلنا نكره الموت! قال: ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائر إليه، فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى فأحب الله لقاءه — قال — ، وإن الفاجر أو الكافر إذا حضر جاءه بما هو صائر إليه من الشر أو ما يلقي من الشر فكره لقاء الله، فكره الله لقاءه»<sup>(١)</sup>. رواه أحمد وغيره.



---

(١) أخرجه أحمد (١٠٧/٣)، وليس هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية أنس عند مسلم؛ بل هو من رواية عائشة رضي الله عنها (ح/٢٦٨٤ و ٢٦٨٥).

## الدرس التاسع والأربعون بعد المائتين

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (٣٣) وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقُهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنَ آيَاتِهِ أَنَّا نُرِي الْأَرْضَ حَنِيئَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفُونَ عَلَيْنَا أَفَنُبَلِّغُ فِي النَّارِ خَيْرًا مِّنْ يَأْتِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَجَبًا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَجْعَلُهَا وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ

فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ  
 مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ  
 لِلْعَبِيدِ ﴿١٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ  
 أَنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا مَا أَذْنُكَ مَا مِنَّا مِنْ  
 شَهِيدٍ ﴿١٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَلُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ ﴿١٨﴾ لَا  
 يَسْمَعُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿١٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ  
 رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّاهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ  
 إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لِلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ  
 عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بِنِعْمَتِنَا وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ  
 فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٢١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مَنْ  
 أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٢٢﴾ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ  
 حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلَا  
 إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُمْ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ ﴿٢٤﴾

\* \* \*

قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ٣٣ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ٣٤ وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ٣٥ وَإِنَّمَا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٣٦ .

عن معمر قال: تلا الحسن ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ قال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله.

وقوله تعالى: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾ قال ابن عباس: أمر الله المؤمنين بالصبر عند الغضب، والحلم والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا ذلك عصمهم الله من الشيطان وخضع لهم عدوهم ﴿كأن ولي حميم﴾. قال قتادة: كأنه ولي قريب. وعن ابن عباس قوله: ﴿وما يلقيها إلا الذين صبروا وما يلقيها إلا ذو حظ عظيم﴾ يقول: الذين أعد الله لهم الجنة. قال قتادة: ذكر لنا أن أبا بكر رضي الله عنه شتمه رجل ونبي الله ﷺ شاهد، فعفا عنه ساعة، ثم إن أبا بكر جاش به الغضب فردّ عليه، فقام النبي ﷺ فأتبعه أبو بكر فقال: يا رسول الله شتمني الرجل فغفوتُ وصفحتُ وأنت قاعد، فلما أخذت أنتصر قمت يا نبي الله؟ فقال نبي الله ﷺ: «إنه كان يردّ عنك ملك من الملائكة، فلما قرّبت تنتصر ذهب الملك وجاء الشيطان،



فوالله ما كنت لأجالس الشيطان يا أبا بكر<sup>(١)</sup>. وقال ابن زيد: ﴿وإما يترغّنك من الشيطان نزغ﴾ قال: هذا الغضب. وقال السدي: وسوسة وحديث النفس ﴿فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾.

قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ آيَلُ وَالنَّهَارُ وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنْ أَسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: لما كان الشمس والقمر أحسن الأجرام المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، نبّه تعالى على أنهما مخلوقان عبدان من عبيده تحت قهره وتسخيره فقال: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهنَّ إن كنتم إياه تعبدون﴾، أي: ولا تشركوا به فما تنفعكم عبادتكم له مع عبادتكم لغيره، فإنه لا يغفر أن يشرك به؛ ولهذا قال تعالى: ﴿فإن استكبروا﴾، أي: عن أفراد العبادة له وأبوا إلا أن يشركوا معه غيره ﴿فالذين عند ربك﴾، يعني: الملائكة ﴿يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾.

وعن قتادة قوله: ﴿ومن آياته إنك ترى الأرض خاشعة﴾، أي: غبراء متهشمة ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ يعرف الغيث في صحتها وربوها. وقال مجاهد ﴿اهتزت﴾ بالنبات ﴿وربت﴾ يقول: انتفخت. ﴿إن الذي أحياها لمحيي الموتى﴾ قال السدي: كما يحيي الأرض بالمطر كذلك يحيي الموتى بالماء يوم القيامة بين النفختين ﴿إنه على كل شيء قدير﴾.

(١) أخرجه ابن جرير (١٢٠/٢٤) عن قتادة مرسلًا، وروي مسندًا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أخرجه أحمد (٤٣٦/٢).

(٢) انظر تفسير القرآن العظيم (١٠٢/٤).

قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَنُيْلَقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَكِنْتُ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا أَعْجَبِيَّا لَفَاقُولُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَبِي وَعَرَبِي ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَمِيدِ ﴿٤٦﴾ ۝

قال ابن يزيد في قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ قال: هؤلاء أهل الشرك، وقال: الإلحاد الكفر والشرك. وقال ابن عباس: هو أن يوضع الكلام على غير موضعه. ﴿أَفَنُيْلَقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾. قال ابن كثير<sup>(١)</sup>: أي أيسوي هذا وهذا؟ ﴿لَا يَسْتَوِيَانِ﴾؛ ثم قال عز وجل للكفرة: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. عن قتادة قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ كفروا بالقرآن ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾، يقول: أعزّه الله لأنه كلامه، وحفظه من الباطل، ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾، الباطل: إبليس، لا يستطيع أن ينقص منه حقاً ولا يزيد فيه باطلاً. وقال ابن كثير: أي ليس للبطلان إليه سبيل، لأنه منزل من رب العالمين، ولهذا قال: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾. وعن قتادة ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ يعزّي نبيّه ﷺ كما تسمعون، يقول: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾.

(١) المصدر السابق (٤/١٠٢).

وعن سعيد بن جبير في قوله: ﴿ولو جعلناه قرآنًا أعجميًا لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي﴾ قال: الرسول عربي واللسان أعجمي. وقال السدي يقول: بينت آياته ﴿أعجمي وعربي﴾ نحن قوم عرب ما لنا وللعجمة؟ ﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾ قال: القرآن ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ قال: صمم ﴿وهو عليهم عمى﴾. قال: عميت قلوبهم عنده ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾. قال مجاهد: بعيد من قلوبهم.

قال البغوي<sup>(١)</sup>: ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ فمصدق ومكذب، كما اختلف قومك في كتابك ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن ﴿لقضي بينهم﴾ لفرع من عذابهم وعجل إهلاكهم ﴿وإنهم لفي شك منه مريب﴾. وقوله تعالى: ﴿من عمل صالحاً فلنفسه﴾. قال ابن كثير<sup>(٢)</sup>: أي إنما يعود نفع ذلك على نفسه ﴿ومن أساء فعليها﴾، أي إنما يرجع وبال ذلك عليه ﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾.

قوله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يُرْدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُى قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ نَجْجِصٍ ﴿٤٨﴾ لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَدْنَيْتَهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِى وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّى إِنَّ لى عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلْيُنِزْنِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَا أُنْمِنَّا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَسَا بَإِيجَانِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ

(١) انظر «معالم التنزيل» (٤/١٠٤).

(٢) المصدر السابق (٤/١٠٣).

اللَّهُ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَرَّيْهِمْ أَهْلِيْنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا لِمَنْتُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ .

\*\*\*

قوله عز وجل: ﴿٥٢﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَاءُي قَالُوا أَإِذْنَكَ مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ﴿٥٤﴾ .

قال البغوي<sup>(١)</sup>: يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج.  
وقوله تعالى: ﴿ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك﴾. قال ابن عباس: يقول أعلمناك. وقال السدي: قالوا: أطعناك ﴿ما منا من شهيد﴾ على أن لك شريكاً ﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل وظنوا ما لهم من محيص﴾ استيقنوا أنه ليس لهم ملجأ.

قوله عز وجل: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ﴿٥٤﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا إِلَىٰ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَجَّ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ ﴿٥٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٧﴾ سَرَّيْهِمْ

(١) انظر «معالم التنزيل» (١٠٤/٤).

مَا يَتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيعَةٍ مِّنْ لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا يَنْهَضُوا بِكُلِّ شَيْءٍ مَُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ .

قال ابن زيد في قوله: ﴿لَا يَسَامُ الْإِنْسَانُ﴾ قال: لا يمل ﴿من دعاء الخير وإن مسه الشر فينوس قنوط﴾ قال السدي: قانط من الخير ﴿ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي﴾ قال مجاهد: أي بعلمي، وأنا محقوق بهذا ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ قال السدي يقول: غَنَى ﴿فلننبئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ قال السدي: يقول ﴿أعرض﴾ صدّ بوجهه ﴿ونأى بجانبه﴾ يقول: تباعد ﴿وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾ .

يقول ابن كثير<sup>(١)</sup>: وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ﴾، أي: هذا القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به من أضلّ ممن هو في شقاق بعيد﴾ خلاف للحق، بعيد عنه .

﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ قال قتادة: يعني وقائع الله في الأمم ﴿وفي أنفسهم﴾ يوم بدر ﴿حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾ قال مقاتل: أولم يكف بربك شاهداً أن القرآن من الله؟ ﴿ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم﴾ في شك من البعث ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ فلا يخفى عليه خافية ولا يعجزه شيء سبحانه وتعالى .

انتهى الجزء الثالث بحمد الله،

ويليه الجزء الرابع

(١) انظر «تفسير القرآن العظيم» (١٠٤/٤) .



## فَهْرَسْتُ الْمَوْضُوعَاتِ الجزء الثالث

| الموضوع                              | الصفحة | الموضوع                                | الصفحة |
|--------------------------------------|--------|--|--------|
| الدرس السادس والخمسون بعد المائة . ٥ |        | الدرس الستون بعد المائة . . . . . ٣٣   |        |
| ﴿سورة الكهف﴾ . . . . . ٥             |        | الآيات : ٨٣ — ٨٨ . . . . . ٣٥          |        |
| الآيات : ٨ — ٨ . . . . . ٨           |        | الآيات : ٨٩ — ٩١ . . . . . ٣٦          |        |
| الآيات : ٩ — ١٢ . . . . . ١٠         |        | الآيات : ٩٢ — ٩٧ . . . . . ٣٧          |        |
| الآيات : ١٣ — ١٦ . . . . . ١١        |        | الآيات : ٩٨ — ١٠١ . . . . . ٣٩         |        |
| الآيتان : ١٧ و ١٨ . . . . . ١٢       |        | الآيات : ١٠٢ — ١٠٨ . . . . . ٤١        |        |
| الآيات : ١٩ — ٢١ . . . . . ١٣        |        | الآيتان : ١٠٩ و ١١٠ . . . . . ٤٢       |        |
| الآيات : ٢٢ — ٢٦ . . . . . ١٤        |        | الدرس الحادي والستون بعد المائة . ٤٤   |        |
| الدرس السابع والخمسون بعد المائة ١٦  |        | ﴿سورة مريم﴾ . . . . . ٤٤               |        |
| الآيات : ٢٧ — ٢٩ . . . . . ١٨        |        | الآيات : ١ — ٦ . . . . . ٤٥            |        |
| الآيتان : ٣٠ و ٣١ . . . . . ١٩       |        | الآيات : ٧ — ١١ . . . . . ٤٦           |        |
| الآيات : ٣٢ — ٤٤ . . . . . ٢٠        |        | الآيات : ١٢ — ١٥ . . . . . ٤٧          |        |
| الآيات : ٤٥ — ٤٩ . . . . . ٢٢        |        | الدرس الثاني والستون بعد المائة . . ٤٨ |        |
| الدرس الثامن والخمسون بعد المائة ٢٣  |        | الآيات : ١٦ — ٢١ . . . . . ٥٠          |        |
| الآيتان : ٥٠ و ٥١ . . . . . ٢٤       |        | الآيات : ٢٢ — ٢٦ . . . . . ٥١          |        |
| الآيات : ٥٢ — ٥٦ . . . . . ٢٥        |        | الآيات : ٢٧ — ٣٦ . . . . . ٥٢          |        |
| الآيات : ٥٧ — ٥٩ . . . . . ٢٦        |        | الآيات : ٣٧ — ٤٠ . . . . . ٥٣          |        |
| الدرس التاسع والخمسون بعد المائة ٢٧  |        | الدرس الثالث والستون بعد المائة . ٥٥   |        |
| الآيات : ٦٠ — ٦٥ . . . . . ٢٨        |        | الآيات : ٤١ — ٥٠ . . . . . ٥٧          |        |
| الآيات : ٦٦ — ٧٦ . . . . . ٢٩        |        | الآيات : ٥١ — ٥٨ . . . . . ٥٨          |        |
| الآيات : ٧٧ — ٨٢ . . . . . ٣٠        |        |  |        |

| الموضوع                            | الصفحة | الموضوع                            | الصفحة |
|------------------------------------|--------|------------------------------------|--------|
| الآيات: ٥٩ — ٦٥                    | ٥٩     | الآيات: ٩٠ — ٩٤                    | ٩١     |
| الدرس الرابع والستون بعد المائة .. | ٦١     | الآيات: ٩٥ — ٩٨                    | ٩٢     |
| الآيات: ٦٦ — ٧٢                    | ٦٣     | الدرس الثامن والستون بعد المائة .. | ٩٤     |
| الآيات: ٧٣ — ٧٦                    | ٦٥     | الآيات: ٩٩ — ١٠٤                   | ٩٥     |
| الآيات: ٧٧ — ٨٠                    | ٦٦     | الآيات: ١٠٥ — ١١٢                  | ٩٦     |
| الآيات: ٨١ — ٨٧                    | ٦٧     | الآيتان: ١١٣ و ١١٤                 | ٩٩     |
| الآيات: ٨٨ — ٩٥                    | ٦٨     | الدرس التاسع والستون بعد المائة .  | ١٠١    |
| الآيات: ٩٦ — ٩٨                    | ٦٩     | الآيات: ١١٥ — ١٢٢                  | ١٠٣    |
| الدرس الخامس والستون بعد المائة    | ٧٠     | الآيات: ١٢٣ — ١٢٧                  | ١٠٤    |
| ﴿سورة طه﴾                          | ٧٠     | الآيات: ١٢٨ — ١٣٠                  | ١٠٥    |
| الآيات: ١ — ٨                      | ٧٢     | الآيتان: ١٣١ و ١٣٢                 | ١٠٦    |
| الآيات: ٩ — ١٦                     | ٧٣     | الآيات: ١٣٣ — ١٣٥                  | ١٠٧    |
| الآيات: ١٧ — ٢٣                    | ٧٤     | الدرس السبعون بعد المائة           | ١٠٩    |
| الآيات: ٢٤ — ٣٥                    | ٧٥     | ﴿سورة الأنبياء﴾                    | ١٠٩    |
| الآيات: ٣٦ — ٤٠                    | ٧٦     | الآيات: ١ — ٦                      | ١١١    |
| الآيات: ٤١ — ٤٨                    | ٧٨     | الآيات: ٧ — ٩                      | ١١٢    |
| الآيات: ٤٩ — ٥٥                    | ٧٩     | الآيات: ١٠ — ١٥                    | ١١٣    |
| الدرس السادس والستون بعد المائة    | ٨٠     | الآيات: ١٦ — ٢٠                    | ١١٤    |
| الآيات: ٥٦ — ٦٤                    | ٨٢     | الآيات: ٢١ — ٢٥                    | ١١٥    |
| الآيات: ٦٥ — ٦٩                    | ٨٣     | الآيات: ٢٦ — ٢٩                    | ١١٦    |
| الآيات: ٧٠ — ٧٦                    | ٨٤     | الدرس الحادي والسبعون بعد المائة   | ١١٨    |
| الدرس السابع والستون بعد المائة .  | ٨٧     | الآيات: ٣٠ — ٣٣                    | ١٢٠    |
| الآيات: ٧٧ — ٨٢                    | ٨٩     | الآيتان: ٣٤ و ٣٥                   | ١٢١    |
| الآيات: ٨٣ — ٨٩                    | ٩٠     | الآيات: ٣٦ — ٤١                    | ١٢٢    |



| الموضوع                          | الصفحة | الموضوع                          | الصفحة |
|----------------------------------|--------|----------------------------------|--------|
| الآيات: ٤٢ — ٤٦                  | ١٢٣    | الآيات: ١١ — ١٣                  | ١٥٨    |
| الآية: ٤٧                        | ١٢٤    | الآيات: ١٤ — ١٧                  | ١٥٩    |
| الدرس الثاني والسبعون بعد المائة | ١٢٥    | الآيات: ١٨ — ٢٤                  | ١٦٠    |
| الآيات: ٤٨ — ٥٧                  | ١٢٧    | الدرس السابع والسبعون بعد المائة | ١٦٣    |
| الآيات: ٥٨ — ٦٧                  | ١٢٨    | الآيتان: ٢٥ و ٢٦                 | ١٦٥    |
| الآيات: ٦٨ — ٧٠                  | ١٣٠    | الآيات: ٢٧ — ٢٩                  | ١٦٦    |
| الآيات: ٧١ — ٧٣                  | ١٣١    | الآيتان: ٣٠ و ٣١                 | ١٦٧    |
| الآيات: ٧٤ — ٧٧                  | ١٣٢    | الآيتان: ٣٢ و ٣٣                 | ١٦٨    |
| الدرس الثالث والسبعون بعد المائة | ١٣٣    | الآيات: ٣٤ — ٣٧                  | ١٦٩    |
| الآيات: ٧٨ — ٨٠                  | ١٣٥    | الدرس الثامن والسبعون بعد المائة | ١٧١    |
| الآيات: ٨١ — ٨٤                  | ١٣٦    | الآيات: ٣٨ — ٤١                  | ١٧٣    |
| الآيات: ٨٥ — ٨٨                  | ١٣٨    | الآيات: ٤٢ — ٤٦                  | ١٧٤    |
| الآيات: ٨٩ — ٩١                  | ١٤٠    | الآيتان: ٤٧ و ٤٨                 | ١٧٥    |
| الآيات: ٩٢ — ٩٤                  | ١٤١    | الآيات: ٤٩ — ٥٤                  | ١٧٦    |
| الدرس الرابع والسبعون بعد المائة | ١٤٢    | الآيات: ٥٥ — ٦٢                  | ١٧٨    |
| الآيات: ٩٥ — ٩٧                  | ١٤٣    | الدرس التاسع والسبعون بعد المائة | ١٨٠    |
| الآيات: ٩٨ — ١٠٤                 | ١٤٥    | الآيات: ٦٣ — ٦٩                  | ١٨٢    |
| الآيات: ١٠٥ — ١١٢                | ١٤٧    | الآيات: ٧٠ — ٧٢                  | ١٨٣    |
| الدرس الخامس والسبعون بعد المائة | ١٤٩    | الآيات: ٧٣ — ٧٧                  | ١٨٤    |
| ﴿سورة الحج﴾                      | ١٤٩    | الآية: ٧٨                        | ١٨٥    |
| الآيتان: ١ و ٢                   | ١٥١    | الدرس الثمانون بعد المائة        | ١٨٧    |
| الآيات: ٣ — ٧                    | ١٥٣    | ﴿سورة المؤمنون﴾                  | ١٨٧    |
| الآيات: ٨ — ١٠                   | ١٥٤    | الآيات: ١ — ١١                   | ١٨٩    |
| الدرس السادس والسبعون بعد المائة | ١٥٦    | الآيات: ١٢ — ١٧                  | ١٩١    |

| الموضوع                           | الصفحة | الموضوع                           | الصفحة |
|-----------------------------------|--------|-----------------------------------|--------|
| الآيات: ١٨ — ٢٠                   | ١٩٢    | الآيات: ١١ — ١٣                   | ٢٢٥    |
| الآيتان: ٢١ و ٢٢                  | ١٩٣    | الآيات: ١٤ — ١٨                   | ٢٣٠    |
| الدرس الحادي والثمانون بعد المائة | ١٩٤    | الآيات: ١٩ — ٢٢                   | ٢٣١    |
| الآيات: ٢٣ — ٢٥                   | ١٩٦    | الآيات: ٢٣ — ٢٦                   | ٢٣٢    |
| الآيات: ٢٦ — ٣٨                   | ١٩٧    | الدرس السادس والثمانون بعد المائة | ٢٣٤    |
| الآيات: ٣٩ — ٤٤                   | ١٩٨    | الآيات: ٢٧ — ٢٩                   | ٢٣٦    |
| الدرس الثاني والثمانون بعد المائة | ١٩٩    | الآية: ٣٠                         | ٢٣٧    |
| الآيات: ٤٥ — ٥٠                   | ٢٠١    | الآية: ٣١                         | ٢٣٨    |
| الآيات: ٥١ — ٥٦                   | ٢٠٢    | الآيات: ٣٢ — ٣٤                   | ٢٤٠    |
| الآيات: ٥٧ — ٦٣                   | ٢٠٣    | الدرس السابع والثمانون بعد المائة | ٢٤٣    |
| الآيات: ٦٤ — ٧٢                   | ٢٠٤    | الآية: ٣٥                         | ٢٤٤    |
| الآيات: ٧٣ — ٧٧                   | ٢٠٦    | الآيات: ٣٦ — ٣٨                   | ٢٤٦    |
| الدرس الثالث والثمانون بعد المائة | ٢٠٧    | الآيتان: ٣٩ و ٤٠                  | ٢٤٧    |
| الآيات: ٧٨ — ٨٣                   | ٢٠٩    | الآيتان: ٤١ و ٤٢                  | ٢٤٨    |
| الآيات: ٨٤ — ٩٢                   | ٢١٠    | الدرس الثامن والثمانون بعد المائة | ٢٤٩    |
| الآيات: ٩٣ — ١٠٠                  | ٢١١    | الآيتان: ٤٣ و ٤٤                  | ٢٥١    |
| الآيات: ١٠١ — ١١١                 | ٢١٣    | الآيتان: ٤٥ و ٤٦                  | ٢٥٢    |
| الآيات: ١١٢ — ١١٦                 | ٢١٤    | الآيتان: ٤٧ و ٥٢                  | ٢٥٣    |
| الآيات: ١١٧ و ١١٨                 | ٢١٥    | الآيتان: ٥٣ و ٥٤                  | ٢٥٤    |
| الدرس الرابع والثمانون بعد المائة | ٢١٦    | الآيات: ٥٥ — ٥٧                   | ٢٥٥    |
| ﴿سورة النور﴾                      | ٢١٦    | الدرس التاسع والثمانون بعد المائة | ٢٥٧    |
| الآيات: ١ — ٣                     | ٢١٧    | الآيتان: ٥٨ و ٥٩                  | ٢٥٩    |
| الآيات: ٤ — ١٠                    | ٢١٩    | الآيتان: ٦٠ و ٦١                  | ٢٦٠    |
| الدرس الخامس والثمانون بعد المائة | ٢٢٣    | الآية: ٦٢                         | ٢٦٢    |

| الموضوع                          | الصفحة | الموضوع                          | الصفحة |
|----------------------------------|--------|----------------------------------|--------|
| الدرس التسعون بعد المائة         | ٢٦٤    | الآيات: ٥٢ — ٦٨                  | ٢٩٤    |
| ﴿سورة الفرقان﴾                   | ٢٦٤    | الدرس الرابع والتسعون بعد المائة | ٢٩٧    |
| الآيات: ١ — ٣                    | ٢٦٧    | الآيات: ٦٩ — ٨٩                  | ٢٩٨    |
| الآيات: ٤ — ١٠                   | ٢٦٨    | الآيات: ٩٠ — ١٠٤                 | ٣٠٠    |
| الآيات: ١١ — ١٦                  | ٢٦٩    | الدرس الخامس والتسعون بعد المائة | ٣٠٢    |
| الآيات: ١٧ — ٢٤                  | ٢٧٠    | الآيات: ١٠٥ — ١٢٢                | ٣٠٥    |
| الآيات: ٢٥ — ٢٩                  | ٢٧٢    | الآيات: ١٢٣ — ١٤٠                | ٣٠٦    |
| الآيات: ٣٠ — ٣٤                  | ٢٧٣    | الآيات: ١٤١ — ١٥٩                | ٣٠٨    |
| الدرس الحادي والتسعون بعد المائة | ٢٧٤    | الآيات: ١٦٠ — ١٧٥                | ٣٠٩    |
| الآيات: ٣٥ — ٤٤                  | ٢٧٦    | الآيات: ١٧٦ — ١٩١                | ٣١٠    |
| الآيات: ٤٥ — ٤٧                  | ٢٧٧    | الدرس السادس والتسعون بعد المائة | ٣١١    |
| الآيات: ٤٨ — ٥٥                  | ٢٧٨    | الآيات: ١٩٢ — ٢٠٩                | ٣١٢    |
| الآيات: ٥٦ — ٦٠                  | ٢٧٩    | الآيات: ٢١٠ — ٢٢٣                | ٣١٤    |
| الدرس الثاني والتسعون بعد المائة | ٢٨١    | الآيات: ٢٢٤ — ٢٢٧                | ٣١٦    |
| الآيتان: ٦١ — ٦٧                 | ٢٨٢    | الدرس السابع والتسعون بعد المائة | ٣١٨    |
| الآيات: ٦٨ — ٧١                  | ٢٨٣    | ﴿سورة النمل﴾                     | ٣١٨    |
| الآيات: ٧٢ — ٧٦                  | ٢٨٥    | الآيات: ١ — ٦                    | ٣١٩    |
| الآية: ٧٧                        | ٢٨٦    | الآيات: ٧ — ١٤                   | ٣٢٠    |
| الدرس الثالث والتسعون بعد المائة | ٢٨٧    | الدرس الثامن والتسعون بعد المائة | ٣٢٤    |
| ﴿سورة الشعراء﴾                   | ٢٨٧    | الآيتان: ١٥ و ١٦                 | ٣٢٦    |
| الآيات: ١ — ٩                    | ٢٩٠    | الآيات: ١٧ — ٢٦                  | ٣٢٧    |
| الآيات: ١٠ — ١٧                  | ٢٩١    | الآيات: ٢٧ — ٣٧                  | ٣٢٩    |
| الآيات: ١٨ — ٣٣                  | ٢٩٢    | الآيات: ٣٨ — ٤٠                  | ٣٣١    |
| الآيات: ٣٤ — ٥١                  | ٢٩٣    | الآيات: ٤١ — ٤٤                  | ٣٣٢    |

| الموضوع                            | الصفحة | الموضوع                   | الصفحة |
|------------------------------------|--------|---------------------------|--------|
| الدرس التاسع والتسعون بعد المائة . | ٣٣٤    | الدرس الرابع بعد المائتين | ٣٧٥    |
| الآيات : ٤٥ — ٥٣                   | ٣٣٦    | الآيات : ٤٣ — ٤٦          | ٣٧٦    |
| الآيات : ٥٤ — ٥٨                   | ٣٣٧    | الآيات : ٤٧ — ٥١          | ٣٧٧    |
| الآيات : ٥٩ — ٦٦                   | ٣٣٨    | الآيات : ٥٢ — ٥٥          | ٣٧٩    |
| الدرس المائتان                     | ٣٤٣    | الدرس الخامس بعد المائتين | ٣٨١    |
| الآيات : ٦٧ — ٧٥                   | ٣٤٥    | الآيتان : ٥٦ — ٥٩         | ٣٨٣    |
| الآيات : ٧٦ — ٨١                   | ٣٤٦    | الآيتان : ٦٠ و ٦١         | ٣٨٤    |
| الآيات : ٨٢                        | ٣٤٧    | الآيات : ٦٢ — ٦٤          | ٣٨٥    |
| الآية : ٨٣ — ٨٦                    | ٣٥٠    | الآيات : ٦٥ — ٦٧          | ٣٨٦    |
| الآيات : ٨٧ — ٩٠                   | ٣٥١    | الآيات : ٦٨ — ٧٣          | ٣٨٧    |
| الآيات : ٩١ — ٩٣                   | ٣٥٣    | الآيتان : ٧٤ و ٧٥         | ٣٨٨    |
| الدرس الواحد بعد المائتين          | ٣٥٤    | الدرس السادس بعد المائتين | ٣٨٩    |
| ﴿سورة القصص﴾                       | ٣٥٤    | الآيات : ٧٦ — ٧٨          | ٣٩١    |
| الآيات : ١ — ٦                     | ٣٥٦    | الآيات : ٧٩ — ٨٢          | ٣٩٣    |
| الآيات : ٧ — ١١                    | ٣٥٧    | الآيات : ٨٣ — ٨٨          | ٣٩٤    |
| الآيتان : ١٢ و ١٣                  | ٣٥٩    | الدرس السابع بعد المائتين | ٣٩٧    |
| الدرس الثاني بعد المائتين          | ٣٦١    | ﴿سورة العنكبوت﴾           | ٣٩٧    |
| الآيات : ١٤ — ١٩                   | ٣٦٣    | الآيات : ١ — ٧            | ٣٩٩    |
| الآيات : ٢٠ — ٢٢                   | ٣٦٤    | الآيتان : ٨ و ٩           | ٤٠١    |
| الآيات : ٢٣ — ٢٥                   | ٣٦٥    | الآيات : ١٠ — ١٣          | ٤٠٢    |
| الآيات : ٢٦ — ٢٨                   | ٣٦٦    | الدرس الثامن بعد المائتين | ٤٠٤    |
| الدرس الثالث بعد المائتين          | ٣٦٨    | الآيتان : ١٤ و ١٥         | ٤٠٧    |
| الآيات : ٢٩ — ٣٢                   | ٣٧٠    | الآيات : ١٦ — ٢٣          | ٤٠٨    |
| الآيات : ٣٣ — ٣٧                   | ٣٧٢    | الآيات : ٢٤ — ٢٧          | ٤٠٩    |
| الآيات : ٣٨ — ٤٢                   | ٣٧٣    |                           |        |

| الموضوع                       | الصفحة | الموضوع                       | الصفحة |
|-------------------------------|--------|-------------------------------|--------|
| الآيات: ٢٨ — ٣٠               | ٤١٠    | الآيتان: ٣٨ و ٣٩              | ٤٤٥    |
| الآيات: ٣١ — ٣٥               | ٤١١    | الآيات: ٤٠ — ٤٢               | ٤٤٦    |
| الآيات: ٣٦ — ٤٠               | ٤١٢    | الآيات: ٤٣ — ٤٥               | ٤٤٧    |
| الدرس التاسع بعد المائتين     | ٤١٤    | الدرس الرابع عشر بعد المائتين | ٤٤٨    |
| الآيات: ٤١ — ٤٤               | ٤١٦    | الآيتان: ٤٦ و ٤٧              | ٤٥٠    |
| الآية: ٤٥                     | ٤١٧    | الآيات: ٤٨ — ٥٣               | ٤٥١    |
| الآيات: ٤٦ — ٤٩               | ٤١٨    | الآية: ٥٤                     | ٤٥٢    |
| الآيات: ٥٠ — ٥٢               | ٤١٩    | الآيات: ٥٥ — ٥٧               | ٤٥٣    |
| الدرس العاشر بعد المائتين     | ٤٢٢    | الآيات: ٥٨ — ٦٠               | ٤٥٤    |
| الآيات: ٥٣ — ٥٥               | ٤٢٤    | الدرس الخامس عشر بعد المائتين | ٤٥٥    |
| الآيات: ٥٦ — ٦٠               | ٤٢٥    | ﴿سورة لقمان﴾                  | ٤٥٥    |
| الآيات: ٦١ — ٦٤               | ٤٢٦    | الآيات: ١ — ٩                 | ٤٥٧    |
| الآيات: ٦٥ — ٦٩               | ٤٢٧    | الآيتان: ١٠ و ١١              | ٤٥٨    |
| الدرس الحادي عشر بعد المائتين | ٤٢٩    | الآيات: ١٢ — ١٩               | ٤٥٩    |
| ﴿سورة الروم﴾                  | ٤٢٩    | الدرس السادس عشر بعد المائتين | ٤٦٢    |
| الآيات: ١ — ٧                 | ٤٣١    | الآيات: ٢٠ — ٢٤               | ٤٦٤    |
| الآيات: ٨ — ١٠                | ٤٣٢    | الآيات: ٢٥ — ٢٨               | ٤٦٥    |
| الآيات: ١١ — ١٩               | ٤٣٣    | الآيات: ٢٩ — ٣٢               | ٤٦٦    |
| الدرس الثاني عشر بعد المائتين | ٤٣٥    | الآيتان: ٣٣ و ٣٤              | ٤٦٧    |
| الآيات: ٢٠ — ٢٣               | ٤٣٧    | الدرس السابع عشر بعد المائتين | ٤٦٩    |
| الآيات: ٢٤ — ٢٧               | ٤٣٨    | ﴿سورة السجدة﴾                 | ٤٦٩    |
| الآيات: ٢٨ — ٣٢               | ٤٣٩    | الآيات: ١ — ٣                 | ٤٧٢    |
| الدرس الثالث عشر بعد المائتين | ٤٤٣    | الآيات: ٤ — ٩                 | ٤٧٣    |
| الآيات: ٣٣ — ٣٧               | ٤٤٤    | الآيات: ١٠ — ١٧               | ٤٧٤    |

| الموضوع                            | الصفحة | الموضوع                            | الصفحة |
|------------------------------------|--------|------------------------------------|--------|
| الآيات: ١٨ — ٢٢                    | ٤٧٥    | الآية: ٤٩                          | ٥٠٩    |
| الآيات: ٢٣ — ٢٥                    | ٤٧٦    | الآيات: ٥٠ — ٥٢                    | ٥١٠    |
| الآيات: ٢٦ — ٣٠                    | ٤٧٧    | الآيات: ٥٣ — ٥٥                    | ٥١٢    |
| الدرس الثامن عشر بعد المائتين ...  | ٤٧٨    | الآية: ٥٦                          | ٥١٣    |
| ﴿سورة الأحزاب﴾                     | ٤٧٨    | الدرس الثاني والعشرون بعد المائتين | ٥١٥    |
| الآيات: ١ — ٥                      | ٤٨٠    | الآيتان: ٥٧ و ٥٨                   | ٥١٧    |
| الآية: ٦                           | ٤٨٢    | الآيات: ٥٩ — ٦٨                    | ٥١٨    |
| الآيتان: ٧ و ٨                     | ٤٨٣    | الآيات: ٦٩ — ٧١                    | ٥١٩    |
| الدرس التاسع عشر بعد المائتين ..   | ٤٨٥    | الآيتان: ٧٢ و ٧٣                   | ٥٢٠    |
| الآيات: ٩ — ١١                     | ٤٨٧    | الدرس الثالث والعشرون بعد المائتين | ٥٢٢    |
| الآيات: ١٢ — ١٧                    | ٤٨٨    | ﴿سورة سبأ﴾                         | ٥٢٢    |
| الآيات: ١٨ — ٢٠                    | ٤٨٩    | الآيتان: ١ و ٢                     | ٥٢٣    |
| الآيات: ٢١ — ٢٤                    | ٤٩١    | الآيات: ٣ — ٦                      | ٥٢٤    |
| الآيات: ٢٥ — ٢٧                    | ٤٩٢    | الآيات: ٧ — ٩                      | ٥٢٦    |
| الدرس العشرون بعد المائتين ....    | ٤٩٤    | الدرس الرابع والعشرون بعد المائتين | ٥٢٨    |
| الآيتان: ٢٨ و ٢٩                   | ٤٩٦    | الآيات: ١٠ — ١٣                    | ٥٢٩    |
| الآيتان: ٣٠ و ٣١                   | ٤٩٧    | الآيات: ١٤ — ١٧                    | ٥٣١    |
| الآيات: ٣٢ — ٣٤                    | ٤٩٨    | الآيتان: ١٨ و ١٩                   | ٥٣٣    |
| الآية: ٣٥                          | ٥٠٠    | الدرس الخامس والعشرون بعد المائتين | ٥٣٥    |
| الآية: ٣٦                          | ٥٠١    | الآيات: ٢٠ — ٢٣                    | ٥٣٧    |
| الآيات: ٣٧ — ٤٠                    | ٥٠٢    | الآيات: ٢٤ — ٢٨                    | ٥٤٠    |
| الدرس الحادي والعشرون بعد المائتين | ٥٠٥    | الآيات: ٢٩ — ٣٣                    | ٥٤١    |
| الآيات: ٤١ — ٤٤                    | ٥٠٧    | الآيات: ٣٤ — ٣٩                    | ٥٤٢    |
| الآيات: ٤٥ — ٤٨                    | ٥٠٨    | الآيات: ٤٠ — ٤٢                    | ٥٤٣    |

| الموضوع                             | الصفحة | الموضوع                             | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|-------------------------------------|--------|
| الدرس السادس والعشرون بعد المائتين  | ٥٤٤    | الآيات: ٤١ — ٤٤                     | ٥٧٩    |
| الآيات: ٤٣ — ٥٠                     | ٥٤٥    | الآيات: ٤٥ — ٤٧                     | ٥٨٠    |
| الآيات: ٥١ — ٥٤                     | ٥٤٧    | الدرس الثاني والثلاثون بعد المائتين | ٥٨٢    |
| الدرس السابع والعشرون بعد المائتين  | ٥٤٩    | الآيات: ٤٨ — ٥٤                     | ٥٨٤    |
| ﴿سورة فاطر﴾                         | ٥٤٩    | الآيات: ٥٥ — ٥٨                     | ٥٨٥    |
| الآيتان: ١ و ٢                      | ٥٥١    | الآيات: ٥٩ — ٦٥                     | ٥٨٦    |
| الآيات: ٣ — ٨                       | ٥٥٢    | الآيات: ٦٦ — ٧٠                     | ٥٨٧    |
| الآيات: ٩ — ١٤                      | ٥٥٣    | الآيات: ٧١ — ٧٦                     | ٥٨٨    |
| الدرس الثامن والعشرون بعد المائتين  | ٥٥٧    | الآيات: ٧٧ — ٨٣                     | ٥٩٠    |
| الآيات: ١٥ — ٢٦                     | ٥٥٩    | الدرس الثالث والثلاثون بعد المائتين | ٥٩١    |
| الآيتان: ٢٧ و ٢٨                    | ٥٦٠    | ﴿سورة الصافات﴾                      | ٥٩٢    |
| الآيات: ٢٩ — ٣٥                     | ٥٦١    | الآيات: ١ — ١٠                      | ٥٩٥    |
| الآيتان: ٣٦ و ٣٧                    | ٥٦٢    | الآيات: ١١ — ٢٦                     | ٥٩٦    |
| الدرس التاسع والعشرون بعد المائتين  | ٥٦٤    | الآيات: ٢٧ — ٣٧                     | ٥٩٧    |
| الآيات: ٣٨ — ٤١                     | ٥٦٥    | الآيات: ٣٨ — ٤٩                     | ٥٩٨    |
| الآيتان: ٤٢ و ٤٣                    | ٥٦٦    | الآيات: ٥٠ — ٦٠                     | ٥٩٩    |
| الآيتان: ٤٤ و ٤٥                    | ٥٦٨    | الآيات: ٦١ — ٧٠                     | ٦٠٠    |
| الدرس الثلاثون بعد المائتين         | ٥٦٩    | الدرس الرابع والثلاثون بعد المائتين | ٦٠٢    |
| ﴿سورة يس﴾                           | ٥٦٩    | الآيات: ٧١ — ٨٢                     | ٦٠٤    |
| الآيات: ١ — ١٢                      | ٥٧١    | الآيات: ٨٣ — ٩٨                     | ٦٠٥    |
| الآيات: ١٣ — ٢٧                     | ٥٧٣    | الآيات: ٩٩ — ١١٣                    | ٦٠٧    |
| الآيات: ٢٨ — ٣٢                     | ٥٧٥    | الدرس الخامس والثلاثون بعد المائتين | ٦٠٩    |
| الدرس الحادي والثلاثون بعد المائتين | ٥٧٦    | الآيات: ١١٤ — ١٣٢                   | ٦١٠    |
| الآيات: ٣٣ — ٤٠                     | ٥٧٧    | الآيات: ١٣٣ — ١٤٨                   | ٦١٢    |
|                                     |        | الدرس السادس والثلاثون بعد المائتين | ٦١٥    |

| الموضوع                             | الصفحة | الموضوع                             | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|-------------------------------------|--------|
| الآيات: ١٤٩ — ١٦٠                   | ٦١٦    | الآيات: ١٧ — ٢٠                     | ٦٤٩    |
| الآيات: ١٦١ — ١٧٠                   | ٦١٧    | الدرس الحادي والأربعون بعد المائتين | ٦٥١    |
| الآيات: ١٧١ — ١٧٩                   | ٦١٨    | الآيتان: ٢١ و ٢٢                    | ٦٥٢    |
| الآيات: ١٨٠ — ١٨٢                   | ٦١٩    | الآيات: ٢٣ — ٢٦                     | ٦٥٣    |
| الدرس السابع والثلاثون بعد المائتين | ٦٢٠    | الآيات: ٢٧ — ٣١                     | ٦٥٤    |
| ﴿سورة ص﴾                            | ٦٢٠    | الدرس الثاني والأربعون بعد المائتين | ٦٥٦    |
| الآيات: ١ — ١١                      | ٦٢٢    | الآيات: ٣٢ — ٣٥                     | ٦٥٨    |
| الآيات: ١٢ — ٢٠                     | ٦٢٥    | الآيات: ٣٦ — ٤٠                     | ٦٥٩    |
| الآيات: ٢١ — ٢٦                     | ٦٢٦    | الآيات: ٤١ — ٤٨                     | ٦٦٠    |
| الآيات: ٢٧ — ٢٩                     | ٦٢٨    | الآيات: ٤٩ — ٥٢                     | ٦٦١    |
| الدرس الثامن والثلاثون بعد المائتين | ٦٢٩    | الدرس الثالث والأربعون بعد المائتين | ٦٦٣    |
| الآيات: ٣٠ — ٣٣                     | ٦٣٠    | الآيات: ٥٣ — ٦١                     | ٦٦٥    |
| الآيات: ٣٤ — ٤٠                     | ٦٣١    | الآيات: ٦٢ — ٦٧                     | ٦٦٧    |
| الدرس التاسع والثلاثون بعد المائتين | ٦٣٤    | الآيات: ٦٨ — ٧٠                     | ٦٦٨    |
| الآيات: ٤١ — ٤٤                     | ٦٣٦    | الآيات: ٧١ — ٧٥                     | ٦٧٠    |
| الآيات: ٤٥ — ٥٤                     | ٦٣٧    | الدرس الرابع والأربعون بعد المائتين | ٦٧٣    |
| الآيات: ٥٥ — ٦٦                     | ٦٣٨    | ﴿سورة المؤمن (غافر)﴾                | ٦٧٣    |
| الآيات: ٦٧ — ٨٥                     | ٦٤٠    | الآيات: ١ — ٦                       | ٦٧٦    |
| الآيات: ٨٦ — ٨٨                     | ٦٤١    | الآيات: ٧ — ٩                       | ٦٧٧    |
| الدرس الأربعون بعد المائتين         | ٦٤٣    | الآيات: ١٠ — ١٢                     | ٦٧٨    |
| ﴿سورة الزمر﴾                        | ٦٤٣    | الآيات: ١٣ — ٢٠                     | ٦٧٩    |
| الآيات: ١ — ٧                       | ٦٤٥    | الآيتان: ٢١ و ٢٢                    | ٦٨٠    |
| الآيتان: ٨ و ٩                      | ٦٤٦    | الدرس الخامس والأربعون بعد المائتين | ٦٨١    |
| الآيات: ١٠ — ١٦                     | ٦٤٨    | الآيات: ٢٣ — ٢٧                     | ٦٨٤    |



| الموضوع                             | الصفحة | الموضوع                             | الصفحة |
|-------------------------------------|--------|-------------------------------------|--------|
| الآيات: ٢٨ — ٣٥                     | ٦٨٥    | الآيات: ٩ — ١٢                      | ٧٠٣    |
| الآيتان: ٣٦ و ٣٧                    | ٦٨٦    | الآيات: ١٣ — ١٨                     | ٧٠٤    |
| الآيات: ٣٨ — ٤٦                     | ٦٨٧    | الدرس الثامن والأربعون بعد المائتين | ٧٠٦    |
| الآيات: ٤٧ — ٥٠                     | ٦٨٨    | الآيات: ١٩ — ٢٤                     | ٧٠٧    |
| الآيات: ٥١ — ٥٥                     | ٦٨٩    | الآيات: ٢٥ — ٢٩                     | ٧٠٩    |
| الدرس السادس والأربعون بعد المائتين | ٦٩٠    | الآيات: ٣٠ — ٣٢                     | ٧١٠    |
| الآيات: ٥٦ — ٥٩                     | ٦٩٢    | الدرس التاسع والأربعون بعد المائتين | ٧١٢    |
| الآيات: ٦٠ — ٦٨                     | ٦٩٣    | الآيات: ٣٣ — ٣٦                     | ٧١٤    |
| الآيات: ٦٩ — ٧٦                     | ٦٩٥    | الآيات: ٣٧ — ٣٩                     | ٧١٥    |
| الآيات: ٧٧ — ٨٥                     | ٦٩٧    | الآيات: ٤٠ — ٤٦                     | ٧١٦    |
| الدرس السابع والأربعون بعد المائتين | ٦٩٩    | الآيات: ٤٧ — ٥٤                     | ٧١٨    |
| ﴿سورة فصلت﴾                         | ٦٩٩    |                                     |        |
| الآيات: ١ — ٨                       | ٧٠١    |                                     |        |

• • •